

شَرْحُ

# القَضِيَّةِ الْوَنِيَّةِ

المُسْتَمَاءُ

الكَافِيَّةِ الشَّافِيَّةِ فِي الْإِنْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

لِلْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥١ هـ

تَأَلِيفُ

الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ

وَالْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

وَمَعَهُ تَعْلِيقَاتٌ مُهِمَّةٌ وَمُفِيدَةٌ

لِلْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيلِ هَرَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

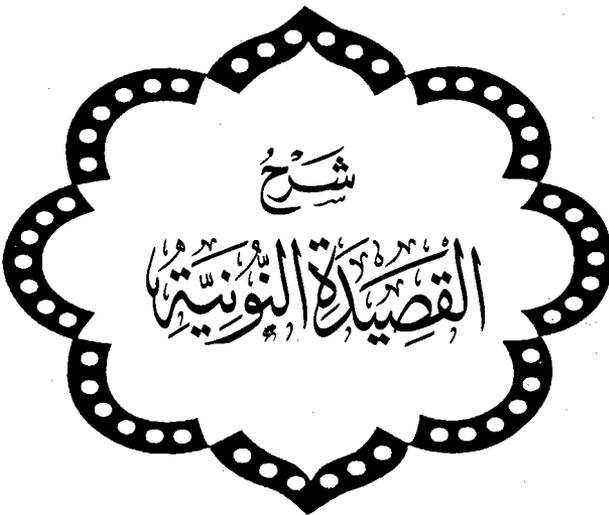
اعْتَمَدَ بِهِ وَعَايَنَتْ عَلَيْهِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ أَبُو حَالِسٍ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْبُرْهَانِيِّ

المجلد الثاني

مَكْتَبَةُ الطَّبْرِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شَحْ

القضية التونتية

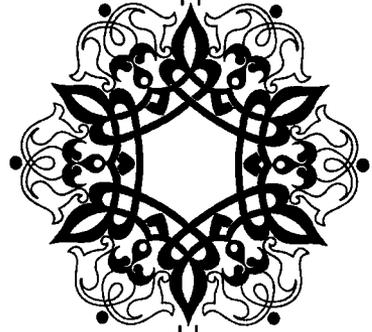
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ  
مَنْعَلَمٌ مِنَ الْمَعْلَمَاتِ  
الْمُعْتَمَدَاتِ  
حُقُوقُ الطَّبَعِ مَحْمُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ



ALTABARI'S LIBRARY

سَنَةُ الطَّبَعِ : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م  
رَقْمُ الإِيْدَاعِ : ٧٦٩٧ / ٢٠٠٨  
رَقْمُ الطَّبَعَةِ : الأولى

مكتبة لطبري  
للنشر والتوزيع



جُمْهُورِيَّةُ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ - الْقَاهِرَةَ - عَيْنِ شَمْسٍ  
١٤ شَاعِ ١٣٦٦ مِنْ شَاعِ مَسْجِدِ الْوَطَنِيَّةِ - حَلَّتْ سِنْتَرَالِ الزَّهَّةِ

الجوال: ٠١٦١٦٦٦٣٣٣٤ - ٠١٠٦٦٨١٠٧٩

فاكس: ٠٢٢٢٩٩٩٣٦٠ - ٠٢٢٢٩٩٩٣٨٠

tabari24@gmail.com



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٨٦٢- فَا حَكُمَ هَذَاكَ اللهُ بَيْنَهُمْ فَقَدَ

أَدَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَّانِ

٨٦٣- لَا تَنْصُرُنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ

هُمَ عَسَكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

٨٦٤- وَتَحِيْزَنَّ إِلَيْهِمْ لِأَغْيَرِهِمْ

لَتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ

٨٦٥- فَتَقُولُ هَذَا الْقَدْرُ قَدْ أَعْيَا عَلَيَّ

أَهْلَ الْكَلَامِ وَقَادَهُ أَصْلَانِ

٨٦٦- إِحْدَاهُمَا هَلْ فَعَلَهُ مَفْعُولُهُ

أَوْ غَيْرَهُ فَهَمَّا لَهُمْ قَوْلَانِ

٨٦٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ

فَرُّوا مِنَ الْأَوْصَافِ بِالْحَدِيثَانِ

٨٦٨- لَكِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ

تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٨٦٩- عَنِ فِعْلِهِ إِذْ فَعَلَهُ مَفْعُولُهُ

لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ

٨٧٠- فَعَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذَا

مَفْعُولٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَانِ

٨٧١- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرَ لَهُ

مُتَّازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ

٨٧٢- إِحْدَاهُمَا قَالَتْ قَدِيمٌ قَائِمٌ

بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ الْمَنَّانِ

٨٧٣- سَمُوهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ

أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالَمِ الثُّعْمَانِ

٨٧٤- وَخُصُومُهُمْ لَمْ يُنْصَفُوا فِي رَدِّهِ

بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا أَتَوْا بِبَيِّنَاتٍ

٨٧٥- وَالْآخِرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا

بِالذَّاتِ قَامَ وَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ

٨٧٦- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ

حَذَرَ التَّسْلُسِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

٨٧٧- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ كَرَامِيَةٌ

فَفِعَالُهُ وَكَلَامُهُ سَيِّئَانِ

٨٧٨- وَالْآخِرُونَ أَوْلُوا الْحَدِيثَ كَأَحْمَدِ

ذَلِكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرَّضَا الشَّيْبَانِي

٨٧٩- قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ

مُتَكَلِّمًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

٨٨٠- جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتٍ فِعْلٍ قَائِمِ

بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدْ مِنْ الرَّحْمَنِ

٨٨١- وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِأَلِ

إِحْسَانٍ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانِ

٨٨٢- وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَّاجِعَ قَوْلَهُ

لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ

٨٨٣- وَكَذَلِكَ جَعَفَرُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ الـ

مَقْبُولٌ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعِرْفَانِ

٨٨٤- قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُنُ مُحْسِنًا

بَرًّا جَوَادًّا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ<sup>(١)</sup>

٨٨٥- وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فَإِنَّهُ

قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ

٨٨٦- قَالَ الْحَيَاءُ مَعَ الْفَعَالِ كِلَاهُمَا

مُتَلَاذِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٨٨٧- صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَ

عَالٌ وَذَا فِي غَايَةِ التَّيَّانِ

٨٨٨- إِلَّا إِذَا مَا كَانَ تَمَّ مَوَانِعَ

(١) [٨٧٨: ٨٨٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما الفرقة الثانية من القائلين بأن فعله تعالى حادث وقائم بذاته، فهم أصحاب الحديث كالإمام أحمد ابن حنبل رحمته، هؤلاء ذهبوا إلى ما دلت عليه النصوص الصريحة وحكم به العقل السليم من أن الله لم يزل متصفاً بصفات كماله سواء ما كان فيها لازماً لذاته أو ما كان متعلقاً بمشيئته وقدرته، ليس لما يحدث في ذاته عندهم ابتداء، بل يقولون لم يزل الله متكلمًا إذا شاء بما شاء وكيف شاء، وكذلك لم يزل فاعلاً لما أراد، فكل من فعله وكلامه صفة كمال له، لا يجوز خلوه عنها في وقت من الأوقات؛ لأن الخلو عن الكمال الممكن نقص مستحيل على الله، ولا يلزم من دوام فعله وكلامه قدم شيء من المفعولات، فإن الله لم يزل يفعل الأشياء ويحدثها شيئاً بعد شيء، وكذلك لم يزل متكلمًا بما شاء، فكل من الكلام والفعل قديم النوع، ولكن آحاده لم تزل تحدث في ذاته سبحانه بلا بداية ولا انقطاع، وها مستلزم للتسلسل في الآثار، وهو ليس بممتنع، بل دل الشرع والعقل على ثبوته، وإنما الممتنع هو التسلسل في العلل والمؤثرين.

وقوله في البيت الثاني: (ذو إحسان) خبر ثان لأن، أي لم يزل محسنًا كما لم يزل متكلمًا، وقوله في البيت الرابع وكذلك نص... إلخ، يعني به أحمد رحمه الله أنه نص في مكان آخر من كتابه الذي رد به على الجهمية على دوام فعله سبحانه بدوام إحسانه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فيما أجاب به على مسائل القرآن، وكذلك جعفر الصادق من أئمة أهل البيت المشهود لهم بالورع والتقوى والمعرفة الحق، وقال لم يزل المهيمن محسنًا برًّا جوادًا في كل وقت وحال، وهذا إثبات لدوام فعله سبحانه واستمراره في أوقات الزمان كلها بلا بداية ولا انقطاع.

مِنَ آفَةِ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ

٨٨٩- وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَانِعٍ

مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف في هذا:

فَاحْكُمْ هَذَاكَ اللهُ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَدَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَانٍ

احكم بين هؤلاء المختلفين في كلام الله، والمذاهب التي أمامنا ثلاثة، وقد سبق بيانها، وأنها ثمانية مذاهب، لكن الذي أمامنا الآن ثلاثة؛ وهي: مذهب الجهمية، ومذهب الاقترانية، ومذهب الأشاعرة.

إذا حكمنا بينهم قلنا: أما مذهب الاقترانية والأشعرية فهو غير معقول، أما مذهب الجهمية فهو معقولٌ من وجه، مُنكَرٌ من وجه، أما كونه معقولاً؛ فمن جهة أنه: مُرتَّبٌ، مسموعٌ بصوت، متعلِّقٌ بمشيئته، كل هذا حق، فكلام الله بحرف وصوت، مسموعٌ، متعلِّقٌ بمشيئته، أما ما هو منكَرٌ من قَوْلِهِمْ، فقَوْلُهُمْ: إنه مخلوق؛ يعني: مثلاً إذا أراد الله أن يتكلَّم خلق كلاماً في أي محلٍّ كان، في الشجرة، أو في جبريل، أو في الهواء، في المكان الذي سُمِعَ منه كلام الله، فهذا لا شك أنه منكَرٌ وباطل؛ لأنه إذا خرج الكلام من هذا فهو وصفٌ لمن خرج منه، لا لله، وإلا لقلنا: إن جميع كلام الناس من كلام الله، وهذا باطل، هذا ليس إلا مذهب الاتحادية.

إذاً نحكم بينهم؛ نقول: أما ما ذهب إليه الأشاعرة والاقترانية، فهو مذهب باطل، لا نُقرُّه، وأما ما ذهب إليه الجهمية، فهو مذهب باطل لا نُقرُّه بمجموعه، أما بعض فقرات منه، فهي حق.

والحكم يكون بماذا؟ بالحق، وما هو الحق؟ الحق ما أشار إليه في قوله:

لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسْكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

هذا الواجب على كل مسلم ألا ينضُر قول أحد إلا قول أهل الحديث؛ لأنهم عسكر الإيمان والقرآن.

وَتَحْيِرَنَّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرَهُمْ لَتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ

معنى تحيّر؟ يعني: ملّ إليهم، وكن من حزبهم (لتكون منصورًا لدى الرحمن)؛ لأن أهل القرآن والحديث هم أهل الله وخاصته، وهم أهل نصرته.

(فتقول: هذا القدر قد أعيا على أهل الكلام) هذا القدر؛ يعني: هذا التقدير - والله أعلم - (قد أعيا على أهل الكلام) يعني: أتعبهم وأعجزهم، (وقاده أصلان): (إحداهما: هل فعله مفعوله أو غيره) يعني: أن الخلاف بين الأشاعرة وبين المعتزلة والجهمية مبني على أصلين:

الأصل الأول: هل الفعل عين المفعول؟

والأصل الثاني: هل الفعل غير المفعول؟

نحن نعلم بفطرتنا أن المفعول غير الفعل؛ يعني: المصنوع غير صنع الصانع، فالإنسان إذا بنى بيتاً؛ فهل البيت هو بناؤه أو أثر بنائه؟ أثر بنائه، لا شك أن الفعل غير المفعول.

قال: (والقائلون بأنه هو عينه) بأنه؛ أي: الفعل هو عينه؛ أي: عين المفعول، هذا القول الأول (فرؤا من الأوصاف بالحدثان) يعني: قالوا: لا نقول: إن هناك فعلاً ومفعولاً؛ لأننا لو قلنا: إن هناك فعلاً يقوم بالله، ونحن نرى تجدد المفعولات، والمفعولات مُقارِنة للفعل، للزم من ذلك أن تقوم الحوادثُ بالله، ولا تقوم الحوادثُ إلا بحدوث، وحدوث الباري عز وجل ممتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وكل شيء، إذا قل: إن الفعل هو المفعول من أجل أن تسلم من حلول الحوادث بالله.

كلنا يعلم أن الفعل مقارنٌ للمفعول؛ يعني: عندما أصنع شيئاً، صُنعي له وعملي إياه مُقارنٌ له مُقارِن، والمفعولات تتجدد، إذاً لو قلنا: إن مفعول الله غير فعله لكان الفعل حادثاً مُتعلّقاً بذات الله، فتتعلّق به الحوادث، وهذا ممتنع، إذاً نقول: فعل الله هو المفعول، والمفعول منفصل بائنٌ عن الله.

لَكِنْ حَقِيقَةٌ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذَا الْأَكْوَانِ

(عن فعله) يعني: إذا قلنا: إن المفعول هو الفعل، لزم من هذا تعطيلُ الله عن الفعل؛

لأنه ليس في الله وصفٌ هو الفعل؛ لأن الفعل - لو قدرنا أن الفعل غير المفعول - متجددٌ على هذا التقدير، والله تعالى يمتنع عن أن تتعلّق به الحوادث؛ لأنه لو تعلّقت به الحوادث لزم أن يكون حادثًا، إذا قلتم هكذا لزم أن لا يكون لله فعل؛ لأنكم تقولون: إن الفعل هو عين المفعول.

مسألة: هل يمكن أن نردّ عليهم في قولهم: لو قام به فعلٌ لكان محلًّا للحوادث، وما قامت به الحوادث فهو حادث؟

الجواب: نعم، نقول لا يلزم من قيام الحوادث به أن يكون حادثًا؛ لأن الفاعل متقدّمٌ على فعله، ونحن الآن نفعل اليوم شيئًا، ونحن قد خلقنا قبل ذلك بسنوات، فالله تعالى يفعل الشيء، ويُحدث الشيء، ويقوم الفعل الحادثُ به، وهو ليس بحادث، وهذا شيءٌ ظاهر.

فَعَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذَا أَلِ	حَفْعُوعُلٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَّانِ
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرَ لَهُ	مُتَنَازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ
إِحْدَاهُمَا قَالَتْ: قَدِيمٌ قَائِمٌ	بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ المَنَّانِ
سَمُوهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ	أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالَمِ الثُّعْمَانِ

الذين قالوا: إن الفعل غير المفعول اختلفوا: هل الفعل سابقٌ على المفعول، أو مقاربٌ له؟

تنازعوا: هل الفعل مُقاربٌ للمفعول، أو الفعل قديمٌ كقدّم القدرة والعلم والسمع والبصر؟

وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرٌ لَهُ	مُتَنَازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ
---------------------------------------	--------------------------------------

إحداهما قالت: قديم؛ مداهنةٌ للمعتزلة والجهمية؛ لأن الجهمية والمعتزلة يقولون: إذا كان الفعل حادثًا، وقام بالله لزم أن يكون حادثًا.

فهؤلاء قالوا: الفعل قائمٌ بالله، لكنه قديم، لثلاثا تقوم به الحوادث.

والفعل إن كان قديمًا لزم من ذلك أن يكون المفعول قديمًا؛ لأن الفعل لا بد أن يوجد مفعولًا، فيلزم على قولكم بأن الفعل قديم أن يكون مفعوله أيضًا قديمًا، لكنهم (سموه تكوينًا قديمًا) قالوا: لا نُسَمِّيه علمًا، نُسَمِّيه تكوينًا، التكوين إن أردتم التقدير أن يُقدَّر أن يفعل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فأنتم لم تُقَرُّوا بالفعل، جعلتم الفعل للتقدير والقضاء.

وإن جعلتم التكوين معناه: فعل الشيء، أو العمل بالشيء حتى يكون، فهذا لا بد فيه أن

يكون المفعول مقارناً للفعل، المكوّن مقارن للتكوين، ولذلك هم متناقضون.

سَمُوهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالِمِ النَّعْمَانِ

ومن اشتهر عنه هذا القول: الطحاوي<sup>(١)</sup> صاحب «الطحاوية» المشهورة.

وَخُصُّوهُمْ لَمْ يُنْصَفُوا فِي رَدِّهِ بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا أَتَوْا بِبَيِّنٍ

مَنْ الْمُخَاصِمُونَ؟ هم الذين قالوا: إن الفعل عين المفعول، ونحن لا نوافقهم على أن الفعل غير المفعول، ثم تقولون: إن الفعل قديم، والمفعول حادث، حتى لو سموه تكويناً فإننا لا نوافقهم، لكن لم يُنْصَفُوا فِي رَدِّهِمْ؛ لأنهم في رَدِّهِمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، وقولهم: إنه لا يمكن تكوين بلا كائن، هذا صحيح، لكن كيف يمكن أن نقول: إنه يمكن أنه يوجد مفعول بلا فعل.

أولاً: لا بد أن نعرف ما وجه الردّ، وجه الردّ عليهم: أنهم قالوا: أنتم تقولون: إن الفعل غير المفعول، ثم تقولون: إن الفعل قديم، كقدّم القدرة، وهذا لا يمكن أن يقوله الذين قالوا: إن الفعل هو عين المفعول.

قالوا: لا يمكن أن يكون الفعل قديماً، والمفعول حادثاً، رُدُّهُمَ هَذَا صَحِيحٌ، لكنهم لم أنصفوا؟ لأنهم إذا قالوا: إنه لا يمكن أن يكون المفعول متأخراً، والفعل متقدماً، قالوا أيضاً: لا يمكن أن يكون المفعول هو عين الفعل، ولكنهم كآبروا وأبوا إلا أن يقولوا: إن المفعول هو عين الفعل، فلم يُنْصَفُوا.

وَالْآخَرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا بِالذَّاتِ قَامَ وَأَنْهُمْ نَوْعَانِ

إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مُفْتَتِحًا بِهِ حَذَرَ التَّسْلُسْلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ كَرَامِيَّةٌ فِفِعَالُهُ وَكَلَامُهُ سِيَّانِ

وَالْآخَرُونَ أَوْلُوا الْحَدِيثَ كَأَحْمَدٍ ذَلِكَ ابْنُ حَبْتَلِ الرِّضَى الشَّيْبَانِي

الآخرون هم الذين قالوا: إن الفعل غير المفعول، قالوا: إن الفعل قام بالذات، وهو

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، وهو إمام ثقة جليل. وهو ابن أخت المزني صاحب الإمام الشافعي، قال ابن يونس: كان ثقة ثباتاً فقيهاً عاقلاً، لم يخلّف مثله، ولد بمصر سنة ٢٣٩هـ. ومات بها في مستهل ذي القعدة سنة ٣٢١هـ. رحمه الله.

حادث بعد أن لم يكن، إذا أراد الله أن يخلق جنينًا؛ متى يتعلّق الفعل بهذا الجنين؟ عند خلقه، هذا الفعل حادث أو غير حادث؟ حادث، إذًا فيقولون: الفعل غير المفعول، والفعل حادث عند إرادة فعل المفعول، أو مُقَارِنُ لفعل المفعول، هذا معقول، وأي مانع يمنع أن يكون فعل الله حادثًا بعد أن لم يكن، لكن هما نوعان: (إحداهما جعلته مفتتحًا به) يعني: جعلت الفعل ممكنًا بعد أن كان مستحيلًا، فقالوا: إن الله صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل، ولهذا قال: (حذر التسلسل ليس ذا إمكان) يعني: إذا قلنا: إنه لم يزل يفعل لزم من هذا التسلسل وهو مستحيل.

هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ كَرَامِيَّةٌ فَعَالَةٌ وَكَلَامُهُ سِيَّانِ

يعني: كما قالوا في الكلام فيما سبق: إنه حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، قالوا أيضًا: إن الفعل حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، لكنهم انقسموا قسمين:

قسم قالوا: إنه حادثٌ بعد أن لم يكن مقدورًا عليه؛ بل قالوا: إنه حادثٌ بعد أن كان مستحيلًا، وهؤلاء الكَرَامِيَّةُ؛ لأننا لو قلنا: إن الله لم يزل فعلاً لزم تسلسل الحوادث؛ لأنه لم يزل معناه: في الأزل الذي لا نهاية له، فلزم تسلسل الحوادث، وهذا ممتنع على الله.

وقسم قالوا: إنه حادث قائم به، ولم يزل فعلاً، والتسلسل ليس بممتنع؛ يعني: أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعلاً، ولا نقول: إنه كان غير قادرٍ على الفعل، ثم كان قادرًا عليه.

فخلاصة الكلام الآن: أن أهل الكلام اختلفوا في فعل الله إلى أقوال:

القول الأول: هل فعله مفعوله أو غيره؟ فجميع أتباعهم قالوا: فعله هو مفعوله؛ لأننا لو قلنا: إن الفعل غير المفعول، ونحن نُشَاهِدُ تجرّد المفعولات، لزم أن يكون الفعل حادثًا قائمًا بالله، ولو قامت الحوادث بالله، لزم أن يكون حادثًا؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة وأتباعهم.

القول الثاني: أن الفعل غير المفعول، ثم اختلف هؤلاء؛ فقالت طائفة منهم: إن الفعل قديم كقدّم القدرة والعلم، والمفعول متأخر عن الفعل.

فقيل لهم: لا يمكن أن يكون الفعل قديمًا، ويتأخر المفعول؛ لأن الفعل مُقَارِنٌ للمفعول، عندما تصنع بابًا فصنعك له مُقَارِنٌ لتكوين هذا الباب، قالوا: نُسمِّيه تكوينًا سابقًا، لكن

هذا لا يخرجون به عن الإشكال.

الطائفة الثانية من الذين قالوا: إن الفعل غير المفعول انقسموا أيضًا إلى قسمين:

قسم قالوا: إن العقل غير المفعول لكنه ليس أزليًا، أي: كان ممتنعًا ثم كان ممكنًا، هذا رأي الكرامية.

وقسم قالوا: لا، كان الفعل قائمًا به وهو غير مفعول، ولكنه يتجدد، وهو أزلي، لم يزل الله ولا يزال فعلاً، وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولهذا قال:

وَالْآخِرُونَ أَوْلُوا الْحَدِيثَ كَأَحْمَدٍ      ذَاكَ ابْنُ حَبَلِ الرِّضَا الشَّيْبَانِي  
قَدْ قَالَ: إِنَّ حَقًّا لَمْ يَزَلْ      مُتَكَلِّمًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانِ  
جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتِ فِعْلٍ قَائِمٍ      بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدِ مِنَ الرَّحْمَنِ

إذا كان لم يُفقد من الله معناه: أنه لم يأت عليه زمن إلا وهو يتكلم، كما أنه لم يأت زمن إلا وهو يفعل.

وَكَذَاكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِالْإِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانٍ

وقوله: (وكذاك نصّ) الإمام أحمد؛ يعني: في قول آخر له.

وَكَذَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَرَّاجِعَ قَوْلَهُ      لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ

يعني: أن ابن عباس نصّ على أن الفعل أزلي، وأن الله لم يزل ولا يزال فعلاً.

وَكَذَاكَ جَعَفَرُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (١) الـ      مَقْبُولُ عِنْدَ الْخَلْقِ ذِي الْعِرْفَانِ

قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُ مُحْسِنًا      بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ

وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فَإِنَّهُ      قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ

قَالَ الْحَيَاءُ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا      مُتَلَازِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرَقَانِ

الدارمي رحمه الله قال: متى قلت: إن الله حيٌّ، لزم أن يكون فعلاً، وإذا كانت الحياة أزلية، فالفعل أزلي؛ إذ لا يُتصور حيٌّ بدون فعل، وهذا كلام جيد من الدارمي، يقول: إن الفعل ملازم للذات، فكما أن الله لم يزل حيًّا، فإنه لم يزل فعلاً.

قَالَ الْحَيَاءُ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا      مُتَلَازِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرَقَانِ

(١) هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَدَّ عَالٌ وَذَا فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ  
إِلَّا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ مَوَانِعَ مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَّوَانِ

قوله: (صدق الإمام) يعني: الدارمي.

يقول: كل حيٍّ فعَّال، إلا إذا كان هناك مانع من آفة؛ مثل: أن يكون هناك شلّل، أو (قتل الحيوان) مكسور لا يقدر أن يتحرَّك.

قال: (والرب ليس لفعله مانع) إذن فلم يزل فعَّالاً كما أنه لم يزل حياً (ما شاء كان بقدره الديان).



\* قوله رَحَلَهُ:

٨٩٠- وَمَشِيئَةَ الرَّحْمَنِ لَارِمَةٌ لَهُ

وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

٨٩١- هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ

أَنْ الْمُهَيِّمِينَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

٨٩٢- أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ

يَا دَائِمِ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ؟

٨٩٣- وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْ-

جُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْعُقْرَانِ؟

٨٩٤- مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةً

فَطَرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِرِ ثَانِ

٨٩٥- أَوْ لَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصْفِهِ

وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ دُوَّ جِدْتَانِ؟

٨٩٦- وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ وَخَلْقُهُ

أَفْعَالُهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي؟

٨٩٧- أَوْ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ

أَفَذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْمَثَانِ؟

٨٩٨- أَزَلًّا إِلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ

مُتَمَكِّنًا وَالْفِعْلُ ذُو إِمْكَانٍ

٨٩٩- تَاللهُ قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ

قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ

٩٠٠- مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا

حَتَّى تَمَكَّنَ فَاَنْطَقُوا بَيَّانٍ؟

٩٠١- وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطَلًا عَنْ فِعْلِهِ

بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانٍ

٩٠٢- وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفُ كَمَالِهِ

مَا فَقَدُذَا وَوَجُودُهُ سَيَّانٍ

٩٠٣- وَتَخَلَّفَ التَّأثيرُ بَعْدَ تَمَامِ مُو

جِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٩٠٤- وَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ

وَمَشِيئَةٍ وَيْلِيهِمَا وَصَفَانِ

٩٠٥- الْعِلْمُ مَعَ وَصْفِ الْحَيَاةِ وَهَذِهِ

أَوْصَافُ ذَاتِ الْخَالِقِ الْمَثَانِ

٩٠٦- وَبِهَا تَمَامُ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا

فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ

٩٠٧- فَلَايِي شَيْءٍ قَدْ تَأَخَّرَ فِعْلُهُ

مَعَ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ؟

٩٠٨- مَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ بَلْ

مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانٍ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذه الآيات أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد بها على الطائفة التي تُوافق أهل السنة والجماعة إلا في هذا؛ وهم: الكَرَامِيَّةُ الذين قالوا: إن الله تعالى فعله حادث متعلق بمشيئته، لكنه كان بالأول غير ممكن ثم صار ممكناً، فابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ردَّ عليهم بهذه الآيات، وفيها شيء من التكرار، لكن من أجل التوضيح، قال:

وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَأَزِمَةٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يعني: أن الله لم يزل مُريدًا للأشياء، ولم يزل قادرًا عليها، والقدرة باتفاق الجميع ليست حادثه، والمشيئة كذلك ليست حادثه، ثم استدَلَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً بما فطر الله عليه العباد، وهو أن الله دائم الإحسان، والدوام يقتضي التسلسل في الأزَل، والتسلسل في المستقبل، ما دام دائماً فإنه يقتضي أن يكون فاعلاً، لم يزل فعلاً في الماضي، كما لا يزال فعلاً في المستقبل.

أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوحِدٍ يَا ذَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ

هذا استفهام للتقريب، الجواب: بلى، كل واحد من أهل التوحيد يقول: (يا دائم المعروف والسلطان) والدوام يقتضي التسلسل في الماضي، والتسلسل في المستقبل، وإلا لم يكن دائماً. ما دام دائماً فإنه يقتضي أن يكون فاعلاً فهو لم يزل فعلاً في الماضي وأيضاً لا يزال فعلاً في المستقبل.

وهذا الدليل الذي ذكره المؤلف يدور على: أننا نسمع كل واحد من أهل التوحيد يقول: يادائم المعروف والسلطان والدوام يقتضي التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل وإلا لم يكن دائماً.

وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْجُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْغُفْرَانِ

كل هذا نسمعه من المسلمين وكل هذا يقتضي أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً محسناً.

مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةً فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصٍ ثَانٍ

قوله: (من غير إنكار عليه)، يعني: لا أحد ينكر عليهم فطرةً فطروا عليها ويجوز أن تقول فطرةً فطروا عليها فعن الأول تكون فطرة مصدر مفعول مطلق لفطروا وعن الثاني تكون خبراً مبتدأ محذوف والتقدير هي فطرة.

وقوله: (لا تواصٍ ثان) يعني: لا أحد وصاهم فليس بعضهم يوصي بعضاً ويقول قول: يا دائم المعروف وقول يا دائم السلطان هذا أمرٌ فطري.

أَوْ لَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصْفِهِ وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ ذُو حَدَثَانِ

الجواب: بلى فعلُ الرب تابع لكَماله وإذا كان تابع لكَماله فهل كَماله حادث؟ لا الفاعل أكمل ممن لا يفعل وإذا كان كَمال الله تعالى لازماً له أزلاً وأبداً لزم أن يكون فعله لازماً له أزلاً وأبداً فالله لم يزل ولا يزال فعلاً، وكَماله سبب الفِعَالِ وخلقه أفعالهم سبب الكَمال الثاني وكَماله سبب الفِعَالِ يعني: أنه لما كان كاملاً كان كَماله سبباً لفعله ومن المعلوم أن المسبب لا يتأخر عن السبب فالكَمال لازم أبداً فعله وخلقه أفعالهم أي: خلق أفعال العباد سبب الكَمال الثاني؛ يعني مثلاً الله تعالى خالق فاعل فإذا خلق الشيء صار هذا كَمالاً ثانياً تبين به الكَمال الأول؛ لأنه لا يظهر هنا كَمال الله عز وجل إلا بمخلوقاته فهذه المخلوقات إذا رأيناها كاملة فهي من أثر فعله فهذا كَمال ثانٍ غير الكَمال الأول الذي هو وصفه الدائم.

أَوْ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ أَفْذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْمَنَّانِ؟

الجواب: لا، ليس بممتنع فإذا كان فعل الله هو عين كَماله فهو لم يزل كاملاً.

أَزْلاً إِلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَمَكِّنًا وَالفِعْلُ ذُو إِمْكَانٍ

وهذا رأي الكَرَامِيَّةِ؛ حيث يقولون: إن الله كان في الأزَل لا يتمكن من الفعل ثم صار متمكناً؛ لأنهم يخشون إذا قالوا بأنه لم يزل فاعلاً أن يلزموا بتسلسل الحوادث في الماضي وأن هذا يقتضي بأن هذا الكون لا خالق له وهذا خطأ بأن نقول حتى لو قلنا بقدم الفعل فإن المفعول يكون بعد الفاعل قطعاً يعني: لو قلنا: إن هذه المخلوقات لم تزل فيما مضى لكن



نحن لا نعلم إلا السموات والأرض فإنه لا يلزم أن تكون قديمة قدم الله؛ لأنه من المعلوم أن الفاعل والمفعول لا يكونان إلا بعد الفعل فكيف تقولون: إن هذا ممتنع؟! يقول: (تالله قد ضلت عقول القوم) من الكرامية (إذ قالوا بهذا القول ذي البطلان) يعني: أنه كان في الأول ممتنع ثم صار ممكناً، بالبطلان.

مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا حَتَّى تَمَكَّنَ فَنَاطِقُوا بَيِّنًا؟

يعني: ما السبب أنه كان ممتنعاً ثم صار ممكناً.

وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطَلًا عَنْ فِعْلِهِ بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ

يعني: أن الله لو قلنا بأنه في الأزلى لم يكن قادراً على الفعل ثم كان قادراً لزم أن يكون في الأول معطلاً عن الفعل.

وَالأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفٌ كَمَالِهِ مَا فَقَدَ ذَا وَوَجُودُهُ سَيَّانٌ

قوله: (والأمر والتكوين) ذكرهما الله في قوله: ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] التكوين الخلق، والأمر هو الأمر، فالله له الأمر وله التكوين وهذان وصفان لكماله ولهذا قال: (وصف كماله ما فقد ذا ووجوده سيان، والأكمل وجوده لا شك).

وَتَخَلَّفَ التَّأثيرُ بَعْدَ تَمَامِ مُوجِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإمكانِ

يعني: هو يقول إذا قلت: إن الله تعالى لا مقدور له في الأزلى ثم صار له مقدور إن قلت: إن الله قادر ثم تخلف المقدور فهذا مستحيل؛ لأن تخلف التأثير بعد تمام موجب مستحيل إذا وجد الموجب فلا بد أن يوجد الموجب ولا يتخلف فإذا كان الله قادراً فاعلاً فلماذا لا يكون المفعول أزلياً كما كان الفعل أزلياً؟! لكن معنى ذلك لو قلنا بأنه أزلي لا يلزم أن يكون مساوياً للفاعل؛ لأن الفعل بعد الفاعل والمفعول بعد الفعل.

وَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَيْلِيهِمَا وَصَفَانِ

العلم مع وصف الحياة فهذه أربعة: الحياة والعلم والمشيئة والقدرة وهذه أوصاف ذات الخالق المنان.

وَبِهَا تَمَامُ الفِعْلِ لَيْسَ بِذَوْنِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ

لا يمكن أن يتم فعل فاعل إلا بهذه الأوصاف الأربعة وهي: الحياة والعلم والمشيئة

والقدرة فالملت لا يفعل والجاهل لا يفعل والإرادة وهي المشيئة أيضًا لو كان الإنسان حيًّا عالمًا قديرًا لكن لم يشأ أن يصنع هذا المسجل هل يمكن أن يوجد؟ إذن إنسان حي عليم يشاء لكنه لم يقدر هل يمكن أن يأتي بالمصنوع؟ لا يمكن أن يأتي به، فإذا تمت هذه الأوصاف الأربعة الحياة والعلم والمشية والقدرة فلا بد أن يوجد المفعول هل الله عز وجل فقد الحياة في يوم من الأيام؛ فقد العلم فقد المشيئة أو القدرة؟ أبدًا فإذا كانت هذه الأوصاف تامة في حق الله فلماذا لا يوجد إذاً فلا بد أن يوجد، ولهذا قال:

وَبِهَا تَمَامُ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا      فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْصَحِّ الْبُرْهَانِ  
فَلَأَيِّ شَيْءٍ قَدْ تَأَخَّرَ فِعْلُهُ      مَعَ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ؟  
مَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ بَلْ      مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانِ

وخلاصة الأبيات هذه: أنه أقام الدليل على الكرامة بأن الله لم يزل حيًّا ولم يزل عالمًا ولم يزل مريدًا ولم يزل قادرًا فإذا تمت هذه الأمور الأربع فلا بد من وجود المقدور عليه، إذ بأي شيء يتخلف فكيف نقول أنه موجب تام سابق ثم هو لا يوجد .  
كل هذه الأبيات لتغير هذه القاعدة. أنه متى تمت شروط الفعل وجب وجود الفعل.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٩٠٩- وَاللَّهُ غَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ

عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

٩١٠- وَنَعَى عَلَيْهِمُ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِحَا

لِقَةٍ وَلَيْسَتْ ذَاتٌ تُنْطِقُ بَيَانَ

٩١١- فَأَبَانَ أَنَّ الْفِعْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ

أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانَ

٩١٢- وَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبُهَا

بِأَلِهَ حَقِّي وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ

٩١٣- وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا

أَفْعَنَهُ ذَا الْوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ

٩١٤- أَزْلًا وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ

هَذَا الْمُحَالَ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: إن الله عاب على المشركين ؛ لأنهم عبدوا الحجاره وهذا لكونها ليست بخالقه يعني: أنها لا تخلق، ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل: ٢٠] ليست بخالقة وليست ذات نطق بيانٍ يعني أنها لا تتكلم كما قال إبراهيم: ﴿ فَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فأبان أن الفعل والتكليم من أوثانهم لا شك مفقودان وإذا هما فقدا فما مسلوبها بإله حق وهو ذو بطلان، إذا فقدا من المعبود فليس بإله حق إذا هي ليست بخالقة فلا تفعل وليس بناطقة فلا تتكلم؛ فإذا فُقد التكليم والخلق من المعبود فليست بإله حق، والله هو إله حق دائماً (أفعنه ذا الوصفان مسلوبين؟) الجواب: لا، بل لم يزل فعلاً ولم يزل متكلماً ولهذا قال: (أفعنه ذا الوصفان مسلوبان).

أزلاً وليس لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ هَذَا الْمُحَالَ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

معناه: أفيكون هذان الوصفان مسلوبان عنه أزلاً كما قالت الكرامية بأنه لم يكن في الأزل ليس بمتكلم وليس بفاعل ثم حدث له ذلك وإذا قلنا بهذا فيلما متى لا يتكلم ولا يفعل ثم صار يتكلم ويفعل.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٩١٥- إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ

أَبَدًا إِلَهُ الْحَقِّ ذَا سُلْطَانِ

٩١٦- فَكَذَلِكَ أَيْضًا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا

بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانٍ

٩١٧- وَاللَّهُ مَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي لِدَا

بِالزَّيْدِ وَالْإِبْطَالِ وَالنُّكْرَانِ

٩١٨- بَلْ لَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ

لِلْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ ذِي الْإِحْسَانِ

٩١٩- هَذَا وَمَا دُونَ الْمُهَيْمِنِ حَادِثٌ

لَيْسَ الْقَدِيمُ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ

٩٢٠- وَاللَّهُ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرُهُ

مَا رُبُّنَا وَالْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ

٩٢١- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ

سُبْحَانَهُ جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٩٢٢- لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الـ

زَنْدِيقُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ

٩٢٣- بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالـ

أَرْوَاحِ فِيهِ أَزَلٍ وَلَيْسَ بِفَنَانِ

٩٢٤- هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأَلَى

كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٩٢٥- وَأَتَى ابْنُ سَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ مَضَانَعًا

لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ

٩٢٦- لَكِنَّهُ الْأَزَلِيُّ لَيْسَ بِمُحَدِّثٍ

مَا كَانَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ فَانٍ

٩٢٧- وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيِّ-

نَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ

٩٢٨- أَتَى يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْ-

يُونَانَ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ؟

٩٢٩- وَالسِّيفُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَهُمْ

وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمَا فَحَرْبُ عَوَانٍ<sup>(١)</sup>

٩٣٠- وَلَذَا أَتَى الطُّوسِيُّ بِالْحَرْبِ الصَّرِيبِ-

حَ بِصَارِمٍ مِنْهُ وَسَلَّ لِلسَّانِ

٩٣١- وَأَتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ أَصْلَهُ

مِنْ أَسْهٍ وَقَوَاعِدِ الْبَيْتَانِ

٩٣٢- عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَّاسِفَةِ الْأَلَى

كَفَرُوا بِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ

٩٣٣- وَأَتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْ-

(١) [٩٢٥: ٩٢٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

ومن العجيب أن ابن سينا مع قوله بقدم العالم يسمي الله خالقاً وفاعلاً ويسمي العالم مخلوقاً ومفعولاً، فمتى خلق الله العالم على رأيه أو فعله إذا كان وجوده مقارناً لوجوده، وكيف يمكن أن يكون الله خالقاً للعالم مع القول بأنه علة والخلق إنما يعتمد على القصد والاختيار، وأما العلة فيصدر عنها معلولها بالإيجاب المنافي للاختيار، والعالم عنده كما هو أزلي مساوٍ لعلته في جانب الازل، هو كذلك أبدي غير قابل للفناء؛ لأن المعلول لعله تامة يجب أن يبقى ببقاء علته.

وهكذا يظن ابن سينا أنه أفلح بهذا التمويه والمغالطة في لبس الأمر على المسلمين، ولكن الاذكياء من علماء هذه الأمة من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية استطاعوا كشف تلبساته وفضح سرائره ونياته.

ومن العجيب أيضاً أن يزعم هذا الرجل أنه يحاول الصلح والتوفيق بين طائفتين لا يعقل أن تهدأ بينهما الحرب أو أن يتم سلام فهذه طائفة تؤمن بالوحي والقرآن وتعصم بعري الإسلام والإيمان، وهذه طائفة كافرة تدين بما ضرطت به عقول فلاسفة اليونان مما كله أو أغلبه كفر وإلحاد وهذيان، فلا يمكن أن يوضع السيف بينهم وبين أتباع الأنبياء أبد الدهر، وستبقى بينهم الحرب العوان حتى لا تكون فتنة وحتى يظهر دين الله على الدين كله ولو كره الكافرون.

قُلْهَا إِلَيْهِمْ فَعَلَّ ذِي أَضْغَانٍ

٩٣٤- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنُّوَا

مِيسِ التِّي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ

٩٣٥- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الْإِشَارَاتِ التِّي

هِيَ لِابْنِ سَيْنَا مَوْضِعَ الْفَرْقَانِ

٩٣٦- لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هَـ

ذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ

٩٣٧- إِلَّا إِذْ قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَا

ةَ وَسَائِرِ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

٩٣٨- فَسَعَى لِذَاكَ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورُ بِالـ

أَمْرِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

٩٣٩- فَأَشَارَ أَنْ يَضَعَ التَّتَارُ سُيُوفَهُمْ

فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٩٤٠- لَكِنَّهُمْ يُبْقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الدُّ

نْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ

٩٤١- فَغَدَا عَلَى سَيْفِ التَّتَارِ الْأَلْفِ فِي

مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ

٩٤٢- وَكَذَا ثَمَانِ مِئِينِهَا فِي أَلْفِهِمَا

مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

٩٤٣- حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاءَهُ الْيَهُو

ذُ كَذَا الْمَجُوسُ وَعَابَدُوا الصُّلْبَانَ

٩٤٤- فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حِزْبِ الرُّسُو

لِ وَعَسَكَرَ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنِ

٩٤٥- وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ

شَهِدَ الْوَقِيعَةَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ

٩٤٦- لِأَقْرَأَ عَيْنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ

أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزِّقَ اللَّحْمَانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أقوال الناس في الأفعال بل في المفعولات، قال: هذه مقالات الملاحدة في الأزلي الذين كفروا بخالقها فلسنا نقول كما يقول الملحد صاحب المنطق اليوناني وهو أرسطو<sup>(١)</sup>؛ لأن أرسطو هو المعلم الأول للفلسفة اليونانية والذي يقول بدوام هذا العالم المشهود والأرواح في أزلي وليس بفاني، وهذا العالم المشهود الذي هو السموات والأرض والأفلاك والأرواح وهو العالم الخفي يقول إنه دائم أزلياً وليس بفاني إذ هو دائم أزلياً وأبدًا، وهذا الوصف لا يصح إلا لله وحده فهم ينقلون عن الفلاسفة يقولون أن هذا العالم ليس له أول وليس له آخر يبقى ولا يفنى أبدًا وهو أزليٌ فيما سبق لم يسبقه عدم فيقول:

هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأَلَى كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

إذن الفلاسفة يقولون: هذا الكون المشهود من السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم كل مشهود، والأرواح هو عالم غير مشهود كل هذا أزليٌ أبدي ويؤخذ الأزلي من قوله بدوام هذا العالم في أزلي وهو أيضًا أبدي؛ لقوله وليس بفاني وهذه الإشارة إلى القول بدوام العالم المشهود أزلياً وأبدًا (مقالات الملاحدة والألي) يعني: الذين الألي جمع الذي كما قال ابن مالك في «ألفيته»<sup>(٢)</sup>.

(١) أرسطو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين ، دعاه الفلاسفة بأمير الفلسفة ، ولد في أسطاغيرا من مقدونيا سنة ٣٨٤ ق م وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . ع دائرة معارف القرن العشرين « (١ / ١٨٤ ) .

(٢) وذلك في قوله:

وهذه مقالات الملاحدة الألي يعني: الذين كفروا بخالق هذه الأكوان؛ لأن عندهم أن الكون أزلي أبدي وأتى ابن سينا بعد ذلك مصانعا للمسلمين أي: متقربا إليهم؛ لأن ابن سينا يدعي أنه مسلم وإذا كان مسلم بدعواه فإنه لن يأتي بقول يناقض ما عليه المسلمون فأتى بقول يصانعهم فيه؛ فقال بالإمكان يعني: بإمكان حدود هذا العالم وأن العالم يمكن أن يكون حادثا.

والفلاسفة الذين قبل أرسطو وأتباعه يقولون: أزلي لا يمكن أن يكون حادثا أما ابن سينا فقال بإمكانه: لكنه الأزلي ليس بمحدث ما كان معدوما ولا هو فان يقول أنه ممكن أن يكون حادثا لكنه أزلي فما الفرق بينه وبين الفلاسفة؟ الفلاسفة يقولون: يمتنع أن يكون حادثا وهو يقول: يمكن لكن ليس بحادث فالفرق بينهم أنه يقول يمكن أن يكون حادثا، وأما المسلمون فيقولون: يجب أن يكون حادثا؛ لأن كل ما سوى الله فهو حادث بعد أن كان عدما فصار هذا الرجل كالمنافقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا هو قال بقول الفلاسفة بأن كونه حادثا ممتنع ولا بقول المسلمين بأن كونه حادثا واجب بل قال يمكن لكن مع ذلك هو أزلي ليس بمحدث ما كان معدوما هذا التسلسل في الأول ولا هو فان التسلسل - أي في المستقبل - وأتى بصلح بين طائفتين بينهم الحروب وما هما سلمان، أتى بصلح بين المسلمين الذين قالوا بحدوث العالم وبين الفلاسفة الذين قالوا باستحالة حدوث العالم وأن العالم أزلي نقول: يمكن أن يكون حادثا ولكنه ليس بحادث يمكن يدفع كلام الفلاسفة وليس بحادث يدفع كلام المسلمين يقول هو: إنه ممكن؛ ليدفع قول الفلاسفة ويقول: إنه أزلي؛ ليدفع قول المسلمين، فيقول نصلح بينكم ونقول الأمر أزلي لأجل أن نوافق الفلاسفة ونقول أنه ممكن ليس يوجب الأزلية ليوافق المسلمين لكن ابن القيم يقول:

وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ

ما بينهما سلم بل هناك حرب طاحنة بين المسلمين والفلاسفة فكيف يكون هذا؟ يجمع بينهم، حتى يكون بين المسلمين وشيعة اليونان صلح، ولكن هل يمكن أن يكون المسلمون الذين يؤمنون بالله وأنه خالق الأكوان هل يمكن أن يصطلحوا مع اليونان الذين يقولون أن هذه الأكوان أزلية أبدية ولا يوجد لها؟ لا يمكن ولهذا قال:

أَتَى يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةَ الْيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيَّانِ؟

والسيف بين الأنبياء وبينهم  
فهل يمكن الصلح؟ لا، قال:

ولذا أتى الطوسي بالحرب الصري  
ح بصارم منه وسأل لسان

الطوسي من هو؟ الخواجة نصير الدين الطوسي الذي استوزره هولاءكو خان ملك التتار هذا هو الذي يسمونه عندهم بنصير الدين ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يسميانه نصير الكفر، وصدقا فهو نصير الكفر لما حصل منه على المسلمين مع من وازره.

ابن العلقمي يقول:

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصري  
ح بصارم منه وسأل لسان

يعني أتى بسلاحين الصارم هو السيف واللسان وهو القول لما عندهم من الوشاية حتى قضى على المسلمين في بغداد.

وأتى إلى الإسلام يهدم أصله  
عمر المدارس للفلاسفة الألي  
من أسه وقواعد البنيان  
كفروا بدين الله والقرآن

هذا الرجل الخبيث عمر المدارس للفلاسفة ليدرس فيها علم الفلسفة الذي هو صد عن سبيل الله كما يوجد الآن في بلاد المسلمين من أدخل على منهج المسلمين وثقافتهم فلسفة الغرب وشطحات الغرب وفساد الغرب حتى أبعدت المواد الشرعية من أجل إقحام هذه المعلومات التي تدمر الأديان والأخلاق بل فقدت العلوم الشرعية من بعض البلاد الإسلامية فلم تكن في مناهجهم والله أعلم ربما لو حصل هؤلاء الذين أقحموا هذه العلوم في المناهج والمدارس لو حصل لهم أن يقضوا على المواد الدينية في البلاد التي فيها المواد الدينية لقضوا عليها لكنهم من سطوة العامة فأبقوا شيئاً من المواد الدينية وأضعفوها ثم أحلوا محلها المقررات التي فيها الكفر الصريح.

هذا الرجل الذي يسمى نصير الدين يقول: إنه عمر المدارس للفلاسفة الذين كفروا بدين الله والقرآن وأتى إلى أوقاف أهل الدين ينقلها إليهم (فعل ذي أضغان)، للإوقاف في أوقاف المسلمين التي وقفت على المدارس الدينية التي فيها علم الحديث والفقه والنحو أخذ هذه الأوقاف وصرفها إلى المدارس التي يدرس فيها علم الفلسفة وأراد تحويل الإشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان أراد أن يجعل هذا الكتاب «كتاب

الإشارات» الذي هو لابن سينا موضع القرآن ومعلوم أن الطغاة يريدون هذا يقول:

وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنُّوَا مِيسَ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ

النواميس يعني: النظم وتسمى في عرفنا الحاضر بالقوانين فأراد أن يرفع الشريعة ويحل محلها القانون.

وهذا من أمثاله في عصرنا كثيرٌ من البلاد الإسلامية التي ينادى فيها بالأذان وترسم في قانونها أنها دولة إسلامية حلت فيها القوانين الوضعية محل الأحكام الشرعية ورفعت الأحكام الشرعية منها وحلت القوانين - نسأل الله أن ينجي المسلمين من هؤلاء وأمثالهم - يقول:

لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ

علم اللعين يعني: نصير الدين الطوسي ووصفه باللعين؛ لأنه ملعون في الحقيقة ولأن فعله هذا فعل الشياطين وكلمة اللعين يحتمل أن تكون دعاءً أو خبراً فإن كان دعاءً فقد استحق اللعنة لأنه مات على الكفر وإن كان خبراً فهو أهلٌ لذلك؛

إِلَّا إِذِ قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَاةَ وَسَائِرَ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

فسعى لذلك، يعني: سعى لقتل الخليفة والقضاة والفقهاء وعرفنا ما حصل من أنه أشار أن يتقدم هو وابن علقمي<sup>(١)</sup> أن يتقدم الخليفة ومعه القضاة والأشراف والأعيان وأنه لما أقبل على الملك هو لآكو بين الخليفة وبين هؤلاء القضاة والأشراف وقضى عليهم ثم فوض الملك ثم رجع ثم حصلت النهاية في الجولة الثانية.

قال:

فَسَعَى لِذَلِكَ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورِ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

مقدور الله عز وجل الذي هو حكمة الرحمن والله عز وجل لا يفعل شيئاً إلا له حكمة يعني: قد تقع المكاره والمصائب العظيمة لكن الذي قدرها هو الله، والله عز وجل لا يقدر شيئاً إلا لحكمة.

(١) الوزير مؤيد الدين أبو طالب بن علقمي، وزير المستعصم البغدادي، وخدمه في زمان المستنصر أستاذ دار الخلافة مدة طويلة، ثم صار وزير المستعصم وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين، مع أنه من الفضلاء في الإنشاء والأدب، وكان رافضياً خبيثاً رديء الطوية على الإسلام وأهله. «البداية والنهاية» (١٣/٢٤٦).

فَأَنبَارَ أَنْ يَضَعَ التَّنَارُ سُيُوفَهُمْ فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ  
لَكِنَّهُمْ يُبْقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ  
أهل الإيمان وأما أهل صنائع الدنيا مثل أصحاب الفِرَقِ ومثل ما سبق أنه أبقى اليهود  
والنصارى والرافضة وبعض التجار فهذه صنائع الدنيا والفرق الضالة من اليهود  
والنصارى والرافضة فأبقاهم؛ لأن هؤلاء لا ضرر منهم، لأنهم لا يمكن أن يقوموا ضد  
عدو الإسلام أبدًا فلذلك أبقاهم.

فَعَدَا عَلَى سَيْفِ التَّنَارِ الْأَلْفَ فِي مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ  
أَلْفِ أَلْفٍ فَتَكُونُ مِليُونًا يَعْنِي: قَتَلَ أَلْفَ أَلْفٍ هَذِهِ وَاحِدَةٌ.  
وَكَذَا ثَمَانِ مِئِينَهَا فِي أَلْفَةٍ مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ  
وكم تكون؟ مائة ألف يعني: مليونان إلا مائتي ألف كلهم قتلوا في بلد واحد وفي يوم  
واحد مع أن البشر في ذلك الوقت أقل من البشر في هذا الوقت يعني يمكن أن يكون هذا  
العدد يمثل النصف أو أكثر من أهل بغداد كلهم قتلوا نسأل الله العافية.

حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاؤُهُ الْيَهُودُ دُكْدَا الْمَجُوسِ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ  
يعني: أعداء الإسلام بكوا عليه من شدة ما وقع به وأمرٌ يحزن له الأعداء فادحٌ ما بعده  
فادح فصاروا يبكون الإسلام وأهله وكذا المجوس وعابِدو الصلبان وهم النصارى.

فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حَزَبِ الرَّسُو لِي وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ  
وَبُودِهِ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ مَعَ أَبِي سَفِيَانَ  
لَأَقْرَّ أَعْيُنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزِّقَ اللَّحْمَانِ  
لأنه يرى لو أنه كان في أحد مع أبي سفيان مع المشركين ومن حربه الرسول عليه الصلاة  
والسلام.

لَأَقْرَّ أَعْيُنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزِّقَ اللَّحْمَانِ  
يعني: أنه تمني أن يكون في أحد حتى يقر ويشفي صدره قتل النبي عليه الصلاة والسلام  
أو أن يتمزق لحمه دونه.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٩٤٧- وَشَوَاهِدُ الْإِحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى

ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبُرْهَانِ

٩٤٨- وَأَدْلَةُ التَّوْحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا

بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ

٩٤٩- لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلًّا جَلَّالُهُ

مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِي

٩٥٠- إِذْ كَانَ عَنِ رَبِّ الْعُلَى مُسْتَغْنِيًا

فَيَكُونُ حَيْثُ لَنَا رَبًّا

٩٥١- وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَجِّدٌ

أَفْمُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَقِيلَ اثْنَانِ؟

٩٥٢- لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا

فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُمْتَنِعَانِ

٩٥٣- وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا

كُلٌّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ

٩٥٤- وَلِذَلِكَ اقْتَرْنَا جَمِيعًا فِي صِفَا

تِ اللَّهِ فَانظُرْ ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

٩٥٥- فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِيهِ

إِمْكَانٌ أَنْ تَحْظِيَ بِهِ ذَاتَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يَبَيِّنُ الْمَوْلَفُ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ أُدْلَةَ وَحِدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ.

فقال:

وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبَرَهَانِ  
يعني: ظاهرةً بالدليل القاطع على أن هذا العالم مخلوق (وأدلة التوحيد تشهد كلها  
بحدوث كلِّ) أي: كل الموجودات (ما سوى الرحمن) ويجوز بحدوث كل ما سوى الرحمن  
بالإضافة.

لَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا  
لو كان مع الله أحدٌ قديم لكان ربًّا ثانٍ؛ لأنها يصبح عندنا قديمان الرب وهذا الرب القديم  
الثاني، والقديم عند الفلاسفة واصطلاحاتهم هو ما ليس له أول والقديم في اللغة العربية ما  
سبق غيره ولو كان مسبقاً والقديم عند الفلاسفة والمتكلمين هو ما ليس له أول فمثلاً الشيء  
العتيق يسمى في اللغة قديماً كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] عند الفلاسفة؛  
لأنه حادث فالقديم عندهم هو الأزلي الذي ليس له أول فيقول هنا ابن القيم:

لَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا  
يعني: يكون ربان إن كان كلاً منهما قديم.

وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ أَفْمُمْكِرٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ  
لأنه إذا قُدِّرَ شيان قديمان كان كل واحد منهما مستغنياً عن الآخر؛ لأن هذا قديم لا  
يحتاج إلى مثبت والثاني قديم لا يحتاج إلى مثبت فحينئذ يكون لنا ربان كل منهما قديم  
مستغن عن الآخر.

وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ أَفْمُمْكِرٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ  
الجواب: لا الرب لا بد أن يكون مستقلاً واحداً لا يمكن أن يكون ربان ودليل ذلك ما  
يعرف عند العلماء بدليل التنافي، مثاله: أن لو كان ذاك يعني: لو كان هناك اثنان تنافيا  
وتساقطاً، فلو كان هناك ربان تنافيا يعني: تعاكسا وتساقطاً (فإذا هما عدمان ممتنعان)، كيف  
ذلك لو كان هناك ربان مستقلان لانفرد كل واحد في مملكته ومخلوقاته وحينئذ لا بد أن يقع  
النزاع بينهما فإما أن يعجز كل منهما عن الآخر وإما أن يغلب أحدهما الآخر فإن عجز كل  
واحد منهما عن الآخر تساقطاً وصار كل منهما لا يصلح أن يكون رباً لأن الرب لا بد أن

يكون قاهرًا غالبًا وإن غلب أحدهما الآخر صار هو الرب والثاني ليس برب، فالحاصل: أنه لو كان للعالم خالقان للزم أحد أمرين: إما انتفاء الربوبية عنهما جميعًا، وإما ثبوتها لأحدهما أما أن تثبت لهما جميعًا فهذا محال وإلى هذا يشير قوله تعالى ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] فإذا علا بعضهم على بعض فالعالي هو الرب، وهذا هو الذي أشار إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَوْ كَانَ ذَلِكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا      فَإِذَا هُمَا عَدَمَتَانِ مُتَمَتِّعَانِ  
وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا      كُلُّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ

القهر والوحدانية كل واحد منهما يشهد على انفراد الله تعالى بذلك، فالقهار الذي يقهر كل شيء يدل على أنه لا يساويه شيء؛ لأنه لو ساواه شيء لم يكن قهَّارًا على الإطلاق؛ لأن من لا يقهر كل شيء، فالقهر أحيانًا لا يوصف بأنه القهار على الإطلاق، وحدانية القهر يشهد بذلك، فإذا كان الله قهَّارًا لكل شيء لزم أن يكون متوحدًا في ملكه، ونحن نؤمن أنه ما من أحدٍ إلا وهو مقهورٌ بربه، فأبي واحد في الدنيا من أولها إلى آخرها هل يمكنه أن يخرج عن تقدير الله وقضائه؟ لا، إذًا هو مقهور على كل حال، فلا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون ربًّا؛ ولهذا يقول:

وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا      كُلُّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ

هما عدلان أي: متعادلان في شهادتهما وهو مأخوذ من العدالة.

وَلِذَلِكَ اقْتَرَنَا جَمِيعًا فِي صِفَا      تِ اللَّهِ فَانظُرْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

قوله: (اقترنا) يعني: الوحدانية والقهر في صفات الله (فانظر ذلك في القرآن).

فالواحد القهار، جاءت في القرآن: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] و﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] والواحد القهار حقًا ليس في الإمكان أن تحظى به ذاتان.

خلاصة هذا الباب كله: أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالًا، وهذا يستلزم التسلسل في الماضي كما يستلزم التسلسل في المستقبل، أما التسلسل في المستقبل فقد دل عليه القرآن والسنة دلالة صريحة كل نص فيه أبدي في النار وأبدي في



الجنة فهو دليل على التسلسل في المستقبل يعني: أنه لا نهاية لها لا نهاية للجنة ونعيمها ولا نهاية للنار وجحيمها، وهذا في القرآن - التسلسل في الماضي - اشتبه على كثير من علماء السنة فقالوا: لا يمكن التسلسل في الماضي؛ لأننا لو قلنا بجواز التسلسل في الماضي لزم أن تكون المخلوقات أزلية مقارنة للخالق ومعلوم أن هذا مستحيل ومن قال: إن المخلوقات مقارنة للخالق وأزلية بأزليته كان كافراً مشركاً.

لكن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وجماعة من أهل العلم قالوا: نحن نقول بالإمكان بل بالوجوب بأن الله لم يزل ولا يزال فعلاً ولكن من المعقول الذي يدركه كل عاقل أن المفعول نتيجة الفعل وأن الفعل صفة الفاعل؛ إذًا فالفاعل متقدم حتى لو قلنا بأزلية الحوادث، فإن ذلك لا يلزم أن تكون مقارنة للواحد القهار؛ لأن الله فاعل ثم فعل ثم مفعول إذًا فالحوادث غير مقارنة لله في الوجود، فهذا المحذور الذي فررت منه ليس بلازم، لكن لو قلنا: إن الله تعالى معطل عن الفعل أزلاً ثم فعلاً فهذا تحكم من وجهين: الوجه الأول: أنه في الوقت الذي يكون معطلاً في الفعل يكون ناقصاً، فإن قالوا: لا نقص؛ لأن الفعل يدفع الحكمة، فإذا اقتضت الحكمة ألا يفعل فلم يفعل صار ذلك كما لا، فنقول: نعم، أنتم إذا سلمتم بهذا، وقتلتم بجواز التسلسل لعذرناكم ولكن أنتم تقولون بامتناع التسلسل فيكون الفعل في الأول ممتنعاً ليس متأخراً لحكمة يكون ممتنعاً، فنقول ما الذي جعله ممتنعاً على الله ثم صار ممكناً؟ وإلى متى كان ممتنعاً؟ فإن قلتم ألف سنة ثم صار ممكناً قلنا: أين الدليل؟ وإن قلتم: عشر سنوات ثم صار ممكناً قلنا: أين الدليل؟ إذًا قولوا بأن الله لا يزل ولم يزل فعلاً، وأما تسلسل الحوادث في الماضي ممكن بل هو من مقتضى كماله وحينئذ لا يمكن أن تقولوا خطأً أو ذللاً؛ لأننا نحن نقول بذلك ولكننا نحن وأنتم نعلم أن المفعول يقع بعد الفعل، وأما الفعل وصف الفاعل فلا بد أن يكون الموصوف متقدماً، وهذا في الحقيقة لا إشكال فيه.

مع أن الشيخ لما أبرزه في تقريره ثارت عليه الدنيا وقالوا: هذا مشرك أشرك بالله جعل مع الله إلهًا ثانيًا وقامت عليه الدنيا وقيل فيه قصائد ذُكرت في الطبعة الأولى من «منهاج أهل السنة الجماعة» قصيدة طويلة فيها الرد على الشيخ في هذا الرأي، وفيها قصيدة أخرى

معارضة له وناكرة له، ولكن على كل حال إذا لم ندخل في هذا المعنى فإن فطرتنا تقتضي بأن الله لم يزل ولا يزال فعلاً هذه واحدة.

وعقولنا أيضاً تقتضي بأننا لو قلنا: بأزلية الحوادث فليس مقارنة للمحدث وهو الله عز وجل فهي لا بد أن تكون بعده وحيثئذٍ ننفصل عن القول بأننا إذا قلنا أزلية الحوادث أثبتنا مع الله غيره فنكون قد أثبتنا ريبن وبعد هذا كله فالبحث في هذا يعتبر من فضول العلم إلا إذا خشى الإنسان على نفسه أن يعتقد في الله نقصاً فيجب عليه أن يحقق؛ لأن الإنسان الذي ما طرأت على باله ما يجب عليه التحقيق في هذا لكن الذي يقرأ بحث العلماء ثم يخشى إذا لم يقل في القول حصل في قلبه شيء من تنقص والخالق حيثئذ يجب أن يبحث ويحقق.

ترجمة ابن سينا: قال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في شرحه على قصيدة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَعَلَهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ صَفْحَةَ رَقْمِ (٢٤٤) نَقْلًا مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خَلْكَانٍ وَغَيْرِهِ: أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَيْنَا الْبَخَارِيُّ وَالِدُهُ مِنْ بَلْخٍ وَسَكَنَ بَخَارَى أَيَّامَ الْأَمِيرِ نُوحٍ ثُمَّ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَقْرِيَّةً أَفْشَنَةً وَبِهَا وَلِدَ أَبُو عَلِيٍّ الْمَذْكُورَ الْمَلْقَبَ بِالرَّئِيسِ وَخْتَمَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ وَقَرَأَ الْمَحْكَمَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّاتِلِيِّ وَحَلَّ أَفْلِيدَسَ وَالْمَجْسُطِيَّ وَالطَّبَّ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ بَخَارَى إِلَى جَرَجَانِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بِالرِّيِّ، ثُمَّ خَدَمَ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيْرٍ، ثُمَّ قَصَدَ عِلَاءَ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكُوبِيَّةٍ بِأَصْبَهَانَ وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ، ثُمَّ مَرَضَ بِالصَّرْعِ وَالْقَوْلَنْجِ وَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ وَمَضَى إِلَى هَمْدَانَ مَرِيضًا وَمَاتَ بِهَا سَنَةً أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَمَانِيَّةٍ وَثَلَاثِينَ وَعَمْرُهُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ.

وقال ابن خلكان: ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية - على ما قيل - ترك المداواة واغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على من عرفه وأعتق ممالিকে وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ثم مات بهمدان يوم الجمعة من شهر رمضان وقيل مات في السجن وولادته كانت سنة ثلثمائة وسبعين - والله تعالى أعلم - وله نحو مائة مصنف منها: كتاب (الشفاء) في الحكمة والإشارات وفي الطب القانون وغيره وله شعر ومنه القصيدة الشهيرة في الروح الجاهد.

هذا إذا صح الخبر أنه تاب ورجع إلى الله فهذا خير، وقد يقول قائل: إذا كان كذلك

فلماذا لم يكتب بتوبته؟ نقول: ربما أنه تاب في زمن متأخر فأدركه الأجل قبل أن يكتب، على كل حال نسأل الله إن كان مؤمناً ومات على الإيمان - أن يغفر له.

نقول: لو كان الرجل صاحب مبدأ أو فكرة أو عقيدة تخالف الدين ينبغي أن يذكر. فنحن نود أن يتوب كل عاصٍ، لكن الأصل أن يبقى ما كان على ما كان؛ لأننا تشككنا في التوبة فالذنب محقق فنأخذ بالذنب ونحذر منه لكن مسائل الطب التي يُستفاد منها ينبغي أن نعلمها ونطبقها.

ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

هو حبر هذه الأمة وفقه العصر وإمام التفسير اسمه أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن شيبه بن هاشم بن عبد مناف ولد في مكة في شعب بني هاشم قبل الهجرة صاحب النبي ﷺ منذ طفولته إلى وفاة النبي ﷺ ولقد دعا له رسول الله ﷺ بهذا الدعاء: «اللهم فقه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل».

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن تُرجمان القرآن ابن عباس.

وقالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أعلم من لقيت بالسنة. وتوفي سنة سبع أو ثمان وستون من الهجرة، ولقد عاش سبعين سنة رضي الله عنه وأرضاه.

بحث عن الإمام الخطيب الرازي:

أولاً: اسمه ونسبه: هو محمد بن عمر بن حسين بن الحسن بن علي الملقب بفخر الدين والمكنى بأبي عبد الله الرازي، أما نسبه فهو: الطبرستاني القرشي التيمي البجلي.

ثانياً: مولده: ولد الإمام الرازي في شهر رمضان من سنة أربع وأربعين وخمسمائة على أصح القولين في تاريخ مولده فقد بلغ رحمته الله في سنة إحدى وستمائة من الهجرة سبعمائة وخمسين عاماً حيث قال في تفسيره لسورة يوسف وهو يتحدث عن التوكل على الله تعالى: هذه التجربة قد استمرت من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابعة والخمسين.

ثالثاً نشأته: نشأ الرازي في بيت علم فكان والده الإمام ضياء الدين عمر أحد كبار علماء الشافعية وكان خطيب الري وعالمها وله مؤلفات في الفقه والكلام: من أهمها «غاية المرام في علم الكلام»، ذكره ابن السبكي وقال: إنه من أنفس كتب أهل السنة وأشدّها تحقيقاً فالرازي

أصولي، وعلى أي حال هذا أفضل؛ لأن بعض العلماء يرى أن أهل السنة ثلاثة طوائف: الأشعرية والماتريدية والسلفية، وهذا مشهور عند المتأخرين لكن هذا خطأ فإن أهل السنة من تمسكوا بالسنة وحينئذ نقول: إما أن يكونوا السلفيين وإما أن يكونوا الأشعريين ولا بد؛ لأن المذهبين مختلفان وإذا اختلف المذهبان فأحدهم هو الصواب فمن أحق أن يوصف بأهل السنة؟ السلفيون بلا شك؛ ولهذا القول الذي لا يتعين سواه نقول: إن أهل السنة هم السلف وأتباعهم، والأشاعرة أهل سنة فيما لم يخالفوا فيه أهل السنة أما ما خالفوا فيه أهل السنة فليس من أهل السنة ونقول: إنه من الممكن أن يتجزأ الوصف فيقال: فلان من أهل السنة في كذا ومن أهل البدعة في كذا، كما نقول: فلان مؤمن في كذا فاسق في كذا مؤمن بإقامة الصلاة فاسق في حلق اللحية، إذا فأهل السنة هم السلف وأتباعهم، أما الأشاعرة والماتريدية فهم أهل سنة فيما وافقوا فيه السنة، فالرازي أصولي على طريقة المتكلمين ومذهبه شافعي وأصحابه يعرفون له قدره ويضعونه في مقدمة أهل التحقيق من الأصوليين.

رابعاً عصر الإمام الرازي: لقد عاش الإمام الرازي النصف الثاني من القرن السادس الهجري كله مع ست أو سبع سنوات من النصف الأول منه هي سنوات طفولته كما عاش السني الست الأولى من القرن السابع هذا والله أعلم.

هذا بحث مختصر جداً عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي بن خالد السجستاني الحافظ صاحب التصانيف:

وهو منسوب إلى دار ابن مالك بن حنظلة بن زيد مناف بن تيم أحد بطون تيمم الكبار وهو صاحب التصانيف كان جدعان ومجارب المبتدعة قيماً بالسنة توفي في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين وقد ناهز الثمانين ومن أهم كتبه «الرد على الجهمية».

أبو عبد الله بن صالح القحطاني:

هو أبو عبد الله بن حنبل بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي الملكي رحل إلى المشرق فسمع بالشام ومن علمائها وبمكة من أبي سعيد الأعرابي وبيغداد من إسماعيل بن محمد الصفاق وسمع بالمغرب بكر بن حماد التروطي ومحمداً الوضاء وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم، وقال: اجتمعنا به في همدان، ومات ببخارى

سنة ثلاثمائة وثلاثة وثمانين وقال فيه أبو سعيد الأندلسي: إنه كان من أفاضل الناس وقال ابن الدار: كان فقيهاً حافظاً جمع التاريخ لأهل الأندلس وقال السمعاني كان فقيهاً حافظاً رحل في طلب العلم من المشرق إلى المغرب رَحِمَهُ اللهُ قَالَ مع أن من ترجم له لا يذكر هذه القصيدة المشهورة له أي النونية.

ترجمة الناصر الطوسي عبد الله محمد بن محمد بن نصير الدين الطوسي:

وهو يعرف بالمحقق والخواجة، مولده بطوس سنة خمسمائة وسبع وتسعين ووفاته ببغداد سنة ستمائة واثنين وسبعين وعمره تسع وستون سنة من تلاميذه جمال الدين بن مطهر والشيرازي ومن مؤلفاته «ذكر القيم» و«مصارعة المصارع» وكذلك «شرح إشارات ابن سينا».

أعماله: عمل وزيراً لهولاكو وصاحبه ومواليه وأمر بقتل الخليفة في بغداد أيام قوة التتار قال ابن القيم عنه في كتابه «إغاثة اللهفان»: شبه نفسه من أتباع الرسول وأهل الدين وأقامهم على السيف وقتل القضاة والمحدثين وكان من أعوان المشركين التتار لما استولوا على البلاد أعدم كتب الإسلام من فقه وحديث وتفسير وغيرها.

عقيدته: نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعالى من كتبه الكثير خاصة في نقله عن شرح كتاب «الإشارات».

وقال ابن القيم نصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار الصفات وقال: إن القرآن الذي بين أيدينا قرآن العوام و«إشارات ابن سينا» قرآن الخواص وتعلم السحر وعبد الأصنام.

وترجم له ابن القيم في «إغاثة اللهفان» في الجزء الثاني ص (١٨١) وقال أيضاً بعد أن وصف هذا الكتاب «بمصارعة المصارعة»: أن الله لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام وأنه لا يعلم شيئاً وأنه لم يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور، كذلك ذكر في «إغاثة اللهفان» الجزء الثاني قال ابن القيم غيّر الصلاة وجعلها صلاتين وغير ذلك.

وذكر شيخ الإسلام أنه شيوعي إمامي وذكر غيرها من الصفات قال: إنه منكر ورأس الملاحدة وذكره أولاً قال: إنه سلك طريق ابن سينا. وفي الجزء الثالث ص (١٦١) قال: إنه رأس الملاحدة وذكره في الجزء الخامس ص (٦٧) وقال إنه منجم وقال إنه فيلسوف ملحد من جنس ابن سينا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه: إنه ينتسب للمُلْحِدَةِ، وقال ابن الجهمية، وذكر ابن تيمية تكفيره في «الفتاوى» في الجزء الثاني وقال ابن القيم: نصير الشرك والكفر والإلحاد الطوسي وكذلك بالإضافة. وقال عنه أيضًا: له عقل خالف سلفه الملحدين ولم يوافق أتباع الرسل.

### ترجمة الإمام الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية:

هو أبو جعفر أحمد بن حنبل بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي الإمام المحدث الفقيه الحافظ ولد رَحِمَهُ اللهُ سنة سبعٍ وثلاثين ومائتين طلب العلم بعد بلوغه في مصر وتلقى العلم عن حامد بن إسماعيل المزني أكثر أصحاب الإمام الشافعي وكان يذهب ويأخذ من خاله اختياراته الكثيرة من مذهب أبي حنيفة وقد أودع له اختيارات أسماها «مختصر المزني» وكذلك اتجه الطحاوي إلى النظر في كتب أبي حنيفة والنظر في منهجهم بالتأصيل والتجريح حتى اقتدى به وأصبح من أتباعه ولكنه كان يخرج عن المذهب ويخالفه إذا وجد الدليل في خلاف منهجهم كما ظهر ذلك في كتابه «معاني الآثار» وقد طلب العلم على علماء كثيرين حتى أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة.

ومن مناقبه التي لُقِبَ بها: الإمام الثقة الثابت العاقل الحافظ لدينه وكان فقيهاً ومحدثاً. ومن أهم مصنفاته «العقيدة الطحاوية» وهي عقيدة مصنفه على مذهب السلف الصالح وله كتاب «معاني الآثار» وكتاب «مشكل الآثار» و«أحكام القرآن» و«المختصر» وغيره توفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة رحمه الله.





## تهديد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

#### في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب وكلامه والجواب عنه

وذلك أن المتكلمين عطلوه عن فعله فيما مضى كقول الكلائية والأشعرية، أو في الماضي والمستقبل كقول الجهمية، والذي حملهم على هذا القول الباطل الفرار والحذر من التسلسل، والجواب عن هذا التزام القول بالتسلسل في الماضي كما قال الكلائية والأشعرية بجوازه ووجوبه في المستقبل، وأي فرق بين الأمرين؟ فمن زعم أن لفعل الله ابتداء وهو يقول ليس له انتهاء فقد تناقض، فكلاهما متساويان في الإمكان والوجوب عقلاً ونقلاً.

وقد طرد هذا القول الجهمية ونفوا التسلسل لفعله تعالى في الماضي والمستقبل، وبنوا على هذا القول الذي هو أبطل من قول الكلائية والأشعرية القول بفناء الجنة والنار، فالجهم أفنى ذاتها، والعلاف شيخ المعتزلة أفنى حركاتها، كما تقدم شرح قولهم، وأما أبو علي الجبائي وابنه وأبو الحسن الأشعري وأبو بكر بن الطيب ومن بعدهم من أهل الكلام الباطل ففرقوا بين الأمرين، وفرقهم باطل، وتناقضوا وتناقضهم أهون شرًا من قول الجهمية، والمحذور الذي ظنوه أنهم إذا أثبتوا دوام فعل الرب في الماضي وفيما لا يزال لزم صحة قول الفلاسفة في قدم العالم، وهذا الظن خطأ محض، فإن المثبتين للتسلسل في أفعال الباري ماضيًا ومستقبلًا وهم أهل السنة والجماعة لم يقل أحد منهم إن شيئًا من أعيان المخلوقات وأفرادها قديم، ولكنهم يقولون بدوام نوع الفعل الذي لا يدل العقل والنقل إلا عليه، فنوع فعله تعالى لم يزل ولا يزال، فالله لم يزل يفعل وهو الفعال لما يريد، وكل فرد من أفراد مخلوقاته السماوات وما فيها والأرضون وما فيها وما قبل ذلك من المخلوقات

وما قبلها وما قبلها وهلم جرا فكلها مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن.

وأما النوع الذي هو من لوازم الكمال وهو وصفه تعالى فلا له مبتدأ وليس له منتهى؛ لأن الله لا يمكن أن يكون في وقت من الأوقات فاقداً لشيء من الكمال. ونظير تعاقب الأعيان أنه ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق وقبل ذلك مخلوق إلى غير غاية ونهاية، نظيره تعاقب الأزمنة، فما من زمان إلا وقبله زمان وقبل ذلك زمان وقبله وقبله إلى غير نهاية، وهذا يدرك بأقل تأمل.

فإن قالوا إننا نمنع التسلسل أيضاً في الأزمنة، فيقال لهم: ما تعنون بالأزمنة؟ هل تعنون بها المدة والزمان الكائن منذ خلق الله السماوات والأرض؟ وهذا مرادهم، ولا يفيدهم شيئاً، أم تعنون أنه لم يكن قبلها من المخلوقات شيء؟ فهذا لا دليل عليه من الكتاب والسنة ولا في العقل ولا في النقل، بل هذه الأدلة كلها تدل على أن الله تعالى قد خلق مخلوقات قبل خلق السماوات والأرض، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وهذه الأيام التي خلقها الله بها مقدرة بزمان غير هذا الزمان المقدر بسير الشمس والقمر، فدل على أنه مقدر بحركة أخرى غير سير الشمس والقمر، وذلك دليل على وجود زمان ومخلوقات قبل ذلك، فإن الأزمنة تقدر فيها الحوادث.

وقد ثبت في الصحيح: أن الله لما خلق القلم قال له اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء، وهذا صريح في وجود مخلوقات قبل السماوات والأرض.

وقد اختلف الناس أي العرش والقلم خلق أولاً؟ حكى أبو العلاء الهمداني في ذلك قولين والراجح أن العرش قبل القلم، لأنه قال في الحديث الذي فيه: «أول ما خلق الله القلم» إلى أن قال فيه: «وكان عرشه على الماء» وهذا ظاهر في تقدم العرش، فإن الحديث صريح في أن العرش قبل الكتابة، فإن الكتابة تعقبت إيجاد القلم من غير مهلة، فهذا ونحوه من الآثار يدل على أن الله تعالى لم يزل يفعل، ومما يدل عليه عقلاً وفطرة القاعدة المتقدمة، وهو أن الله تعالى باتفاق الناس موصوف بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وهذا الكمال

ثابت له في جميع الأوقات، يستحيل أن يكون عادماً له في وقت من الأوقات، وهذا واضح لا يقبل الريب، ولكن أهل الكلام لما أصَلُّوا أصولاً فاسدة وقواعد باطلة اعتقدوها وحرفوا لأجلها النصوص وردُّوا لأجلها ما خالفها بعقولهم الفاسدة، اشتبه الأمر عليهم، وإلا فاتصاف الباري تعالى أنه على الدوام فعال لما يريد لا يحتاج إلى كثير نظر.



## فصل

في اعتراضهم على القول بدوام  
فاعلية الرب وكلامه والانفصال عنه

٩٥٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنْ ذَلِكَ تَسْلُسُلُ

قُلْنَا صَدَقْتُمْ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

٩٥٧- كَتَسْلُسُلِ التَّأْيِيرِ فِي مُسْتَقْبَلٍ

هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانٍ

٩٥٨- وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِذِي عَقْلِ وَلَا

نَقْلِ وَلَا نَظَرٍ وَلَا بُرْهَانٍ

٩٥٩- فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ

هَذَا الْعُقُولُ وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ

٩٦٠- فَلِيَّاتٍ بِالْفُرْقَانِ مِنْ هُوَ فَارِقٌ

فِرْقًا يُبِينُ لِصَالِحِ الْأَدْهَانِ

٩٦١- وَكَذَلِكَ سِوَى الْجَهْمِ بَيْنَهَا كَذَا الـ

عَلَّافِ فِي الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ

٩٦٢- وَلَا جِلِّ ذَا حَكْمًا بِحَكْمِ بَاطِلٍ

قَطَعَا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنِّيْرَانِ

٩٦٣- فَالْجَهْمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَّافِ لِلـ

حَرَكَاتِ أَفْنَى قَالَهُ الثَّوْرَانِ

- ٩٦٤- وَأَبُو عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَالْأَشْعَرِيُّ  
وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيِّبِ الرَّبَّانِيُّ
- ٩٦٥- وَجَمِيعُ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الـ  
مَذْمُومٌ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ
- ٩٦٦- فَرَّقُوا وَقَالُوا ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ  
حَقًّا وَفِي أَزَلٍ بِإِلَّا إِمْكَانِ
- ٩٦٧- لَكِنَّ دَوَامَ الْفِعْلِ فِي مُسْتَقْبَلِ  
مَا فِيهِ مُحَذَّرٌ مِنَ التُّكْرَانِ
- ٩٦٨- فَانظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ فِي ذَاتِ الْفَرْقِ تَرِ  
وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ
- ٩٦٩- مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو  
أَزَلٍ لِذِي ذَهْنٍ وَلَا أَعْيَانِ
- ٩٧٠- بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَسْبُوقٌ بِفَرِ  
دِ قَبْلَهُ أَبَدًا بِإِلَّا حُسْبَانِ
- ٩٧١- وَنَظِيرُ هَذَا كُلِّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلِ  
حُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانِ
- ٩٧٢- النَّوْعُ وَالْأَحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلِ  
حُوقٌ وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَإِنْ
- ٩٧٣- وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحْيَرًا فَهُوَ لَا  
يَفْنَى كَمَا أَنَّكَ أَوْلَا بَيِّنَانِ
- ٩٧٤- وَتَعَاقِبِ الْآتَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ  
فِي الذَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ

٩٧٥- فَإِذَا أُبَيِّتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ أَوَّلَ الْ

آنَاتِ مُفْتَتِحٍ بِإِلَّا تُكَرَّانِ

٩٧٦- مَا كَانَ ذَلِكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يَرَى

إِلَّا يَسْلُبُ وَجُودِهِ الْحَقَّانِ

٩٧٧- فَيُقَالُ مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ هَلْ

تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانِ

٩٧٨- مِنْ حِينِ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاقِ وَالْقَمَرَانِ

٩٧٩- وَنَظَيْتُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ

مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ

٩٨٠- هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ

نَصٍ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانِ

٩٨١- هَذَا الْكِتَابِ وَهَذِهِ الْأَثَارِ وَالْ

مَعْقُولِ فِي الْفَطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

٩٨٢- إِنَّا نَحَاكُمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ

مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ

٩٨٣- أَوْ لَيْسَ خَلْقُ الْكُونِ فِي الْأَيَّامِ كَا

نَ وَذَلِكَ مَأْخُودٌ مِنَ الْقُرْآنِ

٩٨٤- أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ

لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانِ

٩٨٥- فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةٌ حَادِثٍ

لِسَوَاهِ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ

٩٨٦- وَادْكُرْ حَدِيثَ السَّبْقِ لِلتَّقْدِيرِ وَالتَّـ

ـوَقِيَّتِ قَبْلَ جَمِيعِ ذِي الْأَعْيَانِ

٩٨٧- خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الـ

ـمُخْتَارُ سَابِقَةَ لِذِي الْأَكْوَانِ

٩٨٨- هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ

قَبْلِ السِّنِينَ بِمُدَّةٍ وَزَمَانِ

٩٨٩- وَالتَّاسُ مُخْتَلَفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي

كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ

٩٩٠- هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ

قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ

٩٩١- وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ لِأَنَّهُ

قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

٩٩٢- وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ

إِيْجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصَلِ زَمَانِ

٩٩٣- لَمَّا بَرَأَهُ اللهُ قَالَ اكْتُبْ كَذَا

فَعَدَا بِأَمْرِ اللهِ ذَا جَرِيَانِ

٩٩٤- فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى

يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

٩٩٥- أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ

مِنْ قَبْلِ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانِ

٩٩٦- أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْدُورٌ لَهٗ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانِ

ـ

٩٩٧- فَلَيْنَ سَأَلْتَ وَقُلْتَ مَا هَذَا الَّذِي

أَدَاهُمْ لَخِلَافِ ذَا التَّيَّانِ

٩٩٨- وَلَايِي شَيْءٌ لَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ

سُبْحَانَهُ هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

٩٩٩- فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أُسُّوْا

أَصَلَ الْكَلَامَ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

١٠٠٠- وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ

عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبِرْهَانِ

١٠٠١- وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ

قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ

١٠٠٢- نَفِي الْقِيَامِ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ

بِالرَّبِّ خَوْفٍ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

١٠٠٣- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ

إِبْطَاتُ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٠٠٤- إِذْ أُثْبِتُوهُ بِكَوْنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا

دِثَّةً فَلَا تَنْفَكُ عَنْ حَدَثَانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذاك المشار إليه دوام فاعلية الرب في الماضي، وقد عرفتم أن الناس في التسلسل ثلاثة أفراد، جوازه في الماضي والمستقبل، امتناعه في الماضي والمستقبل، امتناعه في الماضي دون المستقبل وهذه أقوال الناس في هذا يقول: «فلئن زعمتم أن ذلك تسلسل» يعني: أن دوام فاعلية الرب في الماضي تسلسل (قلنا صدقتم) يعني: التزمنا هذا.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

«وهو ذو إمكان» يعني: صدقتم وهذا ممكن من الذي يمنعنا:

كَتْسَلْسُلِ التَّأْثِيرِ فِي مُسْتَقْبَلٍ هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانٍ؟

كما أنكم تقولون: إنه يمكن التسلسل في المستقبل، فأى فرق بين القول بإمكان التسلسل في المستقبل وإمكانه في الماضي؟ لا فرق؛ لأنه من المعلوم أن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، فإذا قلنا بالتسلسل في المستقبل مع أن الله هو الآخر فلماذا لا نقول بالتسلسل في الماضي مع أن الله هو الأول أي فرق وهذا في الحقيقة قياس لا نحيد عنه، مع أنه سبق أن القول بدوام فاعلية الله عز وجل في الماضي هو من كماله، وأنه لم يزل فعالاً، والمحذور الذي يجب الحذر منه أن نقول بدوام عين المخلوق في الماضي، هذا هو المحذور يعني: مثلاً أننا نقول: إن الكون لم يزل موجوداً هذا خطأ؛ لأن الكون محدث لا شك، إذا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أورد اعتراضاً وأجاب عنه، كما أن التسلسل ممكن في المستقبل فما الذي يمنعه في الماضي ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِذِي عَقْلٍ وَلَا  
 فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ  
 نَقَلٍ وَلَا نَظَرٍ وَلَا بُرْهَانٍ  
 هَذِي الْعُقُولُ وَنَحْنُ ذُو أَذْهَانٍ

قوله: «في سلب إمكان» يعني: نفي إمكان أي ما اخترقا في نفي الإمكان ولا في ضده وهو إثبات الإمكان وكلام المؤلف يعني: أنه لا فرق بين القول بدوام فاعلية الله في الماضي ودوام فاعليته في المستقبل.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

«هذي العقول ونحن ذو أذهان»، يعني: هذه العقول هات الدليل العقلي، (ونحن ذو أذهان) يعني: نحن عندنا أذهان نعرف كما نعرفون.

فَلِيَّاتٍ بِالْفُرْقَانِ مِنْ هُوَ فَارِقٌ فَرْقًا يَبِينُ لَصَالِحِ الْأَذْهَانِ

قوله: (فليات) اللام هنا: للتحدي الأمر الذي يقصد به التحدي يعني: إن كان لديك فرق بين التسلسل في الماضي والمستقبل.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

«فَرْقًا يَبِينُ لَصَالِحِ الْأَذْهَانِ» يعني: لا فرقاً دعويّاً يدعي الفرق فقط؛ لأنه إذا قال لو جاز

التسلسل في الماضي للزم قدم المخلوقات فنقول أيضًا لو جاز التسلسل في المستقبل للزم تأخر المخلوقات حتى تكون مثل الله فإن امتنع هذا امتنع هذا وإن جاز هذا جاز هذا.

وكذلك سوى الجهم بينها كذا الـ علاف في الإنكار والبطلان

الجهم<sup>(١)</sup> والعلاف، الجهم بن صفوان وكذلك العلاف وأظنه من المعتزلة سويًا بينهما أي: بين الماضي والمستقبل قالوا: لا فرق بينهم إن أمكن التسلسل في الماضي لم يمتنع في المستقبل وإن أمكن في المستقبل لم يمتنع في الماضي يقول:

ولأجلِ ذَا حَكْمًا بِحَكْمٍ بَاطِلٍ قَطْعًا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنَّيِّرَانِ

فَالْجَهْمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَافُ لِدَ حَرَكَاتٍ أَفْنَى قَالَهُ الثُّورَانِ

يعني: ابنا ثيران حكما بحكم ثان على الجنات واليران فحكما بأن الجنات تفنى والنار تفنى اطرادًا للقاعدة وهي: امتناع التسلسل في المستقبل كما يمتنع في الماضي، لكن الجهم أفنى الذات والعلاف أفنى الحركات، والفرق أن الجهم يقول: هذا العالم بجنته وناره سيفنى ولا يبقى إلا الله عز وجل والعلاف قال: لا ما يفنى بل تفنى الحركات، والذوات تبقى حتى أنه مر علينا أنه قال: إن الرجل إذا كان في الجنة وقد أخذ شيئًا ليأكله فقدّر الله الفناء ففنت حركاته وبقي هذا الشيء في يده بين مكانه وبين فمه هكذا إلى متى أبدأ الأبدان، وأنه إذا كان على أهله في الجنة وقدّر الله الفناء وبقي على أهله أبدأ الأبدان كأنهم حجران لاصقان وهذا كلام غير معقول وهذا يعلم خطأه السفهاء فضلًا عن العلماء.

وأبو علي وابنه والأشعر

وجميع أرباب الكلام الباطل الـ

فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل

قالوا: لأجل تناقض الأزلي والـ

لكن دوام الفعل في مستقبل

يُ وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيْبِ الرَّبَّانِي

مَذْمُومٌ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

حَقٌّ وَفِي أَرْزَلٍ بِلَا إِمْكَانِ

إِحْدَاثِ مَا هَذَا يَجْتَمَعَانِ

مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ التُّكْرَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال، قال الذهبي في الميزان: هو رأس الجهمية هلك في زمان التابعين. «معجم ألفاظ العقيدة» (ص ١٢٨).

(٢) [٩٦٤: ٩٦٨] قال العلامة محمد خليل هراس: انقسم الناس في تسلسل الحوادث والآثار إلى ثلاث طوائف فأهل السنة والجماعة ذهبوا إلى إمكانه في

أبو علي هو الجبائي<sup>(١)</sup> معتزلي وابنه أبو هاشم أيضًا معتزلي والأشعري معروف بأبي الحسن وهؤلاء الثلاثة وبعده أبو بكر الباقلاني الرباني وجميع أرباب كلام الباطل المذموم عند أئمة الإيمان فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان؛ قالوا لأجل تناقض الأزلي والإحداث ما هذان يجتمعان، (لكن دوام الفعل في مستقبل ما فيه محذور من النكران) هؤلاء فرقوا - كل أئمة الكلام - بين التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل؛ فقالوا التسلسل في الماضي ممنوع؛ لأننا لو قلنا بالتسلسل لامتنع الحدوث فلا يجتمع القول بالتسلسل والقول بالحدوث لأجل تناقض الأزلي والإحداث إذ كيف نقول إنه أزلي وإنه محدث؟ لأن الأزلي لا يمكن أن يكون محدثًا فلذلك يمتنع التسلسل في الماضي فلا بأس؛ لأن التسلسل في المستقبل لا يمنع الحدوث ولكن سيرد عليهم ابن القيم:

المهم أن الذي فهمناه الآن أن الأقوال:

أولاً: التسلسل في الماضي والمستقبل.

ثانياً: امتناعه فيهما.

ثالثاً: التفصيل وهو مذهب الأشاعرة من أهل الكلام.

فَانظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ فِي ذَاتِ الْفَرْقِ تَرِ وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ

جانب الماضي والمستقبل جميعًا بلا فارق، وذهب الجهم وأبو الهذيل إلى القول بامتناعه في جانب الماضي والمستقبل جميعًا كما تقدم، وأما أبو علي الجبائي المعتزلي شيخ الجبائية وولده أبو الحسن الأشعري وتلميذه أبو بكر الباقلاني وجميع أهل الكلام الباطل المذموم ففرقوا بينهما فذهبوا إلى جوازه في جانب المستقبل وبامتناعه في جانب الأزل وكانت شبهتهم في ذلك أن الدليل القطعي قد قام على حدوث العالم بجميع أجزائه والقول بتسلسل الحوادث في جانب الأزل بلا بداية معناه القول بقدوم العالم، والقدم والحدوث نقيضان لا يجتمعان لهذا منعوا دوام الفعل في الماضي، لما يلزمه من قدم المفعول، وأما دوام الفعل في المستقبل وتسلسله إلى غير نهاية، فهذا لا محذور فيه ولا يقتضي الدليل إنكاره، فالعقل يبيِّن أن يكون بعد كل حادث حادث دون انقطاع في جانب الأبد.

ومن شبههم أيضًا أنه إذا كان كل فرد من أفراد الفعل حادثًا، فكيف يكون نوعه قديمًا مع أن النوع ليس إلا مجموعة الأفراد، فإذا كان كل فرد حادثًا مسبقًا بالعدم، كان الكل كذلك، إذ لا يصح أن توصف الجملة بحكم غير حكم الأفراد، فإذا قلت مثلًا كل زنجي أسود، كان الكل أسود بالضرورة، راجع كتابنا «ابن تيمية السلفي» في مبحث قيام الحوادث بذاته تعالى.

(١) أبو علي الجبائي المعتزلي اسمه محمد بن عبد الوهاب بن سلام. لسان الميزان (٨٤/٧).

فانظر أيها المخاطب إلى التليس، والتليس معناه التخليط وعدم التبيين.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

(في ذا الفرق)، الفرق بين التسلسل في الماضي والمستقبل.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

(ترويحًا على العوران والعميان) أما من له عينان فإنه لا يروج عليه هذا إنما يروج على رجل أعور لا ينظر إلا بعينٍ واحدة أو رجل أعمى لا ينظر أبدًا وهم في الحقيقة أهل الكلام من باب العوران؛ لأنهم نظروا إليه بعينٍ واحدة تسلسل المستقبل وعموا عن التسلسل في الماضي.

مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو  
أَزَلٍ لِيَذِي ذِهْنٍ وَلَا أَعْيَانَ  
بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَسْبُوقٌ بِفَرْدٍ  
وَنَظِيرُهُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلٌّ  
حُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانِ  
دِ قَبْلَهُ أَبَدًا بِلَا حُسْبَانِ

يقول ابن القيم في الجواب عن كلامهم: نحن لا نقول بقدم الشيء المعين.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

(ما قال ذو عقل بأن الفرد) يعني: الشيء المعين.

وقوله: (ذو أزَلٍ لذي ذهن ولا أعيان) يعني: ما أحد قال لا في ذهنه ولا في عينه - في عين الشيء - يعني: لا تصورًا ولا تحقيقًا إنه أزلي؛ بل كل فرد فهو مسبوق بفرد قبله أبدًا بلا حسابان) فخلق السموات مسبوق بخلق آخر ما نعلمه والخلق الآخر مسبوق بخلق آخر إلى ما لا نهاية له، فمثلًا: السموات والأرض كانتا على أي شيء؟ على الماء فكانت سموات ثم كانت أرض أو كانت أرض ثم كانت سموات فنحن لا نقول بأن الشيء المعين من المخلوقات أزلي بل نقول: إن فعل الله الذي وصفه أزلي كذات الله وحياء الله أما أن المخلوقات فإنها حادثه لكن كل مخلوق مسبوق بمخلوق قبله إلى ما لا نهاية له ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ أَعْلَامٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] كما أننا نقول: (نظير هذا كل فرد فهو ملحق بفرد) هذا التسلسل في المستقبل يعني: يلحقه فرد ويلحقه فرد ويلحقه فرد إلى ما لا نهاية له بلا حسابان فإذا كنتم تقرّون بأن كل فرد يلحقه فرد آخر فلماذا لا تقرّون بأن كل فرد يسبقه فرد آخر وهل البابان إلا شيء واحد؟!

لِلنَّوْعِ وَالْأَحَادِ مَسْبُوقٌ وَمَلْحُوقٌ وَكُلُّ فَهَوٍ مِنْهَا فَنٍ  
 (النوع) يعني: نوع المخلوقات، مثلاً الآدمي نوع باعتبار بقية الحيوان، والحيوان جنس والآدمي نوع منه الفرد أيضاً وأنا وأنت وزيد وعمرو وهذا فرد.  
 يقول - رَحِمَهُ اللهُ - (للنوع والآحاد مسبوق وملحوق) نحن قبل ناس وبعدهنا ناس مسبوق وملحوق وكل منها فهو فان.

وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحْيَرًا فَهَوٍ لَا يَفْنَى كَذَلِكَ أَوَّلًا بَيِّنَانٍ  
 قوله: (والنوع لا يفنى أخيراً) كذلك لا يفنى أولاً، فما هو النوع؟ يعني: نوع الفعل - فعل الله عز وجل - لا نهاية له لا أولاً ولا آخرًا، أما النوع من الآحاد فلا شك أن له أول بمعنى: أنه مسبوق بعدم فنحن بنو آدم قد سبقنا بعدم وسنفتى، والخور والولدان في الجنة مسبوقة بعدم لكنها ستبقى والأرواح كذلك مسبوقة بعدم ولكنها ستبقى.

وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحْيَرًا فَهَوٍ لَا يَفْنَى كَذَلِكَ أَوَّلًا بَيِّنَانٍ  
 وَتَعَاقِبِ الْآنَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الذَّهْنِ وَهَوٌ كَذَاكَ فِي الْأَعْيَانِ  
 وهذا أيضاً دليل لا محيص عنه و(الآنات) هي الأوقات متعاقبة أم غير متعاقبة؟ متعاقبة حتى لو فرضنا أنه لا شمس ولا قمر فهي متعاقبة هل لها بداية؟ الله عز وجل قد خلقها من الأزل وهل تنتهي أم لا؟ لا تنتهي الأوقات ما تنتهي حتى أبد الأبدية لكن تتغير الأحوال لا شك من دنيا إلى برزخ إلى آخرة إلى جنة أو نار.

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

(الآنات أمر ثابت) الآنات هي: الأوقات (أمر ثابت في الذهن هو كذاك في الأعيان) يعني: يتصور الإنسان ذهنًا ويرى عينًا أن الأوقات تتعاقب وهي مخلوقة أم غير مخلوقة؟ مخلوقة، هل لها أول؟ أبدًا لا تزال الأوقات موجودة ولا تزال كذلك.

فَإِذَا أْبَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ أَوَّلَ الْآنَاتِ مُفْتَتِحٌ بِلا نَكَرَانَ  
 مَا كَانَ ذَاكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يُرَى إِلَّا بِسَلْبِ وُجُودِهِ الْحَقَّانِي

يقول: (فإذا أبيتكم ذا وقلتم أول الآنات مفتتح بلا نكران) أول الأوقات شيء ما يمكن تصوره ولكن أول الأوقات قبل أن توجد الأوقات كانت الأوقات معدومة ثم افتتحت؛

لأن هذا نتصوره ذهنًا في الواقع، قلنا: لا بد من وقت لكن انظر الجواب.

فَيَقَالُ مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ هَلْ تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانِ  
مِنْ جِوْنِ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانِ  
وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانِ  
هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ نَصٍّ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانٍ؟

يقول: (ما تعنون بالآنات) هل تعنون الآنات يعني الأوقات منذ خلقت السموات والأرض والشمس والقمر أو تعنون الأوقات من قبل، لكن ابن القيم يقول: (ونظنكم تعنون ذلك) يعني: ما كان بعد خلق السموات والأرض، ولكن (لم يكن من قبلها شيء من الأكوان) فتنفون أن يكون شيء من الأكوان موجودًا قبل خلق السموات والأرض.

هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهَذِهِ الْأَثَارِ وَالنَّصِّ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانٍ؟  
إِنَّا نَحَاكِمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ مَعْقُولٍ فِي الْفَطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ  
أَوْ لَيْسَ خَلْقُ الْكُونِ فِي الْأَيَّامِ كَمَا مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ  
نَ وَذَلِكَ مَاخُودٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟

قوله: (خلق الكون في الأيام) موجود في القرآن ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] قبل أن توجد الشمس وقبل أن توجد الأيام المقدره بالشمس، (أوليس خلق الكون في الأيام كان وذاك مأخوذ من القرآن).

أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ؟

الجواب: بلى فالزمان الذي خلقت فيه السموات والأرض قبل أن توجد السموات والأرض وقبل أن توجد الشمس كان موجودًا زمانًا مدة ولا شك في هذا إذا ما المانع.

فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةٌ حَادِثٍ لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ

قوله: (فحقيقة الأزمان نسبة حادث لسواه) أي: لغيره؛ لأن كل لحظة تأتي من الزمن فهي خلف عن لحظة سابقة إلى ما لا نهاية ولهذا لا تجدك تتصور أن للزمن نهاية أبدًا مع أن الزمن مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ومع ذلك ما تتصور له نهاية إلى متى؟ حتى قبل خلق السموات والأرض هناك زمن فيه مدة ستة أيام كما قال الله عز وجل.

وَأَذْكَرَ حَدِيثَ السَّبْقِ لِلتَّقْدِيرِ وَالْخَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الـ  
تَوَقَّيْتُ قَبْلَ جَمِيعِ ذِي الْأَعْيَانِ  
مُخْتَارًا سَابِقَةً لِذِي الْأَكْوَانِ

قوله: (حديث السبق) وهو قول الرسول ﷺ: «إن الله كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(١)</sup> إذا توجد مدة قبل خلق السموات والأرض والمدة مخلوقة والقلم أيضًا مخلوق واللوح المحفوظ المكتوب فيه مخلوق.

هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِ السِّنِينَ بِمُدَّةٍ وَزَمَانٍ  
عَرْشُ اللَّهِ - عز وجل - قبل الكتاب فوق الماء من قبل السنين (السنين) هي خمسون ألف سنة.

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ؟  
كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ  
قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ

يعني: أن أهل العلم اختلفوا، هل العرش سابق على خلق القلم أو القلم سابق على خلق العرش؟ لكن ابن القيم يقول:

وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ  
قوله: (والحق أن العرش قبل) أي: قبل القلم؛ لأنه (قبل الكتابة كان ذا أركان)، وإذا كان ذا أركان فإنه سابق بلا شك.

وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ  
إِيْجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصَلِّ زَمَانٍ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - لما خلق القلم قال له: اكتب وفي حديث عمران بن الحصين «وكان عرشه على الماء»، فالكتابة أعقت خلق القلم وكان عرش الله على الماء إذا فالعرش هو السابق.

لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ أَكْتُبْ كَذَا فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانٍ  
فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

لما خلق الله القلم بنفس الساعة قال له: اكتب قال: ماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل.

أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَّالُهُ مِنْ قَبْلِ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ؟

هذا الاستفهام استفهام تقريرى فهو يسأل هل كان الله قبل ذلك عاجزاً؛ لأننا إذا قلنا يستحيل التسلسل في الماضي لزم أن تكون هذه الاستحالة من صفات الله ويكون الله عاجزاً عن أن يخلق ثم صار يخلق وهذا شيء مستحيل؛ لأنه نقص لله.

أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْدُورٌ لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ؟

ماذا نقول؟ نقول بلى، لم يزل ذا قدرة والفعل مقدور له أبداً وذو إمكان.

فَلَيْتَنِ سَأَلْتَ وَقَلْتِ مَا هَذَا الَّذِي أَدَاهُمْ لِخِلَافِ ذَا التَّبَيَّانِ؟

قوله: (فلئن سألت) يعني: أيها المخاطب وقلت: ما هذا الذي أداهم لخلاف ذا التبيين؟ الضمير في (أداهم) يعود على أهل الكلام ومنهم الأشاعرة.

وَلَأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ؟

فَاعْلَمْ بَأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أُسْسُوا أَصْلَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

لما صاروا إلى هذه الحال الذي وصف المؤلف في عقائدهم نتيجة علم الكلام وتحكيمهم العقول التي ليست عقولاً حقيقية ولكنها تعقل الإنسان عن الوصول إلى الحقيقة وكل ذلك لما عموا عن القرآن وأصلوا هذا العلم.

وَعَنِ الْحَدِيثِ وَفَقَتَضَى الْمَعْقُولِ بَلْ

وَبَنُوا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبَطْلَانِ

هذا هو البلاء أنهم أسسوا عقائدهم على علم الكلام وجعلوه هو الأصل الذي عليه المدار.

نَفِي الْقِيَامِ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ بِالرَّبِّ خَوْفٍ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

يقول: (كل أمر حادث) فإنه لا يقوم بالرب؛ لأننا لو قلنا بقيامه بالرب لزم قدم الحوادث أو حدوث الواجب بالقدم.

نقول: لو أن الحوادث تكون به لزم أحد الأمرين؛ إما أن تكون هذه الحوادث لا أول لها وإما أن يكون الله محلاً للحوادث وكل هذا عندهم ممنوع.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ١٠٠٥- إذ أثبوه بكون ذي الأجساد حاد  
دثة فلا تنفك عن حدثان
- ١٠٠٦- فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن  
لحدوثها إذ ذاك من برهان
- ١٠٠٧- فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل  
والجسم لا يخلو عن الحدثان
- ١٠٠٨- فيصح حينئذ حدوث الجسم من  
هذا الدليل بوضوح البرهان
- ١٠٠٩- هذي نهايات لأقدام الورى  
في ذا المقام الضيق الأعطان
- ١٠١٠- فمن الذي يأتي بفتح بين  
ينجي الورى من غمرة الحيران؟
- ١٠١١- فالله يجزيه الذي هو أهله  
من جنة المأوى مع الرضوان

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقولون: إننا لا نثبت قدم الرب إلا إذا أثبتنا حدوث الحوادث وإلا فإننا لا نستطيع أن نثبت قدم الرب فيقال: إن قدم الرب لا شك ثابت فالله تعالى ليس قبله شيء ولم يلد ولم يولد، والحوادث كلها كائنة بعد أن لم تكن، وإن تسلسلت في الأزل فإنها حادثة ولا بد.

فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل والجسم لا يخلو عن الحدثان  
هذا الجسم لا يخلو عن الحدثان وهذا صحيح لكن بالنسبة للرب العظيم لا يمكن أن

نقول هذا؛ لأن الكلام على الجسم نفيًا أو إثباتًا بالنسبة لله ممنوع فلا نقول: إن الله جسم ولا نقول: ليس بجسم لكن نقول: إن الله - عز وجل - ذات ومن صفاته أنه ملك قدوس سلام عزيز حكيم إلى آخر ما وصف الله نفسه.

هَذِي نَهَائِيَاتٍ لِأَقْدَامِ الْوَرَى فِي ذَا الْمَقَامِ الضِّيْقِ الْأَعْطَانِ

انظر وصف ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - لهذا البحث بأنه مقام ضيق الأعطان، والأعطان جمع عطن فإذا كان العطن ضيقًا لزم من ذلك الضيق والانحسار والتعب.

فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ  
فَاللهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

تحتمل هذه الآيات الثلاثة أن ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - بعد ما رجع من تسلسل الحوادث في الماضي كأنه لم يطمئن إليها تلك الطمأنينة (من ذا الذي يأتي بفتح بين ينجي الوري من غمرة الحيران) ويحتمل من ذلك أن ما أتى به فهو صريح بين ينجي الوري من غمرة الحيران، فكان رَحِمَهُ اللهُ مهتم أن يكون بعد هذا البحث والمناقشة الطويلة صار عنده شيء من التردد، كما يوجد الآن في طلبه العلم التردد في هذه المسألة لا من طلبه العلم الصغار بل من طلبه العلم الكبار، ويحتمل أنه يريد أنه أتى رَحِمَهُ اللهُ بفتح بين في هذه المسألة واضح كما يدل على ذلك تأييده للقول بجواز أو بإمكان تسلسل الحوادث في الماضي.

فَاللهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

وهذا من إخلاص ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ونصحه أنه دعا لمن أتى للمسلمين بالفتح البين والدليل الواضح؛ لأن كل ناصح لله ولكتابه ولرسوله يجب أن يبين للخلق ما جاء به النبي ﷺ من الهداية ودين الحق.

لا بد من بداية مهما كان، لكن هذه البداية يعني: في الأزل ما هم على أن الله معطل عن فعل لا يستطيع أن يفعل ثم صار يفعل؛ لأن هؤلاء يقولون: إن التسلسل مستحيل وإن كان له نهاية؛ لأنه يقول: لو قلنا بالتسلسل لزم أن تكون هذه الموجودات مقارنة لله، ونحن نقول: لا، حتى لو قلنا بذلك ليست مقارنة؛ لأن الفعل بعده فاعل والمفعول بعد الفعل ولا بد، وأهم شيء في الموضوع - هذه عقيدة - أن تؤمن بأن الله لم يزل ولا يزال فعلاً وأنه لم

يأت عليه وقت وهو عاجز عن الفعل، أو وقت وهو عاجز عن الإرادة، ومعلوم أنه إذا تمت الإرادة مع القدرة حصل المراد.

مسألة: الفعل من صفات الله تعالى وهو مؤخر منه والفعل مؤخر من الفاعل والمفعول مؤخر من الفعل والمفعول حادث والفعل قديم؟

الجواب: حتى الفعل من صفات الله لكن الفعل المقارن للمفعول حادث؛ خلق الله المطر مثلاً الآن هذا حادث، الله ما خلق هذا المطر في الأزل لو خلقه في الأزل لكان جاء في الأزل. من صفاته تبارك وتعالى أنه قديم، وهذا الفعل يتعلق بمفعول وهذا هو الحادث.

مسألة: إن كل الكائنات كانت بعد أن لم تكن كيف نقول هذا؟ وأن كل الحوادث متسلسلة في الماضي ولو كانت متسلسلة ما كانت بعد أن لم تكن، لكن لم تكن متسلسلة إلى ما لا نهاية له؛ لأنه لا يوجد شيء ما له نهاية في الأول إلا الله - عز وجل - وما يمنع، وهم يقولون: إنه جاء وقت وليس لله مفعول، من قال هذا؟ لا نقول هذا؛ أن نقول إن الفعل منذ كان الله فهو فعال، ولهذا قال ابن عباس كما ذكر ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسر الحي بأنه الفعال.

كل مخلوق فهو كائن بعد أن لم يكن فأنت إذا قلت ليست كائنة بعد أن لم تكن جعلتها خالق كل مخلوق لكن لما نهايتها؟

بدايتها خلق الله لها ولكن متى؟ وهل نقول: مضى وقت من الأوقات والله عز وجل لم يخلق شيئاً؟ وهل لاستحالة ذلك عليه؟ لا يمكن أن نقول ذلك.

يقولون: مستحيل أن يكون هناك تسلسل مطلقاً ما معنى أنهم يقولون: إنه لا بد من كل شيء فهو حادث؟ كل شيء لا بد أن يكون حادثاً ولا بد أن يكون حادثاً من عدم إلا الرب - عز وجل -.

نقول للماضي: إنه جائز وللمستقبل وإن كان بخبر الله فهو واجب، عندنا دليل بأن الله كان فعلاً ولم يزل فعلاً وابن عباس فسر الحي بأنه فعال لكننا لا نشهد على شيء معين بأنه دائم، أما في المستقبل فنعلم أن الجنة أخبرنا الله بأنها دائمة، ﴿فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ﴾ [البروج: ١٦] فعال في المستقبل والماضي.

مسألة: قلنا الأرواح مسبوقة بعدم وستبقى ولا تنفى، كيف ذلك؟

الجواب: الذي يفنى الجسم حتى الجسم أيضًا يفنى إلا عجب الذنب، عجب الذنب بإذن الله كالنواة يبقى لا يفنى، وهو عبارة عن جزء بسيط من أسفل الظهر يبقى بإذن الله من أجل أن ينشأ منه الإنسان عند البعث.

مسألة: الأرواح لا تعود في جسد صاحبها بعد الموت فإلى أين تذهب؟

الجواب: تنفصل عنه تذهب إمَّا إلى الجنات إذا كانت مؤمنة وإمَّا إلى النيران إذا كانت بالعكس والعياذ بالله.

قد يقال: إن ابن القيم لا يرى فناء النار كما يراه الجهمي؛ لأن ابن القيم يرى بقاءها ممكن لكن الله يفنيها بفضلِهِ ورحمته، وأما جهم يقول: إن بقاءها مستحيل يعني أنها من الأمور التي لا تتعلق بها قدرة الله يعني أنه يمكن أن يجاب عن هذا بذلك.

ونحن نرى أن ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - في هذا أخطأ ونسأل الله أن يتجاوز عنه ونحن نرى أن النار لا تفنى؛ لأن خالق النار هو الذي قال: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وهذه حجة فيها، ويلزم من خلود من فيها أن تكون هي على التأبید أي: أن تكون باقية على التأبید وهل يخلد فيها على التأبید وهي فانية؟ لا يمكن.

لو أثبتنا جنس الفعل وأنه قادر عليه ما يلزم النفي؛ لأنكم تعلمون أن صفة الأفعال تتعلق بمشيئته إذا اقتضت الحكمة أن يفعل فعل.





## تهذيب بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

لم يزل المسلمون وأئمة الهدى مثبتين ما دل عليه الكتاب والسنة من نعوت الباري الذاتية والفعلية، وليس في قلوبهم أدنى شبهة تناقض هذا الأصل الذي هو أكبر الأصول وأعظمها، حتى جاء هؤلاء المتكلمون بالكلام الباطل، وأصلوا لهم أصولاً من تلقاء أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان نقلي ولا عقلي، فابتدعوا هذا الاستدلال الذي نفوا به أفعال الله وظنوا وقالوا إنهم للإسلام ينصرون، وهم في الحقيقة لا للإسلام نصرُوا ولا على أعدائه وجاحديه انتصروا، بل صار دليلهم هذا أكبر سلاح لأعداء الإسلام عليهم، وألزمهم لأجله اللوازم التي عجزوا عن التخلص منها، وبذلك أغروا عدوَّ الإسلام في لزومه لقوله، وظنوا بالإسلام الظنون السيئة حيث ظنوا أن هذا مما جاء به الإسلام، مع أن الإسلام بريء منه كل البراءة، ولولا أن الله متكفل بحفظ دينه، ومقيم له الأنصار والحفظة من أئمة الهدى ومصايح الدجى لذهب الإسلام.

ولقد بينوا أن هذا الدليل الذي ابتدعه أهل الكلام الباطل دليل باطل مستدل به على باطل، فاللازم والملزوم باطلان، ومما يدل على بطلانه أن أعيان خيار هذه الأمة وصفوتهم وأعلامهم أخلاقاً وأعمالاً وأكملهم إيماناً من المهاجرين والأنصار والقرون المفضلة وجميع أئمة الدين ومحققي المسلمين لم يعرفوا هذا الدليل، وليس له عندهم حس ولا خبر ولا عين ولا أثر، ولم يعرفوا الله بهذه الألفاظ المتبدعة بالأجسام والأعراض والجواهر ونحوها، فمن المحال أن يكون هذا الدليل صحيحاً وقد حرم منه هؤلاء الصفوة الأخيار ويفوز به هذا الخلف السوء. فإيمان السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان مبني على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، مؤيد بالعقل الصحيح الذي يعترف به أهل العقول الوافية والألباب

الكاملة، فهل يقاربهم من إيمانه مبني على دليل الأعراض الذي ليس له في النصوص ذكر ولا إشارة، ولا قاله أحد من السلف؟ ولقد اعترف كثير من فضلائهم ببطلانه كالأشعري وغيره وأنه دليل مبتدع، وصرح بعضهم بالحق وهو أنه في نفسه باطل ومقدماته فسادة وأنه مفسد للدين والإيمان، مخبط للأذهان، مشوش للحقائق العقلية، مخالف للأدلة النقلية.

وأيضاً فالله ورسوله قد بينا جميع الطرُق المعرّفة بالله وصرّفاها ونوّعّاها ولم يذكر الله ولا رسوله هذا الدليل فلو كان حقاً لذكراه، ولكنه باطل، ولهذا لما أطلع الأئمة على حقيقة هذا الدليل أنكروا على أهله غاية الإنكار وحذّروا منه غاية التحذير لعلمهم بما يفضي إليه. ومن أراد معرفة بطلانه حقاً بالأدلة الشرعية والأدلة العقلية، ونقل اعتراف فضلائهم ببطلانه وتناقض المثبتين له، وتوضيح فساد مقدماته، وعجز أهله عن نصرته غاية العجز، فليُنظر إلى (كتاب العقل والنقل) لشيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية، فقد أتى فيه بالعجب العجاب، وقاوم فحولهم وأساطينهم ونظارهم، وبين بالأدلة المتنوعة بطلان أقوالهم وفسادها، وأنهم ادعوا أنهم أهل العقول والنظر، فاتضح أن عقولهم فاسدة، وآراءهم ضالة، وعقلياتهم جهليات وخيالات، ونحمد الله على نعمة السنة والإسلام، ونشكره أن قيض لنصره مثل هذا الإمام وأمثاله، جزاهم الله خير الجزاء. والله أعلم.





١٠١٢- فَاسْمَعِ إِذَا وَافَهُمْ فَذَاكَ مُعْطِلٌ

وَمُشَبَّهٌ وَهَذَاكَ ذُو الْغَفْرَانِ

١٠١٣- هَذَا الدَّلِيلُ هُوَ الَّذِي أَرْدَاهُمْ

بَلْ هَذَا كُلُّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ

١٠١٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ عِنْدَ

دَأْمَةِ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

١٠١٥- مَا زَالَ أَمْرُ النَّاسِ مُعْتَدِلًا إِلَى

أَنْ دَارَ فِي الْأَوْرَاقِ وَالْأَذْهَانِ

١٠١٦- وَتَمَكَّنْتَ أَجْرَاؤُهُ بِقُلُوبِهِمْ

فَأَتَتْ لَوَازِمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ

١٠١٧- رَفَعْتَ قَوَاعِدَهُ وَنَحَّثَ أَسَّهُ

فَهَوَى الْبِنَاءَ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ

١٠١٨- وَجَنُوا عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّ جِنَايَةٍ

إِذْ سَلَطُوا الْأَعْدَاءَ بِالْعُدْوَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٠١٢: ١٠١٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

فقد تبين بذلك بطلان دليل هؤلاء وفساده ومصادمته للنصوص ولهذا اشتغل برده وإبطاله كثير من أئمة التحقيق والعرفان، ولقد كان أمر الناس معتدلاً وبعيداً عن الزيغ والانحراف قبل أن يلقي الشيطان بهذا الدليل إلى أوليائه من الإنس ويدفعهم إلى أن يشيعوه بين الناس ويشغلوا به كتابة وتفكيراً حتى تمكنت قضاياه من قلوبهم فالتزموا من أجله اللوازم الفاسدة التي أتت على الإيذان من

- ١٠١٩- حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمِحَالِ فَخَانَهُمْ  
 ذَاكَ السِّلَاحُ فَمَا اشْتَفَوْا بِطِعَانِ  
 ١٠٢٠- وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا  
 تَلَّهُمْ بِهِ فِي غِيَةِ الْفَرَسَانِ  
 ١٠٢١- يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ  
 جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ  
 ١٠٢٢- وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ  
 وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ  
 ١٠٢٣- لَتَخَطَّفَتْ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا  
 وَلَقُطِّعَتْ مِنْ أَعْرَى الْإِيمَانِ  
 ١٠٢٤- أَيْكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ وَمَا اهْتَدَى  
 خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ مُحَالٌ ذَانِ  
 ١٠٢٥- وَوَقِّعْتُمْ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي  
 أَصْلِ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِزْفَانِ  
 ١٠٢٦- وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا  
 أَبَدًا بِهِ وَاشِدَّةَ الْجِرْمَانِ  
 ١٠٢٧- وَدَخَلْتُمْ لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا  
 دَخَلُوهُ وَاعْجَبْنَا لِذَا الْخُذْلَانِ  
 ١٠٢٨- وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُو

القواعد حتى هوى بناؤه وتداعت أركانه، وجنوا على الإسلام أكبر جناية ومكنوا منه أعداء وأعطوهم السلاح الذي يستطيعون محاربتة به، فقد جاء الفلاسفة واستغلوا هذا الدليل الذي هو عمدة المتكلمين في القول بالإيجاب ونفي الاختيار عن الله عز وجل والقول بقدوم العالم... إلخ.

نَ الْقَوْمِ وَعَاجَبًا لِذَا الْبُهْتَانِ

١٠٢٩- وَعَرَفْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَجْسَامِ وَال-

أَعْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ

١٠٣٠- وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَل-

آيَاتٍ وَهِيَ فَعْيُ فَعْيُ ذِي بُرْهَانَ

١٠٣١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى

حَقِّي وَفِي عَيْي وَفِي خُسْرَانٍ؟

### الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف في هذه المقطوعة بيّن الدليل الذي استدلوا به على نفي قيام الأفعال بالله - عز وجل - وهو أن الأفعال حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث إذا فلا تقوم الأفعال إلا به قال - رَحِمَهُ اللهُ -:

هذا الدليل هو الذي أرداهم بل هدّ كل قواعِد القرآن

فالقرآن مملوء بإثبات الأفعال لله - عز وجل - ولو تدبرتموه لوجدتم فيه مئات الأدلة على إثبات الأفعال لله - سبحانه وتعالى - وأن الله لم يزل ولا يزال فعلاً ولكن ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - يقول:

وَهُوَ الدَّلِيلُ البَاطِلُ المَرْدُودُ عَنِ دَأْمَةِ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

ويقول: إن الناس كانوا على الحق وأمرهم معتدل حتى دار هذا الدليل في الأوراق والأذهان، فاضطرب الناس وإلا فلو ترك الناس وفطرتهم لكان كل إنسان يعلم بفطرته أن الله لم يزل فعلاً وأنه لم يكن الفعل مستحيلًا عليه في آن ثم صار ممكنًا بعد الاستحالة، هذه الفطر لا تهتدي به فلو ترك الناس لفطرتهم ما عدلوا عن الحق لكن جاءت هذه العقول وأفسدت المنقول؛ يقول: إنها تمكنت أجزاءه بقلوبهم. فأنت لوازمه إلى الإيمان ترفع قواعده وتحت أو وتنحّي أساسه، حتى خر للأركان ثم ذكر أنهم جنوا على الإسلام كل جنابة؛ لأنهم سلطوا الأعداء فصار كل إنسان يتكلم بما عنده ويقول لخصمه: هذا الذي قلت إنه محال فصار

التعطيل والتخييل، والذين ينكرون البعث ويقولون: هذا محال من يحيي العظام وهي رميم، وصار كل إنسان مبطل يقول لخصمه الذي يثبت ما ينفيه هذا محال؛ ولهذا يقول:

حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمَحَالِ فَخَانَهُمْ ذَاكَ السَّلَاحُ فَمَا اشْتَقَوْا بِطَعَانِ

لم ينفعهم بل غرهم حيث يقولون لما يريدون هذا ممكن ولما لا يريدون هذا محال ولو أثبتته الله ورسوله، ثم ذكر ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - أن العدو أتى إلى سلاحهم فقاتلهم به في غيبة الفرسان كيف ذلك؟

قال أهل التخييل الذين يرون أن اليوم الآخر ليس له حقيقة، فأجابهم أهل التعطيل في الصفات فقالوا: كيف أن اليوم الآخر ليس له حقيقة وقد جاءت به الرسل وليس هناك ما يمنعه، فوجد الدليل الموجب وانتفى المانع، وإذا وجد الدليل الموجب وانتفى المانع وجب القول بما يقتضيه الدليل.

فقال لهم أهل التخييل: توافقون على هذه القاعدة؟ قالوا: نعم ونحتج بها عليكم، قالوا: إذا نحن نحتج عليكم بها فإن القرآن والسنة جاءا بإثبات الصفات وهو دليل موجب ليس هناك مانع مقاوم فيجب عليكم أن تقولوا بإثبات الصفات فأنتم إما أن تقولوا بإثبات الصفات وإما أن تنفوا الميعاد وتجعلوا الباب واحداً ونحن لم ننف الميعاد ونقول: إنه عبارة عن تخييل أو مجاز أو ما أشبه ذلك إلا حيث وجدناكم نفتيم الصفات مع أن نصوص الصفات في القرآن والسنة أكثر بكثير من نصوص الميعاد فكيف سوغتم لأنفسكم إنكار الصفات وتأويل نصوصها، بل الأصح تحريف نصوصها ويأثمون من تأويل آيات الميعاد فكيف تسلط الأعداء الذين هم كفار بالإجماع؟

أخذوا سلاح المعتزلة وطعنوهم فهذا معناه قول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وأتى العدو إلى سلاحهم فقاتلهم به في غيبة الفرسان) من هم الفرسان في هذا الباب؟

أهل السنة الذين يأتون هذا وهذا، ويقولون: إياك نعبد نقول: الكل حق، صفات ربنا حق، واليوم الآخر حق، ثم قال نادباً محنة الإسلام:

يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طَغْيَانِ

هذا صحيح، ما ينكر الناس هذا صديق جاهل يضرك أكثر مما ينفعك، وهو صديق

يجبك مثل ما يجب نفسه يقول لك: اذهب من هذا الطريق وهو لا يدري أن الطريق الثاني أحسن أو أسوأ بناءً على ما بينه وبينك من الصداقة أطعته وظهر في الطريق قطاع طريق ومهلكة ومفازة ورمضاء وعطش وكل شيء والطريق الأول سليم، هذا الصديق نيته حسنة ولكنه جاهل، تلك مشكلة، فجهل الصديق بلاء، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على ثقة ممن أشار إليه بشيء أن يكون عالمًا مخلصًا له، هذا العدو يبغي ولا يبالي وإن كان عالمًا.

والله لولا الله ناصِرُ دينه      وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ  
لَتَخَطَّفَتِ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا      وَلَقَطَّعَتِ مِنَّا عُرَى الْإِيمَانِ

هذا صحيح، لولا أن الله ناصر دينه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لتقطعت منا عرى الإيمان ولكن الله قيض لدينه - والله الحمد - من يدافع عنه وينصره ثم قال متحديًا:

أَيُّكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ      وَمَا اهْتَدَى      خَيْرُ القُرُونِ لَهُ مُحَالٌ ذَانِ

قوله: (محال ذان) المشار إليه هنا وهو كون هذا الدليل حقًا، والثاني وهو مبني عليه عدم اهتداء القرون المفضلة إليه، وهذه القرون المفضلة سلكوا هذا المسلك واستدلوا بهذا الدليل إذاً فهو محال أن يكون حقًا وهم لم يهتدوا إليه.

وَفَقَّمْتُ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي      أَصْلِ اليَقِينِ وَمَقَعِدِ العِرْفَانِ

لا يمكن أن توفقوا وأنتم الخلف للحق ويحرم منه السلف فهذا مستحيل، ولهذا لما جاء العلماء لشخص المعطل في أمر من الأمور إذا قال له: هل قاله النبي ﷺ وأصحابه؟ قال: لا إذا يسعك ما وسع النبي ﷺ وأصحابه ومن لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وأصحابه فلا وسع الله عليه.

وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا      أَبَدًا بِهِ وَاشِدَّةَ الجِرْمَانِ

كذلك نقول: لا، لا يمكن أن يهدونا لشيء لم يهتد إليه السلف الصالح.

وَدَخَلْتُمْ لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا      دَخَلُوهُ وَاعْجَبْنَا لِدَا الخُذْلَانِ

كل باب يدخله الخلف ولم يدخله السلف فهو باب شرٍّ ولذلك قال وا عجبًا لذا الخذلان.

وسلكتم طرق الهدى والعلم دُو نَ القومِ وَاعْجَبَا لِيذَا البُهْتَانِ

أهل التعطيل يقولون: الحق معنا، وأما السلف فهم جهال مفوضة، تسألهم ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] يقول لك: ما أدري فهم عندهم أن مذهب السلف هو مذهب التفويض والجهل، حتى الرسول ﷺ يتكلم بالكلام وهو لا يعرف معناه يقول: «ينزل ربنا إلى السماء» ولو سألته يا رسول الله وما ينزل ما أدري. ويقول: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر» لماذا؟ يقول: ما أدري.

هذا المذهب هو السلفي عند هؤلاء القوم - وكذبوا والله على السلف - فالسلف يقولون: نحن نعرف المعنى ولا يمكن أن يخاطبنا الله ورسوله بما لا نعلمه، ولكننا نجهل الكيفية والحقيقة؛ لأننا أعجز من ذلك ولم نخبر عن الكيفية.

وعرفتم الرّحمن بالأجسامِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ

هم يقولون: إن الله ليس بجسم ولا متحرك ولا له لون ولا له ريح ولا ملمس ولا، ولا... إلى آخره.

عندهم هذه هي الصفات الكاملة التي يُشْتَى على الله بها لا يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿ يقرؤها ولكنهم يحرفونها فأحسن شيء عندهم في الأوصاف هذه السلوب فيكيلون لك كيلاً، ولكنه كيل لا حصر له من هذه السلوب وهي النفي: ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا.

وقد بينا لكم مما سبق أن التفصيل في السلوب منقصة وسخرية فلو جئت للملك - ملك من الملوك - وقلت: والله أنت رجل لست بامرأة ولست بكساح، ولا كناس، ولا حجام، ولا بيطار، ولا شقاق لبطن الغنم إذا عسرت بالولادة، وما أشبه ذلك من الصفات ماذا يقول؟ يقول: السيف ليقته لكن لو تقول: أنت ملك لا يساميك ملك من ملوك الدنيا - كلمة واحدة - ماذا يفعل؟ يملأ جيبيك من الدراهم ويثني عليك.

فالحاصل من هؤلاء الجماعة أنهم لم يعرفوا الله إلا بهذه السلوب.

يقول - رَحِمَ اللَّهُ -

وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ آلِ آيَاتِ وَهِيَ فَعِيزُ ذِي بُرْهَانِ

عرفوا ربهم بآياته الكونية والشرعية يقول: وغيرها فعير ذي برهان عند الخلف،

يقولون: دلالة القرآن والسنة ما هي قطعية وإذا أتيت لهم بدليل قالوا: هذا الدليل يحتمل عشرة أوجه، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال، هذا إذا كانوا لا يمكنهم دفع الدليل بالسند، فإن كان يمكن دفع الدليل بالسند، قالوا: هذا سند ضعيف هذا خبر آحاد ما نقبله في العقائد، لكن إذا جاء من القرآن يقولون: هذا يحتمل عدة معانٍ ومع الاحتمال يبطل الاستدلال، فجعلوا نصوص الكتاب والسنة مهزلة، وطعنوا أحياناً في الدلالة وأحياناً في الدليل وإن أمكنهم أن يطعنوا بالدليل في عدم ثبوته فعلوا وإذا لم يمكنهم أن يقدحوا فيه طعنوا في الدلالة فصاروا إما أن يطعنوا في الدليل ويتبعه الطعن في الدلالة وإما في الدلالة إذا عجزوا عن الطعن في الدليل قال:

الله أكبر أنتم أو هم على حَقِّ وفي غيِّ وفي خسرانٍ؟

قوله: (هم على الحق) أي: أهل السنة على الحق وهم على ضلال.

إذا قال قائل: كيف يقول ابن القيم أنتم أو هم على الحق؟! نقول: نعم، هذا من تعليم الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وهذا هو الإنصاف أن تقول أنا أو أنت مخطئون ثم ننظر حتى يتبين بأننا، أنا وأنت خصمان لا يمكن أن أحكم بقولي عليك وأنت أن تحكم بقولك عليّ ويكون المرجح دليل الخالق: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] في باب المناظرة وباب المخاصمة ونحن نعلم أن الله أعلم ﴿اللّٰهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

معلوم أن الله خير ولا خير فيما يشرك به ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يُصِّبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] هذا صحيح هو إما كاذب وإما صادق هذا هو الإنصاف، فليس الإنصاف أن يقول الواحد: القول قولي أنا أقوله هو الصواب والقول الثاني خطأ حتى يكون الحكم هنا يقول:

الله أكبر أنتم أو هم على حَقِّ وفي غيِّ وفي خسرانٍ؟

والجواب والله إن السلف على الحق وأن الخلف المخالفين لهم في خسران.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٣٢- دَعِذَا أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا

حَقُّ الْأَدْلَةِ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ

١٠٣٣- مَتَنَوَّعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ

مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانٍ

١٠٣٤- مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ

لِلْحَسَنِ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

١٠٣٥- أَسْمِعْتُمْ لِذَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا

خَبْرًا أَوْ أَحْسَسْتُمْ لَهُ بَيِّنَاتٍ

١٠٣٦- أَيْكُونُ أَصْلُ الدِّينِ مَاتَمَّ الْهُدَى

إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ؟

١٠٣٧- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمَوْجِبٍ مِنْ لَمْ يُحِطْ

عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ؟

١٠٣٨- وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا

طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

١٠٣٩- فَلَأَيِّ شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ

تَسْمَعُهُ فِي أَثَرٍ وَلَا قُرْآنِ؟

١٠٤٠- لَكِنْ أَتَانَا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا

وَوَظُهُورِ أَحْدَاثٍ مِنَ الشَّيْطَانِ

١٠٤١- وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءَ وَحِزْبِهِ

مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ حَيْرَانِ

١٠٤٢- وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ النَّكْيُزُ عَلَيْهِمْ

مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٠٤٣- صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ بَلَّ رَمَوْا

فِي إِثْرِهِمْ بِثَوَاقِبِ الشَّهْبَانِ

١٠٤٤- عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ

وَدَلَّيْلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

١٠٤٥- وَأَخُو الْجَهَّالَةِ فِي خُفَّارَةِ جَهْلِهِ

وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قال المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ -:

دَعِذَا أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا      حَقَّ الْأَدْلَةِ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ  
مَتَّوَعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ      فِي كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانِ  
مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ      لِلْحَسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - يقول: دع هذا النظر أو هذه المجادلة واسأله هل قد أبدى الله لنا حق الأدلة؛ لأن الاستفهام في قوله: (أليس الله؟) للتقرير.

والجواب: بلى بين الله لنا الأدلة عقلية وحسية وفطرية على ما أراد سبحانه، فهذا كانت أدلة القرآن أحياناً يحيل فيها على العقل وأحياناً على الحس المشاهد؛ وأحياناً يحيل على الفطرة، فمثلاً البأس أحال الله - سبحانه وتعالى - به على الشيء الواقع المشاهد؛ فقال سبحانه وتعالى في سورة فصلت بل أخبر أنه ينزل الماء على الأرض الميتة الخاشعة فإذا هي

(١) [١٠٣٨: ١٠٤٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولسنا نعرف أحدًا اختص هذا الدليل بالنقد المر اللاذع، وأبان عن تناقضه وفساده بأدلة العقل والنقل بمثل ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) و(منهاج السنة) فقد أتى فيه بما يشفي ويقنع فجزاه الله عن الإيثار وأهله خير الجزاء.

حِية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَضِيعةً فَإِذَا أُنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّتِي أَحْيَاهَا لَمُحِي الْمَوْقِعِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] هذا دليل حسي نشاهده.

أما الدليل العقلي وذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [لق: ١٥] يعني: هل عجزنا عن الخلق الأول فإذا لم نعجز فإن الخلق الثاني من باب أولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أما الفطرة فإن الإنسان مجبول بفطرته على أن يعرف ربه سبحانه وتعالى كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يَمَجِّسَانِهِ» ثم قال - ﷺ -:

أَسْمِعْتُمْ لِدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا خَيْرًا أَوْ أَحْسَسْتُمْ لَهُ بَيِّنًا؟

ما يكون الجواب. نعم، أم لا؟ لا؛ فالأدلة التي استندوا بها لا تستند لا على وحي ولا على عقل ولا على حس ولا على فطرة.

أَيَكُونُ أَصْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ؟

وسواء ليس بموجب من لم يحط علمًا به لم ينبج من كفران؟ هذا يرد به على المنطقيين الذين قالوا: إنه من لم يحط علمًا بالمنطق فليس على يقين من أمره وهذا المنطق يقول شيخ الإسلام - ﷺ - قد كنت أعلم دائمًا أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد؛ إذ لا خير فيه ما دام البليد لا ينتفع به والذكي لا يحتاج إليه فصار علمًا لا يحتاج إليه فلا ينبغي للإنسان أن يضيع عمره فيه قال:

وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

فَلَايَ شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ تَسْمَعُهُ فِي أَثَرٍ وَلَا قُرْآنٍ؟

قوله: (عنه) أي: عن الدليل الذي استندوا إليه فيما سبق وهو الاعتماد على العقل والجدل لماذا أعرض الله ورسوله عنه فلم يستدلا به؟

لَكِنِ أَتَانَا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا وَظَهُورِ أَحْدَاثِ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءَ وَحْزِيهِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ خَيْرَانَ

قوله: (الجهم) هو أصل التعطيل في الحقيقة فالجهم، بن صفوان وهو تلميذ الإمام الجعد

بن درهم لكن نسبت المقالة إلى الجهم؛ لأنه نشرها في العالم وأظهرها ونسبت إليه.

وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ التَّكْيِيرُ عَلَيْهِمْ  
صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ بَلْ رَمَوْا  
عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ  
وَأَخُو الْجَهَّالَةِ فِي خُفَّارَةِ جَهْلِهِ  
مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبِلَادَانِ  
فِي إِثْرِهِمْ بِشَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ  
وَدَلِيلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ  
وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ

المعنى: أن العلماء صاروا ينكرون على الجهم وعلى كل من سار على نهجه من كل الأقطار وعرفوا أن قولهم هذا يفضي إلى محاذير عظيمة يفضي إلى تعطيل الرب عز وجل وإلى كونه كالجماهد لا يفعل ولا يشاء ولا يتكلم ولا يلزم شرعاً فهو غاية كل بلاء يقول: (والجهل قد ينجي من الكفران) بمعنى: أن الإنسان قد يصل بعلمه إلى الكفر الذي ينجو منه الجاهل ولذلك تجدد عوام المسلمين خيراً من هؤلاء المعطلة مع ما عندهم من العلم، لكن لم يوقفوا للخير أدركوا العلم ولكن لم ينالوا به خيراً اعطوا ذكاءً ولم يعطوا ذكاءً.





## مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه:  
ليس على العرش إله يُعبد، ولا فوق السموات ربٌ  
يُصلى له ويُسجد، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً وفطرةً

قد علم وتقرّر نقلاً وعقلاً أن الله تعالى كان وليس شيء غيره من المخلوقات، ثم خلق المخلوقات وأوجد الكائنات، فيقال للمعطل: هل خلق المخلوقات بائنة عنه، أم خلقها حالة فيه. فلا بد أن يجيب بأحد الأمرين، أو بجواب ثالث وهو التحيز إلى قول الاتحادية الذين هم أخص الطوائف قولاً إن الخالق هو عين المخلوق وهؤلاء هم غلاة المعطلين، فإن قالوا إن الله خلق المخلوقات حالة في ذاته حلول الروح في الجسم، فقد زعموا أنه مفتقر ومحتاج إليها، وإن قالوا: هو لا داخل العالم ولا خارجه فقد حكموا عليه بالعدم؛ لأنهم إذا رفعوا النقيضين فهذا وصف المعدوم، وإن قالوا الحق وهو أنه خالقها بائنة عنه وهو بائن عنها فقد أقرّوا بالحق، ويلزم على هذا أن يكون علياً على خلقه مستويّاً على عرشه.

فإن قالوا: إن هذا النفي إنما يكون ينطبق على المعدوم فيما يقبل الدخول والخروج، وأما الباري فليس يقابل لواحد منهما، إذ هذا من خصائص الأجسام والله منزّه عن هذا. فيقال: هذه دعوى مجردة عن الدليل فهي ممنوعة فلا تقبل، فإن مثل هذه الدعوى دعوى المذهب والاصطلاح الذي اصطلح عليه هؤلاء المتكلمون فتكون الدعوى باطلة. ويقال ثانياً: بل يصدق نفي الشيء على القابل للشيء المنفي وغير القابل لغة وشرعاً فإنه نفي عن نفسه الظلم وهو محال عند الجهمية كما تقدم تفسيرهم للظلم أنه الممتنع لذاته، فهو وإن كان تفسيراً باطلاً ولكنهم يعتقدونه فيحسن ذكره في مقام إلزامهم، وكذلك نفي عن نفسه النوم



والسنة والطعم والولادة والزوجية وهذه ممتعة على الرحمن، وكذلك نفى عن بعض الجمادات السمع والبصر والنطق والشعور وإنما لا تخلق شيئاً وليست بقبالة لشيء من ذلك. ويقال ثالثاً: لو صح ما قالوا إن الشيء لا ينفى إلا عن المحل القابل فإنما ذلك في الضدين اللذين لا يجتمعان وقد يرتفعان، لا في التقيضين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ومسألة نفى دخوله العالم ومبايئته له من هذا القسم. ويقال رابعاً: نفيكم لقبوله للدخول والخروج يزيل وينفي وصفه بأنه واجب الوجود بل ينفي إمكانه لأنه إذا لم يقبل الدخول والخروج كان ممتعاً عقلاً وفطرة.

فإذا قال المعطل: إن نفي الأمرين القيام بالنفس والقيام بالغير باطل إذ لا يقبل أحد الأمرين إلا الممكنات والله ليس بقابل للأمرين، كان هذا من أعظم أوصاف المعدوم الممتنع، فلو قيل صفوا لنا المعدوم ما وصف بأبلغ من هذا، وهذا في الحقيقة نفى لوجود الله فلا يمكنه التفريق بين الأمرين أبداً، وإن طرد الأمرين ظهر كفره وإلحاده. والله أعلم.



## فصل

في الرد على الجهمية المعطلّة القائلين  
بأنه ليس على العرش إله يعبد  
ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد ،  
وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلًا ولغته وفطرة

١٠٤٦- وَاللّٰهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ

وَبَرَى الْبَرِيَّةَ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

١٠٤٧- فَسَلِ الْمُعْطِلَ هَلْ يَرَاهَا خَارِجًا

عَنْ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ

١٠٤٨- لِأَبَدٍ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أَنَّهَا

هِيَ عَيْنُهُ مَا تَمَّ مَوْجُودَانِ

١٠٤٩- مَا تَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا

شَيْءٌ مُّغَايِرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٠٥٠- لِأَبَدٍ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَالَهَا

مِنْ رَابِعٍ خَلُّوا عَنِ الرَّوْعَانِ

١٠٥١- وَلِذَٰكَ قَالَ مُّحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي

رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

١٠٥٢- هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ

أَنْى وَلَيْسَ مُّبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟

١٠٥٣- كَلًّا وَلَيْسَ مُّحَايِثًا أَيضًا لَهَا

فَهُوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعَيْنَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٠٤٦: ١٠٥٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

اعلم أن هذه الصفة وهي استواؤه تعالى على عرشه بمعنى علوه وارتفاعه على العرش بذاته على الكيفية التي يعلمها هو سبحانه من أظهر ما وقع فيه النزاع بين أهل السنة وبين خصومهم، وكانت الشبهة التي سولت هؤلاء المعطلة نفي الاستواء وغيره من الصفات التي وردت بإثباتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة أن هذه الصفات من لوازم الأجسام الحادثة، فلو اتصف الله بها على الحقيقة لكان جسماً، والله منزّه عن الجسمية ولوازمها، ولا يخفي ما في هذه الشبهة من المغالطة، فإننا ثبت هذه الصفات لله على ما يليق به سبحانه، فلا ننفىها كما نفتها المعطلة، ولا نمثلها بصفات خلقه كما فعلت الممثلة، وبذلك لا يقتضي إثباتها جسمية ولا حدوداً، ولا يلزمنا ما أورده من اللوازم لكنهم توهموا أن معاني هذه الصفات في الغائب لا يمكن أن تعقل إلا كما هي في الشاهد، فقاسموا الله عز وجل على خلقه وظنوا أن مقتضى التنزيه هو نفي هذه الصفات رأساً، دون الاكتفاء بنفي المماثلة عنها، فجرهم هذا الغلو في التنزيه إلى الوقوع في التعطيل وجحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، وتوسعوا في صفات السلوب، حتى يخيل لمن يطالع كتبهم أنهم لا يعنون بهذه الصفات شيئاً موجوداً متحقق الثبوت، وإنما يصفون بها أمراً افتراضياً صرفاً لا حقيقة له، وكأني بك أيها القارئ تنظر إلي في دهشة وتساألني في عجب من أين هؤلاء ذلك النفي الصرف والتجريد المحض، وهو لا أصل له في دينهم، ولا دليل عليه من كتاب ربهم ولا من أقوال نبيهم، ولا هو مما نقل عن أحد من سلف هذه الأمة الذين هم أكملها علماً وإيماناً، وهل يعقل أن هؤلاء المعطلة قد علموا من حقائق التنزيه ما لم يعلمه الله ولا رسوله ولا أحد من سلف هذه الأمة؟ وإني أقول لك: مهلاً أيها القارئ الكريم، فسأحدثك عن الأسباب التي أوقعت هؤلاء في تلك الفتنة وأوردتهم موارد الهلكة، حتى يبطل بذلك عجبك وتزول دهشتك؛ لقد نظر قدماء هؤلاء المعطلة في كتب فلاسفة اليونان وغيرهم، فوجدوا آخر مجرداً عن المادة وعلاقتها، فهو ليس بجسم ولا عرض ولا بذّي صورة ولا مقدار ولا كيفية ولا يشار إليه بالإشارة الحسية بأنه هنا أو هناك، ولا يجوز عليه قرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال، ولا صعود ولا نزول إلى آخره ما نعتوه به من السلوب التي تحيل وجوده وتجعله من قبيل المعدومات والممتنعات.

وكان الفلاسفة يقولون أن هذا الوجود المجرد هو أكمل من الوجود المادي لأنه لا يجوز عليه التغيير والاستحالة ولا تحله الأعراض، وكانت المجردات عندهم هي الله والعقل والنفس والهيولى والصورة. فلما رأى المعطلة ما قال الفلاسفة فرحوا به فرحاً شديداً، وظنوا أنهم وقعوا على كنز ثمين، وأنهم عثروا على مفتاح السر الذي يتيح لهم حل الألغاز والمعميات فقالوا: وما لنا لا نثبت هذا النوع من الوجود وإن كنا لا نحسه ولا نراه، وليس عندنا عنه أثر ولا خبر. ألم يثبت قبلنا أرسطو وأفلاطون، وهما بلا شك أصح منا عقولاً وأجود أذهاناً، ولكننا لا نجعل هذا الوجود الكامل إلا لله وحده ولا نصف به شيئاً من هذه الموجودات الممكنة. هذا هو أصل تلك الأكذوبة التي رجت وانتشرت حتى عمّت الأرجاء والأقطار، وأفسدت بسمها

١٠٥٤- إن لم يكن فوق الخلائق ربُّها

فالقول هذا القول في الميزان

١٠٥٥- إذ ليس يعقل بعد إلا أنه

قد حلَّ فيها وهي كالأبدان

١٠٥٦- والروح ذات الحق جلَّ جلاله

حلَّت بها كمقالة النصراني

١٠٥٧- فاحكم على من قال ليس بخارج

عنها ولا فيها بحكم بيان

١٠٥٨- بخلافه الوحيين والإجماع والـ

عقل الصريح وفطرة الرحمان

١٠٥٩- فعليه أوقع حد معدوم بلى

حدُّ المحال بغير ما فرقان

١٠٦٠- يا للعقول إذا نقيتم مخبراً

المهلك كثيرًا من العقائد والأفكار، وانخدع بها كثير من أهل الفضل والصلاح ممن لهم في علوم الحديث والآثار قدم راسخة، ولكن لا نقول إلا كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

إننا يا قوم معكم في أن الله ليس جسمًا بالمعنى الذي اصطلاح عليه أهل الكلام والفلسفة، فهو ليس مركبًا من تلك الجواهر المفردة التي يزعمها المتكلمون، ولا من الهوى والصورة التي يهرف بها الفلاسفة، ولكننا مع ذلك لا نعقل موجودًا ليس في مكان ولا حيز له ولا جهة ولا يشار إليه، ولا يوصف بقرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال. إلخ، ما ذكرتموه من نعوت هذا الوجود الذي تسمونه مجردًا، وهل من الضروري أن يكون وجود الرب على هذا النحو الذي يقتضي نفي كل صفة محضة، أو ليس أحسن من ذلك وأقوم أن نثبت له سبحانه وجودًا خاصًا به هو أكمل من هذه الموجودات الممكنة، ويكون هذا الوجود قابلاً للاتصاف بكل هذي الصفات على وجه لا يكون مماثلًا لاتصاف المخلوق بها، بل لا يكون هناك تشابه ولا اشتراك إلا في مسمى الاسم الكلي المتناول لأفراد تلك الصفة المتباينة في وجودها العيني.

وَنَقِيضُهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ

لَا يَصْدُقَانِ مَعًا لِذِي الْإِمْكَانِ

١٠٦٢- إِلَّا عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفِيهِ

مُتَحَقِّقِ بَدَاهَةِ الْإِنْسَانِ

١٠٦٣- أَيْصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ

ذَاتَانِ لِأَبِ الْغَيْرِ قَائِمَتَانِ

١٠٦٤- لَيْسَتْ تُبَايِنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخِي

رَى أَوْ تُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالَ فَهُوَ ذَا

فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أراد المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - بهذا الفصل الرد على الجهمية المعطلة الذين يقولون: ليس الله فوق

العرش، فأراد - رَحِمَهُ اللهُ - أن يلزمهم بأحد أمور ثلاثة أولها قوله:

وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَبَسْرَى الْبَرِيَّةِ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

يعني: أن الله كان وليس شيئاً غيره أي: كان ولم يكن شيئاً معه ولا قبله سبحانه وتعالى،

وقوله: «وبرى البرية» يعني: خلقه، والبرية على وزن فعيلة بمعنى: مفعولة.

وقوله:

فَسَلِ الْمُعْطَلِ هَلْ يَرَاهَا خَارِجًا عَنِ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ

«ذان» اسم إشارة والمشار إليهما أنها خارجاً عنه أو في ذاته أي: لا بد من إحداهما أو أنها

هي عينه وهذا هو الاحتمال الثالث وقوله: «ما ثمَّ موجودان» أي: ما ثم مخلوق وخالقه وما

شيء مغاير وخلاصة الأمر أنه لا بد من إحدى ثلاث ما لها من رابع بأن نقول: إن المخلوقات هي عين الخالق، أو نقول: خلقها في ذاته، أو: خلقها خارج ذاته ولا يمكن أن تجد قسمًا رابعًا ولذلك قال: (خلوا عن الروغان) فلما رأى أهل وحدة الوجود أن هذا التقسيم حاصل، قال:

وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدْعِي الْعِرْفَانَ  
هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

يعني أنهم قالوا إن الله - عز وجل - هو عين هذا الكون أي: ما يوجد خالق ولا مخلوق، وأن الكون خالق مخلوق - أي: على زعمهم - فالكون هو الله - نسأل الله العافية - وسبق لنا أنهم قالوا: إن السماء هي الله، والإنسان هو الله، والبعير هو الله وهكذا.  
ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟

قوله: «ليس مبين الأكوان» أي: ليس باثنا من الخلق وإذا كان كذلك لزم أن يكون هو الخلق. كلاً وَلَيْسَ محايثاً أيضاً لَهَا فَهوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعَيْنَانِ

قال ابن القيم:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبُّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

يعني: إن لم نقل إن الله فوق كل شيء صار هذا القول هو القول يعني: هو القول الراجح في الميزان، وإن لم نقل إن الله فوق كل شيء لزم أن نقول: إنه عين كل شيء؛ لأنه إذا قلنا إن الله ليس فوق السموات وليس فوق الخلق ولا عن يمين ولا شمال ولا تحت ولا أمام ولا خلف لزم.

أن يكون هو عين الخلق، لكن إذا قلنا: إنه فوق العرش سلمنا من هذا، والمقصود أن قول الجهمية المعطلة يهائل تماماً قول الاتحادية القائلين بوحدة الوجود؛ لأنهم يقولون: إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا مبين ولا متصل - ولا منفصل إذا ماذا يكون ذلك إلا عدم - إذا هو الكون نفسه أي ضمن المخلوقات ولهذا قال:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبُّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدَ إِلا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهِيَ كَالْأَبْدَانِ



وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلُّ جَلَالُهُ حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِي  
يعني: إذا قلنا إنه ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال لزم أن يكون حالاً في الخلق  
فيكون الخلق بمنزلة الجسد والخالق بمنزلة الروح كمقالة النصارى الذين يقولون: إن الله  
حلَّ في عيسى - والعياذ بالله - فجعلوا عيسى جسداً وجعلوا الله روحاً.

فَاحْكُمْ عَلَى مَنْ قَالَ لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانٍ  
بِخِلَافِهِ الْوَحِيِّنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَانِ  
فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ بَلَى حَدَّ الْمُحَالِ بَعِيرٍ مَا فُرْقَانِ

قوله المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ -: (من قال ليس بخارج عنها) أي: عن المخلوقات وفاعل خارج  
يعود على الله.

وقوله: (ولا فيها) يعني: داخل بحكم بيان.

وقوله: (بخلافه الوحيين) أي: الكتاب والسنة.

وقوله: (والإجماع والعقل الصريح وفترة الرحمن)؛ لأن كل هذه الخمسة تطابقت على  
إثبات علو الله - عز وجل - وأنه فوق كل شيء. فالقرآن مملوءٌ بذكر علو الله كما قال تعالى:  
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾،  
﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ والآيات كثيرة أكثر مما تحصى.

وفي السنة: اجتمعت أنواع السنة الثلاثة: القول والفعل والإقرار: أما القول فإن النبي  
عليه الصلاة والسلام كان يقول في سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»<sup>(١)</sup>، وأما الفعل: فإنه  
حينما سأل الناس وهو يخطبهم يوم عرفة: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»<sup>(٢)</sup>  
ورفع أصبعه إلى السماء وينكثها إلى الناس، وأما الإقرار: فسأل الجارية أين الله؟ قالت: في  
السماء قال: «اعْتَقِفْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الإجماع فقد أجمع السلف من الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم على أن الله

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) رواه البخاري (١٧٤٢).

(٣) رواه مسلم (٥٣٧).

تعالى فوق كل شيء وأنه استوى على العرش.

وأيضاً العقل الصريح: وهو العقل السالم من الشبهات والشهوات؛ لأن صريح كل شيء هو الخالص منه فالعقل السالم من الشهوات والشبهات يشهد بأن الله تعالى فوق كل شيء وأن العلو من صفاته، وذلك لأننا لو سألنا: هل العلو صفة كمال أو صفة نقص؟ قال كل أحد بل صفة كمال. وإذا كانت صفة كمال فإن الرب أحق بالكمال من غيره فيكون العقل دالاً على علو الله عز وجل.

أما الفطرة فكل إنسان يقول: يا الله فلا يرتفع قلبه إلا إلى السماء وهذا شيء مشاهد فلا يمكن أن يميل قلبك إذا قلت: يا الله إلى أسفل ولا إلى يمين ولا إلى شمال وهذه دلالة الفطرة ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ بَلَى حَدَّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ

أي أن قولهم لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا متصل ولا منفصل أوقع على الله حد المعدوم الذي لا وجود له.

يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ مَخْبِرًا وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ  
إِذْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعًا لِذِي الإِمْكَانِ  
إِلَّا عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ بِبَدِيهِةِ الإِنْسَانِ  
أَيُّصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لِأَبِ الْغَيْرِ قَائِمَتَانِ

قوله: (يا للعقول) هذا مستغاث ومستغاث له فاللام تدخل على المستغاث به فتفتح وتكسر في المستغاث له فتقول: يا لله للمسلمين وهنا يا للعقول أم يا للعقول الظاهر أنه يستغيث للعقول فتكون يا للعقول.

وقوله: (يا للعقول إذا نفيتم مخبراً... ونقيضه هل ذاك في إمكان) يعني أنه لا عقول لكم فأنا أستغيث الله أن يهب لكم عقولاً.

وقوله: (إذا نفيتم مخبراً ونقيضه) مثل لا داخل العالم ولا خارجه فنفوا كونه داخلياً ونفوا كونه خارجياً وهذا لا يصح؛ لأن نفي النقيضين محال فهو إذا لم يكن داخلياً لزم أن يكون خارجياً وإذا لم يكن خارجياً، لزم أن يكون داخلياً فأبي عقل يقول لا داخلياً ولا خارجياً فمن

يصدق بهذه القضية يكون ليس لديه عقل إطلاقاً ولهذا تضيع للعقول.

إِذْ كَانَ نَفِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعًا لِذِي الْإِمْكَانِ

إِلَّا عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٍ بِبَيْدِهِةِ الْإِنْسَانِ

يعني: أن نفي الدخول والخروج معاً لا يصدقان إلا على شيءٍ عدم فالذي ليس بداخل ولا خارج معناه أنه (عدم صريح نفيه متحقق) فكان نفي خبر ومتحقق مبتدأ وخبر صار؟ متحقق بالرفع، وإذا قلنا إلا على عدم صريح نفيه فمتحقق: تكون صفة لعدم فيجوز فيها الوجهان الجر والرفع.

أَيُّصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ

الجواب عن ذلك لا يصح؛ لأنه لا يمكن أن نقول ذاتان ليست كل واحدة قائمة بنفسها، قوله: (ذاتان لا بالغير) يعني: ليست كل واحدة قائمة بغير الأخرى، والمعنى أنه لا يصح أن نقول: عندنا ذاتان: ذات الخالق وذات المخلوق، وأن كل واحدة منهما ليست قائمة بنفسها، فهذا لا يصح أبداً.

لَيْسَتْ تُبَايِنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخْرَجِ أَوْ تَحَايِثُهَا فَتَجْتَمِعَانِ

إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهَوَ ذَا فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانَ

المعنى: لا بد إذا أثبتتم لله ذاتين أن تكون إحداها خارجة عن الأخرى أو داخلية فيها، أما أن تقول لا داخل ولا خارج فهذا لا يمكن؛ لأن هذا شيء مستحيل، إلا إذا قلت بيقول أهل وحدة الوجود: أن الرب عين العبد. فحيثئذ تسلمون من هذا، لكن تأتون بمحالٍ أنكر منه وأشد. (المحاينة) ضد المباينة يعني: تتصل بها.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٦٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي

هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُثْمَانٍ

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَتَنِّي دُخُولِهِ

- وَحُرُوجِهِ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانٍ  
 ١٠٦٨- فَيَقَالُ: هَذَا أَوْلَا مِنْ قَوْلِكُمْ  
 دَعَاؤِي مُجَرَّدَةٌ بِلَا بُرْهَانَ  
 ١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارْقُوا الْـ  
 — وَحْيِ الْمُبِينِ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ  
 ١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنِ قَابِلٍ  
 وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودِ كُلِّ لِسَانٍ  
 ١٠٧١- أَنْسَيْتَ نَفْيِ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلِكَ الظُّـ  
 لِمُ الْمُحَالُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ؟  
 ١٠٧٢- وَنَسَيْتَ نَفْيِ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ الَّتِي  
 لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ؟  
 ١٠٧٣- وَنَسَيْتَ نَفْيِ الطَّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا  
 مَقْبُولَةٍ وَالنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ؟  
 ١٠٧٤- وَنَسَيْتَ نَفْيِ وِلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ  
 وَهَمَّا عَلَى الرَّحْمَنِ مُمْتَنِعَانِ  
 ١٠٧٥- وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ  
 مَيِّتٌ أَصْمٌ وَمَالُهُ عَيْنَانِ  
 ١٠٧٦- وَكَذًا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ  
 وَالخَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ  
 ١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلذِّي  
 يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ  
 ١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيْضًا ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هــ

ذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ

١٠٧٩- لَا فِي التَّقْيِضِينَ اللَّذِينَ كِلَاهُمَا

لَا يَتَبَيَّنَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يريد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن يبين أن: هؤلاء الذين نفوا خلوا الله على عرشه وقالوا: إن هذا التقسيم الذي ذكرتم بأنه إما أن يكون العالم خارج الله عز وجل، أو داخلاً فيه، أو هو الله، قال: إنما يكون هذا فيما هو قابل لذلك أما ما ليس بقابل فإنه يصح أن ينفي عنه التقيضان فمثلاً الجدار يصح أن نقول: أنه لا يظلم لأنه غير قادر فإذاً نقول ليس بظالم ولا عادل ننفي عنه الأمرين؛ لأنه ليس بقادر.

والمعنى أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: إن قولكم هذا الشيء قابل أو غير قابل هذه دعوى مجردة.

فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُثْمَانٍ

في بعض الطبقات جسمان والصواب (جثمان) بالثاء.

وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَتَنِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانٍ

يعني: زعتمت أنه لا يصح في الدخول والخروج فيما هو قابل من الأجسام والجثمان.

فَيُقَالُ: هَذَا أَوْلاً مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ بِلَا بُرْهَانٍ

يعني: أن قولكم: إن الشيء يجوز نفي وجوده وانتفائه إذا كان مضافاً إلى غير قابل، هذه

دعوى مجردة.

ذَلِكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الـ وَحِي الثَّبِينِ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

يعني: بذلك أهل المنطق والفلسفة فهم الذين قالوا: إنه يقال لا داخل ولا خارج؛ لأنه

ليس بقابل للدخول والخروج، فيقال: إن هذا اصطلاح منهم فإنه يصح أن ينفي الشيء عما

ليس بقابل له كما سيأتي، والمعنى أنهم فارقوا الوحي وأحلوا بدلاً منه حكمة اليونان.

وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيَهُ عَنْ قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودٍ كُلِّ لِسَانٍ

قوله: (والشيء يصدق نفيه عن قابل... وسواه) يعني يصح أن ينفي الشيء عما يقبله وما لا يقبله في معهود كل لسان.

أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلُكَ الظُّ لِمُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ؟  
قوله: (الظلم عنه) أي: عن الله.

وقوله: (وقولك ال... ظلم المحال) هذا قول الجهمي والمعتزلي فهما يقولان: إن الظلم محال على الله فلا يتصور فيه الظلم، ومع ذلك فالله - سبحانه وتعالى - نفاه عن نفسه إذا نفى الشيء عما ليس بقابل له فدل هذا على أن الشيء يصح نفيه عما ليس بقابل له، حتى في إقراره، فأنت تقول: إن الظلم محال على الله ولا يمكن أن تصف به الله ومع ذلك فقد نفاه الله عن نفسه ولهذا يقول: (أنسيت نفي الظلم عنه وقولك ال... ظلم المحال) يعني: أن الظلم محال أن يقع من الله وسبق توجيهه وأنهم يقولون: إن الظلم هو تصرف الفاعل في غير ملكه والله - تعالى - إذا تصرف في ملكه في أي شيء فهو ليس بظالم.

وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ؟

وقوله: (ونسيت نفي النوم والسنة) أي: نفي النوم والسنة كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ مع أن الله ليس بقابل لذلك ولهذا قال: (التي... ليست لرب العرش في الإمكان).

وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطَّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَةٍ وَالنَّفْيُ فِي الْقُرْآنِ؟

قوله: (ونسيت نفي الطعم عنه) كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله: (وليس ذا... مقبولة) يعني: ليس مقبولاً له؛ لأنه لا يمكن أن يكون الله - تعالى - محتاجاً إلى الطعام ولا طاعماً للطعام وذلك في القرآن.

وَنَسَيْتَ نَفْيَ وِلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ وَهُمَا عَلَى الرَّحْمَنِ مُمْتَنِعَانِ

قوله: (ونسيت نفي ولادة أو زوجة) كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَنِي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ فهذا على الرحمن ممتنعان.

وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيْتٌ أَصَمٌّ وَمَالُهُ عَيْنَانِ

وَكَذًا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْحَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التِّيَّانِ

هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قُبُولٌ لِلذِّي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ  
 قوله: (والله قد وصف الجهاد بأنه ميت) كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ مع أنها جمادات فاللات والعزى ومناة وصفها بأنها ميتة مع أنها غير قابلة لذلك، إذا فالشيء يثبت فيما لا يقبله وينفى عما لا يقبله من فكيف تقولون إننا إذا قلنا إن الله لا داخل ولا خارج فإن هذا وصف صحيح؛ لأنه غير قابل؛ لأن يكون داخلاً أو خارجاً؟ نقول لهم: حتى وإن كان غير قابل فإن هذا لا يصح. ثم قال: (وكذا نفى عنه الشعور ونطقه... والخلق) ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قُبُولٌ لِلذِّي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ  
 يعني هذه الأشياء جماد ما هي من الحيوان التي ينفى عنها الموت أو الشعور ومع ذلك نفاه الله عنه.

وَيُقَالُ أَيضًا ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هـَذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ  
 لَا فِي التَّقْيِضِينَ اللَّذِينَ كِلَاهُمَا لَا يَتَّبَعَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ  
 هذا هو الوجه الثاني، والوجه الأول عرفناه هو أن دعواكم أن هذا الشيء قابل للشيء فينفي عنه أو يثبت، هذه دعوى مجردة غير مقبولة.

ثانِيًا: لو سلمنا بذلك جدلاً بأن يكون في التقيضين وهما الوجود والعدم فنجدهم يقولون: لا تصف الله بأنه موجود ولا بأنه معدوم، فإذا كان لا موجود ولا معدوم فأى شيء يكون؟ لا بد أن يكون إما موجوداً وإما معدوماً باتفاق العقلاء؛ لأن التقابل بين الوجود والعدم تقابل سلب وإيجاب لا تقابل عدم ملكه فتقابلهما من باب تقابل التقيضين، والتقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان يعني لا يمكن أن يجتمعا ولا يمكن أن يرتفعا، إذا لا بد من وجود أحدهما، فأنت إذا قلت: إن الله لا يوصف بأنه موجود ولا بأنه معدوم ماذا صنعت؟ رفعت عنه التقيضين وهذا محال ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ أَيضًا ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هـَذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ  
 قوله: (هذا الشرط) والشرط هو: أن الإثبات والنفي لا يصح رفعهما فيما كان قابلاً لهما

يعني: أنه لا يصح نفيها وإثباتها إلا لما كان قابلاً فنقول: هذا يصح في الضدين أما في النقيضين فلا. إذاً نحتاج إلى معرفة الفرق بين الضدين والنقيضين، والفرق بينهما: أن الضدين لا يجتمعان ولكن يمكن أن يُرفعا جميعاً، وأما النقيضين لا يجتمعان ولا يمكن أن يرتفعا جميعاً، مثال: السواد والبياض ضدان؛ لأنها لا يجتمعان إذا كان الشيء أسود فليس بأبيض وإذا كان أبيض فليس بأسود فلا يمكن أن يكون الشيء أسود وأبيض في آن واحد لكن هل يمكن أن يرتفعا؟ نعم، يرتفع الأسود والأبيض ويحل محلها الأحمر فمثلاً هذا الثوب أبيض أو أسود أو أحمر فإذا قلت: إنه أسود لم يكن أبيض وإذا قلت أبيض لم يكن أسود هل يمكن أن تقول: ليس أبيض ولا أسود؟ نعم، فما يكون؟ أحمر. هذان ضدان.

لكن الوجود والعدم هذان نقيضان فمثلاً إذا قلت عن شيء: إنه غير موجود لزم أن يكون معدوماً، وإذا قلت عنه: إنه معدوم لم يكن موجوداً معروفاً، فإذا كان الشيء معدوماً لم يكن موجوداً، وإذا كان موجوداً لم يكن معدوماً. لكن إذا كان أسود ليس بلازم أن يكون أبيض، قد يكون أحمر. فابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - يقول: (لو صح هذا الشرط) وهو أنه يجوز نفي الضدين عما ليس لهما لما صح في (النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان) ومعنى يرتفعان: لا يجتمعان.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٨٠- وَيَقَالُ أَيْضًا نَفْيُكُمْ لِقَبُولِهِ

لَهُمَا يَزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ

١٠٨١- بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ

بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

١٠٨٢- فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ إِنْ قِيَامُهُ

بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانٍ

١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ دَيْنِكَ أَل-

أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

- ١٠٨٤- جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا  
عَرَضٌ يَقُومُ بغيرِهِ أَخَوَانِ
- ١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ  
مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ
- ١٠٨٦- فَكِلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً  
وَكَِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيِّئَانِ
- ١٠٨٧- مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ  
فِي النَّفْيِ صِرْفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟
- ١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا  
ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيِ فِي الْبُطْلَانِ
- ١٠٨٩- فَوَزَانِ هَذَا النَّفْيِ مَا قَدْ قُلْتَهُ  
حَرْفًا بِحَرْفٍ أَنْتَمَا صِنَوَانِ
- ١٠٩٠- وَالْخَصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَا هُوَ قَابِلٌ  
لِكِلَيْهِمَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ
- ١٠٩١- فَافْرُقْ لَنَا فَرْقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الـ  
إِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ
- ١٠٩٢- أَوْ لَا فَاعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ  
الْفَشْرَ عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْهَذْيَانِ

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُقَالُ أَيْضًا نَفْيَكُمْ لِقَبُولِهِ لهُمَا يَزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ

يعني: إذا قلت: إن الله ليس بقابل لهما والضمير هنا يعود على كونه داخل العالم وخارج

العالم، يعني: ليس بقابل أن يكون داخل العالم، أو خارج العالم وإذا كان ليس بقابل جاز أن ننفيها عنه فنقول ليس بداخل ولا بخارج كما يصح أن نقول في الجدار: إنه ليس ظالمًا ولا غير ظالم؛ لأنه لا يقبل، فنقول لهم: إذا قلت: إنه ليس بقابل لهما فإن هذا (يزيل حقيقة الإمكان) يعني يجعل الشيء الممكن مستحيل كيف؟! ذلك بينه قوله:

بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

يعني: علينا أن نسأل ذلك الرجل المعطل الذي يقول: إن الله ليس بقابل أن يكون داخل العالم أو خارجه نسأله هل قام بنفسه أو غيره؟ نجده لا يستطيع أن يقول: لم يقم بنفسه أو غيره؛ لأنه إن قال: لم يقم بنفسه لزم أن يكون محتاجًا إلى الغير، فحيثُذ يكون وصف الله بأقبح مما لو قال: إنه قائم بنفسه لذلك ليس له مفر؛ لأنه سؤال مخرج، فعندما نقول له: إذا قلت إنه ليس بقابل أن يكون داخل العالم وخارجه يجب أن تقول ليس بقابل أن يكون قائمًا بنفسه أو غيره وهذا لا أحد يقول به فإنه لا بد أن يكون قائمًا بنفسه أو غيره، فنقول له: ما هذا التكلف وما هذا التنطع وهل الصحابة سلكوا هذا المسلك؟ لا، ما ناقشوا هذا النقاش لكن علماء السلف ولاسيما في العصور الوسطى اضطروا إلى هذا البحث الذي قد يقول القائل إنه لا ينبغي أن نبحثه في الله - عز وجل - ولا أن نتكلف فيه لكنهم اضطروا إلى ذلك؛ لأنهم ابتلوا بقوم يتكلمون بمثل هذه الأمور من أجل نفي الله حقيقة؛ لأن حقيقة قولهم أنه ليس هناك إله إذا قالوا: ليس الله بداخل العالم ولا بخارجه، فكل إنسان يفهم على فطرته أن الشيء الذي ليس داخل العالم ولا خارجه شيء معدوم وهم يخاطبون الناس بعقولهم وفطرتهم فإذا سمعوا مثل هذا الكلام قالوا: إذا ما يوجد رب؛ لذلك اضطرت العلماء كشيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم من أئمة العلم إلى الخوض في هذا الأمر وإلا فإن الإنسان يقول: ما لنا ولهذا البحث الذي قد يكون تصوره صعبًا فضلًا عن إقراره أو نفيه، نقول: لأننا إذا ابتلينا فلا ينبغي أن نجعل الباطل في الميدان يركض حيث شاء وينصرف حيث شاء بل لا بد أن ندخل المعركة حتى يتبين الأمر فهنا - رَحِمَهُ اللهُ - يقول:

بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

قوله: (بل ذا كنفى قيامه بالنفس أو بالغير) وهذا شيء مستحيل لا يمكن لأحد أن

يقول: إن الله ليس قائماً بنفسه ولا بغيره.

فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ  
إِذ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ الـ  
بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بَطْلَانٍ  
أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

قوله: (فإذا قال المعطل: إن قيامه بالنفس أو بالغير ذو بطلان) يعني: إننا لا يمكن أن نقول: إنه قائم بالغير؛ لأن هذا أمر معلوم البطلان إذ أن الله غنيٌّ عن كل أحد، ولو قلنا: إنه قائم بغيره لزم ألا يصح أن يكون ربًّا؛ لأنه يلزم منه إذا كان قائماً بغيره أن يكون محتاجاً لذلك الغير بل وأن يكون مسبوقاً بذلك الغير؛ لأنه محتاج إليه.

إِذ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ الـ  
جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا  
أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ  
عَرَضٌ يَقُومُ بْغَيْرِهِ أَحْوَانٍ  
فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ  
مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ

يعني: إن الشيء الذي يقوم بنفسه جسم، والذي يقوم بغيره عرض، فالطول والقصر والصحة والمرض هذه تقوم بالغير فهي عرض والذات هذا جسم فهم يقولون: إن الله منزّه عن الأجسام والأعراض فلا تقل الله جسم، ولا تقل أنه عرض، ولا تصفه بالصفات التي تستلزم أن يكون جسمًا أو عرضًا على زعمهم، فلهذا نفى الجسم عندهم ونفى العرض بالنسبة لله أمر ممكن؛ لأنه غير قابل لذلك يقول:

جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا  
عَرَضٌ يَقُومُ بْغَيْرِهِ أَحْوَانٍ

يعني: أنك إن قلت: إنه قائم بنفسه شبهته بالجسم، وإن قلت قائم بغيره شبهته بالعرض.

فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ  
مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ

يعني: قوله: (في حكم إمكانه) أن هذا ممكن وليس بواجب فممكن أن يقوم بغيره أو بنفسه (وليس بواجب) أي: أنه يجوز أن ننفي الأمرين عنه، ولكننا نقول: الواقع أنه يجب أن يكون إما قائماً بنفسه، وإما قائماً بغيره ولسنا في ذلك نحيد، فكذلك أيضًا نقول: بالنسبة لكونه داخل العالم أو خارجه لا بد من أحد الأمرين إما داخل وإما خارج وإما الأمر الثالث وهو الوحدة بأن يكون هو عين الخلق فإذا قلت: ليس بداخل فيه ولا خارج منه فقل هو

عينه وهذا من عقيدة القائلين بوحدة الوجود.

فَكِلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفِيهِ سَيِّانِ

يعني: أن الجسم ما قام بنفسه، والعرض ما قام بغيره، ولا شك أن الجسم والعرض أخوان في حكم الإمكان فتكون كل واحدة من هاتين الصفتين أعني: القيام بالنفس والقيام بالغير صفة لممكن وما كان<sup>(١)</sup>.

إذ المؤلف صار مع قومٍ يقولون: إنه ليس بقائم على تقدير قول من يقول، ليس بقائم بنفسه ولا قائم بغيره نقول لهم: إن هذا يساوي تمامًا قول القائل لا داخل العالم ولا خارجه، فإذا كان يستحيل أن لا يكون قائمًا بنفسه أو بغيره فيستحيل أن لا يكون داخل العالم ولا خارجه يعني: لا بد أن يكون قائمًا بنفسه أو بغيره فإذا كان كذلك فلا بد أن يكون داخل العالم أو خارجه هذه كهذه، فيكون قوله: (فكلاكما) يشير إلى الذي يقول: لا داخل العالم ولا خارجه، والذي يقول: لا قائم بنفسه ولا بغيره مع أن الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الأول يقولون: إن الله قائم بنفسه ويقولون: مستحيل أن نقول: لا قائم بنفسه ولا بغيره فنقول: إذا جعلتم هذا مستحيلًا فاجعلوا الثانية - لا داخل ولا خارج -؛ مستحيلًا، وإذا جعلتم لا داخل العالم ولا خارجه ممكنًا فاجعلوا لا قائم بنفسه ولا بغيره ممكنًا ولذلك قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَكِلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفِيهِ سَيِّانِ

مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي النَّفْيِ صِرْفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ

يعني: يقال: لمن قال: لا داخل العالم ولا خارجه كيف ترد على من قال: لا قائم بنفسه ولا بغيره؟ لا يمكن أن ترد عليه؛ لأنك إذا رددت عليه قال لك: إن كان ما أقوله مستحيلًا فما تقول أنت كذلك مستحيل.

وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيِ فِي الْبُطْلَانِ

(١) هنا حَدَّثَ حَخْلٌ فِي مَادَّةِ الشَّرِيْطِ وَأَكْمَلْنَا الْكَلَامَ مِنْ شَرْحِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيلِ هِرَاسٍ حَيْثُ قَالَ:

ممكنًا فليس بواجب، فلا يجوز أن تقع واحدة منها صفة للواجب، وبذلك يكون الترديد بينها فاسدًا، فيقال له: عن وضع النقيضين هنا بأن يقال: لا قائم بنفسه ولا بغيره مستلزم لنفي حقيقة الإله كما استلزمه رفعها في قولكم.

فَوَزَانِ هَذَا النَّفْيِ مَا قَدْ قُلْتُهُ حَرْفًا بِحَرْفٍ أَتَمَّ مَا صَنَوَانِ  
صار الكلام يجعل نشأة هؤلاء وهؤلاء بين ما يقولون: إنه يمكن أن يكون داخل العالم  
وخارجه ومن يقولون: لا يمكن أن نقول: إنه لا قائم بنفسه ولا بغيره.

وَالْخَصْمُ يَزَعُمُ أَنْ مَا هُوَ قَابِلٌ لِكِلَيْهِمَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانٍ  
قوله: (الخصم) يعني: أهل السنة الذين يقولون: «ما هو قابل لكليهما فكقابل لمكان»  
يعني: أنه يقبل المكان أو لا يقبل؟ يقبل، فالله تعالى في مكانه وهو فوق كل شيء لكنه ليس  
مكانًا محيطًا به.

فَأَفْرُقْ لَنَا فَرْقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الِإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ  
أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ الْفِشْرَ عَنْكَ وَكثْرَةَ الْهَدْيَانِ  
قوله: (فافرق لنا فرقًا يبين مواقع الإثبات والتعطيل) يعني: يبين أن هذا ممكن وهذا غير  
ممكن وقوله: (أو لا) يعني: لا تفرق.

وقوله: «فأعط القوس باريها» هذا مثل يضرب بالشخص الذي لا يحسن الشيء يقال له:  
اعط القوس باريها؛ لأن باري القوس الذي يبريها ويصنعها أعلم بها (فأعط القوس باريها  
وخلّ الفشر عنك وكثرة الهديان) الفشر: الكلام اللغو الذي ليس فيه فائدة فكلامك إذا لغو.

خلاصة هذا الفصل كله أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يريد أن يلزم نفاة العلو بثلاثة احتمالات: إما  
أن يكون داخل العالم، أو خارج العالم، أو هو العالم بعينه وليس فيه خروج عن هذه  
الثلاث. وهم لا يمكن أن يقولوا: أنه هو نفس العالم؛ لأنهم يكفرون من يقول بذلك،  
فنقول: إذا يلزمكم أن يكون إما داخلًا وإما خارجًا، وهم يقولون: لا داخل ولا خارج  
وهذا لا يمكن؛ لأنه لا يمكن أن ترفعوا الدخول والخروج، فيقولون: إن ذلك ممكن لأن  
الله غير قابل لهذين الوصفين ومن كان غير قابل صح نفيهما عنه كما تقول: الجدار لا يظلم  
ولا يعدل فتنتفي عنه النقيضين؛ لأنه غير قادر.

ونرد عليهم بثلاثة أوجه كما بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

الوجه الأول: أن قولكم إن النفي والإثبات لما يكون في المكان قابلاً، هذه دعوى مجردة؛  
لأن الله سبحانه وتعالى نفى الحياة وأثبت الموت للجهاد في الأصنام التي تُعبد، والجهاد ليس

قابلاً للحياة التي هي حياة الحيوان ومع ذلك نفى الله عنه الحياة وأثبت الموت ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل: ٢١] ونفى الشعور مع أنه غير قابل للشعور كذلك أيضاً نفى عن نفسه الموت - سبحانه وتعالى - ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] وهو في حقه مستحيل فالله لا يقبل الموت، والنوم، والسَّنة، والظلم مع أن الظلم عندكم محال لذاته ومع ذلك نفاه الله عن نفسه فنفى الله الشيء عما ليس قابلاً له.

الوجه الثاني: أن نقول: إن صح هذا فيما ذكرتم من الموت والسمع والبصر والأشياء التي لا يتصف بها إلا ما له حياة حيوانية فإنه لا يصح في النقيضين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان، فأنتم نفيتم الدخول والخروج وهما نقيضان؛ لأن ما ليس بداخل فهو خارج قطعاً فهما نقيضان كالوجود والعدم ما ليس بوجود فهو معدوم وهذا باتفاق العقلاء.

الوجه الثالث: نفيتم للدخول والخروج كنفي من يقول: إنه ليس قائماً بنفسه ولا بغيره على حد سواء وأنتم تقولون: أنه قائم بنفسه فإذا نفيتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه فهو كقول من نفى قيامه بنفسه وقيامه بغيره إذا فأنتم سواء حينئذٍ، ونقول: إن الله تعالى قابل لأن يكون فوق العالم أو مع العالم، لكن مع العالم مستحيل فتعين أن نقول: فوق العالم كما تعين أن يكون قائماً بنفسه ولا فرق فأتوا لنا بفرق وإلا فأعطوا القوس باريها، نحن عندنا الفرق ونقول: إن الله تعالى: خارج العالم وهو فوق كل شيء سبحانه وتعالى وأنه قائم بنفسه وبذلك نرد عليهم جميع شبههم التي يدعونها معقولات وهي مجهولات في الواقع والله أعلم.

وأريد أن أبين أن الإنسان قد يقول: لا حاجة لهذه المباحث وهذا حقيقة بالنسبة للعامي لا نأتي ونقرأ عليه هذا الفصل من النونية ونشرحه له؛ ولو فعلنا ذلك لألقيناه ببحر لا ساحل له؛ لأنه ما تعلم فيغرق، لكن طلبة العلم يمكن أن يقرأوا مثل هذه المباحث؛ لأنها شيء وقع ولا تستغرب فأنا جمعتُ من كتاب مكون من عشرين صفحة في ترجمة ابن سينا قال ابن خلكان: أنه اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء، ورد المظالم، وأعتق مماليكه، وجعل يختم القرآن في كل ثلاث، ومات يوم الجمعة في رمضان سنة (٤٢٨) هـ وكان مولده في صفر سنة (٣٧٠).

قلت: إن صح مولده فما عاش إلا ثمان وأربعين سنة وأشهرًا ودفن عند سور همدان

وقيل: نقل تابوته إلى أصبهان، ومن وصية ابن سينا لأبي سعيد فضل الله المهني: «ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره، وباطن كل اعتبار وظاهره، ولتكن عينه مكحولة بالنظر إليه، وقدمه موقوفة على المثول بين يديه، مسافرًا في عقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى، وإذا انحط إلى قراره فلينزله الله في آثاره فإنه باطن ظاهر تجلّي لكل شيء وتذكر نفسه ووداعها وكان معها كأن ليس معها، فأفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة، وأزكى السر الاحتمال، وأبطل السعي الرياء، ولن تحصل النفس عن الدُّون ما التفتت إلى قيل وقال وجدال، وخير العمل ما صدر عن خالص نية وخير النية ما انفرج عن علم، ومعرفة الله أول الأوائل إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» إلى أن قال: «والمشروب فيهجر تلهيًا لا تشفيًا ولا يقصر في الأوضاع الشرعية ويعظم السنن الإلهية».

قلت: قد سقت في تاريخ الإسلام أشياء اختصرتها وهو رأس الفلسفة الإسلامية لم يأت بعد الفارابي مثله فالحمد لله على الإسلام والسنة وله كتاب «الشفاء» وغيره وأشياء لا تحتمل وقد كفره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال» وكفر الفارابي، وقال الرئيس قد صح عندي بالتواتر ما كان بالجوزاجان في زماننا من أمر حجيجٍ لعله زنة مائة وخمسين منه نزل من الهواء فنشب في الأرض، ثم نبا نبوة الكرى، ثم عاد فنشب في الأرض وسمع له صوت عظيم هائل، فلما تفقدوا أمره وظفروا به وحمل إلى والي جوزاجان، فحاولوا كسر قطعة منه فما عملت فيه الآلات إلا بجهد، فراموا عمل سيف منه فتعذر نقله في الشفاء.

قال في الحاشية: يقول شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ - في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» وهو بصدد البحث عن انحراف الفلاسفة: وهؤلاء في نصوص الأنبياء طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل؛ أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله، وعن اليوم الآخر، وعن الجنة والنار بل وعن الملائكة بأمر غير مطابقة للأمر في نفسه لكنهم خاطبوهم؛ يتخيلون به ويتوهمون به أن الله جسم عظيم وأن الأبدان تعاد وأن له نعيمًا محسوسًا وعقابًا محسوسًا وكان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر؛ لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بها

يتوهمون به ويتخيلون أن الأمر هكذا وإن كان هذا كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا هذه الطريقة، وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل فالقانون الذي ذكره في رسالته «الأطحوية» صفحة (٤٤٥١).

وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها وقصدوا أن يفهم الجمهور من هذه الظواهر وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبًا وباطلاً ومخالفة للحق فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة ثم من هؤلاء من يقول: النبي كان يعلم الحق، ولكن أظهر خلافه للمصلحة ومنهم من يقول: ما كان يعلم الحق كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم وهؤلاء يفضلون الفيلسوف الكامل على النبي ويفضلون الولي الكامل الذي له هذا المشهد على النبي كما يفضل ابن عربي الطائي خاتم الأولياء في زعمه على الأنبياء وكما يفضل الفارابي ومبشر بن فاتك وغيرهما الفيلسوف على النبي.

وأما الذين يقولون: إن النبي كان يعلم ذلك فقد يقولون: إن النبي أفضل من الفيلسوف؛ لأنه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة وأمكنه أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف وابن سينا وأمثاله من هؤلاء، وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية كالملاحدة الإسماعيلية، وأصحاب رسائل إخوان الصفا والفارابي، وابن سينا والساهاراوي المقتول وابن رشد الحفيد، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشائخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة «حي بن يقظان» وخلق كثير غير هؤلاء وقد خص شيخ الإسلام قسماً كبيراً من هذا الكتاب العظيم في تتبع سقطات ابن سينا وضلالاته وبيان ما فيها من زيغ وانحراف بالحجة والبرهان على طريقة السلف الصالح من لدن صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان من الأئمة والعلماء المشهود لهم بالعلم والإيمان والاستقامة والعرفان.

على كل حال: اعلم أن الرجل المنحرف من الفلاسفة الذين ينقضون ابن سينا وأنه لا يستحق أن يرفع ذكره بين الناس بل يقال هو طيب من جملة الأطباء فقط، هو الأصل مات على الكفر وإذا كانت هذه توبته.

هذا مختصر عن العلاف الذي ذكره ابن القيم في قصيدة النونية في بابه الأخير، فصل: في

اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه وهذه ملاحظة جيدة.

والعلاف محمد بن زيد بن عبيد الله هو شيخ المعتزلة ومصنف الكتب في مذاهبهم وهو ابن أبي بصرة ولد في بغداد وكان حديث القول، خرق أسماع المسلمين، وبدل وصف كتاب الله عز وجل، إذ زعم أن أهل الجنة سينقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقون نطقاً، ولا يتكلمون بكلمة، فلزمهم بانقطاع نعيم الجنة عنهم والله تعالى يقول: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] وجحد صفات الله التي وصف بها نفسه، وزعم أن علم الله هو الله وأن قدرة الله هي الله فجعل الله علماً وقدرة تعالى الله عما وصف علواً كبيراً.

باعتبار الآخرين هذا لأنه لا داخل ولا خارج هذا صحيح أنه لا يصح أن يوصف بأنه داخل أو خارج فيما إذا كان قابلاً من البداية فإنه لا يصح أن تقول: لا داخل ولا خارج أما إذا كان غير قابل فلك أن تقول: لا داخل ولا خارج كما تقول للجدار لا ظالم ولا عادل فيقول ابن القيم وقبله شيخ الإسلام: هذا الاصطلاح اصطلاح منكم فإن الله تعالى نفى الشيء عما ليس بقابل له وأثبتته وهو غير قابل له فقال في الأصنام: ﴿أَمَوْتُ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ وهي غير قابلة لذلك ونفى الشيء عما لا يقبله فقال: ﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] والظلم عندكم من الأشياء المحالة لذاتها فهذا اصطلاح والاصطلاح لا يغير الحقائق نحن نقول لا بد أن نقول عن الرب عز وجل إما داخل وإما خارج وإما هو نفس الأشياء الموجودة فلا يوجد قسم رابع إلا أن أهل السنة والجماعة يقولون هو خارج هذه الأكوان وفوق كل شيء.

يقولون: إن النسبة بين الأشياء إما التضاد أو التناقض أو المماثلة أو المخالفة هذه النسبة بين أربعة أشياء: إما المماثلة أو المخالفة أو التضاد أو التناقض فمثلاً المتناقضان: النسبة بينهما أنها لا يجتمعان ولا يرتفعان هذان متناقضان لا بد من وجود أحدهما ولا يمكن أن يوجد للجميع بينهما فالمتناقضان، مثل الحركة والسكون لا يجتمعان، فلا بد أن يكون الشيء إما متحركاً أو ساكناً، وبمجرد أن أقول غير متحرك يفهم المخاطب أنه ساكن، وبمجرد أن أقول أنه غير ساكن يفهم أنه متحرك؛ لأنه لا بد من أحدهما فالشيئان اللذان لا يجتمعان ولا يتفقان يسميان ناقضين، والمتضادان: هما اللذان لا يجتمعان ولكنها يرتفعان فيوافقان

النقيضين في أنها لا يجتمعان ويختلفان عنها في أنها يرتفعان يعني: يمكن ارتفاعهما ومثاله البياض والسواد، فالبياض والسواد ضدان لماذا؟ لأنها لا يجتمعان لكنها يرتفعان فيكون الشيء لا أسود ولا أبيض مثل أن يكون أخضر، يرتفعان يعني: يخلو الشيء منهما، فمثلاً هذا الآن أسود انتهى عنه البياض والحمرة أي خلا منه البياض والحمرة فهل هما ضدان أم لا؟ ضدان، لا يجتمعان لأنه لا يمكن أن يصير الشيء أحمر وأبيض في وقت واحد فهما ارتفعا عن الشيء فهو ليس أحمر ولا أبيض لكنه أسود، إما متحرك أو ساكن، لا يمكن أن تقول هذا متحرك وساكن، أو داخل العالم أو خارج العالم فمن أي النسبتين ذلك، نقيضان لماذا؟ لأنها لا يجتمعان ولا يرتفعان فكل موجود إما أن يكون داخل العالم أو خارج العالم لكن لو قال قائل: هو العالم قلنا: إذاً ليس هناك موجودان ونحن نتكلم عن موجودين.

فإذا قال قائل: لا داخل العالم ولا خارجه ليس متناقضين؛ لأنه يمكن أن يقال هو نفسه العالم قلنا: إذا قلت هو نفسه العالم لم تثبت موجودين إنما أثبت موجوداً واحداً، المثلين هما المترابطان فبشر وإنسان مدلوهما واحد وهذان مثلان يعني: البشرية والإنسانية شيء واحد، أمّا الخلافان: هما اللذان يجتمعان ويرتفعان يعني: يمكن اجتماعهما ويمكن ارتفاعهما لكن ليس كل واحد هو الثاني، لكن المثلان كل واحد هو الثاني، والخلافان يجتمعان ويرتفعان لكنها خلافان، أي كل واحد غير الثاني مثل: القيام والبياض هذان خلافان؛ لأن القيام غير البياض فهو خلاف القيام والبياض هذان خلافان فهل يمكن اجتماعهما؟ نعم يمكن أن يكون قائماً أبيض، وهل يرتفعان؟ نعم فيمكن أن يكون جالساً أسود.

قلنا: إنكم تؤمنون بأن الخالق والمخلوق شيئان متباينان لو قلنا: هل الله داخل العالم أم خارجه؟ يلزمهم أن يقولوا إما داخله وإما خارجه لكننا لا يلزمنا أن نقول داخلياً وخارجياً؛ لأن هذا كان يلزمنا لو كان قابلاً لذلك، أما إذا كان غير قابل فيصح أن نقول: لا داخل ولا خارج كما يصح أن نقول للجدار: إنه ليس ظالمًا ولا عادلاً فنقول هذا قولكم بأنه غير قادر، وهذه دعوى بلا بينة مجردة.

والشيء الثاني: أنه لا داخل العالم و لا خارجه والتقابل بينهما ما هو تقابل عدم ملكه حيث تقولون إنه غير قادر أو قادر: التقابل بينهما: تقابل سلب وإيجاب بمعنى: أنك إذا

سلبت أحدهما ثبت الآخر، ولا بد لأنهم متناقضان فأنت ما دمت أثبت الخالق وأثبت المخلوق أثبت شيئين الآن، فإما أن يكون أحدهما داخل الثاني أو خارج الثاني ولا بد أن يكون إما داخل وإما خارج فإن قال: إن الخالق هو المخلوق قلنا الآن لم تثبت شيئاً، واحداً لكن الجهمي والأشعري وغيرهما ما يقولون إن الشيء الواحد إذا ما دمت أثبت موجودين فلا بد أن يكون أحدهما إما داخل العالم وإما خارجه ولا بد كما أنه لو قيل: هل الله قائم بنفسه أو بغيره؟ ستقول قائم بنفسه فنفي داخل العالم وخارجه كالنفي في قوله: لا قائم بنفسه ولا بغيره سواء بسواء فإذا أنكر أنه لا قائم بنفسه ولا بغيره أنكر أن يقال: لا داخل العالم ولا خارجه والنتيجة الآن أنه سيلزم بالإقرار بأنه خارج العالم وإذا أثبت أنه خارج العالم يلزمه أن يقول بالعلو؛ لأن ما سوى العلو هو صفات نقص وهو يقر أن الله منزّه عن النقص؛ لأن هذا واجب هم يقولون: بنفي النقيض أو نفي الضدين يعني شيئاً لا يصلحون فيها عن شيء قابل لهما أما ما لا يقبل فيصح، فنحن نقول إن الله لا داخل العالم ولا خارجه؛ لأنه لا يقبل أن يكون داخل العالم أو خارجه فيصح في هذا الأمر النقيضان لنفيهم عن الله، فالجدار ما يصح أن نقول: لا ظالم ولا عادل؛ لأنه غير قابل أن يتصف بالعدالة أو بالظلم، فالله عز وجل غير قابل أن يكون خارج العالم أو داخله فهنا نمنع هذه القاعدة.

الثاني أن نقول: إن التقابل في داخل العالم أو خارجه نقيض ما ضدين ولا بد أن يوجد خلق في إحدهما أو أن تقول هو عين هذا الخلق وحينئذ فإن أهل الكلام هم الذين ألبأوا علماء السنة إلى الدخول في هذا .





## تمهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

#### في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وهذه العادة في أدلة الحق وشواهدة حيث صرّفت وأديرت على أي وجه وبأي عبارة فإن دلالتها واحدة ، لأن الحق ثابت لا يتغير مستقر في العقول الصحيحة السليمة إلا أن العبارات تختلف في وضوحها وجلالتها أو خفائها بخلاف أدلة الباطل فإنها لا تكاد تقبل إلا إذا وافقت ضعف بصيرة وقله علم ونظمت بعبارة مخصوصة مزوقة مزخرفة، فإذا أديرت بعبارة وسياق آخر بان بطلانها، وكلما حرفت اتضح فسادها بمنزلة الشيء المغشوش يظهر غشه بأدنى اختبار، فتقدم الإلزام للمعطل واستخباره واستفهامه: هل يقول إنه برّ البرية في نفسه أو خارجاً عنه أو ينفي الأمرين؟ وأنه يضطر إلى الاعتراف بأنه خلقها بئنة عنه وهو بائن عنها عال عليها وأنه إن قال غير هذا فهو غالط مكابر.

وهذا سؤال آخر، فإنه يقال للمعطل أولاً: هل الرب تعالى ثابت في الأذهان أم لا؟ فإن قال: لا ، فهو جاحد لرب العالمين، فإن الذي لا وجود له في الأذهان والقلوب لا وجود له أصلاً. فإن قال : نعم ، هو موجود في الأذهان فإنه يقال له ثانياً: هل هو هذه الأكوان أو غيرها؟ فإن قال هو هي وهي هو فقد قال بقول الاتحاديين الذين هم أكثر الناس برب العالمين. فإن قال: بل هو غيرها فإنه يقال له ثالثاً: هل هو حالّ في الأكوان أو هي حالة فيه؟ فإذا قال بأحد الأمرين فقد قال بقول النصارى القائلين بإلهية المسيح ابن مريم وأن اللاهوت حل بالناسوت، وهؤلاء أبلغ من النصارى، فإن النصارى خصصوه بعيسى وهؤلاء عمموه بجميع المخلوقات فإذا نفى الأمرين بأن قال لم يحل فيها ولم تحلل فيه فيقال له رابعاً: هل هو قائم بنفسه غني عن الأكوان والخلق أم هو قائم بغيره كقيام الألوان

والأعراض بمحالتها فإن أقر بالحق وقال: بل هو قائم بنفسه مستغن عن جميع خلقه، فيسأل خامسًا فيقال له: هل ذاته تماثل الذوات أو تضادها أو تغايرها؟ وعلى هذه التقادير الثلاثة فإنه لولا أنه بائن عنها لم يكن شيئان متماثلين أو متضادين أو متغايرين، لأن كل واحد من هذه الثلاثة بالنسبة إلى قسيمه يكون غيره لا يمكن أن يتحد معه، فيضطر إلى أن يختار أحدها، إما أنه هذه المخلوقات وينفي التماثل والتضاد والتغاير ويصرح بقول الاتحاديين ويخرج من ربة الدين، وإما أن يعترف بالحق الواضح وهو أن الخالق غير المخلوق، وأنه بائن عن مخلوقاته، متوحد في صفاته، متفرد بربوبيته وإلهيته، عليّ على جميع بريته.

فهذه إشارة إلى تقاسيم عقلية وحقائق يعترف بها من له لب تلجئ المنصف إلى الاعتراف بالحق ويعلم بها أن من خالفها فهو مكابر للمحسوس والمعقول، كما أنه مخالف للمنقول.

فلما ذكر الأدلة العقلية والإلزامات المفحمة لكل مبطل ذكر الأدلة النقلية فقال:



## فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةٍ

تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنْ الْأَرْكَانِ

١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ إِلَهُنَا الـ

مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟

١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌّ

لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغِ الْكُفْرَانِ

١٠٩٦- وَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ فَسَلْهُ ثَانِيًا:

أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ؟

١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ

هُوَ عَيْنُهَا مَا هَاهُنَا غَيْرَانِ

١٠٩٨- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصْرَحًا

بِالْكُفْرِ جَاحِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ

وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الضُّلْبَانَ

١١٠٠- هُمْ خَصَّضُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأَمَّهُ

وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنِ حَيَوَانِ

١١٠١- فَإِذَا أَقْرَبَ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى

عَبْدٌ وَمَعْبُودٌ هَمَا شَيْئَانِ

١١٠٢- فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ

أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ هُنَا أَمْرَانِ

١١٠٣- فَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذِيكَ الـ

أَمْرَيْنِ قَبْلَ خَدِّهِ النَّصْرَانِي

١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا

خُشْدًا شُنَا وَحَبِيبِنَا الْحَقَّانِي

١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَا:

هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟

١١٠٦- فَلِذَلِكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِالـ

أَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ؟

١١٠٧- فَإِذَا أَقْرَبَ وَقَالَ بَلْ هُوَ قَائِمٌ

بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ

١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَحْبِرْنِي هُمَا

مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ؟

١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ

لَوْ لَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

١١١٠- ضِدَّيْنِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَمَا

نَا بَلْ هُمَا لِأَشْكَ مُتَّحِدَانِ

١١١١- فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ

بِالِاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ

١١١٢- نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَيَّ

نَقَطِ لَكُمْ كَمَعَلِّمِ الصَّبِيَّانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل أراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى عُلُوِّ اللهِ - عِزِّ وَجَلِّ - بِنَفْسِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ لَكِنْ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ يَقُولُ:

وَسَلَّ الْمُعْطَلُ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةٍ تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ

ترديها أي: تُتْلَفُهَا «من الأركان» أي: من الأصل والشيء إذا تردى من أركانه فإن فروعه تبع لأركانه تنهد.

قُلْ لِلْمُعْطَلِ هَلْ تَقُولُ إِلَهْنَا الـ مَعْبُودُ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟

يسأله هل الله - عز وجل - خارج الأذهان أم لا؟ إما أن يقول: إنه خارج الأذهان أو داخل الأذهان.

فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌ لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغُ الْكُفْرَانِ

قوله: (فإذا نفى) قال: إنه ليس خارج الأذهان فنفاه وهو كذاك فمعطل للرب هل تقول إلهنا المعبود حقًا خارج الأذهان فإذا نفى هذا وقال: لا أقول بأنه خارج الأذهان فإنه

(١) [١١٠١: ١١١٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

وملخص هذا الدليل على طريقة السبر والتقسيم المعروفة أن الله سبحانه إما أن يكون موجودًا خارج الأذهان أو لا، والثاني مستلزم لنفيه وجحوده، والأول إما أن يكون وجوده غير وجود هذه الأكوان أو لا، بأن يكون عينها، والثاني مستلزم للقول بالاتحاد، وهو كفر، والأول إما أن يكون متصلًا بالأشياء اتصال حلول، بأن تكون قد حلت فيه أو حل فيها أو لا، والأول مستلزم للقول بالحلول الذي قالت به النصارى وهو كفر، والثاني أن يكون قائمًا بنفسه مستغنيًا عن الأكوان أو لا، والثاني يستلزم كونه عرضًا قائمًا بالأعيان، وهو كفر، فثبت من ذلك أنه موجود بوجود مغاير لوجود الأشياء غير حال فيها ولا حالة فيه وليس هو عرضًا لها، بل هو وجود قائم بنفسه، والعالم قائم بنفسه، فإذا نسب أحدهما إلى الآخر فلا يخلو، إما أن يكونا مثلين أو ضدّين أو غيرين، وعلى كل فهذا منفصلان متباينان فثبت أن الله مبين للعالم وأنه فوقه عالٍ عليه.

يكون معطلاً للرب؛ لأنه إنكار للرب - عز وجل - وإذا أقرَّ به وقال إنه خارج الأذهان يعني: أنه موجود (فأسأله ثانياً أترأه غير جميع هذه الأكوان؟) يعني: هل تعتقد أنه غير الأكوان أم هو الأكوان؟ فالأول خاطبناه بأنه هل يراه في الذهن أم لا؟ فإذا قال: يوجد في الذهن فهذا معطل ونسأله إذا أقرَّ به (أترأه غير جميع هذه الأكوان؟).

فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهَا مَا هَاهُنَا غَيْرَانِ

وماذا نفى؟ أن يكون غير الأكوان فإذا نفى بأنه لا يكون غير الأكوان مع إقراره بوجوده عينا أن يكون هو الأكوان و(ما هاهنا غيران) يعني: ما هنارب ومربوب.

فَقَدِ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُضْرَحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

السؤال الأول هل هو في الذهن؟ السؤال الثاني هل هو نفس المخلوق أم لا؟ إذا قال: إنه غير المخلوق أو قال: إنه عين المخلوق يقول:

فَقَدِ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُضْرَحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

ثم قال: «حاشا النصرارى أن يكونوا مثله» يعني: ينزه النصرارى أن يكون مثل هذا لماذا؟ لأن النصرارى قالوا: إن الله حلَّ في المسيح فقط وهذا قال: إن الله حل في كل المخلوقات حتى في الحيوان - نسأل الله العافية - مع أنه وصفهم أي النصرارى بأنهم حمير؛ لأنهم يستحقون هذا؛ لأنهم يعبدون الصليب، الصليب الذي صلبوا عليه نبيهم - ولو كانوا عقلاء - كانوا يجب أن يكسروا الصليب لماذا؟ لأنه صُلب عليه نبيهم كيف تعظمون الصليب وقد صُلب عليه نبيكم ولكن هذا لبلادتهم وضلالهم صاروا يعبدون الصليب الذي صلب عليه نبيهم، وأدنى واحد من الناس - إذا كان له عقل - إذا وجد الحجرة التي حُبس فيها صديقه يهدمها لكن هؤلاء قالوا: نعبد الصليب إذا استحقوا الوصف الذي وصفهم به وهو أنهم يشبهون الحمير وأنهم كانوا كذلك لبلادتهم - نسأل الله العافية - وأنت تتعجب من هذه العقول لكنهم - نسأل الله العافية - ذكاءٌ بلا زكاء ما عندهم عقل وإلا لو تأملوا قليلاً لكانوا كيف يكون عيسى عليه الصلاة والسلام رباً وإهاً ثم يُقتل ثم يُصلب ثم يعبدون الصليب الذي صُلب عليه ولهذا يقول: هم الحمير وعابدو الصليبان.

هُم خَصَّضُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأَمَّهُ وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنِ حَيَوَانِ

يعني: إن الله سبحانه وتعالى هو كل شيء هو المرأة والرجل والفرس والبعير والحمار

والعباد بالله وغير ذلك؛ لأنهم يقولون: إن الله هو عين الوجود وإذا أقر بأنه غير الورى. السؤال الثالث في هذا البيت إذا قال: أنا لا أقول إنه عين الخلق بل هو غير الخلق، فالعبد والمعبود شيان فاسأله هل هذا الورى في ذاته أم ذاته فيه؟ أي: أن هذا الورى في ذاته فيكون الخلق حالاً في ذات الله أو ذاته فيه يعني: ذات الله في الخلق يعني هل الخالق حلّ في المخلوق أو المخلوق حلّ في الخالق وإذا أقر بواحد من هذين الأمرين ما هما؟ إذا قال: إن الخالق حل في المخلوق أو قال: إن المخلوق حل في الخالق فهذا كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (قَبْلَ خَدِّهِ النَّصْرَانِي)؛ تعظيماً له؛ لأنه مثله وافقه على حلول الله عز وجل في جنسه وأمه فيقبل خده لأنه وافقه على ذلك لكن يقول: (وإذا نفى الأمرين) ما هما؟ بأن قال: ليس داخل الورى أو الورى داخله.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالذِّي هُوَ مِثْلُنَا خُشْدَاشْنَا وَحَبِينَا الْحَقَّانِي

\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

(خُشْدَاشْنَا) هذه الكلمة أعجمية ما أعرفها لكن يقرب - والله أعلم - أنه نصيرنا وولينا أما قوله: «حبيينا الحقاني» يعني: الحبيب حقاً. وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلُهُ إِذَا: هل ذاته استغنت عن الأكوان؟ قوله: (وإذا نفى الأمرين) أي: قال: لم يحلّ في الورى ولم يحلّ الورى في ذاته (فاسأله: إذا هل ذاته استغنت عن الأكوان)؟.

فَلِذَلِكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِأَلْ أَعْيَانٍ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

يعني: أسأله هل قام بنفسه أو قام بغيره؟ نحن الآن وصلنا إلى مرحلة بعد المنازلة وصلنا إلى مرحلة أنه خارج الأكوان أنه ذات منفرد خارج الأكوان نسأل الآن هل قام بنفسه أم قام بغيره؟ ولهذا قال:

وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلُهُ إِذَا هل ذاته استغنت عن الأكوان

وهذا عبارة عن أنه قام بنفسه؛ فلذلك هل قام بنفسه أم قام بالأعيان كالأعراض والأكوان؟

الأعراض تكون بالأعيان للمرض مثلاً هذا عرض يكون في جسم، واللون كالسواد والبياض عرض يكون بعينه.

فَإِذَا أَقَرَّ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ ذَاتَانِ  
بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ؟

قوله: (فإذا أقر) أي: بأنه قائم بنفسه، وقال: بل هو قائم بالنفس فاسأله: وقل: ذاتان (بالنفس قائمتان أخبرني أهما مثلان أو ضدان أو غيران؟) إذا قال أنه قائم بنفسه فقل له: هم ذاتان الآن: خالق ومخلوق (بالنفس قائمتان) يعني: كل واحد انفصل عن الآخر وبيّن الآخر، فاسأله هل هما مثلان أم ضدان أو غيران؟ طبعاً لن يقول: إنهم مثلان؛ لأنه إنما عطل الصفات خوفاً من التمثيل وقد يقول وقد لا يقول إنها ضدان؛ لأن الضد هو الذي يخالف ضده ولكن ربما يرتفعان وهنا الارتفاع غير ممكن؛ لأن هنا خالق ومخلوق فلا يمكن أن لا يوجد خالق ولا مخلوق بخلاف الضدان، وهل هما غيران؟ الجواب نعم، كل ما سبق يدل على أن الخالق غير المخلوق، وعلى التقادير الثلاثة فإنه لولا التباين لم يكن شيئان يعني: حتى إن قلت مثله أو ضده أو غيره فلا بد أن يكون مبايناً له؛ لأن مثل الشيء منفصل عنه؛ لأنه مهما يكن لا يصح أن نقول مثله، وضد الشيء منفصل عنه أيضاً، وغير الشيء منفصل مع غيره فإذا لولا التباين لم يكن شيئان ضدين أو مثلين أو غيرين بل هما لا شك متحدان يعني: لو لم يكن تباين للزم الاتحاد وعدنا إلى الأول وهدمنا كل ما سبق من قول أنه عين قائم بنفسه منفصل عن المخلوق مباين له فلذا قلنا: إنكم بابٌ لمن بالاتحاد يقول بل بابان مَنْ يُحَاطَبُ؟ الذين ينكرون العلو؛ لأن لازم إنكارهم أن يقولوا في النهاية: إنها متحدان وحينئذٍ يفتحون الباب لأهل الاتحاد بل يقول ابن القيم: (بابان).

نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَيَّ نَقَطَ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصَّبِيَّانِ

المعلم إذا أراد من الطالب أن يخط خطأ مستقيماً ماذا يفعل؟ يعمل نقطاً إلى نهاية الورقة ثم يقول: خط حينئذٍ يكون خطه مستقيماً لوقال خط بدون أن ينقط له ما استقام بل اعوج؛ لأنه طالب على كل حال.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوا بِمُبَايِنَةِ الْخَلْقِ مِنَ الْخَالِقِ وَعَلَوْهَ لَا بَدَّ أَنْ تَقْعُوا فِي

الاتحاد وتقولوا: إنه هو والمخلوق شيء واحد وحينئذ تكونوا فتحتم الأبواب إلى أهل وحدة الوجود، وصحيح أن المعطلة يفتحون الأبواب لأهل وحدة الوجود، ومن ذلك ما سبق لنا من كلام حيث قالوا: إن كلام الله مخلوق فإذا قالوا مخلوق لازم أن نقول كل كلام مخلوق فهو كلام الله. سبق لنا أن النصرارى يعبدون الصليبان.

قال ابن القيم هم الحمير وعابدو الصليبان، وقلنا أنه إنما وصفهم بأنهم حمير لبلادتهم؛ لأن عبادتهم للصليب تدل على البلادة العظيمة إذ أن الصليب - كما يزعمون - قد صلب عليه المسيح عليه الصلاة والسلام، وكان من الوفاء له أن يكسروا الصليب إذا رأوه؛ لأنه صُلب عليه عليه نبيهم عليه الصلاة والسلام كما يزعمون، وهذا الصليب الذي يدعون أن المسيح قد صُلب عليه قد كذبه الله تعالى في القرآن فقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]

لكن نقول ذلك تنزلاً معهم وما يعتقدون في نبيهم عليه الصلاة والسلام نقول: كيف تعبدون الصليب وقد صُلب عليه نبيكم؟ كان يجب عليكم أن تكسروا الصليب الذي صُلب عليه نبيكم لا أن تعبدوه، أما نحن فعقيدتنا في المسيح عيسى ابن مريم أنه عبدُ الله ورسوله، وأنه آية من آيات الله عز وجل هو وأمه عليها السلام؛ لأنها حملت به بلا زوج وخلق وهو بلا أب، وتكلم في المهد، ورُفِعَ إلى السماء، وهو حيٌّ وبارق إلى أن ينزل في آخر الدنيا، ونؤمن بأنه ما قُتل وما صُلب، بل رفعه الله إليه وسينزل في آخر الدنيا يحكم بشريعة النبي ﷺ إلا في الجزية فإنه لا يقبل الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام وليس هذا ابتداء شريعة، وأيضاً ما هو تقهير لشريعة أخبر بها الرسول ﷺ؛ فكأن النبي ﷺ يقول ستقبل الجزية إلا إذا نزل عيسى، وهذا هو حاصل الكلام على عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وما يعتقدُه المسلمون فيه.





## تكملة بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن  
الله تعالى فوق سماواته على عرشه عليّ على خلقه

ذكر المصنف أحدًا وعشرين نوعًا من الأدلة على هذه المسألة العظيمة كل نوع منها تحته  
من الأفراد ما لا يعد ولا يحصى.

الأول: الإخبار بأنه استوى على عرشه في سبعة مواضع من القرآن معروفة، وكلها  
جاءت بلفظ:

﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: ٥]. فإن «على» تدل على العلوّ والارتفاع، وهذا نص لا يقبل الاحتمال  
ولا الاشتباه في معناه. فإنها لو كانت بمعنى «استوى» كما قاله الجهمية وأتباعهم لأتت اللام في  
موضع واحد أو أكثر لأجل أن يحمل الباقي عليها فلما لم ترد في موضع واحد بذلك كانت نصًّا  
صريحًا في العلوّ والفوقية، فإن العرب جرت عادتهم في كلامهم الفصيح أن يضمروا بعض  
القيود في بعض. كلامهم ويذكروه في كلام ولفظ آخر فيحمل مطلق الكلام على مقيده، وأما  
هذا الموضع فالحمل متعذر، وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية تفسير الجهمية أن معنى استوى  
على العرش «استوى» بعشرين وجهًا كل واحد منها كاف شاف.

الثاني: التصريح بلفظ العلو، وقد تكرر في الكتاب وصفه بالعلويّ الأعلى، وذلك يدل على  
أنه العلويّ بكل وجه ومعنى، واعتبار علو الذات والصفات وعلو القدر والعظمة وعلو  
القهر والجبروت. لكن المعطلة على أصلهم الفاسد ينفون عنه علو الذات ويفسرونه  
بالوجهين الأخيرين، وهذا هضم منهم لهذا المعنى العظيم، وإنكار لعلوّه الذي فطر الله  
عليه الخليفة. فإنه ما توجه متوجه من البرية إلى الله إلا رفع قلبه وطرفه إلى الله لا يلتفت

يمنة ولا يسرة، وهذه الفطرة لا يستطيع المعطلون تبديلها، ولو رجعوا إلى أنفسهم لوجدوا هذا المعنى مركزاً في فطرهم، ولكن العقائد الباطلة مسيطرة على الفطر وعلى كل حقيقة، ونهاية ما يوردونه على هذا الأمر المقطوع به شكوك وشبهات لا تعارض العلم واليقين، فإن علوه معلوم بالضرورة نقلاً وعقلاً وفطرة، فإذا تقابلت هذه البراهين والضرورات التي تعرف ببداية العقول مع هذه الشبهات اضمحلت الشبهات ولم يكن عندها أدنى مقاومة للبراهين اليقينية.

الثالث: التصريح بالفوقية لله تعالى تارة مقرونة بمن كقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وتارة غير مقرونة كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

فالمقرون بمن نص في معناه لا يقبل التأويل والآخر هو ظاهر في المراد، وقد يقبل التأويل على وجه ضعيف لكن إذا دل الدليل، وهنا دلّ الدليل على تعين المعنى الظاهر، هذا بالنظر إلى مجرد الألفاظ بقطع النظر عن سياق الكلام وما اقترن به مما يعين معناه فإذا أتى الكلام بسياقه ونظمه وتعبيره عن المعاني العالية فإنه يكون نصاً في معناه قاطعاً لا يقبل التأويل لسياقه ونظمه، فالمدار كله على السياق وأساليب الكلام، فذلك مثل شواهد الأحوال فتأويل الكلام إذا أتى بعد سياقه بأسلوبه الناصّ على معناه يكون في غاية الهجنة، كالكتمان إذا أتى بعد شواهد الأحوال كان كذباً قبيحاً.

والفوقية وصف ثابت لله تعالى لا يمكن أن يكون إلا كذلك، وله الفوقية المطلقة: فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القهر، فمن أنكر واحداً منها كان مبطلاً مكابراً متناقضاً كما هو قول المعطلة النافين لعلو ذاته وفوقيتها، وأن المراد عندهم فوقية القدر مثل قول الناس الذهب فوق الفضة وهذه دعوى بلا دليل بل مخالفة للدليل.

وذكر المؤلف كلام المفسرين على قوله تعالى:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

فقل إن تقديره بخمسين ألف سنة المراد به يوم القيامة وأن هذا مقداره في التقدير، وتقديره بألف سنة في الدنيا، وقيل: إنها يعودان إلى يوم واحد وهو تقدير مسافة العالم العلوي والسفلي من المركز الأسفل إلى أعلى العرش خمسين ألف سنة ومن وجه الأرض إلى سماء الدنيا ألف سنة، ثم من كل سماء إلى الأخرى كذلك، ويؤيده ما ورد في هذا التقدير من الآثار. وقيل: إن هذا التفاوت يرجع إلى اختلاف السير، وفيه أقوال آخر والمؤلف توقف عن الجزم بواحد من هذه الأوجه، والظاهر لي أن آية «المعارج» التقدير الذي فيها ليوم القيامة، وأن معنى الكلام الإخبار بعظمة ذلك اليوم وطوله العظيم وأنه في ذلك اليوم يظهر للخلائق من عظمة الرب وعظمة ملكه وكهال تدبيره وأن أمور الملك وتدابيره تعرج بها الملائكة إليه وتنزل فيها منه والسياق في الآيات التي في المعارج يدل على ذلك. وأما تقديره بالألف في سورة السجدة فإنه في الدنيا لأن السياق أيضًا يدل عليه، فإنه في سياق بيانه في الدنيا ليعرفوا عظمة الله وكبريائه ونفوذ تدبيره. والله أعلم.

الخامس: التصريح بصعود بعض المخلوقات والأعمال إلى الله تعالى من العمل الصالح والكلم الطيب والملائكة والأرواح كما وردت بذلك النصوص الكثيرة، وكذلك تواترت الأحاديث الصحيحة والحسنة في معراج النبي ﷺ إلى ما فوق السماوات السبع وأن عروجه إلى الله وإخباره برفع عيسى ابن مريم عليه السلام إليه وكذلك ما في الأحاديث والآثار من ارتفاع دعوات المضطرين والمظلومين إلى الله، وذلك كله صريح في علو الله وفوقيته ومباينته لخلقه.

السادس والسابع: إخباره أن القرآن العظيم نزل منه، وأنه تنزيل منه في عدة آيات. ومن المعلوم أن النزول لا يكون إلا لمن هو فوق عباده ومن هو عال عليهم، وكذلك ما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في نزوله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» فهذا كله دليل على علوه وارتفاعه. وعند الجهمية ومن تبعهم أنه لا ينزل والنزول إنما هو لأمره، وهذا باطل نقلاً وعقلاً، والأحاديث نص في نزوله يليق بعظمته وجلاله، وأنه هو الذي يقول: «من يدعوني فأستجيب له» إلى آخره، لا كما حرفه الجهمية أنه يأمر من يقول ذلك.

الثامن: ما أخبر به عن رفعته وعظمته بسورة غافر في قوله: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]. فإن فعلاً فيها بمعنى مفعول وأن معناه مرفوعة درجاته لرفعته وارتفاعه وعلوّ شأنه وكماله.

التاسع: إخباره بأنه في السماء كقوله: ﴿أءَأْمَنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. ومعناها عند جميع المفسرين معنى العلوّ وأن معناها أنه فوق العالم كله أو أن «في» بمعنى «على» وليس معناها أن السماوات تحصره وتحيط به فإنه أعظم وأجل، ومعناها أنه في العلو، وبقية النصوص الدالة على علوه تعين هذا المعنى وتزيل ما فيه من الاشتباه على أفهام الحائرين، بل الجهات كلها إذا نسبت إلى الله اضمحلت وعدمت فهو المحيط ولا يحاط به.

العاشر: إخبار النصوص باختصاص بعض المخلوقات بأنها عند الله، كقوله: ﴿وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» فإن هذا دليل وبرهان على علوه تعالى على عباده، لأنه لو لم يكن كذلك لكان أشرف المخلوقات وأدناها وجميع الذوات عنده في القرب سواء كما قال ذلك الجهمية، وتمموا هذا القول الباطل بقولهم إن محبة الله عين إرادته، فكل ما أراده فقد أحبه، والكون كله مراد الله فيكون محبوباً لله على قولهم، وحرفوا النصوص في محبة الله لبعض عباده وللأعمال الصالحة ونحوها فإذا جمعت قولهم الفاسدين إن جميع الذوات في القرب منه سواء وإن جميع ما أراده فقد أحبه ظهر فساد ذلك وقبحه وآثاره الخبيثة، وأن نفس القولين متناقضان فإذا قالوا المراد بالعندية والقرب عندية الخلق والتكوين فالذوات كلها مكونة مخلوقة لله، وإن قال العندية عندية التقريب والشرف فهم ينفون هذا لأن المحبة عندهم هي الإرادة فيستحيل هذا التأويل ويتبين أنه مكابرة للمعقول كما أنه مناف للمنقول.

الحادي عشر: إشارته ﷺ إلى العلوّ حين خطب الناس يوم عرفة وقال: «هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: نعم، فأشار بإصبعه إلى السماء يشير إلى الله وينكبهما إلى الناس يقول: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» وهذا برهان على علوه وارتفاعه.

الثاني عشر: أن الله وصف نفسه وسماها بأنه الظاهر، وقد فسره ﷺ في الحديث الذي رواه

مسلم في صحيحه إذ قال في دعائه واستفتاحه: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» فهذا تفسير صريح من الصادق المصدوق وقرره بنفي ضده بقوله: «فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» وهذا هو المفهوم من لفظ الظاهر، فإن الظاهر يدل على العلو فكلما علا الشيء ظهر وبان، كما أنه كلما سفّل خفي واستتر كما هو مشاهد في المركز الأسفل لهذا العالم وأن أعلاه ومحيطه أظهرها وأوسعها، فالله أعظم من ذلك وأعلى، فالعلو والظهور كل منهما مقتضٍ للآخر فهما متلازمان.

الثالث عشر: ما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ مع دلالات القرآن المتعددة في رؤية أهل الجنة ربهم تعالى، فإن هذه النصوص من أعظم البراهين على علو الله، ولهذا لا يمكن للمعطل أن يثبت الرؤية إثباتاً صحيحاً على وجه يعقل حتى يثبت علو الله على خلقه، فإنه إذا أثبت الرؤية ونفى العلو كقول أكثر الأشاعرة فإنه يسأل ويقال له: من أين يرى ربنا، هل من تحتنا أو يميننا أو شمالنا أو خلفنا أو أمامنا؟ وهذا باطل فلا بد أن يضطر ويقول من فوقنا إذا لم يكابر، فإن الرؤية المعقولة المعروفة تقتضي مقابلة الرائي للمرئي، فمن زعم خلاف ذلك فقد كابر المحسوس، ولهذا فسر هؤلاء الرؤية بشيء لا يدل عليه الشرع واللغة والحس، فسروها بأنه ينكشف لأهل الجنة زيادة علوم ومعارف، فجمعوا محذورين: نفي رؤية الله التي دلت عليها النصوص القرآنية والنبوية، وإتيانهم من عند أنفسهم بمعنى لم يرده الله ولا رسوله، والعقائد الباطلة هكذا تصنع بأصحابها، ولهذا كان بعض فضلاء الأشعرية يقول: إنه لا فرق بين مذهب الأشاعرة ومذهب المعتزلة في نفي الرؤية إلا اختلاف عبارات؛ وهو كما قال، لأن زيادة معارف أهل الجنة برهم وانكشاف العلم الذي فسروا به الرؤية لم يزل مصاحباً لهم في جميع أحوالهم، وهذا من أعظم ما يبين بطلان هذا التفسير الذي هو تحريف وتمويه.

الرابع عشر: أنه ﷺ قال للجارية: «أين الله؟» وأجاب السائل له «أين الله» بجواب الأين فقال: في السماء. ولم يجبه بجواب من الله كما هو قول الجهمية، وهذا الذي أراد ﷺ وهو الذي فهمه السائل وكل سامع لم يتمكن منه مذهب الجهمية، فدل ذلك دلالة قاطعة على علو الله على خلقه. وأن الجواب السديد الصحيح لمن سأل أين الله أن يقال: فوق عرشه عال على خلقه. والجهمية يمتنع عندهم السؤال بالأين ولا الجواب عنه، وإن ورد

ذلك كان معناه معنى الاستفهام. وهذا معلوم البطلان، فهم يصرحون بنفيه، والرسول ﷺ يصرح بإثباته فعلاً وإقراراً، وهذا من أعظم المشاقة لله ولرسوله. وكيف يعدل النبي ﷺ مع كمال نصحه وكمال علمه وكمال بيانه عن لفظ «مَنْ» وهي أخصر وأوضح وأفصح إلى لفظ «أين» وهي بخلاف ذلك؟ هذا من المحال.

الخامس عشر: إجماع الكتب السماوية والرسول عليهم الصلاة والسلام على التصريح بعلو الله على خلقه وفوقيته، حتى ذلك غير واحد من العلماء المعترين، كالشيخ عبد القادر الجيلاني في غنيته وأبي الوليد بن رشد وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب التحقيق الكامل والاطلاع الواسع الذي لا يوجد له نظير في معارفه ومعلوماته وتحقيقاته العقلية والنقلية، وكذلك المصنف رحمه الله قطع بذلك وقطع باتفاق الرسل على جميع أصول الدين التي أصلها إثبات صفات رب العالمين، وعلوه على الخلق، وأنه المتكلم على الحقيقة، وأن الله هو المعبود وحده، وأن القضاء خيره وشره من الله والإيمان باليوم الآخر، فجميع الأنبياء والمرسلين متفقون في أصول الدين في الشرائع الكبار التي لا تختلف باختلاف الأزمنة، كالعبادات الكلية، والعدل في المعاملات والأحكام والولايات، وتحريم الظلم والكذب والغيبة والنميمة والفواحش الظاهرة والباطنة، والبغي بغير الحق، والقول على الله بلا علم، لأنه يستحيل أن تأتي الشرائع السماوية بخلاف ذلك. فهذه الأصول الحققة النافعة التي لا تحصل سعادة الدنيا والآخرة إلا بها.

وأما أصول مذهب المعتزلة فإنها منافية لهذه الأصول غاية المنافاة، فعندهم أصول خمسة من خصائص مذهبهم: جحود صفات الباري، وعلوه على خلقه، ورؤيته في الآخرة، والقول بخلق القرآن، وما يسمونه العدل الذي مضمونه نفي قدرة الله على أفعال العباد وأن الفاسق المليئ ينفى عنه الإيمان ولا يسمى كافراً ولكنهم يخلدونه في النار، وينفون الشفاعة بأهل المعاصي. ولأجل هذه الأصول قالوا: لا يقدر الله على هداية الكافرين ولا إصلاح العاصين، ولأجلها قالوا بوجوب الصلاح والأصلح على ربهم بحسب ما اقتضته عقولهم الفاسدة وقد علم بالضرورة منافاة هذه الأصول للشرع والعقل.

السادس عشر: إجماع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أئمة

المسلمين المعتبرين الذين إجماعهم هو الحجة والعصمة، وأما من سواهم ممن هو معروف ببدعة وإلحاد فوجود خلافهم لا يقدر في الإجماع، وقد قرر هذا الإجماع كثير من الأئمة بالنقل المتواتر عنهم بالألفاظ المتنوعة على علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وتتبع ذلك كثير جدًا موجود في كتب التفسير والأصول والآثار والفقه، لم يخالف منهم مخالف، بل كلهم مُقَرَّرُونَ بذلك منكرون على من تأول وأنكر أو شك فيه.

وأطال المؤلف في تعداده لمن حكى هذا الإجماع من الأئمة، وسرد أقوالهم على وجه الإشارة، وذكر أنهم أهل العقول الكاملة المؤيدة بنور الوحي والبصيرة وأهل الصدق الكامل والدين المتين، فهل يوزن بهذه العقول التي ترجح بالجبال الرواسي أو تساويها عقول سفهاء الأحلام أرباب الكلام الباطل وقشور الفلسفة الذين كذبوا بالحق فهم في أمر مريب. الذين لا يفرح بوقافتهم ولا يؤسف على خلافهم.

السابع عشر: ما أخبر به تعالى عن موسى عليه السلام وعن فرعون حين دعاه إلى ربه وأنكر فرعون دعوته وموه على قومه وقال لوزير هامان على وجه التكذيب لموسى والتهكم به: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُنْذِرُهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

فهذا صريح في تكذيبه لموسى في قوله إن الله فوق السماوات والخلق كلهم، وتبع فرعون على قوله هذا جميع الجهمية الفرعونية ورموا ببلائهم أهل السنة والجماعة وقالوا إن مذهبهم مذهب فرعون الذي اعتقد علو الله على خلقه، وهذا من العجائب وقلب الحقائق، فإنه لا يشك أحد أن مقالة فرعون المذكورة تكذيب لموسى ورد لقوله وأن فرعون أراد أن يموه على قومه فيصعد السماء ليصل إلى إله موسى الذي دعاه موسى إلى عبادته، فموسى إمام المثبتين لعلو رب العالمين وفرعون إمام كل معطل.

الثامن عشر: أن الله تعالى قد نزه نفسه عن النقائص والعيوب. وعن التمثيل والتشبيه، كما نزه نفسه عن الشريك والظهير والعيون والوزير والولد والصاحبة والحاجة وأن يوالي أحدًا من الذلة، وكذلك نزه نفسه أن يكون أحد يشفع عنده من دون إذنه بل نذه نفسه عن

أمور ما قالها أحد تحذيرًا من وقوعها، فإنه نزه نفسه عن الطعم والموت والنوم والسنة والنسيان ولم ينسبه أحد إلى شيء من ذلك.

كذلك نزه نفسه عن الظلم وإرادته وعن العبث والباطل والتعب والعجز المنافي لقدرة الله تعالى ونزه نفسه عن كل ما لا يليق بجلاله، ونزه نفسه عن مقالة قالها بعض طوائف اليهود إن العزيز ابن الله، فكل نقص وتمثيل قد نفاه عن نفسه، فلو كانت مقالة المعطلين النافين لعلو الله على عرشه فوق مخلوقاته ومباينته لهم حقًا لنزه نفسه عن العلو والفوقية، فكيف والأمر بالعكس فهو دائماً يبدئ ويعيد في ذكر علوه وفوقيته ويقرر ذلك بكل دليل وبرهان، فلو فرض أن النصوص خالية من تقرير العلو والاستواء على العرش لكان تركه تنزيهه عن العلو أكبر دليل على تقرير ذلك ورضاه به والعلم بأنه غير مناف لكمالته، فكيف وهو مع ذلك والأدلة الشرعية كلها على خلاف قول الجهمية، فلو بسطت أنواعها وجعلت أفرادًا لزادت على ألف دليل فإن كان يمكن تأويلها وإنكارها مع هذا البيان والوضح وتنوع الأدلة أمكن تأويل الدين كله وإنكاره كما فعل ذلك الملاحدة الزنادقة من القرامطة والباطنية والإسماعيلية فإذا كان معلومًا بطلان قولهم في الشرائع والمعاد والتوحيد فكذلك قول المتأولين للعلو ولا فرق بين الأمرين في الحقيقة.

التاسع عشر: أن يقال للمعطل: هل تعترف أن محمدًا ﷺ كان يعرف ربه؟ فلا بد أن يقول نعم، فيقال له: هل كانت نصيحته لأتمته كاملة تامة لا يمكن أن يساويه فيها أحد؟ فلا بد أن يقول: نعم، فيقال له: هل كان فصيحًا بليغًا مقتدرًا على التعبير عن المعاني المقصودة بالألفاظ الجليلة الفصيحة فمعاني كلامه أجل المعاني وألفاظه أفصح الألفاظ؟ فلا بد أن يقول نعم، لأن هذه الأمور الثلاثة في حق النبي ﷺ لا يمكن أن ينزع فيها مسلم يعظم الرسول، فإذا علم بالضرورة أن هذه الأمور الثلاثة قد كملت فيه على أكمل وجه كان من أعظم المحال أن يكتف ما يجب لله من العلو والفوقية وصفات الكمال ويفصح بضد ذلك، بل لما كان ﷺ كامل العلم بربه وبدينه فهو أعلم الخلق وأخشاهم لربه وكان بالمؤمنين رحيمًا أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم وأنفسهم وأبلغ الخلق وأقدرهم على التعبير عن المعاني النافعة، علمهم ﷺ ما لم يكونوا يعلمون، وقد بين للناس جميع ما يحتاجون إليه، خصوصًا



الأمر المهمة والعقائد الدينية والأصول الإيمانية، فلو كان الحق فيما يقوله النفاة والنبى ﷺ لم يصرح بشيء منه بل صرح بضده وجعل الأمر موكولاً لعقول الناس وآرائهم الضعيفة للزم انتفاء هذه الأمور الثلاثة كلها، وهذا لا يفوه به مسلم يؤمن بالله ورسوله.

بل لما كان هذا الباب أنفع الأصول وأفرضها، والناس مضطرون إليه، صرح ﷺ بأنواعه وتفصيله حتى أن كثيراً من الأئمة لم يقل جميع ما قاله الرسول في هذا الباب.. لا كتماناً منهم، بل مراعاة لأحوال وقتهم وأهل زمانهم، وأن كثيراً منهم لا تكاد أفهامهم تطيق وتحتمل بعض الدقائق الإيمانية فلم يجربوا به للمصلحة، فالعلم يجب بيانه إلا إذا اقتضت المصلحة السكوت عن بعضه مراعاة لأهم الأمرين، فإن الشرع دائر مع المصالح وتقديم راجحها على مرجوحها. والله أعلم.

العشرون: من البراهين الدالة على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه الدليل العظيم والبرهان القاطع، وهو ما يحصل من مجموع الأدلة السابقة وغيرها، فإنه يحصل من سرد أنواعها وأفرادها ونصوصها وقواطعها ما يوصل إلى اليقين الاضطراري والعلم الضروري الذي لا يمكن دفعه ويحصل الجزم التام الذي لا ريب فيه بعلو الله وارتفاعه واستوائه على عرشه. وأشار المؤلف إليها في هذا الموضوع إشارة لطيفة تعرف مما تقدم، وذلك أن واحداً من الأدلة يفيد العلم بالمقصود ثم الآخر كذلك ثم يستفاد من انضمام أحدهما للآخر دلالة أخرى ثم من مجموع الجميع دلالة هي أقوى أنواع الدلالات فتتزايد شواهد الإيمان وتتعاون أدلته حتى يكون الإيمان في القلب أرسخ من الجبال.

الحادي والعشرون: أنه ورد في الكتاب والسنة ذكر مجيء الله للفصل بين عباده كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فهذا التنويع والتقسيم المصريح بمجيء الملائكة ثم مجيء الله ثم مجيء بعض آياته يمنع تأويله بأنه يأتي أمره أو ملك من الملائكة، وأنه من باب تحريف الكلم عن مواضعه، لأن الأمرين صرح بذكرهما وصرح بينهما بذكر مجيئه فلم يبق للاحتمال موضع بوجه، فإذا ثبت وتقرر مجيئه كان معلوماً أنه يأتيهم من فوقهم لا من بقية جهاتهم كما تقدم في الرواية.



## فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على  
أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه

١١١٣- وَلَقَدْ أَتَانَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْ

مَنْقُولِ فِي فَوْقِيَةِ الرَّحْمَنِ

١١١٤- مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ

هَآ نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانٍ

١١١٥- مِنْهَا اسْتَوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي

سَبْعِ أَتَتْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١١١٦- وَلِذَلِكَ أَطْرَدَتْ بِلَا «لَامٌ» وَلَوْ

كَانَتْ بِمَعْنَى «الْلام» فِي الْأَذْهَانِ

١١١٧- لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ كَيْ يُحْمَلُ الـ

بِقَائِي عَلَيْهَا بِالْبَيِّنِ الثَّانِي

١١١٨- وَنَظِيرُ ذَا إِضْمَارُهُمْ فِي مَوْضِعِ

حَمَلًا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي التَّبْيَانِ

١١١٩- لَا يُضْمِرُونَ مَعَ إِطْرَادِ دُونَ ذِكْرِ

الرِّ الْمُضْمِرِ الْمَحذُوفِ دُونَ بَيَانِ

١١٢٠- بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ

فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ الْفَ لِسَانِ

١١٢١- حَذْفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا

يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ

١١٢٢ - هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ التَّ

فَسِيرُ بِاسْتَوَى لِذِي الْعِرْفَانِ

١١٢٣ - قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامٍ هـ

ذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَّانِيِّ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل أشار المؤلف فيه إلى الطرق النقلية الدالة على علو الله عز وجل، والفصلان السابقان فيها الأدلة العقلية، أما الأدلة النقلية ما كان منشأها النقل من كتاب أو سنة أو قول صحابي أو إمام من الأئمة يقول رَحِمَهُ اللهُ: إنه قد أتانا عشر أنواع من المنقول في فوقية الرحمن مع مثلها أيضاً تزيد بوحدة فيكون الجميع واحداً وعشرين نوعاً، وها نحن نسردها بلا كتمانٍ تبييناً للحق وإظهاراً له ومن من هذه الأنواع -:

منها: (استواء الرب فوق العرش في سبعٍ أتت في محكم القرآن)، والاستواء ذكره الله عز وجل في سبعة مواضع من القرآن: في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان والحديد والسجدة كلها ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] بهذا اللفظ، وكذلك اطردت بلا لام) يعني: كلها - السبع - أتت باستوى ولم تأت باللام يعني: لم يقل في موضعٍ منها استوى على العرش بل قال: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ويقول: (ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان لأتت بها في موضعٍ أي: لو كانت استوى في المعنى بمعنى استوى؛ لأتى بها في موضعٍ واحد من أجل أن يحمل الباقي عليها).

البيان الثاني المراد به هنا التي أتت فيه باللام فتحمل النصوص الأخرى الخالية من اللام

(١) [١١١٦: ١١٢٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وما أحسن ما قيل أن لام الجهمية كنون اليهودية، فاليهود قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة، وهؤلاء قيل لهم: استوى، فقالوا استوى، تشابهت قلوبهم.

على النص الذي فيه اللام ونظير هذا يعني: أن هذه القاعدة التي قَعَدَهَا - رَحِمَهُ اللهُ -: أنها لو كانت بمعنى استولى لأتى به ولو في موضع واحد.

\* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَظِيرِ ذَا إِضْمَارُهُمْ فِي مَوْضِعٍ حَمَلًا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي التَّبْيَانِ

يعني: أنهم - المراد بهم العرب - يضمرون في موضع حملاً على المذكور في موضع آخر فيكون المضمَر في هذا الموضع هو المذكور في الموضع الآخر من أجل أن يحمل هذا الذي فيه المضمَر ودلالته مبهمة، وكما هو معلوم أن الشيء المضمَر مبهم فيحمل هذا الذي فيه الإضمار - ودلالته مبهمة - على الذي فيه الذكر ليكون مُبَيَّنًا.

\* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا يُضْمِرُونَ مَعَ إِطْرَادِ دُونَ ذِكْرِ الْمُضْمِرِ الْمَحذُوفِ دُونَ بَيَانِ

يعني: لا يمكن أن يضمَر العرب شيئاً بدون بيان أبداً بل لابد من بيان، والبيان إما أن يكون في نفس اللفظ وإما أن يكون من سياق آخر يبين ذلك الإضمار؛ فمثلاً القرية جاءت في القرآن الكريم أحياناً يضاف إليها كلمة أهل، وأحياناً تحذف: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ هذه أضيفت إلى أهل ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ قرية هنا ما المراد بها؟ أهلها على إضمار، من أين عرفت أن فيها إضمار أهل؟ من السياق ومن آيات أخرى ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلا يمكن عند العرب أن يضمروا بلا بيان: إما أن يأتي من نفس السياق وإما يأتي البيان من سياق آخر في موضع آخر.

تقول: بَنَى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط في مصر، من الذي بنى مباشرة؟ العمال، لكن عمرو أمر ببنائه وكلُّ يعرف أن عمرو بن العاص هو قائد المشروع لكن أن يباشر هو البناء فلا، إنما الذي بناه العمال في أمره، تقول مثلاً: بنى الملك قصرًا، هل هو الذي جاء فيه يشطب ويضع اللبنة على اللبنة؟ لا، بل أمر بذلك؛ إذاً لا يمكن للعرب أن يضمروا شيئاً لا يدل عليه اللفظ في سياقه أو يدل عليه لفظ آخر في موضع آخر أبداً.

\* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِلْفَ لِسَانِ

حَذْفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ  
هَذَا وَمِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ اللَّهُ فَسِيرُ بِاسْتَوْلَى لِذِي الْعِرْفَانِ  
قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامٍ هَذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَائِي

المراد به أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ شيخ الإسلام فقد ذكر أن تفسير (استوى) باستولى باطل من عشرين وجه في رسالة له ولكنني لا أدري أهذه الرسالة موجودة أم لا؟ إنما يمكن للإنسان إذا تأمل هذا وجد أن هذا التفسير باطل.

هذا واحد من الأنواع الدالة على علو الله وهي ذكر استوائه على عرشه، ووجه هذا دالاً على العلو أن أعلى المخلوقات على الإطلاق عرش الرب - عز وجل - فإذا كان الله مستوياً عليه لزم لذلك أن يكون عالياً.



## فصل



١١٢٤- هَذَا وَثَانِيهَا صَرِيحٌ غُلُوبٌ

وَلَهُ بِحُكْمِ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ

١١٢٥- لَفْظُ الْعَلِيِّ وَلَفْظَةُ الْأَعْلَى مُعَرَّ

فَةٌ [أَتَتْ فِيهِ] لِقَصْدِ بَيَانِ

١١٢٦- أَنَّ الْغُلُوبَ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّ

غْمِيمِ وَالْإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ

١١٢٧- وَلَهُ الْغُلُوبُ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا

ذَاتًا وَقَهْرًا مَعَ غُلُوبِ الشَّانِ

١١٢٨- لَكِنَّ نَفَاةَ غُلُوبِهِ سَلْبُوهُ إِك

مَالِ الْغُلُوبِ فَصَارَ ذَا نُقْصَانِ

١١٢٩- حَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ

فَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي

١١٣٠- وَعُلُوبُهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا

فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالْثِقَلَانِ

١١٣١- لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطِلٌ تَبْدِيلَهَا

أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

١١٣٢- كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى

مُتَوَجِّهًا بِضُرُورَةِ الْإِنْسَانِ

١١٣٣- نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ

وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

### الشَّرْحُ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا هو النوع الثاني التصريح بالعلو وله صورتان:

الصورة الأولى: العلي كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهي هنا صفة مشبهة تدل على أن العلو هو وصفه الدائم الثابت؛ لأن مدلول الصفة المشبهة مع الحدث الثبوت والاستمرار.

أما الصورة الثانية: صفة التفضيل الأعلى ليفيد أن علوه لا يشاركه فيه أحد؛ لأن مطلق العلو قد يشارك فيه أحد فيقال مثلاً: فلان علا، لكن العلو الذي اتصف الله به لا يساويه فيه أحد؛ ولا يشاركه فيه أحد ولهذا جاء بلفظ الأعلى ودليله قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] إذا فالتصريح بالعلو يشمل كما قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - العلو المطلق؛ ولهذا قال:

أَنَّ الْعُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّامِّ غَمِيمٌ وَالْإِطْلَاقُ بِالْبُرْهَانِ

علو مطلق عام.

وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ذَاتًا وَقَهْرًا مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

وتلك الوجوه هي: الأول: علو الذات، الثاني علو القهر، والثالث علو الشأن يعني: علو القدر هكذا قسّم المؤلف العلو ثلاثة أقسام:

علو الذات: أي أنه سبحانه نفسه فوق كل شيء.

علو القهر: القهر يعني: الغلب فهو غالب لكل أحد ومن علو القهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ لأن المسلمين أعلى من الكفار في الأصل، والمراد بالعلو في الآية علو القهر يعني: أنتم الأعلون القاهرون لهم.

الثالث: علو الشأن: يعني: شأنه عالٍ وقدره رفيع - عز وجل - ولهذا قالوا: علو القدر ولك أن تقول: إن علو الله - عز وجل - نوعان: علو ذات وعلو صفة والصفة إما صفة قهر

وإما صفة قدر وشرف. ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنْ نَفَاةٌ عُلُوهُ سَلْبُوهُ إِكْرَامٌ الْعُلُوِّ فَصَارَ ذَا نَقْصَانٍ

الذين سلبوا إكمال العلو قالوا: إنه عالٍ قهراً وشأنًا وليس علياً ذاتاً إذا نقصوا معنى العلو.

حَاشَاةٌ مِنْ إِفْكَ النَّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي  
وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلْقَةِ كُلِّهَا فَطَرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ

هذا الدليل الفطري على علو الله لا أحد يباري فيه؛ ولذلك نفس الذين ينكرون علو الله إذا دعوا الله - لو تركوا أنفسهم على اعتقاد الباطل - أين يتجهون: إلى العلو.

تجادل رجلان في منى يوم العيد في علو الله الذاتي فقال النافي: إنه ليس فوق كل شيء بذاته فقال له صاحبه: هل أنت أمس كنت واقفاً بعرفة تدعو الله؟ قال: نعم، قال: أين رفعت يدك؟ هل قلت: يارب للأرض هكذا أم يارب هكذا، أم قلت يارب (في جهات مختلفة)؟ قال: قلت يارب - رافعاً يده - فكيف توجه يدك إلى فوق وتقول: إنه ليس فوق وأنت تدعو الله؛ ولهذا لا يمكن لهؤلاء النفاة أن يجحدوا عن هذا الدليل الفطري أبداً يقول:

لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَلٌ تَبْدِيلَهَا أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

سنته أي: طريقته التي فطر الخلق عليها فجميع الناس مفطورون على أن الله عالٍ بذاته فوق كل شيء.

كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى مَتَوَجِّهًا بِضُرُورَةِ الْإِنْسَانِ  
نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

ولذلك قال أبو العلاء الهمداني لأبي المعالي الجويني وهو يقرر نفي علو الله في قوله: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه فقال له أبو العلاء الهمداني: دعنا من ذكر العرش واستواء الله على العرش لماذا يقول: دعنا منه؟ لأن دليله سمعي وليس فطري والسمعي قابل للتأويل ولو تحريفاً فما تقول في هذه الفطرة، أو قال: الضرورة التي يجدها كل داعٍ في نفسه؛ ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو فلطم على رأسه حيرني الهمداني

لأن هذا دليل فطري ما يمكن النزاع فيه كما قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -:  
نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ  
أَيْنَ تَطْلُبُ رَبِّكَ إِذَا دَعَوْتَهُ؟ أَطْلَبُهُ فَوْقَ.



\* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

- ١١٣٤ - وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكَ وَتَخْـ  
مِيشَ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيْمَانِ  
١١٣٥ - لَا تَسْتَطِيعُ تُعَارِضُ الْمَعْلُومَ وَالـ  
مَعْقُولَ عِنْدَ بَدَائِهِ الْأَذْهَانَ  
١١٣٦ - فَمِنَ الْمُحَالِ الْقَدْحُ فِي الْمَعْلُومِ بِالـ  
شُّبُهَاتٍ هَذَا بَيْنَ الْبُطْلَانِ  
١١٣٧ - وَإِذَا الْبَدَائِيُّ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّـ  
بُهَاتٍ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى بُطْلَانِ  
١١٣٨ - شَتَّانَ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا  
بَعْضٌ لِبَعْضٍ أَوْلاً لِلثَّانِي  
١١٣٩ - وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ  
حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

### الشَّرْحُ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكَ وَتَخْـ مِيشَ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيْمَانِ  
هذه نهاية الشبهات التشكيك والتخميم وهو أشد من التشكيك والتغيير أو التغيير

فالشبهات - والعياذ بالله - إذا لبسها القلب أو ألبست القلب - نسأل الله العافية - فهذه نهايتها يبقى الإنسان في شك وحيرة ولا يستطيع التخلص منها إلا من عصمه الله.

لَا تَسْتَطِيعُ تَعَارُضُ الْمَعْلُومِ وَالْمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الْأَذْهَانَ

يعني: المعقول في البدائه والمعلوم من المسموعات هل يمكن لهذه الشبهات أن تعارضه؟ شبهات ترد على الإنسان - نسأل الله العافية - هل يمكن أن تعارض هذه الشبهات ما ثبت ببداية العقول أو بالمعلوم من المنقول؟ لا يمكن أبدًا لأن المعلوم تزول به الشبهة والمعقول تبطل به الشبهة أيضًا، ولهذا قال (فمن المحال القدح في المعلوم بالشبهات) يعني: الشيء المعلوم هل يمكن أن تبطله الشبهات؟ أبدًا أما إذا قيل هذا فلان ونعرف أنه فلان وجاء إنسان ليشتكني فيه هل يرد على قلبي الشك؟ أبدًا مهما كان الشيء المعلوم لا يمكن أن تبطله الشبهات.

وَإِذَا الْبَدَائَةُ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الـ شُبُهَاتِ لَمْ تَحْتَجِ إِلَى بُطْلَانِ

أيضًا الشبهات هل تبطل ما يعلم بالبداية؟ لا يمكن أبدًا؛ ولذلك حجة من أنكر علو الله أنهم قالوا: لو كان فوق بذاته لزم أن يكون محدودًا بحد والله تعالى منزّه أن يكون محدودًا أو متحيزًا وهذه شبهة لا تبطل أبدًا ما كان معلومًا بالسمع أو معقولًا بالبداية.

شَتَانٌ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضٌ لِبَعْضٍ أَوْلًا لِلثَّانِي

هذه مقالة من؟ مقالة المعطلة الذين أنكروا علو الله.

وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الْإِلَهُ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

شتان بين مقالة فطر الله الخلق عليها، ومقالة أوصى بها بعض لبعض أول للثاني مبنية على شبهة كما بين المشرق والمغرب وكما بين السماء والأرض ما هي المقالة التي فطر الله العباد عليها؟

هي قولنا: إن الله بذاته فوق جميع المخلوقات وهذه المقالة التي فطر الله الخلق عليها والمقالة التي أوصى بها بعض المعطلة لبعض قالوا: لا تقولوا: إن الله فوق العالم بذاته فلا تقولوا هذا أبدًا فيماذا نقول؟ لهم في ذلك طريقان:

إما أن تقولوا: إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل العالم ولا خارجه

ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه وهذا قول.

أو تقولوا: إن الله بذاته في كل مكان.

والقول الثالث - قول أهل الحق -: إن الله بذاته فوق كل شيء وهذا الذي ساق المؤلف

الأدلة بإثباته.





١١٤٠- هَذَا وَثَالِثُهَا صَرِيحُ الْفَوْقِ مَص-

حُوبًا بِ«مِنْ» وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ

١١٤١- إِحْدَاهُمَا هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَال-

أَصْلُ الْحَقِيقَةِ وَحَدَهَا بَيِّنَانِ

١١٤٢- فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ

لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِإِلَّا بُرْهَانِ

١١٤٣- لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ ال-

تَّأْوِيلِ فِي لُغَةِ وَعُرْفِ لِسَانِ

١١٤٤- وَأَصْحَ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا

تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

١١٤٥- إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ

تُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

١١٤٦- أَضْحَى كَنْصِ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلِ ال-

تَّأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانِ

١١٤٧- فِسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ ال-

أَحْوَالِ إِنَّهُمْ مَا لَنَا صِنُونَانِ

١١٤٨- إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودًا بِهَا

لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ<sup>(١)</sup>

١١٤٩- فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَّاقَةٍ

تُبْدِي الْمُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ

١١٥٠- وَإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الْ

أَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الْكِتْمَانِ

### الشَّرْحُ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه القطعة بين المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - أن النوع الثالث من أدلة العلو التصريح بالفوقية وذكر

أنها نوعان:

إحدهما: مقرونة بمن.

والثانية: مطلقة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] هذه مطلقة وفي قوله: ﴿يَخَافُونَ

رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] هذه مقيدة.

الوجه الثاني: ويقول - رَحِمَهُ اللهُ -: إن التي لم تُقيد بمن تحتل التأويل أما المقيدة بمن فإنها لا

(١) [١١٤٠: ١١٤٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما الفوق المجرد عن الاقتران بمن فهو قد يقبل التأويل، ولكن لا يقبله إلا بدليل؛ لأن الأصل هو الحقيقة، فلا يصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلا بقريضة صارفة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، فإذا ادعى الخصم أن قريضة العقل هي التي أوجبت ذلك الصرف لاستحالة الفوقية الحسية، قلنا هذه القريضة معارضة عندنا بضرورة العقل القاضية بأن كل موجودين إذا نسب أحدهما إلى الآخر، فيما أن يكونا متداخلين أو متباينين، وإذا كانا متباينين فلا بد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر.

وقد ذكر المؤلف هنا فائدة جليلة ينبغي التنويه بها وهي اعتبار سياق الكلام في تحديد مدلولات الألفاظ، فإذا جاء السياق يبدي المراد للمخاطب أصبح كالنص في إفادة القطع وعدم قبول التأويل، فبعض الألفاظ قد يكون محتملاً لأكثر من معنى، ولكن سياق الكلام هو الذي يعين المراد باللفظ من هذه المعاني، فسباق الألفاظ مثل شواهد الأحوال كل منها قريضة تعين المعنى المقصود إلا أن هذه قريضة مرئية بالعيان وهذه قريضة مسموعة بالأذان.

تحتمل التأويل، الأولى تحتمل التأويل وهي: أن تكون الفوقية فوقية الشأن والصفة كما تقول مثلاً: الذهب فوق الفضة أي: في الشرف والقيمة أما: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ فإنها لا تحتمل التأويل؛ لأنها صريحة في أن المراد فوقية المكان وأن الله تعالى فوق جميع الخلق ثم قال - رَحِمَهُ اللهُ - على التأويل الأول أن المطلق يحتمل التأويل ولا يقبل التأويل؛ لأن الأصل الحقيقة ثم ذكر قاعدة مهمة وهي أنه إذا أتى اللفظ بسياقه مبيناً للمراد فإنه لا يقبل تأويله؛ لأنه يكون كالصريح كما أن شواهد الأحوال كالصريح عند الكتمان - عند كتمان الشيء - إذا كتم الإنسان شيئاً وكانت شواهد الأحوال تدل على كذبه صارت هذه الشواهد كالصريح ولنستمع إلى المؤلف يقول:

هَذَا وَثَلُثُهَا صَرِيحُ الْفَوْقِ مَصَّ حُوبًا بِـ «مِنْ» وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ  
إِحْدَاهُمَا هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَهَا بَيَّانِ

قوله: (قابل التأويل) الذي بدون من (والأصل الحقيقة وحدها بيان) يعني: حتى على قولنا بأنه قابل التأويل لكن في الأصل الحقيقة هي عدم التأويل.

فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِإِلَّا بُرْهَانِ  
قوله: (إذا ادعى تأويل ذلك مدع) وقال المراد بكذا كذا على خلاف اللفظ الأصل فإنه يقول: لم تقبل الدعوى بلا برهان أي: بلا دليل وأظن هذا ظاهر اللفظ أن يحمل الكلام على حقيقته وأصله ولا تقبل دعوى التأويل إلا بدليل.

لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ الـ تَأْوِيلِ فِي لُغَةٍ وَعَرَفَ لِسَانَ  
(المجورور) أي: بمن ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]؛ لأن الفوقية المعنوية فوقية الشيء لا تأتي بمن، فَمِنْ تأتي لابتداء المكان فيكون مكان الله - عز وجل - فوق ولا تقبل غير هذا ثم قال:

وَأَصْخَ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرَهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

(وأصخ) يعني: واستمع وبين هذه الفائدة بقوله:

إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أَدْنَانِ  
أَضْحَى كَنْصِ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ الـ تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَدْهَانِ

إذا أتى الكلام بسياقةٍ على وجهٍ بَيِّنِ المراد، يعني: إذا بصيغة معينة فإنه يبدي المراد (لمن له أذنان) يعني: يظهره (أضحى كنص قاطع لا يقبل التأويل) يعني: إذا كان سياقه يبدي المراد فإن هذا يكون كالنص القاطع الصريح لا يقبل التأويل ويعرف ذا أولو العرفان.

فَسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ إِنَّهُمَا لَنَا صِنَوَانِ

(الصنوان) هما الفرعان من أصل واحد. قال النبي ﷺ لعمر: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوَانِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

أسألك هل رأيت نخلاً صنواناً أي: نخلتين من أصل واحد؛ الجذع واحد والفرع ثنتان؟!<sup>(٢)</sup>

\* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سياقة الألفاظ مثل شواهد الأحوال) كل منهما يعين المراد، شواهد الأحوال أحياناً تكون كالصريح ولعله ليس ببعيد عنكم قصة سلام بن مشكم حينما أنكر مال حبي بن أخطب وقال: إنه لم يترك مالاً فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «المال كثيرٌ والعهد قريبٌ»<sup>(٣)</sup> يعني أين ذهب؟ ثم دفع الرجل إلى الزبير بن العوام فلما مسه بعذاب قال: أنا أرى حبي بن أخطب يحوم حول هذه الخربة فابحثوا عن ماله فبحثوا عن ماله فوجدوه مدفوناً بهذه الخربة وإذا هو ملء مسك ثورٍ من الدنانير والذهب، (مسك الثور) يعني: جلد الثور؛ الشاهد من هذا: أن قرائن الأحوال صارت كالصريح؛ كشواهد الألفاظ كأن هذه القرينة قالت لهم: إن عنده مالاً ولم ينفد ماله.

إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودًا بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ

قوله: (إحدهما للعين مشهوداً بها) هذه القرائن (لكن ذاك) يعني: سياق الألفاظ (لمسمع الإنسان) إذا سمع الإنسان شيئاً وتفهم السياق عرف دلالة على المراد والسياق يجعل المراد بالقرائن كأنه صريح.

فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي الْمُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ

قوله: (فإذا أتى التأويل) وهو صرف اللفظ عن ظاهره بعد سياقة تبدي المراد ماذا يكون

(١) رواه مسلم (٩٨٣).

(٢) سؤال الشيخ هنا يوحى بالتعجب والاستنكار.

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٥ / ٩).

هذا التأويل؟ مستهجنًا مردودًا لا يُقبل.

وَإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الْكِتْمَانِ

هذا صحيح أيضًا إذا أتى الكتمان بعد شواهد الأحوال صار من أقبح الكتمان كقضية الرجل الذي ذكرنا في قصة حيي بن أخطب فهذه شواهد الأحوال تدل على أن مالا موجودًا.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١١٥١- فَتَأْمَلِ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي

سَيَقْتَلُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانٍ

١١٥٢- وَالْفَوْقَ وَصَفَّ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ

كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

١١٥٣- لَكِنْ نَفَاةَ الْفَوْقِ مَا وَقَّوْا بِهِ

جَحَدُوا كَمَالَ الْفَوْقِ لِلدِّيَانِ

١١٥٤- بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنْ قَدَرَ اللهُ أَعْمَ

لِي لَا يَفْوَقَ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ

١١٥٥- قَالُوا وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي

ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ

١١٥٦- هُوَ فَوْقَ جَنَسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لِأَنَّ

بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

١١٥٧- وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا

لِللَّهِ تَابِتَةٌ بِإِسْلَامِ نَكْرَانِ

١١٥٨ - هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ

فَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ (١)

### الشَّحْ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه القطعة أيضًا يقول المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - فيها: (فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له) فإذا تأملت الألفاظ ونظرت ما الذي سيقت له عينت لك المراد؛ وذلك لأن الإنسان لا ينبغي أن ينظر إلى الألفاظ مجردة عن قرائن السياق؛ لأن الألفاظ نفسها مجردة ليس لها معنى إلا بالسياق فهو الذي يظهر معناها؛ ولهذا رُبَّ كلمة تكون في هذا السياق بمعنى وفي سياق آخر بمعنى آخر! إذا تأمل السياق وانظر لأي شيء جاء هذا السياق فإذا قيل: جاء لإثبات الفوقية تعيّن أن يكون المراد بالفوقية: فوقية الذات وهذا مثال القاعدة: أن السياق يعين المراد يقول:

وَالْفَوْقُ وَصِفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

قوله: (والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه) لمن؟ (لفاطر الأكوان) فاطر الأكوان هو الذي خلقها ابتداءً على غير مثال سبق ولهذا قالوا: ﴿فَاطِرِ أَسْمَوَاتٍ﴾ أي: منشؤها على غير مثال سابق أي: لأول مرة فالذي فطر الأكوان من غير مثال سابق هو الله - عز وجل - (لكن نفاة الفوق ما وفوا به) يعني: ما أتوا به وافيًا، ومن نفاة الفوق؟ هم

(١) [١١٥١: ١١٥٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولا شك أن لفظ الفوق في جميع سياقاته في القرآن الكريم يفيد أن الثابت لله عز وجل هو الفوقية المطلقة بجميع معانيها، فإن الفوق وصف ثابت لله، فيجب أن يكون الثابت له هو كمال الفوق لا بعض الفوق، ولكن نفاة الفوق جحدوا كمال هذا الوصف، كما جحدوا كمال علوه من قبل، وفسروا الفوق بأحد المعاني الذي يحتملها، وهو فوقية القدر، كما يقال الذهب فوق الفضة، بمعنى أنه أعلى منها ثمنًا.

ولاشك أن هذا المعنى الذي ذكره صحيح ولكن ليس هو كل المراد من لفظ الفوق، فإن للفوقية معاني ثلاثة: هي فوقية الذات، وفوقية القدر والعظمة، وفوقية القهر، وكلها ثابتة لله جل شأنه حسبما يقتضيه إطلاق اللفظ.

الجهمية والأشاعة ونحوهم ممن ينكرون العلو الذاتي.

بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنْ قَدَرَ اللَّهُ أَعْلَى لَأَبْفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ  
إِذَا فَسَّرُوا الْفَوْقِيَّةَ بِمَاذَا؟ بِالْقَدْرِ أَي: فَوْقِيَّةَ الْمَعْنَى فَقَطْ.

قَالُوا وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ  
(خالص العقيان) خالص الذهب.

هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لِأَنَّ الذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

قوله: (هو فوق جنس الفضة البيضاء) الذهب فوق الفضة، والبلاتين فوق الذهب،  
وأيضاً الصوف فوق القطن، والمسجد فوق السوق وهذه فوقية القدر قالوا: هذه فوقية لله  
أي: فوقية القدر أما الذات فلا.

ثم قال المؤلف مبيناً أن الفوق ثلاثة أنواع كالعلو.

وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بِإِلَّا تُكْرَمَانِ  
هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقُ الْقَهْرِ وَالْفَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

فَجَعَلَ الْمَصْنَفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَوْقِيَّةَ اللَّهِ كَعَلُو اللَّهِ فَوْقِيَّةَ قَدْرِ، وَقَهْرِ، وَذَاتِ.





## فصل

- ١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا عَزُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمْلاَكِ صَاعِدَةٌ إِلَى الرَّحْمَنِ
- ١١٦٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْتِمَالًا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ
- ١١٦١- فِي سُورَةٍ فِيهِ الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ
- ١١٦٢- وَبِسُجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلْأَجَلِ ذَا قَالُوا هُمَا يَوْمَانِ
- ١١٦٣- يَوْمُ الْمَعَادِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَوْمُ فِي «تَنْزِيلِ» فِي ذَا الْآنِ
- ١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُزُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدِّيَانِ
- ١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَضُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّقِيعِ الدَّانِي
- ١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ وَذَا ضِعْفَانِ
- ١١٦٧- لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةَ الـ سَبْعِ الطَّبَاقِ وَبَعْدُ ذِي الْأَكْوَانِ

١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى

عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلَ التَّحْتَانِي

١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الـ

بَعْوِي ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

١١٧٠- وَمُجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لـ

كِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ الْجَلِيلَ الشَّانِ

١١٧١- قَالَ الْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا الـ

مِقْدَارُ فِي سَيْرِ مِنَ الْإِنْسَانِ

١١٧٢- وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَقَوْ

لُ قَتَادَةَ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ

١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ الرُّضِيُّ وَرَوَاهُ عَنِ

بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ

١١٧٤- وَيُرْجِحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ

سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ

١١٧٥- إِحْدَاهُمَا مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَانِعِ

لِزَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ

١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ

وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبْتَانِ

١١٧٧- خَمْسُونَ أَلْفًا قَدَرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي

هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ تَبْيَانِ

١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمِ

مَ وَاحِدٌ مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ

١١٧٩- قَالُوا وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الـ

مَقْصُودَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

١١٨٠- فَانظُرْ إِلَى الْإِضْمَارِ ضِمْنَ «يَرَوْنَهُ»

«وَنَرَاهُ» مَا تَفْسِيرُهُ بَيَّانٍ

١١٨١- فَالْيَوْمَ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا

بِ وَقِيعٍ لِلْقُرْبِ وَالْجِيرَانِ

١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الـ

دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١١٨٣- فَنَزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ

كُنُزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ

١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ

أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إِذَا شَأْنَانِ

١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا

فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ

١١٨٦- هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدِي وَعِلْمُهَا الـ

مَمُوكُولٌ بَعْدُ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ

١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمِ بِلَا

عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

١١٨٨- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ .

وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ (١)

(١) [١١٨٦: ١١٨٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويعد أن ساق المؤلف رحمه الله كلاً من المذهبين، المذهب الذي اختاره هو والمذهب الذي رواه عن

الشرح

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل فيما يتعلق بالنوع الرابع من الأدلة الدالة على علو الله جلا وعلا يقول:

هَذَا وَرَابِعُهَا عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمْلاَكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

(هذا ورابعها) يعني: رابع الأنواع الدالة على علو الله بذاته (عروج الروح والأملك صاعدة إلى الرحمن)؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

إِلَيْهِ ﴿[المعارج: ٤، ٣] الملائكة معروفة، (الروح) هل هو جبريل فيكون عطفه على الملائكة من باب عطف الخاص على العام كما في قوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴿[القدر: ٤]

أو الروح جنس أرواح بني آدم كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ بأن الروح إذا قبضت صعد بها إلى السماء؟ سواء هذا أو هذا فإن في كل منهما دلالة على أن الله فوق؛ هذا دليل.

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْتِ تَمَلَّا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَرْمَانِ

قوله: (أتى) الضمير يعود على العروج.

فِي سُورَةِ فِيهِ الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ

قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ تَبَارَكَ اللهُ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿[المعارج: ١، ٤].

وَسَجْدَةَ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلَأَجَلِ ذَا قَالُوا هُمَا يَوْمَانِ

هذه الألف قال الله تعالى في آية ثانية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿[الحج: ٤٧] لكن المؤلف أتى بهذين اليومين في سورة المعارج وفي سورة الم تنزيل «السجدة»

قال: (فلاجل ذالقالوا هما يومان) أي: أهل العلم.

يَوْمَ الْمَعَادِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَوْمُ فِي «تَنْزِيلِ» فِي ذَا الْآنِ

قوله: (يوم المعاد بذوي المعارج ذكره) وهو يوم القيامة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

جمهرة المفسرين، وبعد أن ساق الأدلة المقوية لهذا المذهب الثاني اعتذر بأن المسألة لم تتضح له تمامًا، ووكّل علمها إلى الله عز وجل، واستعاذ بالله من أن يقطع فيها برأي على غير علم وبينه، وقال أن هذا هو أقصى ما أمكنه من تحقيقها، والله ورسوله أعلم بالمراد من كلامه عز وجل.

﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ بَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَنَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُّ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ ﴿١١﴾ والسياق واضح جدًا أن المراد بهذا يوم القيامة ويؤيده ما ثبت في «صحيح مسلم» فيمن لم يؤد الزكاة أنه يُعذب بها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار وأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» فيكون الذي في المعارج هو يوم القيامة يقول: (واليوم في تنزيل في ذا الآن) (في ذا الآن) أي: في الدنيا، اليوم الذي في (الم تنزيل) السجدة ليس يوم القيامة بل هو يوم في الدنيا فقالوا: هما إذا يومان إحداهما يوم المعاد، والثاني يوم المعاش في هذه الدنيا وكلاهما ذكره المؤلف في هذه المسألة ثم في النهاية ذكر أنها لم تتضح له لكن ننظر إلى قول الجمهور في هذه الآية فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن البصري وغيره يقول الله - عز وجل - ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] السياق كما علله ابن القيم - رحمته الله - يعين أن المراد بهذا اليوم يوم في الدنيا؛ لأنه هو الذي فيه التدبير ثم العروج إلى الأعلى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ فنزوله من السماء إلى الأرض خمسمائة سنة وصعوده من الأرض إلى السماء خمسمائة سنة والمسافة التي بين السماء والأرض خمسمائة سنة كما جاءت به الأحاديث؛ وعلى هذا فيكون اليوم الذي في سورة ﴿الم تنزيل﴾ السجدة هو يوم في الدنيا وليس يوم القيامة والذي في المعارج هو يوم القيامة وحينئذ لا تعارض بين الآيتين إطلاقًا والسياق يؤيد هذا بل يعينه وهذا خلاف ما اختاره ابن القيم ثم في النهاية تردد فيه.

ثم قال المؤلف - رحمته الله -: (وكلاهما عندي فيومٌ واحدٌ) كلاهما الضمير فيها يعود إلى اليوم الذي في (الم تنزيل) السجدة واليوم الذي في المعارج.

فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ      وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّقِيعِ الدَّانِي  
هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ      خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ وَذَا ضِعْفَانِ

قوله: (خمسين في عشر) يعني: خمسمائة وهذا الصعود خمسمائة وهذا النزول ألف وقال:

(وَذَا ضِعْفَانٍ) لماذا صار ضعفين؟ لأنه بين صعود ونزول.

لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةٍ الـ سَبْعَ الطَّبَاقِ وَيَبْعُدُ ذِي الْأَكْوَانِ  
مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

يعني: الخمسون ألف التي في (سأل) يُراد بها ما بين قاعة الأرض السفلى إلى العرش فيكون خمسين ألفاً كيف ذلك؟ إذا قلنا: إن الأرضين سبع، فكل أرض مسافتها خمسمائة عام فيصبح ثلاثة آلاف وخمسمائة أضف إليها خمسمائة ما بين السماء والأرض، وسمك السماء أربعة آلاف وما بين السماء الأولى والثانية خمسمائة يكونوا أربعة آلاف وخمسمائة؛ يعني: السموات السبع سبعة آلاف باعتبار ما بين كل سماء وسماء وسمك كل سماء سبع في خمسمائة ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبع في خمسمائة يساوي ثلاثة آلاف وخمسمائة والجميع سبعة آلاف.

عندنا في الأرض ثلاثة آلاف وخمسمائة فيصبح عشرة آلاف وخمسمائة، وبعض العلماء يقول: سمك كل أرض خمسمائة وأربعة عشر ألف سنة ونحتاج لكي نصل إلى الخمسين ستاً وثلاثين ألف سنة يقولون: ما بين السماء السابعة والعرش من أين لنا هذا؟ يعني: من أين لنا أن ما بين السماء السابعة والعرش ستاً وثلاثين ولكن كانوا يريدون تكميل العدد ليكون خمسين وهذا لا ينفع؛ ولهذا كل ما تأملت هذا القول وجدته ضعيفاً جداً، وخمسون ألفاً المقدر بها في (سأل) ما هو بالمسافة ولكن بالمدة بطول الزمن أي: مقداره خمسون ألف سنة هذا باعتبار الطول لا باعتبار المسافة، والأمر هذا واضح ولهذا ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - في النهاية تردد وقال: إنه قد أشكل عليه ولننظر قال:

وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الـ بَعْوِي ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي  
وَمُجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَـ كَرْنُ ابْنِ إِسْحَاقَ الْجَلِيلِ الشُّانِ  
قَالَ الْمَسَافَةَ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا الـ مِقْدَارُ فِي سَيْرٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

أي: أن ابن إسحاق قال: إن اختلاف الزمن أو اختلاف التقدير ما بين ألف إلى خمسين ألف باعتبار السير؛ فلو أن الإنسان سار من نُحُومِ الأرض السفلى إلى العرش لكان مقداره خمسين ألف سنة، وأما الملائكة فألف سنة فجعل الفرق بين هذين العددين - وهو فرق كبير - باعتبار السير وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن هذا الجمع مُستكره في الواقع ولا نلجأ إلى مثل هذا الجمع إلا

عند الضرورة وليس هناك ضرورة تحتم علينا أن نجعل اليومين يوماً واحداً لكن نفك عن كل هذه التأويلات المستكرهه بأن نقول: هما يومان يوم القيامة واليوم في الدنيا قال:

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَقَوْلُ قَتَادَةَ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ  
وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ الرُّضِيُّ وَرَوَاهُ عَنْ بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ

كل هؤلاء الذين أفتوا أئمة أجلاء من الذين اختاروا ما ذهب إليه الإمام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -:  
وَيُرَجِّحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَادَاتُنَا فِي فَرَقِهِمْ أَمْرَانِ

يرجح قول الجمهور؛ وهذا من عدل ابن القيم وإنصافه - رَحِمَهُ اللهُ - حيث ذكر ما له وما عليه.  
إِحْدَاهُمَا مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَنْعِ لِرِكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ

قوله: (الأعيان) جمع عين وهو الذهب والفضة.

يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبَّانِ  
خَمْسُونَ أَلْفًا قَدَرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ بَيِّنَانِ

هذا يؤيده - يؤيد قول الجمهور - وأن المراد بخمسين ألف سنة في سورة (سأل) هو يوم  
القيامة؛ ولهذا قال:

فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ

قوله: (الظاهر اليومان في الوجهين يوم واحد) يعني بذلك: اليوم الذي في (سأل) واليوم الذي في الحديث أنهما يومٌ واحد (ما إن هما يومان) ما هنا نافية، وإن زائدة ونظير  
هذا قول الشاعر العربي:

بني غدانة ما إن أتم ذهب ولا صريح ولكن أنتم الخزف

الشاهد قوله: (ما إن أتم ذهب) إن هنا زائدة، والتقدير ما أتم ذهب.

قَالُوا وَإِيرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْمَضْمُونُ مِنْهُ بِأَوْضَحِ الْبَيِّنَانِ

(قالوا) أي: الجمهور (وإيراد السياق يبين المضمون منه بأوضح التبيان) وسبقت هذه

القاعدة في قول ابن القيم: أن السياق يعين المعنى المراد ثم قال:

فَانظُرْ إِلَى الْإِضْمَارِ ضَمَّنَ «يَرُونَهُ» وَ«نَرَاهُ» مَا تَفْسِيرُهُ بَيِّنَانِ

فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا بٍ وَقَعَ لِلْقُرْبِ وَالْجِيرَانِ

قوله: (ما تفسيره بيان) يعني: ما هو التفسير الذي بينه؟ قال:

فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالْجِزَانِ

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج ١-٧] يروونه الضمير يعود على ماذا؟ هل هو العذاب أم اليوم؟ ابن القيم يقول: إنه هو اليوم (فالיום بالتفسير أولى من عذاب واقع) لماذا؟ للقرب؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور.

ولكن نقول في الجواب عن هذا: إنه حتى لو قلنا: إنه عائد إلى اليوم إنهم يرون اليوم بعيداً ونراه قريباً نقول: نعم حتى لو عاد إلى اليوم لا إلى العذاب فإن العذاب أين يقع؟ في اليوم فإذا قرب العذاب قُربَ اليوم وإذا بُعدَ العذاب بعد اليوم.

وعندي أنه لا فرق بين أن نقول: إن الضمير يعود على اليوم أو يعود على العذاب؟ فهو على كل تقدير لا يدل على ما ذهب إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بل إنهم يرون هذا اليوم بعيداً ونراه قريباً وأنهم أنكروا هذا اليوم قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] فهم أنكروه واستبعدوه ولا فرق بين المعنيين.

والذي يتبين به المعنى أن نقول: قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ [المعارج: ٤] هل هو متعلق بـ(تعرج) أو متعلق بـ(واقع)؟ نقول: بـ(واقع) يعني واقع في هذا اليوم: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾ [المعارج: ١، ٢] في هذا اليوم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وتعرج الملائكة والروح تبعاً؛ لقوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ وانقطع الكلام بها وحتى ولو قلنا إن قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ متعلق بـ(تعرج) فإنه لا يتعين به ما ذهب إليه ابن القيم: لأنه من الجائز تعرج الملائكة والروح إليه في ذلك اليوم يعني: يوم القيامة ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ تعرج الملائكة والروح إلى الله في ذلك اليوم ولا مانع فإن الملائكة في ذلك اليوم قد تعرج إلى الله في ذلك اليوم بما شاء الله، وعلى كل تقدير فإن ما ذهب إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يدل على أن الإنسان مهما بلغ في العلم فإنه لا يخلو من الخطأ - فيما نرى - والعلم عند الله يقول:

وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قوله: (ويكون ذكر عروجهم) عروج من؟ عروج الملائكة في هذه الدنيا ويوم قيامة

الأبدان، ولكن نقول له رَحِمَهُ اللهُ: فإذا كان في الآية أنها تعرج في الدنيا إلى الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أين هذا؟ إذا جعلنا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] متعلق بـ(تعرج) لزم أن يكون العروج يوم القيامة.

إذا قلنا: إن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ متعلق بـ(تعرج) فمتى يكون العروج؟ يوم القيامة. فكيف يقول رَحِمَهُ اللهُ إن (ذكر عروجهم في هذه الدنيا ويوم قيامة الأبدان) يعني: أن الله لم يذكر أنهم يعرجون في هذه الدنيا خمسين ألف سنة والذي في سورة السجدة ما الذي يعرج؟ الأمر هو الذي يعرج وليس الملائكة ولا ذكرت الملائكة إطلاقاً؛ لقوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

ويميل ابن القيم إلى القول بأن عروجهم في الدنيا ويوم القيامة خمسين ألف سنة. فنزولهم أيضاً هنالك ثابتٌ كَنَزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ (فنزولهم أيضاً هنالك) إشارة إلى نزولهم يوم القيامة ثابتٌ؛ لأنه ثبت أن الملائكة تنزل من السماء كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] كنزولهم أيضاً هنا في هذه الدنيا للشأن كما قال تعالى في نزولهم في الدنيا ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إِذَا شَأْنَانِ قوله: (عروجهم يوم القيامة بعد القضاء) أي: بعد أن يقضي الله تعالى بين الخلائق والملائكة صفوف وينتهي الأمر وتعرج الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] (وعروجهم بعد القضاء) أي: بعد القضاء بين العباد (كعروجهم أيضاً هنا) أهم يعرجون هنا؟ نعم فالملائكة يعرجون من الأرض إلى السماء ومن هؤلاء الملائكة الموكلون بحفظ الإنسان فإن للإنسان ملائكة موكلين به في الليل وملائكة في النهار حتى إذا جاء ملائكة النهار عرجت ملائكة الليل وإذا جاءت ملائكة الليل عرجت ملائكة النهار<sup>(١)</sup>.

وَيُزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ يَقُولُ: (هذا السقف) أي: السماء تزول ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ

(١) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السَّجِّلِ لِلْكَتُبِ ﴿ [الأنبياء: ١٠٤] إذا كان كذلك يبقى عروجهم من الأرض إلى العرش رأساً؛ ولهذا قال: (فعروجهم للعرش والرحمن) ثم قال:

هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدِي وَعِلْمُهَا الـ مَوْكُولٌ بَعْدَ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

أكثر النسخ التي بين أيدينا (وما اتضحت) لكن هناك نسخة وعليها شرح ابن عيسى رَحِمَهُ اللهُ (هذا وما نضجت لدي)، والنضج بمعنى: الكمال، ومنه نضجت اللحمية ونضج الكمال أي: كمل واستوى؛ كأن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في النهاية شك في الأمر وقال: إنها (ما نضجت) والحقيقة أن هذه مرتبة ثانية بعد أن بحث وناقش رَحِمَهُ اللهُ وفي النهاية تردد فعندنا الآن ثلاث مقامات: جزم بأن اليومين واحد، وجزم بأن اليومين مختلفان، وتردد كما في حال ابن القيم أخيراً.

والصواب: الجزم بأنهما يومان والسياقان لا يتفقان أصلاً يختلفان في العدد هذا ألف وهذا خمسون يختلفان في الذي يعرج ففي ﴿الآر ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السجدة الذي يعرج هو الأمر، أما هذا فالذي تعرج الملائكة ثلاثاً يشهد للذي في سأل، والحديث الصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة أي: يوم الميعاد فإذا كان كذلك فكيف يشكل الأمر؟ فالصواب مقطوع به أن ما ذكر في ﴿الآر ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السجدة هو يومٌ في الدنيا أي: أن الله ﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] خمسمائة في النزول وخمسمائة في العروج وانتهى الأمر في يوم القيامة حيث يُعَذَّبُ الكافرون أو يقع بهم العذاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وإن شئت فقل: تعرج الملائكة والروح إلى الله في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ولا مانع من أن يكون لهم عروج في ذلك اليوم لكن مع ذلك نحن نرى أن الذي في سورة ﴿الآر ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السجدة هو مقدار المسافة التي ما بين الأرض والسماء وأن ما في سورة المعارج هو مقدار الزمن أي: أن اليوم طويل لا أن المساحة كبيرة بل اليوم طويل مقداره خمسين ألف سنة ثم بعد ذلك ينتهي كل شيء ويؤول أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قال:

هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدِي وَعِلْمُهَا الـ مَوْكُولٌ بَعْدَ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

(الموكول بعد) أي: بعد أن ناقش هذه المناقشة.

وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلَا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

استعاذ بالله من أن يجزم بأحد القولين بلا علم وهذا هو الواجب على كل مسلم مؤمن إذا كان عنده تردد في الأمر ولا يجوز أن يجزم به وهذا دأب السلف فالإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من أئمة السلف إذا سُئِلَ عن شيء قال: أرجو أو يعجبني أو لا يعجبني أو لا أقول أو أجبن عن هذا أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي تدل على ورعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكن عندنا في الوقت الحاضر ما شاء الله شباب في أول درجة في طلب العلم ثم يقول عن مسألة يتردد فيها الفقهاء من أهل العلم يقول: هذه حرام قطعاً وهذه واجب قطعاً ويجب المولاة والمعاداة على هذه المسألة.

هذا خطأ عظيم والواجب أن يتأدب الإنسان مع الله؛ لأن الذي يفتي ويقول يتكلم عن الله وعن شريعة الله؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء وخلفاء الأنبياء فيجب أن يتأنى ولا يجزم بالشيء إلا بعلم؛ ولهذا أعود بالله من جزم بلا علم، والجزم لا بد له من علم، ما يكفي الظن فلا بد من العلم ولكن الإنسان بشر قد لا يستوعب الأدلة وقد لا يستوعب فهماً ففي مثل هذه الحال يقول: هذا فيما أعلم، هذا في غالب ظني، وما أشبه ذلك، أما أن يجزم بلا علم وتكون بضاعته من العلم مزجاة لم يعرف إلا حديثاً أو حديثين أو تفسير آية أو آيتين ثم يقول: على لسان حاله: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، هذا ليس بصحيح، الواجب أن الإنسان يتأدب مع شرع الله - عز وجل - ونسأل الله أن يجعلنا كذلك، قال:

وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلَا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

يعني: هذا غاية ما تمكنت منه وعرضت عليك البحث والمناقشة وأنا مع ذلك لم تنضح عندي ولم تنضح لي ثم قال:

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

قوله: (والله أعلم بالمراد بقوله) صحيح والله، الله أعلم ولهذا نجد أن المحرفين لكلام الله عن ظاهره نجد أنهم ادَّعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله فمثلاً قالوا: ليس لله عين مع أن الله قال: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ليس لله يد، مع أن الله قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ليس لله وجه، مع أن الله قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وهلم

جراً، نقول الله أعلم أم أنتم أعلم؟ إن قالوا: نحن، فيا ويلهم، وإن قالوا: الله أعلم، نلزمهم ما أخبر الله به، ولا يتعدوا.

وقوله: (ورسوله المبعوث بالفرقان) لماذا لم يُقل بالقرآن؟ لأن المقام الآن مقام حرب وتفريق فكان ذكر الفرقان أولى من ذكر القرآن ولا شك أن القرآن فرقان قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فالقرآن فرقان لو تمسكنا به ورجعنا إليه ما تبقى عندنا مشكلة لكن المشاكل من الإعراض الذي هو التقصير أو القصور، فالإنسان يؤتى إما من تقصيره أو من قصوره أو من سوء نيته، أما إذا اجتمع حسن النية مع قوة الفهم وكثرة العلم فإن الغالب أن الإنسان يوفق للصواب.





١١٨٩- هَذَا وَخَامِسُهَا صُغُودُ كَلَامِنَا

بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ

١١٩٠- وَكَذَا صُغُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

تُ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ

١١٩١- وَكَذَا صُغُودُ تَصَدَّقِ مِنْ طَيِّبٍ

أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

١١٩٢- وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكِكَ قَدْ وَكَّلُوا

مِنَّا بِأَعْمَالِهِمْ وَهُمْ بَدَلَانِ

١١٩٣- فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ

وَالصُّبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ

١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُوهُ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْ

أَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١١٩٥- وَكَذَلِكَ سَعْيِ اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّ

حَمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي

١١٩٦- وَكَذَلِكَ سَعْيِ الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ

مِنْ قَبْلِ لَيْلِ حَافِظِ الْإِنْسَانِ

١١٩٧- وَكَذَلِكَ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقًّا

حَقًّا ثَابِتٌ مَا فِيهِ مِنْ نَكَرَانِ

١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا

مِنْهُ إِلَى أَنْ قَلِدَرَتْ قَوْسَانِ

١١٩٩- بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا

خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ

١٢٠٠- وَكَذَلِكَ رَفَعَ الرُّوحَ عَيْسَى الْمُتَرْضَى

حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

١٢٠١- وَكَذَلِكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ

لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ

١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بِقُرْبِهِ

وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرِضِ لِلجُثْمَانِ

١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ

أَبْدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ

١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ

حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَكْوَانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل ذكر المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع أدلة العلو: صعود الأشياء إلى الله عز وجل، والصعود إلى الشيء يدل على علوه؛ لأن الصعود يكون من أسفل إلى أعلى فإذا أضاف الله الشيء إلى نفسه صاعداً علم أن الله تعالى في العلو فذكر أولاً صعود كلامنا بالطيبات إليه والإحسان قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] الكلام الطيب: هو كل ما طاب وضده الكلام الخبيث؛ فالذكر وقراءة القرآن



والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العلم الشرعي وكل هذا من الكلام الطيب، والسب والشتم واللعن والقذف وما أشبهه من الكلام الخبيث، قال صعود الباقيات الصالحات إليه من أعمال ذي الإيمان فهي كل عمل صالح قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] فالباقيات الصالحات: هي كل الأعمال الصالحة، فيدخل في ذلك الذكر والصوم والحج والصلاة وغير ذلك يقول المؤلف: إنها ترفع إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] من الذي يرفعه؟ الله عز وجل يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه الله إليه فيقبله.

وَكَذَا صُغُودُ تَصَدُّقٍ مِنْ طَيْبٍ      أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

التصدق من الطيب أي: من الكسب الطيب يأخذه الله عز وجل بيمينه ويربيه كما يربي الإنسان فلوَّه حتى يكون شقُّ التمرة مثل الجبل هذا إذا تصدق من طيب أما إذا تصدق من غير طيب فإن الله لا يقبله كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ»<sup>(١)</sup>.

وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا      مِنَّا بِأَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ

أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: «يَتَعَاقَبُ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»<sup>(٢)</sup> فإنه تعرج هذه الملائكة بكرةً وعشيةً، والصبح يجمعهم على القرآن كي يشهدوا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨] يجتمع في صلاة الصبح ملائكة الليل وملائكة النهار ثم تصعد ملائكة الليل وتبقى ملائكة النهار؛ ولهذا قال كي يشهدوا ويعرجوا إليه بالأعمال - سبحان العظيم الشان - وهذا من عظمة الله عز وجل أن هؤلاء الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم يتعاقبون فيهم بانتظام عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا وهو يصلي الفجر أي: أن الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم مجتمعون في هذه الصلوات وكذلك عند صلاة العصر لكننا والله نغفل كثيرًا حتى تمر بنا هاتان الصلاتان وكأنهما كبقية الصلوات وهذا أمرٌ سببه الغفلة

(١) رواه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن هذه الأمور العظيمة، وإلا فإنك لو استحضرت هذا لوجدت لهاتين الصلاتين شأنًا كبيرًا فلو استحضرت وأنت تصلى الفجر أن الملائكة الآن - ملائكة الليل وملائكة النهار شاهدون - معك هذه الصلاة فذاك أمر عظيم وكذلك في العصر قال:

وَكَذَلِكَ سَعِيَّ اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي  
وَكَذَلِكَ سَعِيَّ الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ

هناك فيه الملائكة السابقون ملائكة يحفظون الإنسان وهناك ملائكة أخرى تحفظ عمل كل إنسان بنفسه عن اليمين وعن الشمال قعيد، كل هؤلاء يرفعون ما كُتِبَ إلى الله عز وجل.

وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقًّا ثَابِتًا مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ

معراج الرسول<sup>(١)</sup> إلى الله عز وجل وذلك ليلة الإسراء وكان في ربيع الأول على المشهور قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات عُرج بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السموات السبع بيدنه وروحه وليس بالروح فقط ولو كان بالروح فقط ما أنكرته قريش؛ لأن المنام عادته تختلف لكنه عُرج به بجسده وروحه ﷺ؛ فأولاً أُسري به من المسجد الحرام من الحجر الذي هو الخطيب على البُراق بصحبة جبريل عليهم السلام، والبراق هذا دون البغل وفوق الحمار وهي دابة عجيبة يضع حافرة عند منتهى طرفه؛ فالخطوة مد بصره هو وبصره قوي بلا شك يعني: يسير سيرًا سريعًا ولذلك وصل النبي ﷺ بسرعة إلى بيت المقدس، وصلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعُرج به جبريل إلى السموات - سبحان الله - في ليلة واحدة؛ مسافات عظيمة لا يعلمها إلا الله وكان هذا في ليلة واحدة يستفتح جبريل ويقال له: من هناك؟ فيقول: محمد، فيقولوا: هل أرسل إليه؟ إذا أخبره من معه فيقول: نعم ومر على الأنبياء والرسل في كل سماء حتى وصل إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى التي سمع فيها صريف الأقلام التي تكتب ما يكون في اليوم والليله فقد سمعهم النبي عليه الصلاة والسلام ووصل إلى مكان ما وصل إليه بشر حيث عُرج به إلى الله عز وجل يقول المؤلف: (وكذلك معراج الرسول إليه حق ثابت) وذلك بدلالة الكتاب والسنة ففي سورة الإسراء دليل الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) راجع حديث المعراج في البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢).

الْأَقْصَا ﴿[الإسراء: ١]﴾ وفي أول سورة النجم قصة المعراج: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ هذه الآيات كلها في المعراج.

بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا مِنْهُ إِلَىٰ أَنْ قُدِرَتْ قَوْسَانِ

هذا أيضًا يقرره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الرَسُولَ ﷺ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَتَّىٰ دَنَا مِنَ الرَّحْمَنِ عِزًّا وَجَلَّ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] يعني: قدر قوسين أو أدنى من ذلك وهذا الذي ذهب إليه المؤلف ذهب إليه كثير من المفسرين أن المراد بقوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩] الله عز وجل، ولكن القول الصحيح: أن المراد به جبريل وليس الله سبحانه وتعالى وأن الله لم يدن فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى؛ لأن الله تعالى قد ثبت له العلو المطلق والتدلي ضد العلو أمَّا الدنو فهو ضد العلو لأن التدلي مأخوذ من الدلو إذا هبط في البئر وهذا ينافي العلو؛ ولهذا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ذكر في هذه «النونية» هذا القول الذي مشى عليه وذكر في موضع آخر في: «التبيان في أقسام القرآن» أن الذي دنا فتدلى هو جبريل وهذا هو الصحيح بل هو المتعين وسياق الآيات يدل على ذلك لكن لا شك أن الرسول ﷺ عُرِجَ بِهِ أَوْ تَجَاوَزَ السَّمَوَاتِ كُلَّهَا كَمَا قَالَ الْمَوْلَفُ.

بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَيْهِ صَاعِدًا خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ

قوله: (عاد من موسى) إلى الله؛ لأن الرسول ﷺ فرض الله عليه خمسين صلاة فقبل ورضي وأسلم لله ظاهرًا وباطنًا، ولما نزل إلى السماء السادسة مر بموسى وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد غبط النبي عليه الصلاة والسلام على ما أعطاه الله من الفضائل فقال: ما الذي فرض الله عليك وعلى أمتك؟ قال: «فرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة» قال: إن أمتك لا تطيق ذلك؛ إني قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فاذهب إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك وهذا من توفيق الله عز وجل لا في فرضها خمسين ولا في تنبيه موسى عليه الصلاة والسلام فرجع إلى الله صاعدًا من موسى إلى الله؛ لأن موسى في السماء السادسة ورجع إلى الله عز وجل وما زال يتردد بين موسى وبين الله حتى صارت خمسًا في الفعل وخمسين في الميزان على أن الحسنة بعشر أمثالها؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن للصلاة ميزة لكن هي خمسون في الميزان على أننا نصلي خمسين بالفعل لا بالثواب؛ لأن

الثواب يكون كل حسنة بعشر أمثالها فالخمس بخمسين والمراد أنها خمس في العمل خمسون في الميزان أي أننا نُعطى أجر خمسين صلاة، وهذه والحمد لله من نعمة الله أن الله عز وجل خفف عنا وأعطانا ما فرضه علينا أولاً.

وَكَذَلِكَ رَفَعَ الرُّوحَ عِيسَى المُرْتَضَى حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي القُرْآنِ

قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِذْ قَالَ اللهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] فهذا دليل على أن الله في العلو.

وَكَذَلِكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ لَمَّا تَفُوزُ بِفِرْقَةِ الأَبْدَانِ

أي: تصعد روح كل مصدق وهو المؤمن فتصعد روحه إلى الله وتحرق السموات حتى تصل إلى الله عز وجل.

وقوله: (لما تفوز بفرقة الأبدان) يعني: أن روح المؤمن تفوز إذا فارقت البدن كيف تفوز؟ كلنا يكره الموت وهذا الإشكال أوردته عائشة على النبي ﷺ فحدث النبي عليه الصلاة والسلام أن: «من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه»<sup>(١)</sup> قالت: يا رسول الله كلنا يكره الموت، قال: «ليس ذاك» يعني: ليس الأمر كما تظنين، «المؤمن إذا حضره الموت وبُشِّرَ بالجنة أحب لقاء الله؛ لأنه يبشر بنعيم - أكثر من الدنيا بألاف المرات ولا يقاس - فتحب روحه لقاء الله وتخرج وقد سهل عليه الخروج حتى إنها تسل من بدنه كما تسل الشعرة من العجين والشعرة من العجين سلها سهل لكن روح الكافر إذا بُشِّرَ بالغضب والسخط تفرقت في البدن وهربت من سوء ما بُشِّرَتْ به فينتزعها ملك الموت<sup>(٢)</sup> كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، والسفود هو: عبارة عن خشبتين فيها مسامير ويكون فيهما الصوف مبلولاً وإذا نشب الصوف في هذا السفود ما يستطيع أن ينتزعه فهي كأشد ما يكون والعياذ بالله وبذلك تكره لقاء الله؛ لأنها بشرت بالعذاب والغضب وما يسوؤه فلماذا قال المؤلف: (لما تفوز بفرقة الأبدان) أي:

تفرح وتسر إذا بشرت بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان فيأخذها ملك الموت

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) مسند أحمد (١٨٠٦٣).

ويعطيها الملائكة الذين حضروا ومعهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فيجعلونها في هذا الكفن والحنوط ثم يصعدون بها إلى الله فتفتح لها أبواب السماء؛ بخلاف المكذب فإنهم يصعدون بها إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها وتطرح على الأرض طرحًا - والعياذ بالله - وهذا أشد مما لو لم يصعدوا بها؛ لأنها لو بقيت في الأرض كان أهون من أن يصعدوا إلى السماء ثم ترد من هناك، وروح المؤمن هذه تفوز إذا فارقت البدن؛ لأنها تنتقل إلى خير مما انتقلت منها.

حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجُثْمَانِ

قوله: (تفوز بقربه)؛ لأنها في الجنة تسرح في أنهارها وأشجارها<sup>(١)</sup> هناك فإذا كان يوم القيامة ونفخ في الصور خرجت أرواح المؤمنين من هذا الصور وعليها نور حتى تكون في الأبدان وتحل بالأبدان حلولًا أبدية ما عادت تخرج منها أبدًا.

وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

وهذا من رحمة الله عز وجل أنه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه في كل أوان حتى لو كان كافرًا فإن الله يجيبه؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه، والدليل على هذا على أن الكافر تجاب دعوته عند الضرورة قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ولم يقل المؤمن بل جعل سبب الإجابة الاضطرار، وأمثلة واقعية تدل على ذلك منها أن الكفار إذا كانوا في الفلك وهاجت بهم الأمواج دعوا الله مخلصين له الدين فيستجيب دعاءهم مع أنه سبحانه يعلم أنهم سيسركون فلما نجاهم من الغرق إذا هم مشركون لكن من أجل اضطرارهم فإن رحمة الله عز وجل تسبق غضبه<sup>(٢)</sup> يجيب دعوة المضطر؛ فالمضطر تصعد دعوته إلى الله حتى يجيبها عز وجل.

وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَكْوَانِ

دعاء المظلوم أيضًا يصعد إلى الله قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: «أَتَيْتِي

(١) مسند أحمد (١٢٩٤٣).

(٢) كما عند البخاري (٧٤٢٢).

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(١)</sup> تُرْفَعُ فَوْقَ السَّحَابِ فَيَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَيْ: الْمَظْلُومَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِيبُ دَعَاءَهُ لِمَاذَا؟ لَا لِأَنَّ اللَّهَ يَجِبُهُ لَكِنْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ، وَالْإِنصَافَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ عَدْلٌ أَمْ جَوْرٌ؟ عَدْلٌ فَلَمَحَبَةِ اللَّهِ لِلْعَدْلِ يَقْبَلُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ - وَلَوْ كَانَ كَافِرًا - عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ وَهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَعَامِلُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ مَعَ أَنَا بَشَرٌ؛ إِذَا لَوْ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ يَخْتَصِمَانِ إِلَى الْقَاضِي فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْيَايَ الْمُسْلِمَ أَبَدًا لَكِنْ يَدْخُلُونَ جَمِيعًا وَيَجْلِسُونَ أَمَامَ الْقَاضِي وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً وَاحِدَةً مَا يَنْظُرُ إِلَى الْكَافِرِ بِوَجْهِ الْغَضَبِ وَإِلَى الْمُسْلِمِ بِوَجْهِ الرِّضَا؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ عَدْلٍ، هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُومَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا يَقُومَ لِلْكَافِرِ فِي بَابِ الْمَحَاكِمَةِ؟ لَا؛ لِأَنَّ هَذَا خِلَافُ الْعَدْلِ فَإِذَا كُنَّا نَحْنُ الْمُنْفِذِينَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَيْنَا الْعَدْلَ حَتَّى مَعَ الْكَافِرِ فَمَا بِالكَافِرِ الَّذِي هُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ فَإِنَّهُ إِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ وَلَوْ مِنَ الْكَافِرِ فَدَعَا اللَّهَ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ.

يَذَكَرُ أَنَّ بَعْضَ الْقَضَاةِ كَانَ لَهُ صَهْرٌ، وَالصَّهْرُ قَرِيبُ الزَّوْجِ وَكَانَ هَذَا الصَّهْرُ لَهُ خَصْمٌ فَدَخَلَ الصَّهْرُ عَلَى بَيْتِ الْقَاضِي؛ لِأَنَّهُ زَوْجُ ابْنَتِهِ أَوْ أُخْتِهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَلَمْ يَحْسُ بِمَجِيءِ الْخَصْمِ جَاءَ مِنَ الْبَيْتِ لِلْمَخَاصِمَةِ وَكَانَ الْقَاضِي أَوَّلَ مَا جَاءَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَوْجَدُ شَيْئًا أَوْ أَنَّ فِيهِ خِصْمَةً فَلَمَّا جَاءَ الْخَصْمُ جَاءَ الصَّهْرُ قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟ قَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ فُلَانٍ خِصْمَةٌ قَالَ الْخِصْمَةُ مَجْلِسُهَا غَدًا، وَهَكَذَا يَجِبُ، لِأَنَّ الْمَظْلُومَ وَالْمُضْطَرَّ يَجِبُ اللَّهُ دَعْوَتَهُمَا وَلَوْ كَانَا كَافِرِينَ أَمَّا الْمُضْطَرُّ فَلِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَأَمَّا الْمَظْلُومَ فَلِأَنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا يَدْعُ لِلظَّالِمِ فِرْصَةً.

فائدة عظيمة ذكرها الشيخ عن المعراج:

المؤلف يرى أن معراج الرسول تجاوز فيه النبي عليه الصلاة والسلام السبع الطباق وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسين، ولقد ذكرنا أن القول الراجح في هذه المسألة أن الذي دنا هو جبريل عليه السلام وها نحن نكرر ذلك - بإذن الله - نقول: إن الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى هو جبريل عليه السلام؛ لأن الدلالة اللفظية والمعنوية كلها

(١) رواه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

تؤيد ذلك أما الدلالة اللفظية فسياق الكلام يرجع فيه الضمير إلى مرجع واحد، ولنقرأ ﴿عَلَّمَهُ سَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ من؟ جبريل ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ جبريل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ الذي دنا فتدلى هو جبريل أما قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ ليس هناك مانع أن يكون المعنى أوحى جبريل إلى عبده أي: إلى عبد الله فيكون فاعل أوحى هو جبريل، والضمير في (عبده) يعود إلى الله واختلاف الضميرين هنا قد تبين من السياق؟ لأن محمداً ﷺ لا يمكن أن يكون عبداً لجبريل، أما الوحي فيمكن أن يكون من الله ويمكن أن يكون من جبريل؛ ولهذا يمكن أن نقول إن الضمير في (أوحى) يحتمل أن يعود إلى جبريل كبقية الضمائر السابقة ويحتمل أن يعود إلى الله فأوحى الله إلى عبده؛ ويدل لذلك أيضاً من حيث المعنى: أن قوله: ﴿فَتَدَلَّى﴾ لا تليق بالله؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يتدلى؛ لأن التدلي من العلو إلى السفول ويؤيد ذلك من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣، ١٤] يعني: مرة رآه أي: رأى النبي عليه الصلاة والسلام عند سدرة المنتهى؛ ولهذا ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته مرتين <sup>(١)</sup> مرة في غار حراء ومرة عند سدرة المنتهى، وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه ابن القيم في هذه المسألة قول ضعيف وإن كان قد قال به كثير من المفسرين ولكنه ضعيف.





١٢٠٥- هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا النَّزْوُ

لُ كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ

١٢٠٦- وَاللَّهُ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ

تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

١٢٠٧- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ

فَوْقَ الْعِبَادِ أَدَاكَ ذُو إِمْكَانِ

١٢٠٨- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ

رَحْمَنِ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

١٢٠٩- وَكَذَا نُزُولِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

فِي التَّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَلِكَ الثَّانِي

١٢١٠- فَيَقُولُ لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَخٍ

وَإِلِ الْعِبَادِ أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٢١١- مَنْ ذَلِكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ

مَنْ ذَا يَثُوبُ إِلَيَّ مِنْ عَضِيَانِ

١٢١٢- مَنْ ذَلِكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرُ ذَنْبَهُ

فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ

١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سَقَمِهِ

فَأَنَا الْقَرِيبُ مُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

١٢١٤- ذَا شَأْنَهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ

حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِي

١٢١٥- يَا قَوْمَ لَيْسَ نَزْوُلُهُ وَعَلْوُهُ

حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

١٢١٦- وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَقُولُ شَيْئًا عِنْدَكُمْ

لَا ذَا وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِ

١٢١٧- كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ

أَوَّلُ وَزِدْ وَانْقُصْ بِلَا بُرْهَانِ

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل ذكر فيه المؤلف نوعين من الأدلة على علو الله جل وعلا منها النزول والتنزيل؛ فالتنزيل للقرآن ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿غافر: ١، ٢﴾ والآيات في هذا كثيرة يقول:

هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا التَّنْزِيلُ

لُ كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ

وَاللَّهُ أَحْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ

تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

في عدة آيات أخبر الله أن كتابه الكريم تنزيل من عنده .

أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ

فَوْقَ الْعِبَادِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ

الجواب: لا يمكن .

أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ

لَيْسَ مُتْبَايِنَ الْأَكْوَانِ

الجواب: لا هذا التنزيل فإذا أخبر الله بأن القرآن تنزيل منه وهو كلامه لازم أن يكون الله

- عز وجل - فوق كل شيء؛ لأن القرآن كلامه فإذا كان تنزيله لازم أن يكون الله فوق، أما

النزول فقال:

وَكَذَا نُزُولِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي (١) التَّصْفِ مِنْ لَيْلِ وَذَلِكَ الثَّانِي

ينزل الله تعالى في النصف الأخير من الليل إما من حين يبدأ الثلث وإما من حين الانتصاف، فالليل على روايتين في هذا، والمشهور أنه من الثلث لكن هناك رواية أنه من النصف وليس بعيد أن يكون من النصف لكن إلى أن يطلع الفجر، ونزول الرب متواتر عن النبي ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا هو نفسه؛ وذلك لأن القاعدة العامة أن ما أضافه إلى نفسه من أفعال وصفات فهو له نفسه لا لغيره؛ فمثلاً خلق السموات هو نفسه، ونزل من السماء من الذي نزل؟ هو نفسه، واستوى على العرش من الذي استوى؟ هو نفسه وهلم جرا في كل فعل أضافه الله إلى نفسه فهو له نفسه لا يعود إلى غيره، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] من الفاعل؟ الله هو الخالق وهو المستوي وكذلك كل الضمائر في أي آية من القرآن فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «ينزل ربنا» يكون النازل الله لا غيره ولا يجوز أن نقول: إن النازل غيره أبداً؛ لأنه إذا قلنا إن النازل غيره فقد قدمنا بين يدي الله ورسوله وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] فإذا كان الله ينزل فإن جميع اللغات تقتضي أن النزول إنما يكون من أعلى إلى ما دونه ولكن يبقى علينا أن نعلم أن نزول الله عز وجل لا يستلزم ألا يكون عالياً فوق الخلق هو نازل السماء الدنيا وعالٍ فوق الخلق كما أنه قريبٌ مع العباد وعالٍ فوق عرشه حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الذين تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» (٢) وهو أين مكانه؟ فوق كل شيء ومعنا أيضاً وهو فوق كل شيء ينزل إلى السماء الدنيا وهو فوق كل شيء فوق السموات السبع وفوق العرش.

ونقول: إنه نازل إلى السماء الدنيا قد تقول: إن هذا غير معقول كيف يكون فوق كل شيء وهو نازل إلى السماء الدنيا؟ نقول هذا غير معقول بالنسبة للمخلوق الذي تحيط به

(١) روى البخاري في صحيحه (٧٤٩٤) من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ» .

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

الأفلاك أما بالنسبة للخالق المحيط بكل شيء فإنه معقول ومنقول؛ لأن الله ليس كمثله شيء وأنت إذا حاولت أن تقيس صفات الله بصفاتك فاعلم أنك ستضل إما بالتحريف وإما بالتمثيل، ولا بد لكل إنسان يريد أن يقيس صفات الخالق عز وجل بصفاته فسيضل قطعاً إما بالتمثيل وإما بالتحريف تحريف النص وتعطيل الصفة؛ لهذا نقول وينزل حقاً كما أضاف ذلك أعلم الخلق به إليه وهو محمد عليه الصلاة والسلام لكن نؤمن بأنه ما زال عالياً فوق كل شيء مع نزوله ولا نقول، إن هذا متناقض؛ لأن الخالق لا يماثله شيء من مخلوقاته، والنزول ليس مما أراد المؤلف أن يثبته وإنما أراد أن يثبت العلو بأن النزول لا يقل عن العلو صفة.

فَيَقُولُ لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَخٍ وَوَالِ الْعِبَادِ أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ  
يقول الله عز وجل من يسأل عن عبادي غيري؟! فالله عز وجل هو الذي يسأل عن عباده وليس سؤاله سؤال استرشاد أو جهل؛ لأنه عالم لكنه سؤال عناية فيما حوажهم فيقول:

مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سَوْأَهُ      مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانِ  
مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرُ ذَنْبَهُ      فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ  
مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ      فَأَنَا الْقَرِيبُ مُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

سبحانه وتعالى كل هذه يقوله الله عز وجل هو نفسه بذاته يعرض لعباده أن يتوبوا ويستغفروا ويسألوا كما عرض عليهم نفسه أن يؤمنوا به، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرُكُمْ﴾ [الصف: ١٠] هل تحبون أن أذكركم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ هو يعرض عز وجل. والجواب: نعم دلنا ياربنا ووفقنا إليها وقوله: ﴿هَلْ أَذُكُرُكُمْ﴾ تشويق وعرض للعباد ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا أيضاً في نصف الليل في آخر الليل - اللهم اجعلني وإياكم ممن يقومه في آخره - يقول سبحانه: «هل من تائب فأقبله، هل من مستغفر فأغفر له، هل من مستشفٍ فأشفيه، هل من سائل فأعطيه».

ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ      حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِي

يعني: إلى أن يطلع الفجر الثاني؛ لأن الفجر فجران .

يَا قَوْمُ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعَلُوهُ حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

يا قوم هنا يخاطب المنكرين للعلو بـ (يا قوم ليس نزوله وعلوه) كيف يقول يا قوم وهم على ظلمهم هذا؟ يقول: مثل الأنبياء يقولون: يا قوم وأقوامهم يكذبونهم ويشركون بالله يقول:

يَا قَوْمُ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعَلُوهُ حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

لأنهم لا يقرون بعلو الله ولا بنزوله يقولون: علو الله القدر والقهر دون الذات ويقولون في النزول: نزول الأمر والرحمة، إذا قلت له ينزل ربنا إلى السماء الدنيا هو نفسه ضرب بيديه على رأسه وصرخ بك الله ينزل؟ تقول: نعم يقول: لا أنت مخطئ الذي ينزل أمره ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، وإن قلت له الأمر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ يقول: لا ما يقول ذلك، أو يقول: تنزل رحمته، وهل الرحمة تقول هذا الكلام؟ يقول: لا ما تقول، ثم ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء الدنيا؟ ثم الأمر ما هو منتهاه؟ إلى السماء الدنيا ومنتهاه هو الأرض لقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] يقول الثالث: وجدت المعنى الصحيح: ينزل ملكٌ من ملائكته، قلت: سبحان الله الملك يدعو الناس إلى الإشراك!! يقول: (من يدعوني فأستجيب له) وحينئذٍ تتقطع عنه السبل ويصبح ابن سبيل منقطعٌ به ونقول سلم واسلم، سلم الأمر إلى الله ورسوله وقل: (ينزل ربنا نزولاً حقيقياً يليق به عز وجل وحينئذٍ تسلم) لكن هم يقولون: لا نزول ولا علو.

وكذا يقول ليس شيء عندكم؛ لأنهم يقولون: إن القرآن مخلوق وليس قول رب العالمين، وأن الله لا يتكلم لكن يخلق قولاً وكذا يقول: (ليس شيء عندكم لا ذا ولا قول سواه ثاني) أي: لا يقول هذا ولا غيره فالله لا يمكن أن يقول وإنما يخلق صوتاً باسمه.

كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أَوَّلُ وَزِدْ وَانْقُصْ بِإِلَّا بُرْهَانِ

يقول: أوَّلُ والتأويل باسم المعطلة حقيقته التحريف، (زد وانقص) إن قلت: «ينزل ربنا»، قال: «ينزل أمر ربنا» فيزيد وينقص يقول تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] بعضهم قال: ويبقى ربك وجه وهذا زائد وحاشا أن يكون زيادة في القرآن اللهم اهدنا فيمن هديت.





١٢١٨- هَذَا وَثَامِتُهَا بِسُورَةِ غَافِرٍ

هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ

١٢١٩- دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجِ

أَيْضًا لَهُ وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ

١٢٢٠- وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ

وَسَيِّاقُهَا يَا أَبَاهُ ذُو التَّبَيَّانِ

١٢٢١- لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ

لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ

١٢٢٢- هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَجِدُ

عِنْدَهُ وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ

١٢٢٣- فَتَنْظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا

فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

١٢٢٤- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلَاقُ تَصْعَدُ فِي مَعَا

رِجِهِ إِلَيْهِ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ

١٢٢٥- ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا

إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ

١٢٢٦- فَخُذِ الْكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا

تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا النوع الثامن من أدلة علو الله - عز وجل - وهنا جاءت في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ فهذه (رفيع) واضحة أنها صفة مشبهة يعني: أن درجاته عز وجل رفيعة فالوصف هنا عائدٌ إلى الله عز وجل لكن قال بعض الناس: رفيع الدرجات أي رافع الدرجات فجعل (رفيع) صيغة مبالغة مضافة إلى المفعول أي: رافع الدرجات، والصواب المقطوع به: أنها صفةٌ مشبهة مضافة إلى الفاعل كما تقول زيدٌ جميل الظاهر طيب القلب أي: جميلٌ ظاهره طيبٌ قلبه؛ فهكذا (رفيع الدرجات) صفة مشبهة مضافة إلى الفاعل أما من فسرها بأن رفيع بمعنى رافع وجعلها مضافة إلى مفعول به فهذا خطأ؛ ويدل على ذلك ما أشار إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا وقد قال الله تعالى في سورة المعارج ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فذو المعارج يعني: صاحب المعارج وهي مثل رفيع الدرجات سواءً بسواء أو شبه بشبه؛ ويؤيد ذلك أيضًا: أنه قال عز وجل: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش، ومعلوم أن العرش أعلى المخلوقات فإذا كان هو صاحب العرش الذي لم يستو على عرشه غيره لازم أن يكون (رفيع) بمعنى الصفة المشبهة؛ إذا فتفسير الآية من الآية نفسها ومن الآية الثانية التي في سورة المعارج ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ

قوله: (درجاته مرفوعة كمعارج أيضًا له) وما المعارج له؟ قوله في سأل: ﴿اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ وكلاهما رفعان.

وفعل فيها ليس بمعنى فاعل وهذا رد على قول من قال: إنها بمعنى رافع الدرجات وسياقها يأباه ذو التبيان؛ يعني: يأباه صاحب التبيان؛ لأن من قرأ الآية عرف تمامًا أن الوصف يعود فيها إلى الله سبحانه وتعالى أنه هو نفسه رفيع الدرجات.

لِكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ      لِكَمَالِ رَفَعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ  
هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحِدْ      عَنْهُ وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ

فَنظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ  
يعني: الذي يظهر لنا تفسيرها ما هو؟ في ذي المعارج أي: كائن في ذي المعارج.  
وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاَكُ تَصْعَدُ فِي مَعَا رِجِهِ إِلَيْهِ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ  
الروح مَنْ؟ قلنا: إنه جبريل أو أرواح أهل العلم والإيمان.

ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ

قوله: (ذارفعة الدرجات حقًا) ذارفعة الدرجات المذكورة في قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾  
[غافر: ١٥]، (ما هما إلا سواء أو هما شبهان)، والضمير في (هما) يعود على رفيع الدرجات  
وذي المعارج.

فَخَذَ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بَعْضًا كَذًّا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

أحسن التفسير تفسير القرآن بالقرآن ولا شك؛ وجه ذلك: أن القرآن تكلم به واحد فإذا  
فسر المتكلم كلامه بعضه ببعض صار أدرى به من غيره فإذا لم نجد تفسير القرآن بالقرآن  
رجعنا إلى أعلم الخلق بالقرآن وهو النبي ﷺ ولا يمكن أن نحيد عنه ففي قوله تعالى:  
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله (١) ما  
نحيد عن هذا؛ لأن الرسول فسر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال:  
ألا إن القوة الرمي (٢) نقف على هذا القوة وهي الرمي؛ ولذلك الآن حتى في الوقت  
الحديث في أساليب الحرب المتطورة الرمي هو السلاح الفعال مثل القنابل والصواريخ من  
فوق أو من جنب فكل هذا السلاح أشد من الدبابات إذا فالقوة هي الرمي.

إذا لم نجد في السنة فمن أعلم الناس بتفسير القرآن فيما يتعلق بالعبادات؟ الصحابة بلا  
شك، فهم أعلم الناس بالعبادات من غيرهم، وأعلم الناس في تفسير القرآن فنرجع إلى  
أقوال الصحابة فإذا اختلفوا على قولين طلبنا المرجح بعد ذلك.

و اختلف العلماء هل نأخذ بأقوال التابعين أم لا؟ فمنهم من قال: لا نأخذ بأقوال  
التابعين؛ لأن التابعين ما شهدوا الوحي حين النزول ولا كانوا مع الرسول عليه الصلاة

(١) صحيح مسلم (١٨١).

(٢) صحيح مسلم (١٩١٧).

والسلام حتى نقول فهموا من الرسول معني الآية وعبروا عنه بألستهم فهم كغيرهم، ومنهم من فصل وقال: من عَرَفَ عنه أنه تلقى التفسير من الصحابة فإننا نرجع إلى تفسيره مثل مجاهد تلقى عن ابن عباس ومن لا فهو كغيره لكن يجب أن نعلم قاعدة مهمة وهي: أن كلما كان الناس أقرب إلى زمن النبوة كانوا أقرب إلى الصواب فيما يتعلق بالعقائد والعبادات؛ ولهذا قال الرسول ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup> وهذا شيء مشابه؛ لأن القريبيين من عهد النبوة ليس بينهم وبين النبوة وسائط إلا وسائط قليلة فالتابعي بينه وبين الرسول وسطة واحدة وتابعي التابعي وسطتان وتابع تابع التابعي ثلاث وهلم جرا، ثم إنه من بعد القرون المفضلة كثرت الفتن والأهواء وصارت بضاعة كثير من الناس قليلة بالنسبة للعلوم الشرعية فيقول رَحِمَهُ اللهُ:

فَخُذِ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بَعْضًا كَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

أهل العلم للقرآن وهم المفسرون الذين يفسرون الكتاب بعضه ببعض وهذا هو الواجب؛ لأن القرآن المتكلم به واحد فهو أعلم بما أراد في كلامه.



(١) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).



١٢٢٧- هَذَا وَتَاسِعُهَا التُّصُوصُ بِأَنَّهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ وَذَا بِإِلَّا حُسْبَانِ

١٢٢٨- فَاسْتَحْضِرِ الْوَحْيَيْنِ وَانظُرْ ذَاكَ تَلَد

سَقَاهُ مُبِينًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

١٢٢٩- وَلَسَوْفَ نَذْكَرُ بَعْضَ ذَلِكَ عَنْ قَرِيْب

بِ كَيِّ تَقْوَمِ شَوَاهِدُ الْإِيْمَانِ

١٢٣٠- وَإِذَا أَتَتْ «فِي» لَا تَكُنْ مُسْتَوْحِشًا

مِنْهَا وَلَا تَكُ عِنْدَهَا بِجَبَانِ

١٢٣١- لَيْسَتْ تَدُلُّ عَلَى انْحِصَارِ إِلَهِنَا

عَقْلًا وَلَا عُرْفًا وَلَا بِلِسَانِ

١٢٣٢- إِذْ أَجْمَعَ السَّلْفُ الْكِرَامُ بِأَنَّ مَع

سِنَاهَا كَمَعْنَى «فَوْق» بِالْبُرْهَانِ

١٢٣٣- أَوْ أَنَّ لَفْظَ سَمَائِهِ يُعْنَى بِهِ

نَفْسُ الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْحَقَّانِي

١٢٣٤- وَالرَّبُّ فِيهِ وَلَيْسَ يَحْضُرُهُ مِنْ ال

مَخْلُوقِ شَيْءٍ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ

١٢٣٥- كُلُّ الْجِهَاتِ بِأَسْرِهَا عَدَمِيَّةٌ

فِي حَقِّهِ هُوَ فَوْقَهَا بَيِّنَانِ

١٢٣٦ - قَدْ بَانَ عَنْهَا كُلُّهَا فَهُوَ الْمُحِي

طُ وَلَا يُخَاطُ بِخَالِقِ الْأَكْوَانِ

١٢٣٧ - مَا ذَاكَ يَنْقِمُ بَعْدُ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ

وَصَفِ الْعُلُوِّ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٢٣٨ - أَيُرَدُّ ذُو عَقْلِ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا

بَعْدَ التَّصَوُّورِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ

١٢٣٩ - وَاللَّهِ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بِغَيْرِ

رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٢٢٧: ١٢٣٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذا هو الوجه التاسع وهو ما صرحت به النصوص التي لا تحصى كثرة من الكتاب والسنة بأن الله عز وجل في السماء ومن يستحضرهما وينظر فيهما يلقى ذلك في غاية الوضوح والبيان، فمن الكتاب قوله عز وجل: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿[الملك: ١٦، ١٧].

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»، وقوله: «أزحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، وقوله في الرقية: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك» إلخ الحديث. وقوله لأبي حصين: كم إلهًا تعبد؟ فقال سبعة؛ ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ فقال: الذي في السماء ولم ينكر عليه الرسول ﷺ قوله إنه في السماء. ومثل ذلك قوله للجارية: «أين الله؟» فقالت: في السماء، فقال لسيدتها: «أعتقها فإنها مؤمنة».

وينبغي لرجل السنة أن لا يستوحش من قراءة هذه الآيات والأحاديث ولا يتهيّب الاستدلال بها على علوه تعالى على خلقه لما فيها من إبهام انحصاره تعالى في بعض مخلوقاته على ما في «في» من معنى الظرف؛ لأننا نقول أنها لا تدل على الانحصار لا عقلاً ولا عرفاً ولا لغة. فقد أجمع السلف على أن «في» هنا ليست معناها من الظرفية، وإنما هي بمعنى «على» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] فهي هنا بمعنى الفوق للاتفاق على أن الله لا يحصره ولا يحيط به شيء من خلقه أو يراد من السماء في الآيات والأحاديث جهة العلو، ولا شك أن الله في هذه الجهة، فله العلو المطلق على سائر خلقه، بحيث لا يكون منها حاصراً له ولا محيطاً به، فهو سبحانه ليس في جهة وجودية من هذه الجهات الواقعة داخل هذا العالم، ولكن الجهات كلها بالنسبة إليه عدمية، فإنه فوق عرشه، والعرش هو الجسم الذي تنتهي به كرة العالم، فالله عز شأنه هناك حيث انتهت جميع المخلوقات، فهو فوقها مبين لها محيط بها، ولا يحيط به شيء منها.



## فصل



- ١٢٤٠- هَذَا وَعَاشِرُهَا اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ  
أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ  
١٢٤١- وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْدِ  
اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَبْيَانٍ  
١٢٤٢- لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى  
كَأَنَّا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ  
١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسَ وَجِبِ  
رَيْلٍ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ  
١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّ  
حْمَنِ عَيْنَ إِزَادَةِ الْأَكْوَانِ  
١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ  
وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيِّانِ  
١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمْ عِنْدِيهِ التَّكْوِينِ فَالذُّ  
ذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ

فإذا فهمَ علوه تعالى على خلقه بهذا المعنى، فما الذي ينكره المعطل على من أثبت هذا العلو وصفًا لله عز وجل ما دام هذا العلو لم يقتض حلولا ولا انحصارا ولا اتصالا بالمخلوق، وهل يجوز لمن عنده مسكة من العقل السليم والفهم الصحيح أن يردَّ هذا بعد تصوره على هذا النحو الذي لا يقتضي نقضا ولا محالا، إن رده وإنكاره لا يكون إلا عن أحد أمرين لا ثالث لهما: إما جهل بحقيقته وعدم فهم لمعناه، وإما تعصب وحمية وطاعة للشيطان الرجيم.

١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمْ عِنْدِيهِ التَّقْرِيْبُ تَقْ-

رِيْبِ الْحَيِيْبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا

وَكَيْلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ

١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا

عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِإِلَّا رَوْعَانِ

١٢٥٠- جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ

مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ

وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّيْيَانِ

### الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فِيهِ نَوْعًا عَاشِرًا مِنْ أَدْلَةِ عُلُوِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَذَلِكَ

لأن الله تعالى ذكر عن بعض مخلوقاته أنه عند الله.

هَذَا وَعَاشِرُهَا اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ

مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ووجه

ذلك أنه قال: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فدل هذا على أن هناك خلقًا آخر ليس عند الله؛ يعني: بعيدين

منه وإلا لولا هذه الدلالة لكانت المخلوقات سواء في العندية؛ لكان إبليس وجبريل سواء

كلهم عند الله وهذا مستحيل؛ إذا فكون بعض المخلوقات عند الله يدل على أنه سبحانه

وتعالى فوق كل شيء وهؤلاء عنده وقريب منه والآخرين بعيدون عنه ولهذا قال:

هَذَا وَعَاشِرُهَا اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ

وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بَعْدَ بِدِ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَيِّيَانِ

للحديث: إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: «إن رحمتي سبقت غضبي».

لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ

فهنا هذا الدليل: لولا أنه فوق كل شيء ما صار هؤلاء عنده وهؤلاء لم يكونوا عنده ولكان الناس كلهم عند الله ذي السلطان.

وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسَ وَجِبَ رِبْلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ

مع أن الله قال لإبليس: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] أبعد الله عز وجل.

وَتَمَامُ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنْ مَحَبَّةَ الرَّحْمَنِ عَيْنِ إِزَادَةِ الْأَكْوَانِ

لأن هؤلاء القوم قالوا: المحبة هي عين الإرادة وكل الكون مراد له، فالنتيجة: أن كل الكون محبوب له؛ ولهذا قالوا: إن الله يحب الكفر والمعاصي والفسوق والغبي والجهل والظلم والعدوان؛ لأن الكل مراده بل إن بعضهم - أعني: بعض الصوفية الخاصة - جعلوا هذا غاية المشاهد أن تشهد بأن الكون كله مراد لله وكله محبوب لله، فهم قالوا: المحبة والإرادة سواء كما قالوا العند والبعد سواء.

وَكَلاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ وَكَلاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيِّانِ

ثم قال المؤلف:

إِنْ قُلْتُمْ عِنْدِيهِ التَّكْوِينِ فَالذُّ ذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ

قال عندي أي أنه خلق هذا وخلق هذا فإراد بالعندي التكوين والخلق.

أَوْ قُلْتُمْ عِنْدِيهِ التَّقْرِيبِ تَقَرَّبَ رِيبِ الْحَبِيبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

قوله: (العندي) يعني بذلك: أنه قربه ولو كان بعيد المكان (فعنده) يعني: أنهم قرييون منه بطاعتهم ولو كانوا بعيدي المكان.

فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا وَكَلاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ

قوله: (كلاهما) أي: المشيئة والمحبة في الحكم عدلان؛ أي: شاء هذا فأحبه، لكن المنازع هم أهل السنة يقولون: بأنه له عندي حقًا بلا روغان، عندي ماذا؟ خلق وتكوين أو تقرب وإرادة أو مكان، بلا روغان.

جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

فالذين عند الله جمعوا بين محبة الله لهم؛ لأنه أدناهم وقربهم وكذلك قربهم إلى ذاته عز وجل، والثالث التقريب وتلك هي الكرامة التي أكرمهم بها؛ لأن من كانوا قريبين منه جل وعلا فهم عنده أكرم ممن كانوا بعيدين عنه بلا شك.

وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّيَّانِ

الحب غير المشيئة فقد يشاء ما لا يحبه وقد يجب ما لا يشاؤه، فقد شاء الكفر وهو لا يحبه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقد يجب ما لا يشاؤه، فهو يجب من الفاسق أن يكون عادلاً ويجب من الكافر أن يكون مؤمناً ولكنه لا يشاءه لحكمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴿[هود: ١١٨] يعني به: أن جهنم، لو كان الناس كلهم مؤمنين لكان خلق النار عبثاً أليس كذلك؟ وما الفائدة؟ لكنها حق وقد وعد الله النار أن يملأها ووعد الجنة أن يملأها ولكن عمّارها هم أهلها، فلا بد أن يكون هناك كفار، هل العند قرب أم تكوين؟ العند قرب كيف تقول: إن العند تكوين وهذا خلاف الظاهر؟! والله أعلم.





## فصل

١٢٥٢- هَذَا وَحَادِي عَشْرَهُنَّ إِشَارَةٌ

نَحْوَ الْعُلُوِّ بِأَصْبِعِ وَبَنَانِ

١٢٥٣- اللَّهُ جَلُّ جَلَالِهِ لَا غَيْرِهِ

إِذَا ذَاكَ إِشْرَاكَ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٢٥٤- وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الْ

حَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْعُقْرَانِ

١٢٥٥- نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبِعٍ قَدْ كُرِّمَتْ

مُسْتَشْهِدًا لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

١٢٥٦- يَا رَبِّ فَاشْهَدْ أَنِّي بَلَّغْتُهُمْ

وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقَصْدِ بَيَانِ

١٢٥٧- فَعَدَا الْبَنَانُ مُرْفَعًا وَمُصَوَّبًا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْعُقْرَانِ

١٢٥٨- أَدَيْتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَا

حَقَّ الْبَلَاغِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين ﷺ:

وفي هذا الفصل أراد المؤلف ﷺ أن يبين الدليل الحادي عشر على علو الله سبحانه وتعالى وذلك بالدلالة الفعلية من رسول الله ﷺ حيث خطب الناس يوم عرفة في حجة



الوداع<sup>(١)</sup> في ذلك المجمع الذي لم يوجد في الإسلام أكثر جمعًا منه وقال: «اللهم اشهد» ويشير إلى السماء وينكت بأصبعه إلى الناس يعني: إليهم قال ذلك ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام وهذا دليل بالفعل لا بالقول على أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء.



(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

فصل

- ١٢٥٩- هَذَا وَثَانِي عَشْرَهَا وَصَفُ الظُّهُورِ  
رِلَهُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ١٢٦٠- وَالظَّاهِرُ الْعَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ  
شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ
- ١٢٦١- حَقًّا رَسُولُ اللَّهِ ذَا تَفْسِيرِهِ  
وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمَانِ
- ١٢٦٢- فَأَقْبَلَهُ لَا تَقْبَلُ سِوَاهُ مِنَ التَّفَا  
سِيرِ الَّتِي قِيلَتْ بِأَلَا بُرْهَانَ
- ١٢٦٣- وَالشَّيْءُ حِينَ يَتِمُّ مِنْهُ عُلوُّهُ  
فَظُهُورُهُ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
- ١٢٦٤- أَوْ مَا تَرَى هَذِي السَّمَاءَ وَعُلوَّهَا  
وَوَظُهُورَهَا وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ
- ١٢٦٥- وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثَابِتٌ فَسُقُولُهُ  
وَخَفَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ مُصْطَحِبَانِ
- ١٢٦٦- فَانظُرْ إِلَى عُلوِّ الْمُحِيطِ وَأَخْذِهِ  
صِفَةَ الظُّهُورِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ
- ١٢٦٧- وَانظُرْ خَفَاءَ الْمَرْكَزِ الْأَدْنَى وَوَصْدِ  
سَفِّ السُّفْلِ فِيهِ وَكَوْنَهُ تَحْتَانِي

١٢٦٨ - وَظُهُورُهُ سُبْحَانَهُ بِالذَّاتِ مِثْ

لِ غُلُوِّهِ فَهَمَّ لَهُ صِفَتَانِ

١٢٦٩ - لَا تَجِدَنَّهُمَا جُحُودَ الْجَهَمِ أَوْ

صَافَ الْكَمَالِ تَكُونُ ذَا بُهْتَانِ

١٢٧٠ - وَظُهُورُهُ هُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ

وَعُلُوُّهُ لِظُهُورِهِ بَيِّنَانِ

١٢٧١ - وَلِذَلِكَ قَدْ دَخَلْتَ هُنَاكَ الْفَاءَ لِلتَّ

تَسْيِبِ مُؤَذِّنَةً بِهَذَا الشَّانِ

١٢٧٢ - فَتَأَمَّلْنِ تَفْسِيرَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ

بِصِفَاتِهِ مَن جَاءَ بِالْقُرْآنِ

١٢٧٣ - إِذْ قَالَ أَنْتَ كَذَا فَلَيْسَ لِضِدِّهِ

أَبْدًا إِلَيْكَ تَطْرُقُ الْإِتْيَانِ

### الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هذا أيضًا من الأدلة الدالة على علو الله عز وجل وهو المستفاد من اسمه تعالى: ﴿الظَّاهِرُ﴾ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] واسم (الظاهر) فسرته أهل التعطيل المنكرون للعلو بأنه الظاهر بآياته يعني: الذي يعرف بآياته فجعلوا الظهور ظهورًا معنويًا، ولكن أعلم الخلق بالله فسرته على خلاف ذلك فقال: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup> وأتى بالفاء الدالة على التفريق أي: أنت فوق كل شيء فليس فوقك شيء وقال: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»<sup>(٢)</sup> هو عندهم أن الباطن هو ما لطف حتى لم

(١) رواه مسلم (٢٧١٣)، والترمذي (٣٤٠٠).

(٢) جزء من الحديث السابق.



يكن له جسم - والعياذ بالله - فوصفوا الله بأنه لا شيء ولكن نقول أن معنى «ليس دونك شيء» أي: أنك محيط بكل شيء فلا يحول دونك شيء، وعلى هذا فنقول: (الظاهر) معناه العالي وكل ما علا فقد ظهر؛ فانظر إلى النجوم في السماء ظاهرة؛ لعلوها فلو كانت في الأرض ما رآها أحد والقمر والشمس ظاهرتان لعلوهما ولماذا كان ظهر الحيوان ظهراً؟ لأنه أعلى ما فيه؛ فإذا الظاهر هو الذي ليس فوقه شيء.





١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثُ عَشْرَها إِخْبَارُهُ

أَنَا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعْطَلُ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا

أَمْ عَنِ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ

١٢٧٦- أَمْ خَلَفْنَا وَأَمَانًا سُبْحَانَهُ

أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيِّنَاتِ

١٢٧٧- يَا قَوْمُ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا

أَوْ أَنْ رُؤْيَيْتَهُ بِإِلَاحِ إِمْكَانِ

١٢٧٨- إِذْ رُؤْيِيَّةٌ لَأَفِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الزُّ

رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

١٢٧٩- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا

سِوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الْأَذْهَانِ

١٢٨٠- وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقٌ مِنْكُمْ لَأَهْ

لِ الْإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ

١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمْ لِذِي الثُّ

تَحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي

١٢٨٢- شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِتَحْمِيلِ حَمَلَةٍ

تَذَرُ الْمَجْسِمَ فِي أَدَلِّ هَوَانِ

١٢٨٣- إِذْ قَالَ إِنَّ إِلَهَهُ حَقًّا يُرَى

يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

١٢٨٤- وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا

حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَاً بِعَيْنَانِ

١٢٨٥- لَا رَيْبَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا

لَزِمَ الْعُلُوُّ لَفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلًّا جَلَالُهُ

فَلِذَلِكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَضَمَانِ

١٢٨٧- لَكِنَّا سَلِمْنَا وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا

عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعُلُوِّ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٢٨٨- فَعَلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْ

قَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دَيَّانِ

١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ

طَعْمٌ فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانِ

١٢٩٠- هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ مُودَعٌ كُتِبَ بِهِمْ

فَانظُرْ تَرَى يَأْمَنُ لَهُ عَيْنَانِ

### الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله وأنه جل وعلا أخبر بأننا نراه في جنة الحيوان، والحيوان يعني: الحياة وليس المراد بالحيوان الكائن الحي كما الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَلَدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوة: ٦٤] والحيوان هنا صيغة مبالغة يعني: الحياة الكاملة فنحن سنراه في جنة الحيوان - وأسأل الله أن يجعلني وأياكم ممن يراه -، نراه في جنة الحيوان كما ثبت ذلك في الكتاب



والسنة وإجماع السلف أن الله تعالى يُرى بالعين سبحانه وتعالى لكن لا يُحاط به؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] كما نرى الشمس الآن ولا ندركها يقول: سل المعطل الذي ينكر علو الله هل نراه من تحت أو من يمين أو شمال أو خلف أو أمام يعني: يسأله عن كل الجهات الست؛ هل نراه من تحتنا هذا مستحيل؛ لأننا لو رأيناه من تحتنا لكان ناقصاً أو رأيناه عن يمين أو شمال أو أمام أو خلف كذلك يستلزم أن يكون ناقصاً وهذا محال، وماذا بقي أن نراه؟ من فوق، وهذا هو المطلوب؛ ولهذا قال:

يَا قَوْمُ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا      أَوْ أَنَّ رُؤْيَيْهِ بِسَلَا إِمْكَانٍ  
إِذْ رُؤْيِي لَأَ فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرَّ      رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

فالرؤية لا بد من مقابلة بين الرائي والمرئي؛ فأنتم إن قلتم يقابل من أسفل تنقصتم الله أو من يمين أو شمال أو أمام أو خلف وكذلك تنقصتم بإقراركم فلم يبق إلا أن يُرى من فوق؛ وهذا هو المطلوب ثم قال: إن المحقق منكم قال للمعتزلة - وهو الآن يتكلم مع الأشاعرة -: إنه لا فرق بيننا وبينكم دعونا نكون إخوان سلمٍ فيما بيننا حرباً على المسجد الذي يثبت أن الله يُرى بالأعيان:

شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لَنَحْمِلَ حَمْلَةً      تَذُرُّ الْمَجْسِمَ فِي أَدَلِّ هَوَانٍ

فماذا قال المجسم؟

إِذْ قَالَ إِنَّ إِلَهَهُ حَقًّا يُرَى      يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ

ومن الذي قال ذلك؟ الرسول عليه والصلاة والسلام فهو - على زعمهم - مجسم وهم حربٌ عليه - نعوذ بالله - انظر كيف الهوى؛ لأنهم قالوا: مستحيل أن يُرى الله بالعين. وقد ذكر شيخ الإسلام: أن جمهور أهل السنة كَفَرُوا من ينكر رؤية الله في الآخرة قال: لأن الكتاب والسنة وإجماع السلف كلها تطابقت على إثباتها وهل أبين من أن يقول الرسول ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته»<sup>(١)</sup> أو قال: «كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»، لو قال أنكم سترون ربكم فقط لثبتت الرؤية فكيف إذا أكدها بقوله: «كما ترون القمر ليلة البدر» ومن العجب الذي

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).



أنكروا ذلك قالوا: إن الله قال لموسى لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿[الأعراف: ١٤٣] كيف يقول الله في القرآن لن تراني وتأتي أنت تقول إن الله يرى؟ فنقول لهم في الرد عليهم: إننا لا نقول نراه في الدنيا وإنما نراه في الآخرة وما قولكم هذا إلا كقول منكري البعث ﴿أَتَتُوا يَا أَبَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجنانية: ٢٥]، الذين أنكروا البعث قالوا: كيف يُبعث الناس؟ لا أحد يقول: يوتى بأبائكم الآن ولكن يبعثون يوم القيامة فتحديكم هذا لا وجه له، كذلك الذي استدلووا بقول، ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ نقول: هذا لا دليل فيه؛ لأننا نحن لا نقول: إننا نراه في الدنيا وإنما نراه في الآخرة، ثم الدليل الثاني ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال: لا تدركه الأبصار فنقول هذا حجة عليكم وليس دليل لكم؛ لأن الإدراك أخص من الرؤية فإن الإنسان قد يرى الشيء ولا يدركه ولكن إذا أدركه فقد رآه أو لمسه أو ما أشبه ذلك؛ لأن الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ولم يقل: لا تراه فيكون في نفي الإدراك للأبصار دليل على أنها تراه؛ لأنه لو كانت لا تراه؛ لكان نفي إدراكها لها تليسا إذ أننا نقول: ما دام الأعم لا يوجد، فالواجب أن الأخص لا يوجد أيضا، ولم يقل: لا تراه الأبصار؛ لأننا نعلم أنه إذا كانت لا تراه فلن تدركه؛ إذا ففي الآية دليل عليهم لا دليل لهم، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «درء تعارض العقل والنقل» الذي قال عنه ابن القيم: ما في الوجود له نظير ثاني، قال: إني أنا ملتزم لكل مبتدع أو معطل يأتي بدليل من الكتاب والسنة أن أجعل دليله دليلا عليه؛ وهذا صحيح واضح؛ لأن هذا المبطل لم يستدل بالنص إلا وهو يجد رائحة لما يريد لكنها ليست الرائحة التي يتعطر بها.

ولكنها الرائحة التي تزكم أنفه وترد عليه، إذن ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ ما فيها دليل؛ لأنها في الدنيا ونحن نوافق على هذا، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ما فيها دليل بل هي دليل عليهم ثم قال المؤلف:

وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا حَقًّا إِلَيْهِ زُورَةً بَعِيَانٍ  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أي: تنظر إليه.  
 لَا رَبِّبَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا لَزِمَ الْعُلُوُّ لِقَاطِرِ الْأَكْوَانِ

يعني: إذا قالوا بثبوت الرؤيا لزمهم لزومًا لا محيد عنه أن يكون الله تعالى عاليًا كما سمعتم في الجهات الخمس أنها ممتنعة.

وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ      فَلِذَلِكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَصَمَانِ

نحن يعني: المعتزلة والأشاعرة وحزبهم وهم المجسمة - على زعمهم - وهم الرسول عليه الصلاة والسلام أهل السنة والجماعة.

لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا      عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعُلُوِّ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

قوله: (لكننا سلم وأنتم) يعني: نحن وإياكم بيننا سلم لا حرب؛ لأننا تساعدنا على نفي العلو لله عز وجل والمساعد للمبطل على باطله بينه وبينه سلم لكنه يوم القيامة يكون بينه وبينه حرب كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] قال:

فَعُلُوُّهُ عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ قَوْ      قِ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دِيَّانِ

قوله: (علوه عين المحال) ونحن نقول: علوه هو عين الكمال، علو الله - عز وجل - لا شك أنه عين الكمال وأن من كماله - عز وجل - أنه فوق كل شيء إلا هو قال: لا تَتَضَبُّوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ      طَعْمٌ فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ

يعني: لا تحالفونا ولا تنازعونا؛ لأن الخلاف ما له طعم، إذ أنه ليس بخلاف، ونحن سلمان أي نسالم بعضنا بعضًا.

هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ مُودَعٌ كُتِبِهِمْ      فَاَنْظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

هم يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون: المراد بالرؤية رؤية العلم واليقين وليست رؤية البصر ولكن كيف يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ»<sup>(١)</sup> ويقال: هذا المراد به رؤية العلم، ورؤية العلم حتى في الدنيا فإن أهل اليقين يعبدون الله كأنهم يرونه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم (١٨٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).



كل قولٍ مكفر لا بد أن تقوم الحجة على من قال به يعني: لو ترى أنهم عندهم شبهات يدعون بها ما كفرناهم؛ لأنه فرق بين التكفير بالعين والتكفير بالوصف، وكذلك كل شيء يفرق فيه بين العين والوصف.

لو قلت: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، لكن لو قلت: فلان قتل في المعركة لا تقبل شهيد، لكن قل يُرجى أن يكون من الشهداء، أما أن تشهد له بعينه أنه شهيد ما تدري؛ فهذا الرجل الذي قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيه: «إنه من أهل النار» مع أنه كان لا يدع فاذة ولا شاذة للعدو إلا أتى بها وقال: إنه في النار.

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: «إنكم تقولون فلان شهيد وفلان شهيد ولعله يكون قد أوقر راحلته يعني: من الغلول ألا تقولوا ذلك ولكن قولوا: من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد؛ «من مات» على سبيل العموم، ولهذا نحن نقول: كل مؤمن في الجنة ونشهد بذلك لكن لو رأينا رجلاً مؤمناً في ظاهره هل نشهد له بالجنة؟ لا، قد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن رجلين مهاجرين أحدهما هجرته إلى الله ورسوله والثاني هجرته إلى دنيا<sup>(١)</sup> وما يدرينا لعل هذا الذي يقاتل، يقاتل لأجل الدنيا ما نعلم.

ولهذا قال شيخ الإسلام في مثل هذه المسألة لما سئل عن قوم من الجنود توقفوا في قتال التتار وقالوا: لأن التتار معهم قومٌ مسلمون ومكروهون فقال: يجب قتالهم حتى المسلمين الذين في صفهم يقتلون، وقال: إن هؤلاء الذين أكرهوا على الخروج يجوز أن تقتلهم لصالح الإسلام، لأننا لو تركناهم فإننا لا نعلم المكروه من غير المكروه فيكون حسابهم على ما في قلوبهم على الله، أما بالنسبة لنا فإننا نقاتل من وجدناهم في صف عدونا ونقتله ولو كان مسلماً حتى وإن قال: إنه مُكْرَه.

ويقول شيخ الإسلام: هؤلاء شهداء فالذين جاءوا مكروهون وقاتلوا في صف الكفار - وكان يتكلم عن التتار - يكونون عند الله شهداء بناءً على ما في قلوبهم، أما بالنسبة لنا فليس لنا إلا الظاهر وذكر أثرًا عن العباس بن عبد المطلب لما أُسِرَ في بدر قال: يا رسول الله إني

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

خرجت مكرهاً فقال: «لَيْسَ لَنَا إِلَّا ظَاهِرُكَ، أَمَّا بَاطِنُكَ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ» وأسرته فمثل هذه المسائل لا يمكن الإحاطة بها؛ لأنها مبنية على ما في القلوب ولا يعلم ما في القلوب إلا علّام الغيوب في كل واحد يقول: أنا مكره؛ ولهذا قال: إنه باتفاق العلماء المسلمين أن الكفار إذا تترسوا بالأسرى المسلمين وخيف على المسلمين منهم أي الكفار أن يندفعوا بواسطة الأسرى، لأن المسلمين ليسوا يقتلون أسراهم الذين عند الكفار قالوا: خيف منهم فإنه يقتل المسلم الذي تترس به الكافر وأنه إذا قتلناه فإننا معذورون وليس عندنا إثم وهو بنفسه أيضاً يكون شهيداً؛ لأنه قُتل لنصرة الحق فهذه المسائل - حقيقةً - مسائل دقيقة ينبغي للإنسان ألا تأخذها العاطفة في الحكم على هذه الأمور فليرجع إلى كلام العلماء وما قاله أهل العلم في هذه المسائل حتى لا يحكم بالضلال وهذه المسائل خطيرة جداً خصوصاً في أحداثنا هذه فإن كثيراً من الناس ينسى بعض المصائب التي أصابت المسلمين ويتأوه لقوم يتترس بهم العدو يتأوه لهم هؤلاء.

نقول: شهداء إذا قتلوا إن شاء الله وهم على الإسلام فهم شهداء لكن أن ندع هذا العدو يتترس بما يتترس به من المسلمين فهذا لا يمكن وإلا ضاعت الأمور.

المهم أن نقول: إن هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله لا تكفر كل واحد بعينه ولكن نقول: من أنكر رؤية الله بعد بلوغ الحجة يكون كافراً؛ لأنه مكذب لله ورسوله ولما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم.

في الآيات دليل على أن أهل السنة قالوا: إن طلب موسى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يدل على إمكان الرؤية؛ لأنها لو كانت رؤية الله مستحيلة لكانت من النواقص ولا يمكن أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام يعتقد أن في الله صفة ناقصة.

إذا كان النص لا يمكن إنكاره حرفوه مثل القرآن وغيره من المتواتر وإذا كان آحاداً فقد قعدوا قاعدتهم الفاسدة الباطلة بأن الآحاد ليس فيها حجة في إثبات العقائد مع أننا نقول: إن أحاديث رؤية الله متواترة.

مما تواتر حديث من كذب  
ورؤية شفاعته والحوض  
ومن بنى لله بيتاً واحتسب  
ومسح خفين وهذه بعض





- ١٢٩١- هَذَا وَرَابِعُ عَشْرَهَا إِقْرَارُ سَا  
ئِلِهِ بِلَفْظِ «الْأَيْنَ» لِلرَّحْمَنِ
- ١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا  
سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوَرَانٍ
- ١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا  
لَمَّا أَقْرَبَ بِهِ بِإِلَّا نَكَرَانٍ
- ١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ «مَنْ»  
لَكِنَّ جَوَابَ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ
- ١٢٩٥- كَلًّا وَلَيْسَ لِي «مَنْ» دُخُولُ قَطُّ فِي  
هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ١٢٩٦- دَعَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِتَفْسِيهِ  
«أَيْنَ الْإِلَهَةُ؟» لِعَالِمِ بِلْسَانِ
- ١٢٩٧- وَاللَّهُ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ مَع  
سِنَاهَا الَّذِي وَضَعَتْ لَهُ الْحَقَّانِي
- ١٢٩٨- وَاللَّهُ مَا فَهَمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ  
وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ
- ١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ «الْأَيْنَ» مَمْتَنِعٌ عَلَى الرُّ  
حْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بُطْلَانِ

١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِرُنَا بِهِ

بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةَ الْعُدْوَانِ

١٣٠١- لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنِ خَيْرِ الْوَرَى

قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ

١٣٠٢- وَاللَّهُ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ

عَنْ لَفْظِ «مَنْ» مَعَ أَنَّهَا حَرْفَانِ

١٣٠٣- («وَالْأَيْنُ») أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو

لَبْسٍ «وَمَنْ» فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

١٣٠٤- وَاللَّهُ مَا الْمَلَكَانِ أَفْصَحَ مِنْهُ إِذْ

فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ الْوَرَى يَسْلَانِ

١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهُ؟ يَعْنِي «مَنْ» فَلَا

وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ

١٣٠٦- كَلًّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيضًا لِذِي

لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله سبحانه وتعالى وهو إقرار السائلين بلفظ الأين يعني إقرار النبي ﷺ من سأله أين ربنا فأجابه النبي عليه الصلاة والسلام فقال له السائل: أين ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كَانَ فِي أَعْنَاءَ» يعني: في شيء من جنس الغمام ونحوه فهذا السائل قال: أين ربنا؟ والأين يستفهم بها عن المكان فأقره النبي عليه الصلاة والسلام على هذا السؤال وأجابه بأنه في أعناء يعني: أنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء وحوله هذا الشيء من جنس السحاب الخفيف وكذلك أيضًا هو نفسه ﷺ سأل الجارية (١)

قال لها: «أَيْنَ اللهُ؟» قالت: في السماء فأقرها فصار النبي عليه الصلاة والسلام قد أجاب السائل بأين، وهو نفسه أيضًا وجّه سؤالًا بأين؛ وأين يستفهم بها عن المكان قال:

هَذَا وَرَابِعُ عَشْرَهَا إِقْرَارُ سَا      إِلَيْهِ بِلَفْظِ «الْأَيْنِ» لِلرَّحْمَنِ  
وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا      سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوِرْزَانَ  
وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا      لَمَّا أَقْرَبَهُ بِإِلَّا نُكْرَانَ

ويحتمل أن تقول مقرّرًا لما أقر به يعني: أن الرسول قرر ما أقر به.

هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ «مَنْ»      لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ

لأنه لو كان الجواب جواب من؛ كان الاستفهام هنا ليس عن المكان بل هو عن الذات، من الله؟ مثلاً فيقول: رب السموات والأرض لكن أين الله؟ استفهام عن المكان (لكن جواب اللفظ بالميزان).

كَلَّا وَلَيْسَ لِ«مَنْ» دُخُولُ قَطُّ فِي      هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

لما قال: أين الله؟ قال: في السماء ما يصح أبدًا أن يكون أين هنا بمعنى مَنْ فلا استفهام ليس بلفظ من؛ وأين لا تصح أن تكون بمعنى مَنْ ثم أقسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال:

دَعِذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ      «أَيْنَ الْإِلَهِ؟» لِعَالِمِ بِلِسَانِ

قوله: (أين الإله؟) يخاطب من يعرف اللغة ومن هو عالم باللسان فإنه يخاطب امرأة عربية يقول: «أين الله؟».

وَاللَّهُ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ مَعَ      نَاهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَّانِي

وَاللَّهُ مَا فَهَمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ      وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ

المخاطب من؟ الرسول عليه الصلاة والسلام والمخاطب المرأة. (واللفظ موضوع لقصد بيان) وهو بين أن هناك فرق بين أين وبين ومَنْ.

يَا قَوْمُ لَفْظُ «الْأَيْنِ» مَمْتَنِعٌ عَلَى الرِّ      رَحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بُطْلَانِ

يعني: أنهم يقولون - الذين ينكرون علو الله -: لا يجوز أن تقول: أين الله؟ فإذا قلت: أين الله؟ فهذا حرام عليك بل يقول:

وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِرُنَا بِهِ      بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ

(يكاد) بمعنى يقرب أن يكفرنا به (بل قد) يعني: بل قد كفرنا. وقال من قال: أين الله؟ فهو كافر وعلى رأيهم يكون الرسول عليه الصلاة والسلام كافرًا ويكون مقررًا بالكفر.

لَفْظُ صَرِيحٍ جَاءَ عَنِ خَيْرِ الْوَرَى قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ  
 (قَوْلًا) فِي قَوْلِهِ «أَيْنَ اللَّهُ؟»، (وَإِقْرَارًا) فِي جَوَابِهِ لِلْسَائِلِ.

وَاللَّهِ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ عَنِ لَفْظِ مَنْ مَعَ أَنَّهَا حَرْفَانِ

قوله: (والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من) يعني: الذي يستطيع أن يقول أين يعجز عن من؟! أبدًا (مع أنها حرفان).

«وَالْأَيْنُ» أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو لَبْسٍ وَ«مَنْ» فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ

وقد ذكر المؤلف ثلاثة أمور:

أولاً: كيف تقولون: إن «أين» بمعنى «مَنْ» هل الرسول عاجز؟

الجواب: لا وإذا كان كذلك فأيهما أكثر حروفًا «أين» أم «مَنْ»؟ أين، كيف يعدل عن (مَنْ) وهي أقل حروفًا إلى أين وهي أكثر حروفًا؟!.

والثالث: مَنْ واضحة في المعنى، وأين إذا قصد بها مَنْ صارت لللبس؛ لأن حمل أين على مَنْ بعيد، فلو قصد المخاطب بها مَنْ؛ لكان ملبسًا غير مبين فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاثة موانع كلها تمنع أن تكون أين بمعنى مَنْ يقول:

وَاللَّهِ مَا الْمَلِكُ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ الْوَرَى يَسْلَانِ

لما أراد النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ بينها قال: «إن الملكين يسألان العبد في قبره يقولان له من ربك»<sup>(١)</sup> لا يقولان: أين ربك؟ فلما أراد معنى مَنْ عبر بماذا؟ بمن وإذا أراد

معنى أين عبر بأين فهل تقولون أنتم: إن الملكين أفصح من الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن هؤلاء - والعياذ بالله - يقولون: إن معنى أين الله؟ يعني من الله؟ ولا شك أن هذا ممنوع

لكن هذا معنى كلامهم فيقال: كيف يعبر الرسول بأين بدلًا عن مَنْ؟ إذاً على زعمكم الملكان أفصح من الرسول وأبين مع العلم أن الملكين يخاطبان الميت غير المكلف والرسول

يبين للأحياء المكلفين فكيف يعبر بأين عن من؟!.

(١) صحيح: انظر «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي «مَنْ» فَلَا وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ  
 (ويقول أين الله يعني من) كيف أين الله يعني مَنْ؟ يعني: هم يدعون أن معنى قول  
 الرسول «أين الله؟» أي من الله؟ كيف يريد من الله وهو يقول: أين؟ (والله ما اللفظان  
 متحدان) بينهما فرق.

كَلَا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيْضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانٍ  
 فهما متباينان لفظاً ومعنى.

وخلاصة هذا الفصل: أن من الأدلة على علو الله أن الرسول عليه الصلاة والسلام سُئِلَ  
 أين الله؟ فقال: في السماء وسأل أين الله؟ فقليل له: في السماء؛ إذن اللفظ واضح بأن الله تعالى  
 بذاته فوق كل شيء.





## فصل

- ١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسُ عَشْرَهَا إِجْمَاعُ مِنْ  
رُسِلَ إِلَيْهِ الْوَاحِدِ الْمَثَانِ
- ١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ  
قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعُهُمْ شَيْخُ الْوَرَى  
وَالدِّينِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي
- ١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِي أَيْضًا حَكَى  
إِجْمَاعَهُمْ أَعْنِي «ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي»
- ١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى  
إِجْمَاعَهُمْ عَلَّمُ الْهُدَى الْخِرَازِي
- ١٣١٢- وَلَهُ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ  
لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَلِسَانِ
- ١٣١٣- هَذَا وَنَقَطُحُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ  
إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ
- ١٣١٤- وَكَذَلِكَ نَقَطُحُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِأَثَرِ  
بَيِّنَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ
- ١٣١٥- وَكَذَلِكَ نَقَطُحُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِأَثَرِ  
بَيِّنَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٣١٦- وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِأَث

بَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأُبْدَانِ

١٣١٧- وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ

حِيدِ الْإِلَهِ وَمَالَهُ مِنْ ثَانِ

١٣١٨- وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِأَث

بَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ

١٣١٩- فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصُو

لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

١٣٢٠- كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جُ وَذَا

فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمِ ذَانَ

١٣٢١- فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ

لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ<sup>(١)</sup>

١٣٢٢- دِينَ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ

وَلِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ

١٣٢٣- فَمِنْ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسُلِهِ

فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ

١٣٢٤- وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَد

(١) [١٣١٤: ١٣٢١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وبالجملية فهم متفقون على كل ما هو من أصول الدين مما يتعلق بالله عز وجل وأحوال اليوم الآخر فإن دينهم فيها واحد لا اختلاف فيه قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وإنما يختلف الرسل عليهم الصلاة والسلام في الأحكام والشرائع العملية الفرعية التي تتعلق بها الأوامر والنواهي والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨] أي: في الفروع لا في الأصول.

لِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

١٣٢٥- وَكَذَلِكَ نَقَطُ أَنْهُمْ أَيْضًا دَعَا

لِلْخَمْسِ وَهِيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ

١٣٢٦- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ

وَبِكُتُبِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأَلَى

هُم رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

١٣٢٨- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أَصُو

لُ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِي<sup>(١)</sup>

(١) (١٣٢٢: ١٣٢٨) قال العلامة محمد خليل هراس:

ونقطع كذلك أنهم دعوا أمهم إلى قواعد الإيمان الخمسة التي هي:

أولاً: الإيمان بالله على الوجه الصحيح القائم على توحيده في إلهيته، فلا معبود غيره، وفي ربوبيته فلا خالق ولا مالك سواه، وفي أسائه وصفاته، فثبت له كل ما أثبتة لنفسه وما أثبتة له رسله من غير تكيف ولا تمثيل، وفي أفعاله فلا شريك له فيها، وليس لغيره فعل يشبه فعله إلى غير ذلك من شئونه جل شأنه.

وثانياً: الإيمان بالرسول الذين جعلهم الله عز وجل وسطاء بينه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه فضلاً منه ورحمة، والإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام يتضمن الإيمان بعصمتهم في التبليغ وعدم كتبهم لشيء مما أمروا بتبليغه وصدقهم في كل ما أخبروا به عن الله عز وجل إلخ ما يتعلق بهم.

ثالثاً: الإيمان بالكتب المنزلة على هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام نوراً وهدى للناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ويجب الإيمان تفصيلاً بأربعة منها لورودها في القرآن، وهي التوراة التي أنزلت على موسى الكليم، والزبور الذي أنزل على داود والإنجيل الذي أنزل على عيسى والقرآن الذي أنزل على محمد وهو المهيمن عليها جميعاً.

رابعاً: الإيمان باليوم الآخر على الوجه الصحيح الذي أخبرت عنه الرسل من قيام الأجساد من قبورها وحشرها إلى الله عز وجل لفصل القضاء بينها ثم مصيرها إلى الجنة أو النار إلى آخر ما وردت به الأخبار من أحوال ذلك اليوم، كالصراط والميزان، وإيتاء الصحف. والشفاعة التي لنبينا ﷺ في أهل الموقف وغيرها.

خامساً: الإيمان بالملائكة الذين جعلهم الله عز وجل رسلاً لتدبير مصالح خلقه، فمنهم الموكل بإنزال

١٣٢٩- تلك الأصول للاعتزال وكم لها

فرع فمنه الخلق للقرآن

١٣٣٠- وجحود أوصاف الإله ونفيهم

لعلوه وال فوق للرحمن

١٣٣١- وكذلك نفيهم لرؤيتنا له

يوم اللقاء كما يرى القمران

١٣٣٢- ونفوا قضاء الرب والقدر الذي

سبق الكتاب به هما حتمان

١٣٣٣- من أجل هاتيك الأصول، وخلدوا

أهل الكبائر في لظى النيران

١٣٣٤- ولأجلها نفوا الشفاعة فيهم

وزموا رواة حديثها بطعان

١٣٣٥- ولأجلها قالوا بأن الله لم

يقدر على إصلاح ذي العصيان

الوحي على الأنبياء، وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالأمطار والأرزاق، وهو ميكال، ومنهم الموكل يقبض الأرواح، وهو عزرائيل، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل، ومنهم الحفظة الكاتبون، ومنهم حملة العرش إلخ.

هذه الخمسة هي أصول الدين الحقة التي جاءت بها رسل الله ودعوا إليها، لا تلك الأصول الخمسة التي اتفقت عليها المعتزلة وجعلوها شعارًا للاعتزال، وهي التوحيد المتضمن لنفي صفات الله عز وجل وكلامه، والعدل المتضمن للتكذيب بقضاء الله وقدره وشمول إرادته ومشيئته، والوعد والوعيد المتضمن لوجوب تنفيذ وعيده سبحانه وخلود أهل الكبائر في النار ونفي الشفاعة، والمنزلة بين المنزلتين المتضمن لنفي اسم الإيمان عن عصاة المؤمنين والقول بخلودهم مع الكفار في النار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي استغله المعتزلة لفرض مذاهبهم على المسلمين بقوة السلطان.

تلك هي أصولهم الباطلة المنافية لما جاءت به الرسل ولما يقضي به العقل السليم فأين هي من تلك الأصول الكبار التي قام عليها دين الله الواحد في كل زمان ومكان.

١٣٣٦- ولأجلها قالوا بأن الله لم

يقدّر على إيمان ذي الكفران

١٣٣٧- ولأجلها حكّموا على الرحمن بالشّد

شَرعِ المُحَالِ شريعةِ البهتان

١٣٣٨- ولأجلها هم يُوجِبونَ رِعايةً

للأصلحِ الموجودِ في الإمكانِ

١٣٣٩- حَقًّا على رَبِّ الوَرَى بِعُقُولِهِمْ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا هو الدليل الخامس عشر في إثبات علو الله وهو إجماع الرسل على إثباته قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (هذا وخامس عشرها) يجوز في هذا التركيب ثلاثة أوجه، إعراب الطرفين وإعراب الثاني والبناء على الفتح، إعراب الطرفين فنقول: (هذا وخامس عشرها الإجماع) وإعراب الثاني وبناء الأول فنقول: (هذا وخامس عشرها) والثالث الخامس مضاف

(١) [١٣٢٩: ١٣٣٩] يعني: أن تلك الأصول الخمسة التي اتفق عليها أهل الاعتزال والتي قررها أحد شيوخهم، وهو القاضي عبد الجبار الهمداني، قد تفرعت عنها فروع هي غاية في الفساد والشناعة، فمما تفرع على توحيدهم الباطل الذي هو الأصل الأول عندهم القول بخلق القرآن، لأنهم لا يثبتون لله صفة الكلام، ويقولون أنه متكلم بمعنى خالق للكلام، والقبول بإنكار الصفات زعمًا منهم أن إثباتها ينافي التوحيد، والقول بنفي علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه والقول بنفي رؤية المؤمنين له في الجنة رؤية حقيقية بالأبصار.

ومما تفرع عن أصلهم الثاني وهو العدل نفي القضاء والقدر، ونفي إرادة الله تعالى لفعل العبد، لأن ذلك في زعمهم يبطل مسئولية العبد عن فعله، وينافي العدل الذي يوجب أن يكون العبد حرًّا في فعله، وقد غلوا في هذا الباب حتى قالوا أنه لا يقدر على أفعال العباد فلا يقدر على خلق الإيمان في الكافر ولا خلق الكفر في المؤمن ولا يقدر أن يعين العبد على ما به يصير فاعلاً. ومنها أيضًا قولهم بوجود الصلاح والأصلح على الله عز وجل بالنسبة للعبد على خلاف بينهم في معنى الأصلح هل هو الأنفع أو الأوفق في الحكمة.

والعشر مضاف إليه والثالث البناء على الفتح في الجزأين (هذا وخامس عشرها) وإعراب الطرفين الجزأين هو مذهب الكوفين، يقول (هذا وخامس عشرها) أو خامس عشرها أو خامس عشرها.

هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا إِجْمَاعٌ مِنْ رُسُلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ  
فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ  
وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعُهُمْ شَيْخُ الْوَرَى وَالَّذِينَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي

عبد القادر الجيلاني إمام مشهور معروف من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ فقد حكى أن استواء الله على العرش المذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي ولا شك أن العلو - علو الله - موجود في الشرائع السابقة فهذا فرعون يقول لهامان ﴿ابْنِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿وهذا يدل على أن موسى قال له: إن الله في السماء.

وأبو الوليد المالكي أيضًا حكى إجماعهم أعني «ابن رُشدٍ الثاني»

هذا هو الثاني منهما؛ - لأن هناك أول وثاني مالكي المذهب رَحِمَهُ اللهُ وهو رجل مذهب مذهب سلفي، أما الأول فقد دخل عليه شيء من مذاهب الفلاسفة.

وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى إِجْمَاعَهُمْ عَلَّمَ الْهُدَى الْحَرَّانِي

وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يُكنى أبا العباس هل تقولون لأنه أكبر أولاده؟ لا؛ لأنه لم يتزوج لكن المزورين زواجه إذا أتيت مثلاً إلى المسجد الأموي قال أترغب أن تزور شيخ الإسلام ابن تيمية وابنه فإن قلت أريد قال هذا قبره وهذا قبر ابنه ولم يعلموا أن الرجل لم يتزوج إطلاقاً لكن هذا ليس بغريب على المزورين الذين جعلوا الحسين رَحِمَهُ اللهُ في العراق وجعلوه في الشام وجعلوه في مصر سبحان الله !! يقول:

وَلَهُ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَلِسَانٍ

أي: أن لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ اطلاع لم يكن من قبله لسواه من متكلم ولسان،

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَدَقَ ابْنُ الْقَيْمِ، فَإِنْ مِنْ رَاجِعِ كِتَابِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يَأْخُذُهُ الْعَجَبُ الْعَجَابُ فِي كَثْرَةِ مَا يَنْقُلُ عَنْهُ مِنَ الْكُتُبِ وَهَذَا مِنْ هِبَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ أَنْ وَهَبَهُ حِفْظًا رَاسِخًا وَكَأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَا يَنْسَى، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعِدَ هَذِهِ الْكُتُبَ الَّتِي يَنْقُلُ مِنْهَا لِنَسِيهَا فَضْلًا عَلَى أَنَّهُ وَهُوَ يَنْقُلُ عِبَارَاتَهَا لَكِنْ فَضَلَ اللَّهُ يَوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ نَسَأَلَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ لَا يَجْرِمَنَا.

ثم قال:

هَذَا وَنَقَطْعُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ . . . إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ  
أَيْضًا هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقْطَعُ بِإِجْمَاعِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ .

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ  
أَي: أَنَّهُمْ مَجْمُوعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ  
يَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ يَسْمَعُونَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى يَنَادِينَا وَيَسْمَعُونَ

نداءه .

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ  
ولهذا لا ينكر المعاد أحد ينتسب إلى دين سماوي أبدًا حتى اليهود والنصارى يقرون بالمعاد وأن هناك جنة ونار وأن الجنة لمن أطاع والنار لمن عصى .

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ وَمَالَهُ مِنْ ثَانٍ  
لا شك في هذا أيضًا، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ  
إثبات القضاء أي: إثبات قضاء الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا تجدهم

يذكرون هذا في محجة قومهم، وأن هذا من الله سبحانه وتعالى هو الذي قدره .

فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصُولِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ  
أصول الدين التي لا تتم العبادة إلا بها متفقون عليها، وأما الشرائع والمنهاج الذي يسير

الناس عليه في عباداتهم من كيفية أو عدد أو نحو ذلك فإن الرسل مختلفون فيها كما قال الله تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَاجٌ وَذَا فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمِ ذَانَ

وهذه فائدة عظيمة فاختلفهم في الأمور لا في الخبر أما فالتكليف يختلفون فيه بمعنى: أن بعضهم يؤمر بشيء ويؤمر الآخر بخلافه ويحل له شيء ويحرم على الآخر قال عيسى لبني إسرائيل: ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

قال: (فافهم ذان) ذان: اسم إشارة والمشار إليه الأصول والفروع أو إن شئت فقل: فالأخبار والأوامر، فالأخبار متفقون عليها وهي أصول الإيمان الستة لكن الأوامر تختلف.

فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

دِينُ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قِيمُ الْأَدْيَانِ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - يختار الدين للعباد حسب ما يصلحهم وذلك في الشرائع والمنهاج، وأما في الأصل وهو توحيد الله فإنه واحد.

فَمِنْ الْمُحَالِ بَأَنَّ يَكُونَ لِرُسُلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ

هذا من المحال أن يوجد في كتب الله أو فيما جاءت به الرسل خبران مختلفان في صفات الله، لا يمكن هذا أبداً؛ يعني مثلاً لو قال قائل: إذا كان الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير<sup>(١)</sup> فهذه ينافي العلو قلنا: لا ينافيه؛ لأن كونه في العلو ثابت بخبر والنزول إلى السماء الدنيا ثابت بخبر، والخبران لا يتناقضان؛ لأنه لو جوزنا تناقض الخبرين لجوزنا أن أحدهما كاذب وهذا محال ولكن يقال: إن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فلا يلزم من نزوله إلى السماء الدنيا أن يكون غير عالٍ على خلقه، يقول: حملوا رأيهم على هذه القاعدة، وفي الحقيقة من المحال أن يكون لرسوله في وصفه خبران مختلفان.

وَكَذَلِكَ تَقَطُّعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْلِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

هذا أيضاً نقطع به أي العدل بين الخلق في الشرع وفي القضاء الديني والأخروي؛ هذه

ثلاثة أمور: عدل في الشرع، وعدل في القضاء الدنيوي، وفي القضاء الأخروي؛ فالغني إذا سرق يُقطع كما يُقطع الفقير، والشريف إذا سرق يقطع كما يقطع الوضيع كذلك، وكل إنسان تجب عليه الصلوات الخمس مثلاً وكل غني تجب عليه الزكاة وكل فقير مستحق للزكاة يُعطى من الزكاة في الآخرة كذلك الجزاء بحسب الأعمال لا بحسب الشرف والجاه هذا عدل؛ ولهذا لا يوجد شيء من الشريعة يختص بشخص لعينه أبداً، حتى قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي بردة بن ديار لما قال إن عنده عناقاً أحب إليه من شاتيه وكان قد ذبح أضحيته قبل الصلاة وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن من ذبح قبل الصلاة فلا نسك له <sup>(١)</sup> وكان جاهلاً فذبح قبل أن يصلي من أجل أن يأكل هو وأهله وجيرانه قبل الصلاة فقال: «ليس لك نسك؛ شاتك شاة لحم».

وهذا فيه فائدة عظيمة أن من فعل العبادة المؤقتة قبل وقتها - ولو كان جاهلاً - فإن ذمته لا تبرأ بذلك ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة ٢٨٦]؛ لأن هذا انتفى عنه الإثم وهي المؤاخظة لكن ولا زال الآن مطالباً بشأن العبادة فليفعلها ولا بد.

المهم: أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال له: «شاتك شاة لحم» قال: يا رسول الله أنا عندي عناقاً يعني: عنزة لها أربعة أشهر، أو نحو ذلك هي أحب إلي من شاتين أفتجزئ عني؟ قال: «نعم ولكن تجزئ عن أحد بعدك»، فلو أن أحداً ضحى بعناق فإن أضحيته لا تجزئ؛ لأنها لم تبلغ السن أي: لم تكن سنوية، لكن هذا قال له الرسول ﷺ: «ولكن تجزئ عن أحد بعدك» <sup>(٢)</sup>.

فقال بعض العلماء: إن هذا حكم خاص بالرجل لا يتعداه إلى غيره؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لن تجزئ عن أحد بعدك»، ولكن بحر العلوم ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَبِي ذَلِكَ وقال: أي: سبب يختص بهذا الرجل بعينه هذا شرع وليس جزاءً حتى لا يتساوى فيه الناس فكيف؟ قال: إن المراد بقوله: «ولكن تجزئ عن أحد بعدك» أي: بعد حالك أي: لن تجزئ عن أحد

(١) رواه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

(٢) صحيح البخاري (٩٨٣).

إلا من كانت حاله مثل حالك فإذا وجد شخصٌ انطبقت حاله على حال أبي بردة أجزأت عنه العناق وكلامه رَحِمَهُ اللهُ أَصَحُّ؛ لأنه هو الموافق للقاعدة الشرعية العامة.

وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا وَبَعْدَ لِ اللَّهِ بَيْنِ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ  
وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ أَيْضًا دَعَاوُا لِلْخَمْسِ وَهِيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ  
وهي كما قال رَحِمَهُ اللهُ:

إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بَرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ  
وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأُولَى هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

هذه خمسة قواعد للإيمان ولكن قد يقول قائل: إن ابن القيم مقصر؛ لأنه لم يذكر القاعدة السادسة وهي الإيمان بالقدر فماذا نجيب، ذكرها من قبل رَحِمَهُ اللهُ: (وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بإثبات القضاء) وذلك واضح (بإثبات القضاء) لكنه اقتصر على هذه الخمس ليرد بها على القواعد الخمس التي للمعتزلة فخمس بخمس؛ ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ:

هَذِي أَصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أَصُو لُ الخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الهمْدَانِي  
تِلْكَ الْأَصُولُ لِلْإِعْتِرَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

أصول المعتزلة عندهم خمسة، الأول: التوحيد قالوا هذه قاعدة من قواعد الدين، صحيح هذا؟ كيف سبحان الله! وهو أصل الأصول، الثاني: العدل، وهل هذا صحيح أن من قواعد الإسلام العدل؟ نعم، العدل من قواعد الإسلام، الثالث المنزلة بين المنزلتين، يعني: أن الإنسان قد لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا؛ لأن فيه خصال كفر فهو لا نقول له: أنت مؤمن، ولا أنت كافر، بل نقول: أنت بينهما، والرابع إنساب الوعيد، والخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صحيح هذا؟ إنساب الوعيد، يقول: إن خبر الله صدق وخبر رسوله صدق، فإذا كان مدمن الخمر لا يدخل الجنة صدق هكذا قال الرسول ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه من القواعد أيضًا.

هذه قواعد جيدة إذا قرأها الإنسان قال: ما أحسن هذه القواعد، لكن يعنون بالتوحيد: أن لا تثبت لله صفة فأَيُّ إنسانٍ ثبت لله صفة فهو مشرك فليس لله سمع ولا بصر ولا قدرة

ولا كلام ولا شيء؛ لأنك إذا أثبت صفة أثبت مع الله إلهًا؛ إذ أنك إذا قلت هذه الصفة قديمة يعني لم تزل فقد جعلتها مع الله إلهًا وأنت الآن كم صفات الله عندك؟ كثيرة لا تُحصى يقولون: أنت أكفر من النصارى؛ لأن النصارى جعلوا الله ثلاثة وأنت جعلته ثلاثين ألفًا وأكثر فأنت أكفر منهم؛ إذًا أنكر الصفة؛ فإن قلت: إن لله صفات غير قديمة لزمك أن تقول بوقوع الحوادث في الله أو بحلول الحوادث في الله وحينئذ نقول: الحوادث لا تقوم إلا بحدوث وتكون قد أنكرت أزلية الله وصار توحيدهم الآن تعطيلاً، ووجدًا للخالق عز وجل؛ لأن وجود ذات مجردة عن الصفات أمرٌ مستحيل؛ إذًا وجود الله على قاعدتهم مستحيل، انظر كيف؟! مع أنك أول ما تسمع التوحيد تقول: هذا من أحسن شيء.

الثاني: العدل: العدل يقولون: إن الله عز وجل عدل، نقول: صحيح لكن أتدرون ماذا يقولون؟ يقولون: إن الله عدل؛ إذًا ليس له علاقة بسير العبد؛ لأنه ليس من العدل أن يدبر إليه العبد ثم يعاقبه ليس من العدل وبناءً على العدل أنكروا القدر وقالوا: إن الله تعالى لم يقدر أعمال العباد ولا يقدر على أن يجعل الكافر مؤمنًا ولا المؤمن كافرًا، والعاصي عادلًا والعاقل عاصيًا ما يقدر على هذا؛ لأنك لو قلت: إن الله قادر على ذلك وأن الله هو المدبر فقد وصفت الله بالجور وأنشدوا على ذلك:

ألقاه في اليمِّ مكتوفًا وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ

قوله: (ألقاه في اليم) واليم: هو البحر، والدليل من القرآن؛ لقوله تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦] إذًا ليس شبيهه بالبحر، على قول من قال ذلك، وهذا محال لا يمكن لا بد أن يتل إلا إذا كان عليه كيس من البلاستيك فهذا لا يمكن أن يتل وهذا غير معقول؛ إذًا هم يقولون: كيف يأمرنا الله بشيء ويكون فعلنا لهذا الشيء أو تركنا لهذا الشيء بتقديره ثم يعاقبنا فيكون هذا ظلم - وهو محال على الله - إذًا فيلزم أن تكون أفعالنا مستقلة ما لله فيها تدخل، هذا يسمونه العدل.

إذًا ما الذي ينبنى على العدل عندهم؟ إنكار القدر بالنسبة لفعل العبد، وهذا غريب على العدل؛ لأن هذا العدل يتضمن تكذيب الله عز وجل وهل من العدل أن يُكذَّب الله ورسوله.



الثالث: المنزلة بين المنزلتين، وأظن بعضهم يجعل بدلها فعل الأصلح أي وجوب الأصلح أو الصلاح على الله يعني يقولون: نشوء المنزلة بين المنزلتين كفر، فالمنزلة بين المنزلتين يقولون فيها: العاصي الذي لا تصل معصيته إلى الكفر لا يجوز أن نقول: إنه مؤمن ولا أن نقول: إنه كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين كرجل سافر من المدينة إلى مكة وهو في أثناء الطريق لا نقول هو من أهل مكة ولا من أهل المدينة بل هو في منزلة بين المنزلتين، هذا الإنسان لما فعل الكبيرة خرج من الإيمان لكن لما كان معه بعض الإيمان لم يصل إلى الكفر فكانت المنزلة بين المنزلتين وبنوا على هذا أنه لا تنفع فيه الشفاعة.

أما في مسألة الأصلح أي: وجوب الصلاح والأصلح على الله فهذا أيضًا من أصولهم يقولون: يجب على الله أن يفعل الأصلح كذا قالوا بأنه حكيم والحكيم لا يفعل إلا الأصلح؛ لأن العدول عن الأصلح إلى ما دونه ينافي الحكمة؛ إذاً فيجب على الله أن يفعل الأصلح ويجب عليه أن يفعل الصلاح لكن هذا القول وإن كان ظاهره حقًا لكن هم لا يريدون الحق؛ لأننا نقول ما ميزان الأصلح؟ هو الصلاح؛ إن كانت العقول عقولكم فإن قولكم هذا باطل؛ لأنكم ما تعلمون ما هو الأصلح من غيره وإن كان الأصلح ما تقتضيه حكمة الله فهذا ليس إليكم ولستم الذين أوجبتموه على الله، بل الله هو الذي أوجبه على نفسه فإن الله لا يجب المفسدين ويجب المصلحين ويجازيهم؛ ولهذا نقول لهم: رجل له ثلاثة أولاد مات الولد الأول وهو لم يبلغ ومات الثاني بعد البلوغ ومات الثالث بعد أن عمّر طويلاً فموت الأول بالنسبة للولدين الآخرين ليس فيه صلاح وأصلح غاية ما هنالك أنه سلم من الإثم والثاني الذي مات بعد البلوغ لكن ما بقي إلا سنة أو سنتين هذا حصل له صلاح، الثالث الذي طال عمره في طاعة الله هذا حصل له أصلح؛ إذاً المعنى - على زعمكم - لم يقم الله بشيء من الواجب عليه عندكم إلا في الابن الثالث فقط، وهذا قول منكر؛ لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ونحن نعلم أنه لا يفعل الشيء إلا بحكمة لكن الحكمة لسنا نحن الذين نفرضها على الله بل الحكمة يكون علمها عند الله عز وجل.

تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِرَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

يقولون: القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات بائن عن الله كغيره من البائئات وليس

وصفاً له إنما أضيف إليه إضافة المخلوق إلى خالقه كبيت الله، وكلام الله وبيت الله عندهم سواء؛ لأن كلام الله مخلوق وبيت الله مخلوق وبنوا على هذه الأصول معتقدتهم.

وجحود أوصاف الإله هذا أيضاً بما بنوه على أصولهم أو على قواعدهم الخمسة، فجحود أوصاف الله مبنية على التوحيد.

وَجُحُودُ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفَيْهِمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

هذا أيضاً مبني على التوحيد؛ لأنهم يرون أن إثبات هذا العلو يستلزم التجسيد والتمثيل.

وَكَذَلِكَ نَفْيُهُمْ لِرُؤْيَا لَهْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

أيضاً بنوه على أصولهم؛ لأنهم يقولون لو رؤي لكان جسماً وهذا شرك.

وَنَفَّوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابَ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ

بناءً على العدل، إذا هما حتمان من أجل هاتيك الأصول يعني: أن هذا حتم لبناءه على هذه الأصول قال:

مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ، وَخَلَّدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لُظَى التَّيْرَانِ

بناءً على إنفاذ الوعيد، ولأجلها نفوا الشفاعة فيهم أيضاً من أجل إنفاذ الوعيد؛ لأنه إذا كان الوعيد نافداً فلا فائدة من الشفاعة فيه ورموا رواة حديثها بطعان.

الذين رووا أحاديث الشفاعة طعنوا فيهم وقالوا: إن هذه أخبار آحاد تنفي المقطوع به عقلاً فلا تكون مقبولة وهذا - كما علمتم - أساس بنى عليه جميع أهل البدع ما يذهبون إليه من البدع فكل شيء يقال بدعة هم يقولون هذا خبر آحاد؛ ونحن نتكلم عن أمور قطعيات فلا نأخذها؛ مثلاً: مع أن أحاديث الشفاعة متواترة إلا أنهم وبالنسبة للشفاعة في أهل الكبائر ينكرونها، أما الشفاعة بين أهل الموقف أن يقضى بينهم فإنهم لا ينكرونها؛ لأنها شفاعة عامة للمؤمنين والكفار والفساق والمنافقين.

وَلَأَجْلِهَا نَفَّوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطِعَانِ

لماذا؟ لأن فعل العبد لا علاقة له بالله فالعبد إذا كان يريد المعصية فليس لله تعلق فيه لا يقدر الله - على زعمهم - أن يصرفه إلى الطاعة وإذا كان يريد الطاعة لم يقدر الله على أن

يجعله عاصياً إذا هذا مبني على القدر والقدر مبني على العدل.

وَأَجْلِهَآ قَالُوا بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ

لا يقدر الله أن يجعل الكافر مؤمناً ولا الفاسق مطيعاً؛ لأن فعل العبد لا تعلق له بالله، فالعبد مستقل بعمله ما له دخل في القضاء والقدر.

وَأَجْلِهَآ حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمِ بِاللَّهِ شَرَعَ الْمُحَالِ شَرِيعَةَ الْبُهْتَانِ

كذلك أيضاً حكموا على الرحمن بالشرع المحال وهو: يجب على الله أن يفعل الأصلاح أو يفعل الصلاح قالوا: فإذا خالف فهو ظالم؛ لأنه ترك الواجب عليه فحكموا على الله بالشرعية والذي يحكم بالشرعية هو الله يحكم بها على العباد لا العباد بها على الله ونحن نقول بناءً على وجوب الأصلاح نحن نؤمن به لكن لا لأننا أوجبناه نحن بل نؤمن به؛ لأنه مقتضى الحكمة، والحكمة لا شك أنها إذا صار أمام الإنسان صالح وأصلاح، فالحكمة تتبع الأصلاح والصالح لكن نحن لا نوجبها على الله نقول: هذا كان واجباً لمقتضى حكمته، وبناءً على ذلك يختلف الفرق بين قولنا هذا وقول المعتزلة، والمعتزلة يرون أن الأصلاح والصالح موكولٌ إلى عقولهم، فإذا وقع فعل الله خلاف ما يروونه أصلاح قالوا: هذا ظلم أما نحن فنقول: إن ميزان الصلاحية والأصلاحية ليست عقولنا بل حكمة الله عز وجل، فمثلاً لو أن الناس أُصيبوا بقحط وجذبٍ، (قحط) امتناع المطر و(الجذب) عدم النبات وهلكت المواشي فنحن إذا نظرنا إلى مقتضى العقول القاصرة نقول: هذا ليس بأصلاح بل هذا فساد ولكن حكمة الله تأبى إلا أن يكون هو الأصلاح لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التي قد تظهر الآن لنا وقد لا تظهر وقد تظهر بعد وقد لا تظهر ونحن قاصرون، هذا هو الفرق بين قولنا وقول المعتزلة قال:

وَأَجْلِهَآ هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةَ

لِلْأَصْلَاحِ الْمَوْجُودِ فِي الْإِمْكَانِ

حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِهِمْ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

لو قالوا: الله يجب عليه فعل الأصلاح بمقتضى الحكمة لا بمقتضى ما تفرضه عقولهم

لقلنا: هذا صحيح أما بمقتضى العقل نقول: هذا هو الأصلاح فيجب على الله أن يفعله فهذا لا شك أنه قولٌ باطل.





١٣٤٠ - هَذَا وَسَادِسُ عَشْرَهَا إِجْمَاعُ أَهْلِ

بِلِ الْعِلْمِ أَعْنِي حُجَّةَ الْأَزْمَانِ

١٣٤١ - مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ

أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَزُ الْقُرْآنِ

١٣٤٢ - لَا عِبْرَةَ بِمُخَالَفِ لَهُمْ وَلَوْ

كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُغْرَانِ

١٣٤٣ - أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٣٤٤ - هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ

حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنِ

١٣٤٥ - فَاسْمَعْ إِذَا أَقْوَالَهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ

بِعَدْوَاهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ

١٣٤٦ - وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَثْمَةِ ذَاكِرِي الْإِلَهِ

إِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْخَيْرَانِ

١٣٤٧ - وَاَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْ

سِيرِ «اسْتَوَى» إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

١٣٤٨ - وَاَنْظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ

كَمْ جَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ حَبْرَانٍ<sup>(١)</sup>

١٣٤٩- وانظر إلى الكلبي أيضاً والذي

قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نَكَرَانِ

١٣٥٠- وَكَذَا زُفَيْعُ التَّابِعِيِّ أَجْلُهُمْ

ذَاكَ الرَّيَّاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ

فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَا عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٥٢- فَلَيْهِنَّ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا

فِئْتُ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعُ

قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

١٣٥٤- وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَرُ

تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نَكَرَانِ

١٣٥٥- وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعُ

(١) [١٣٤٠: ١٣٤٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذا هو الوجه السادس عشر، وهو إجماع من يعتد بإجماعهم عن علماء السلف والخلف، الذين كانوا حجة الأعصار والأزمان، والمشهود لهم بالسبق والتحقيق من أهل الحديث والقرآن، ولا اعتبار لمن يخالفهم من أهل الابتداع والتعطيل مهما كان عددهم، فإن الحق ليس مداره على القلة والكثرة، ولكن علامته الوقوف عند حدود الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة كما قال رسول الله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية قال: «هي ما كانت على مثل ما أنا عليه اليوم أصحابي».

وقد أجمع هؤلاء الأئمة الأعلام على أن الله سبحانه مستو على عرشه استواء حقيقياً بمعنى علوه وارتفاعه على العرش بذاته مع المباينة والانفصال، ومن أراد الوقوف على أقوالهم فعليه بكتب التفاسير التي تعنى بذكر الأسانيد وتعزو الأقوال إلى أصحابها، ولينظر في قول ابن عباس الذي هو ترجمان القرآن، وفي قول أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حتى يدرك أن هؤلاء - وهم أعلام التأويل - لم يخرجوا عما قلناه من تأويل الاستواء بالعلو والارتفاع.

وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

١٣٥٦ - يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ

أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه القطعة يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: إن من الأدلة على أن الله تعالى عالٍ بذاته فوق كل شيء (إجماع أهل العلم أعني حجة الأزمان)؛ لأن إجماع أهل العلم حجة في كل زمان فإذا أجمعوا بغير خلاف سبق فإجماعهم حجة على مَنْ بعدهم أما إذا أجمعوا بعد اختلافهم فهذا الإجماع ليس بحجة، فإذا اختلف الصحابة على قولين ثم أجمع التابعون على أحدهما فليس هذا الإجماع بحجة؛ لأنه مسبوق بخلاف أما لو أجمعوا على شيء ثم نشأ الخلاف من بعدهم فهذا الخلاف مرفوض؛ لأن الحجة ثبتت بالإجماع السابق.

مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ سُنَّتِهِ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ

ويجوز النصب أعني: أهل الحديث وعسكر القرآن.

لَا عِبْرَةَ بِمُخَالَفِ لَهُمْ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

يعني: الذي خالف أهل الحديث وأهل القرآن فلا عبرة بقوله (ولو كانوا عديد الشاء

(١) [١٣٤٩: ١٣٥٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

كذلك يحكي المؤلف عن الكلبي صاحب التفسير المشهور، وعن الحسن البصري سيد التابعين الذي عاصر كثيراً من الصحابة وأخذ عنهم، ولهذا كان موضع ثقة جميع الأئمة والمحدثين أن عباراتهم في تفسير الاستواء لم تخرج عن هذه الألفاظ الأربعة وهي: استقر وعلا وارتفع وصعد، وقد اختار أبو عبيدة صاحب الإمام أحمد بن حنبل في تفسير الاستواء هنا بالمعنى الرابع وهو صعد ولا شك أنه أهدى وأعلم من هؤلاء الجهمية بمعاني القرآن.

وهذا الأشعري الذي ينسب إليه أتباع مذهبه أنه من نفاة الاستواء يقول في جميع كتبه المعتبرة مثل «الموجز» و«الإبانة»، و«مقالات الإسلاميين» أن تفسير الاستواء بالاستيلاء كذب وافتراء ويعزوه إلى المعتزلة والجهمية ويصرح ببطلانه، وكذلك الإمام البغوي في تفسيره المسمى بمعالم القرآن قد حكى ذلك التأويل الفاسد عن الجهمية والمعتزلة.

والبعران) و(الشاء) جمع شاة و(البعران) هي أرواث الإبل وفي هذا من تحقير هؤلاء ما هو ظاهر حيث شبههم بالنعاج أي: بالضأن وشبههم أيضًا بالبعر.

أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ  
هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ

قوله: (الرحمن) هنا فيها إشكال من جهة الإعراب فإما أن نقول: إن المؤلف رَحَّمَهُ كسرها من أجل الرُّوم يعني: من أجل القافية وقد أجاز بعض النحويين تغيير الإعراب من أجل الرُّوم أي: من أجل القافية، وإما أن نقول: إن الرحمن هنا ليست فاعل استوى بل هي بدل أو عطف بيان من الضمير في سبحانه فتكون هو ربنا سبحانه الرحمن، أو من الضمير في (وبحمده).

فاسْمَعْ إِذَا أَقْوَالَهُمْ وَأَشْهَدْ عَلَيَّ — هِمَّ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ

قوله: (بالكفر والإيمان) يعني: بالكفر أو بالإيمان إذا سمعت أقوالهم فحينئذ قل: إنهم إما كافرون وإما مؤمنون.

واقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَثْمَةِ ذَاكِرِي أَلْ — إِسْنَادٍ فَهِيَ هِدَايَةُ الْخَيْرَانِ

التفاسير تنقسم إلى قسمين: قسم يُذكر فيها السند مثل تفسير ابن جرير الطبري رَحَّمَهُ لکنه يؤخذ عليه أنه لم يمحّص الإسناد فأتى بكل ما حصل فهو كحافظ بيت، وعذره في ذلك رَحَّمَهُ أنه حريص على جمع الآثار وجعل تمحيصها موكولاً إلى من بعده - إلى من قرأ هذا التفسير -؛ لأنه لو اشتغل بالتمحيص لفاته الوقت ولم يتمكن من استكمال هذا، فهو رَحَّمَهُ خاف أن يبادره الأجل فجمع التفاسير بأسانيدها ووكل الأمر إلى القارئ بعده، فمثلاً التفاسير التي تذكر الإسناد هي غاية ما يكون من التفاسير، وبعدها التي تذكر القول بدون إسناد فيقول مثلاً: قال ابن عباس كذا، قال مجاهد كذا، قال مقاتل كذا، قال قتادة كذا، وما أشبهه وهذا مشكل في الحقيقة ولكن مع ذلك اصطلاح عليه المفسرون اليوم وصاروا يذكرون هذا بدون إسناد مثل ابن كثير رَحَّمَهُ وغيره.

وانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَفْسِهِ — سِيرِ «اسْتَوَى» إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانٍ

فإنه قال ~~هو~~ في قوله: «اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» [يونس: ٣] يعني: علا على العرش،

وارتفع وابن عباس كما نعلم هو حبر الأمة وترجمان القرآن.

وَإِنظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلِ حَبْرَانَ

قوله: (وانظر إلى أصحابه من بعده كمجاهد) وهو أخص أصحابه به في علم التفسير حتى إنه قرأ عليه القرآن من فاتحته إلى خاتمته يوقفه عند كل آية ويسأله عن معناها (ومقاتل حبران) يعني: هما حبران.

وَإِنظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ أَيْضًا وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانَ

وَكَذَا رُفِيعُ التَّابِعِيِّ أَجْلُهُمْ ذَلِكَ الرَّيَاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

كَمْ صَاحِبٌ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَلِكَ مَا اخْتَلَفَا عَلَيْهِ اثْنَانِ

قوله: (كم صاحب ألقى إليه علمه) أي: إلى رفيع علمه، ويجوز ألقى رفيع إليه علمه (فلذلك ما اختلفا عليه اثنان) يعني: اتفق العلماء على أنه رَفِيعُ الشَّانِ كبير الشأن واسع العلم كبير الاطلاع.

فَلَيْهِنَّ مَنْ قَدْ سَبَّهَ إِذْ لَمْ يُوَا فِقُّ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانَ

لأن الذين ينكرون العلو ويقولون: استوى بمعنى استولى ينكرون على رفيع رَفِيعُ الشَّانِ وغيره من السلف الذين يفسرون استوى على العرش بأنه علا عليه.

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَرُ تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانَ

وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُيَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

فسار الوارد عن السلف في معنى قوله (استوى على العرش) أربعة معانٍ: هي (علا، وارتمع، واستقر، وصعد) ومعناها متقارب والاستقرار شيءٌ زائد على العلو فهو أخص من مجرد العلو؛ ولهذا لو أردنا أن نختصر لقلنا معناه (علا واستقر) وبهذا تنتظم الأقوال الأربعة.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ١٣٥٧- والأشعريُّ يقولُ تفسِيرُ استوى  
بِحَقِيقَةِ اسْتَوَى مِنَ الْبُهْتَانِ
- ١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَت  
سَبَّاحِ لَجْهَمٍ وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ
- ١٣٥٩- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ مُوجِزٍ  
وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ بَيِّنَانِ
- ١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغْوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَأ  
هُ عَنْهُمْ بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ
- ١٣٦١- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ  
قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ
- ١٣٦٢- فِي الْاِسْتِوَاءِ بَأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَ  
كَيْنَ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ
- ١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ  
مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ
- ١٣٦٤- اللهُ حَقٌّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ  
سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- ١٣٦٥- فَانظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالِ  
مَعْلُومٍ مِنْ ذَا الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
- ١٣٦٦- فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الِ  
مَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ١٣٦٧- ذَا ثَابِتٍ عَنِ مَالِكٍ مَنْ رَدَّهُ

فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهِوَانٍ

١٣٦٨ - وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بِجَامِعٍ

عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

١٣٦٩ - اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنِ عِلْمُهُ

مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانٍ<sup>(١)</sup>

١٣٧٠ - وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ أَيْضًا حَكَى

عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٣٧١ - مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعُونَ جَمِيعُهُمْ

مُتَوَافِرُونَ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

(١) [١٣٦٢ : ١٣٦٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما الإمام مالك فإنه قد أتى في هذه المسألة بفصل الخطاب، ولا تزال كلمته المأثورة التي أجاب بها من سأله عن كيفية استوائه تعالى على العرش نورًا وهدى لأولي الألباب، فقد قال ويا نعم ما قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» فأصبحت تلك الكلمة دستورًا يجب تطبيقه في كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله أن نقول أن ثبوتها لله عز وجل معلوم لا مرية فيه، وأمر كيفها فمما اختص الله عز وجل بعلمه.

ومن العجيب أن بعض المارقين من أهل الجحد والتعطيل يحرف كلمة مالك حتى توافق مذهبه الباطل في النفي فيضع كلمة مذکور بدل معلوم، وهذا ليس بنافعه، فإن لفظ الاستواء إذا كان مذکورًا فلا بد أن يُراد منه معناه إذ لا يعقل أن يكون في القرآن لفظ لا معنى له.

وقد روى ابن نافع الذي كان من أعلم الناس بآراء مالك كلها عن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن الله عز وجل في السماء بذاته ولكنه مع جميع خلقه بعلمه، ففرق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين الذات والمعلوم، فخص الذات بالكون في السماء، وأما العلم فجعله محيطًا شاملاً لجميع الأكوان.

وهذا القول الذي رواه نافع عن مالك ثابت عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن رده وأنكره فسوف يلقى مالكًا يوم القيامة وهو مهين ذليل، وينبغي هنا التنبيه على أن ابن نافع لم يلق مالكًا ولم يسمع منه فإنه رحل إلى المدينة فوجد مالكًا قد مات، فأخذ عن تلامذته ابن القاسم وابن وهب وأشهب، فقول المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصدوق سماعه منه ليس صحيحًا، ويجوز أن تكون الرواية عنه لا منه ويكون الخطأ في الطبع ويكون الجار والمجرور متعلقًا بروى وفصل بينهما بقوله الصدوق سماعه.

وكذلك رواية الإمام الترمذي في جامعه عن بعض أهل العلم والإيمان مثل الذي رواه نافع عن مالك وهو أن الله فوق العرش بذاته وأنه مع خلقه بعلمه في كل مكان.

١٣٧٢- إيمانهم بعلوه سبحانه

فَوقَ العِبَادِ وَفوقَ ذِي الأَكْوَانِ

١٣٧٣- وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عِنْدَ

هُوَ البِيهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِيُّ

١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللهُ الخِلَافَةَ رَبُّنَا

فَوقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ العُبْدَانِ

١٣٧٥- حُبُّ الرُّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ

بِالْحَقِّ لَأَفْشَلٌ وَلَا مَثْوَانِ

١٣٧٦- فَاَنْظُرْ إِلَى المَقْضِيِّ فِي ذِي الأَرْضِ لَـ

كَيْنَ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ

١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصَفٌ لَهُ لَمْ يَنْفِصِلْ

عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ البُرْهَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يذكر في هذه القطعة أن الأشعري يقول: إن تفسير استوى باستولى من

(١) [١٣٧٧: ١٣٧٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك الأوزاعي إمام أهل الشام غير منازع عن جميع علماء عصره في سائر البلدان والتابعون يومئذ متوافرون جميعاً يؤمنون بأنه تعالى فوق عرشه وفوق العوالم جميعاً، وروى الحافظ البيهقي صاحب التصانيف المشهورة التي منها كتاب «الأسماء والصفات» و«دلائل النبوة».

وكذلك روى شيخه في الحديث الحاكم أبو عبد الله بن البيع عن الإمام الشافعي أنه قال أن خلافة أبي بكر قد قضاها الله في السماء فهو حب الرسول كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل: من أحب الناس إليك؟ فقال «أبو بكر»، وهو القائم بعده بالحق ونصرة دين الله بكل ما أمكنه غير خوار ولا مقصر فحارب المرتدين ومانعي الزكاة.

والشاهد هنا في قول الشافعي أن الخلافة قضاها الله في السماء، فهو دليل على أن الله في السماء؛ لأن قضاءه وصف له لا ينفصل عنه بخلاف المقضي به فإنه في الأرض.

البهتان أي: من الكذب.

وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ تَفْسِيرُ اسْتَوَى بِحَقِيقَةِ اسْتَوَى مِنَ الْبُهْتَانِ  
هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتِ بِنَاءِ لَجْهِمْ وَهُوَ ذُو بَطْلَانٍ

إذن تفسير استوى باستوى هو قول المعتزلة والجهمية.

(في كتبه قد قال ذا) الضمير يعود على الأشعري رَحِمَهُ اللهُ (من موجز) اسم كتاب (وإبانة) اسم كتاب أيضًا إبانة عنصر الديانة (ومقالة) اسم كتاب أيضًا وهو «مقالات الإسلاميين».

وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَأَهُ عَنْهُمْ بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ

(بمعالم القرآن) يعني به: «معالم التنزيل» كتاب تفسير البغوي رَحِمَهُ اللهُ للقرآن، لكن المؤلف قال: (بمعالم القرآن) من أجل القافية.

وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ إمام أهل المدينة وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يتنسب في المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل لكن مع ذلك نحن نرى وابن القيم يرى أن الإمام مالك إمام له والإمام الشافعي إمام له والإمام أبو حنيفة إمام له والإمام أحمد إمام له هم أئمتنا لا شك ولهذا قال:

وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَمْ يَكُنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

وعبارته معروفة لما سُئِلَ عن الاستواء، فقال له الرجل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه هكذا حتى جعل يتصب عرقاً من شدة ما وقع على نفسه من هذا السؤال العظيم ثم رفع رأسه وقال: يا هذا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ثم قال أخرجه فأخرجه من المسجد؛ لأن أهل البدع لا ينبغي أن تجلسهم في مجلس حديثك؛ لأنهم أهل شر يلقون الشبه من أجل أن يلبسوا الحق بالباطل ولهذا أمر رَحِمَهُ اللهُ أن يخرج فأخرج.

وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَةَ  
مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالِاتِّقَانِ  
اللَّهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ  
سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ

هذا كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فإن هذه الآية لبس بها الحلولية الذين قالوا: إن الله تعالى في الأرض كما أنه في السماء وقالوا: إنه معكم أينما كنتم فرد عليهم الأئمة وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى في السماء ولا يمكن أن يكون في الأرض لكن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني: أنه يعلم ما هو في الأرض، فالمراد بالمعية يعني: علمه بكم وليس المعنى أنه هو ذاته معنا؛ لأن هذا الشيء مستحيل على الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فكيف تحيط به الأرض؟ ولهذا يقول:

اللَّهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ  
سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ

فَانظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْ

مَعْلُومِ مِنَ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ  
قَوْلُهُ: (المعلوم) هم الخلق وهم في الأرض فمعلومه في الأرض وأما ذاته ففي السماء.

فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الـ

مَعْلُومُ عَمَّ ذِي الْأَكْوَانِ  
ذَا ثَابِتٌ عَنِ مَالِكٍ مِّن رَّدَّةٍ  
فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانٍ

يعني: هذا الذي قلت من أن الله في السماء وعلمه في كل مكان ثابت عن مالك من رده، (فلسوف يلقي مالكا بهوان) يعني: مالك خازن النار فمن رد ما قيل عن مالك فإنه سيكون في النار وسيلقى مالكا بهوان؛ إذن مالك الثانية غير مالك الأولى، فمالك الأولى الإمام مالك والثانية خازن النار؛ إذا هل نقول: إن هذه مبالغة منه أو نقول: إن من ادعى أن الله في الأرض فهو كافر؟ الظاهر الثاني وأن من قال: إن الله في الأرض هو كافر؛ لأنه ينكر علو الله سبحانه وتعالى ويلزم من قوله: أن يكون الله في كل مكان قدر وفي كل مكان مكروه وأن الله تعالى متجزئ وأن الله سبحانه وتعالى متعدد وهذا كله يفضي إلى الكفر.

وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بِجَامِعٍ  
عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ أَيْضًا حَكَى  
عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

قوله: (بجامع) أي: به جامع الإمام الترمذي وهو معروف وربما سُمِّي «سنن الترمذي»



قال عن بعض أهل العلم: إن الله فوق العرش وعلمه مع خلقه فيجعلون المعية معية العلم وأما الذات فهي في السماء والقول الثاني في المسألة كما مر علينا في التوحيد أن المعية معية المصاحبة، ولكن لا يلزم أن يكون الله في الأرض بل هو معنا حقيقة وهو في السماء. وذكرنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «العقيدة الواسطية» ضرب مثلاً بالقمر وقال: إنه معنا وهو في السماء.

المهم: أن العلماء متفقون على أن الله فوق السماء وأنه لا يمكن أن يكون تحت السماء أبداً ولا أن يكون في الأرض.

مِن قَرْنِهِ وَالتَّابِعُونَ جَمِيعُهُمْ مُتَوَافِرُونَ وَهُمْ أَوْلُو العِرْفَانِ

الذين قال عنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: كنا نقول والتابعون متوافرون. ولكن كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ له وزن من قرنه ومن التابعين جميعهم، (متوافرون) يعني: حال كونهم متوافرين وهم أولو العرفان نقلاً أو حكاية.

إِيمَانُهُمْ بَعْلُوهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ

وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَن هُ البَيْهَقِيِّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِي

حَقًّا قَضَى اللهُ الخِلَافَةَ رَبَّنَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ العِبْدَانِ

يعني: قول الشافعي أن الله تعالى قد قضى خلافة أبي بكر في السماء وهذا إثبات لعلو الله سبحانه وتعالى.

حِبُّ الرُّسُولِ وَقَائِمٌ مِّن بَعْدِهِ بِالْحَقِّ لَا فِشْلٌ وَلَا مُتَوَانٍ

الحب يعني: المحبوب، (وقائم من بعده بالحق لا فِشْلٌ ولا متوان) يعني بذلك: أبا بكر الصديق رَحِمَهُ اللهُ.

فَانظُرْ إِلَى المَقْضِيِّ فِي ذِي كَيْنٍ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي

القضاء في السماء؛ لأنه من الله والمقضي في الأرض.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٣٧٨ - وَكَذَلِكَ النُّعْمَانُ قَالَ وَبَعْدَهُ

يَعْقُوبُ وَالْأَلْفَاظُ لِلنُّعْمَانِ

١٣٧٩ - مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

١٣٨٠ - وَيُقَرَّرُ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا

يَخْفَى عَلَيْهِ هَوَاجِسُ الْأَذْهَانِ

١٣٨١ - فَهَوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ

١٣٨٢ - هَذَا الَّذِي فِي الْفِقْهِ الْكَبِيرِ

وَلَهُ شُرُوحٌ عِدَّةٌ لِبَيَانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ صَرَّحَ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِعَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَمُومِ عِلْمِهِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَافِرٌ عِنْدَهُ يَقِينًا، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ فِي قَوْلِهِ: (لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى: ارْتِضَاءِ ابْنِ الْقَيْمِ بِهَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِنَّ الَّذِي يَنْكَرُ عِلْمَ اللَّهِ مَكْذُوبٌ لِلْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَمُخَالَفٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَقْطُورِ عَلَيْهِ النَّاسُ.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٣٨٣ - وَانظُرْ مَقَالََةَ أَحْمَدٍ وَنُضُوصَهُ

فِي ذَاكَ تَلْقَاهَا بِلَا حُسْبَانِ

١٣٨٤ - فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِعُلُوهِ

وَبِالْإِسْتِيَا وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

١٣٨٥- وَلَهُ نُضُوضٌ وَإِرْدَاتٌ لَمْ تَقَعْ

لِإِسْوَاهِ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ

١٣٨٦- إِذْ كَانَ مُمْتَحِنًا بِأَعْدَاءِ الْحَدِيدِ

ثِ وَشَيْعَةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

١٣٨٧- وَإِذَا أُرِدْتَ نُضُوضَهُ فَانظُرْ إِلَى

مَا قَدْ حَكَى الْخَلَّالُ ذُو الْإِتْقَانِ

١٣٨٨- وَكَذَلِكَ إِسْحَاقُ الْإِمَامِ فَإِنَّهُ

قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ

١٣٨٩- وَابْنُ الْمَبَارِكِ قَالَ قَوْلًا شَافِيًا

إِنْكَارُهُ عَلَّمَ عَلَى الْبُهْتَانِ

١٣٩٠- قَالُوا لَهُ مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا

حَقًّا بِهِ لَنَكُونُ ذَا إِيْمَانِ

١٣٩١- فَأَجَابَ نَعْرِفُهُ بِوَصْفِ عُلوِّهِ

فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

١٣٩٢- وَبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا عَلَى الْ-

عَرْشِ الرَّفِيعِ فَجَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

١٣٩٣- وَهُوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمَةَ

إِذْ سَلَّ سَيْفَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانَ

١٣٩٤- وَقَضَى بِقَتْلِ الْمُنْكَرِينَ عُلوَّهُ

بَعْدَ اسْتِثْبَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

١٣٩٥- وَبِأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ بَعْدَ الْقَتْلِ فَوْ

قَ مَزَابِلِ الْمَيَّاتِ وَالْأَنْثَانِ

١٣٩٦- فَشَفَى الْإِمَامَ الْعَالِمُ الْحَبْرُ الَّذِي

يُدْعَى إِمَامَ أُمَّةِ الْأَزْمَانِ

١٣٩٧- وَلَقَدْ حَكَاهُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الرِّضَا

فِي كُتُبِهِ عَنْهُ بِإِلَّا نُكْرَانِ<sup>(١)</sup>

١٣٩٨- وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَمْهِيدِهِ

وَكِتَابِ الْإِسْتِذْكَارِ غَيْرَ جَبَانِ

١٣٩٩- إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ فَوْ

قَ الْعَرْشِ لَمْ يُنْكِرْهُ ذُو إِيْمَانِ

١٤٠٠- وَأَتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الْهُدَى

لَكِنَّهُ مَرَضَ عَلَى الْعُمَيَّانِ

١٤٠١- وَكَذَا عَلِيُّ الْأَشْعَرِيِّ فَإِنَّهُ

فِي كُتُبِهِ قَدْ جَاءَ بِالتَّبَيَّانِ

١٤٠٢- مِنْ مُوجِزٍ وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ

وَرَسَائِلٍ لِلتُّغْرِ ذَاتِ بَيَّانِ

(١) [١٣٨٨: ١٣٩٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك قال الإمام إسحاق بن راهويه الذي يقول فيه الإمام أحمد بن حنبل (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله) قال في هذا الشأن ما فيه هدى لكل حائر ضال، وأما عبد الله بن المبارك المحدث الفقيه الزاهد فقد قال لمن سأله: بم نعرف ربنا؟ نعرفه بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، فقيل له: بحد أو بغير حد؟ فقال: أي والله بحد. وهذا الذي أجاب به ذلك الإمام الجليل هو الذي شجع إمام الأئمة ابن خزيمة على أن يسلم سيف الحق على المعطلة المارقين فأفتى بأن مَنْ أنكر أن الله فوق عرشه يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل مرتداً وقد شفى هذا الإمام الخبر بفتواه صدور قوم مؤمنين وأرسلها سيفاً مصلتاً على رقاب الزنادقة المنحلين، وقد حكى ذلك عنه في كتبه الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب «المستدرک»، بما لا يدع مجالاً للشك ولا إنكار.

١٤٠٣- وأتى بتقرير استواء الرب فو

ق العرش بالإيضاح والبرهان

١٤٠٤- وأتى بتقرير الغلو بأحسن الث

تقرير فانظر كتبه بعين

١٤٠٥- والله ما قال المجسم مثل ما

قد قاله ذا العالم الرباني

١٤٠٦- فازموه ويحكم بما ترموا به

هذا المجسم يا أولي العدوان

١٤٠٧- أو لا فقولوا أن ثم حازة

وتنفس الضعفاء من حران

١٤٠٨- فسألوا الإله شفاء ذا الداء العضا

ل مجانب الإسلام والإيمان<sup>(١)</sup>

١٤٠٩- وانظر إلى حرب وإجماع حكى

لله ذرّك من فتى كرماني

١٤١٠- وانظر إلى قول ابن وهب أوحد ال

(١) [١٣٩٨: ١٤٠٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك قد حكى ابن عبد البر في أهم كتبه، هي كتاب: «التمهيد» و«الاستيعاب» وكتاب «الاستذكار» إجماع أهل العلم الذين يُعتد بإجماعهم على أن الله فوق عرشه بذاته موضعًا ذلك بالبراهين القاطعة التي فيها شفاء لأهل الهدى، ولكنها مرض لأهل الجهل والعمى. وكذلك أبو الحسن الأشعري في كتبه المعتبرة، مثل «الموجز» و«الإبانة» و«المقالات» وكذلك في رسائله لأهل الثغر قد قرر ذلك أحسن تقرير وأهداه، وأثبت علوه سبحانه بالأدلة الواضحة، وقال في هذا الباب أكثر مما قال شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يرميه هؤلاء المتأخرون من الأشاعرة بالتجسيم، بل هو أحق.

وإلا فليصرحوا بما انطوت عليه نفوسهم من حقد وحزازت على شيخ حران وحجة الزمان، ويسألوا الله شفاء هذا الداء العياء الذي لا يليق بأهل الإسلام والإيمان.

عُلَمَاءٍ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ

١٤١١- وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي

تِلْكَ الرَّسَالَةِ مُفْصِحًا بَيِّنًا

١٤١٢- مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ

بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

١٤١٣- وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْكَرْجِيُّ فِي

شَرْحِ لِتَصْنِيفِ امْرِئٍ رَبَّانِي

١٤١٤- وَانظُرْ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحُهُ

فَهَمَا الْهُدَى لِمُلَدِّدِ حَيْرَانِ

١٤١٥- وَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِ عَبْدٍ مَا الَّذِي

فِيهِ مِنَ الْأَثَارِ فِي ذَا الشَّانِ

١٤١٦- وَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الْفَاضِلِ الثَّ

ثَبَّتِ الرِّضَا الْمَتَّضِلِعِ الرَّبَّانِي

١٤١٧- ذَاكَ الْإِمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ وَشَيْخُهُ

وَأَبُوهُ سُوقِيَانِ رَازِيَّانِ

١٤١٨- وَانظُرْ إِلَى النَّسَائِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ

هُوَ عِنْدَنَا سَفَرٌ جَلِيلٌ مَعَانِ

١٤١٩- وَاقْرَأْ كِتَابَ الْعَرْشِ تَصْنِيفَ الرِّضَا

نَجَلُ الصَّدُوقِ إِمَامِنَا عُثْمَانِ

١٤٢٠- وَأُخُوهُ صَاحِبُ مُسْنَدٍ وَمُصَنِّفِ

أَتْرَاهُمَا نَجْمَيْنِ بَلْ شَمْسَانِ

١٤٢١- وقرأ كتاب الاستقامة للرضا

ذاك ابن أصرم حافظ رباني<sup>(١)</sup>

١٤٢٢- وقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضى

في السنة العليا فتى الشيباني

١٤٢٣- ذاك ابن أحمد أوحى الحفاظ قد

شهدت له الحفاظ بالإتقان

١٤٢٤- وقرأ كتاب الأثرم العدل الرضا

في السنة الأولى إمام زمان

١٤٢٥- وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى

حقاً أبى داود ذي العرفان

١٤٢٦- تصنيفه ونثراً نظماً واضح

في السنة المثلى هماً نجمان

١٤٢٧- وقرأ كتاب السنة الأولى الذي

أبداه مطلق من الإيمان

١٤٢٨- ذاك النبيل ابن النبيل كتابه

أيضاً نبيل واضح البرهان

١٤٢٩- وانظر إلى قول ابن أسباط الرضا

(١) [١٤٠٩: ١٤٢١] قال العلامة محمد خليل هراس:

لله در المؤلف فقد ذكر لنا أنفاً وفيما يأتي سجلاً حافلاً بأسماء بعض أئمة الهدى، وأعلام السنة، وذكر ما لهم من كتب ورسائل وأقوال في إثبات علو الله تعالى، مما لا يدع مجالاً للشك في أن ذلك هو الحق المبين، ومن أجمع الكتب لهذه الأقوال كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» للمؤلف، وقد بدأ المؤلف هنا بذكر الإمام حرب وهو من أبرز تلاميذ الإمام أحمد رحمته، وابن وهب مشهور، وعبد الله المراد به ابن المبارك، والبقية كلهم من المشهود لهم بسعة العلم وسلامة العقيدة، وصحة الإيثار.

وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّضَا سُفْيَانَ

١٤٣٠- وَاَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَلِكَ حَمْدٌ

سُدَّ وَحَمَادِ الْإِمَامِ الثَّانِي

١٤٣١- وَاَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى

عُثْمَانَ ذَلِكَ الدَّارِمِي الرَّبَّانِي

١٤٣٢- فِي تَقْضِيهِ وَالرَّدِّ يَالْهُمَا كَيْتَا

بِأَسْتِنَّةٍ وَهُمْ لَنَا عَلَمَانِ

١٤٣٣- هَدَمْتَ قَوَاعِدَ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ

فَخَوَتْ سُقُوفُهُمْ عَلَى الْحَيْطَانِ

١٤٣٤- وَاَنْظُرْ إِلَى مَا فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ

ذَلِكَ الْبُخَارِيِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٤٣٥- مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الْجَهْمِيُّ بِالْث

نَقْلِ الصَّحِيحِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانَ

١٤٣٦- وَاَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَا الَّذِي

فِي ضَمَنِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ

١٤٣٧- وَاَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي الشُّ

شَرْحِ الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِفْرَانِ

١٤٣٨- أَعْنِي الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ اللَّالِكَا

ئِسِي الْمَسَدَّدَ نَاصِرَ الْإِيْمَانَ

١٤٣٩- وَاَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى الثُّ

تَمِيْمِي فِي إِضْرَاحِهِ وَبَيَانَ

١٤٤٠- ذَلِكَ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ التَّرْغِيبِ وَالثُّ

تَرْهيبٍ مَمْدُوحٍ بِكُلِّ لِسَانٍ

١٤٤١- وانظر إلى ما قاله في السنة الـ

كُبْرَى سُلَيْمَانَ هُوَ الطَّبْرَانِي

١٤٤٢- وانظر إلى ما قاله شيخ الهدى

يُدْعَى بِطَلْمَنَكِيَهُمْ ذُو شَانٍ

١٤٤٣- وانظر إلى قول الطحاوي الرضا

وَأَجْزُهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانٍ

١٤٤٤- وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـ

نُ الباقلاني قائدُ الفرسانِ

١٤٤٥- قَدْ قَالَ فِي تَمْهِيدِهِ وَرَسَائِلٍ

وَالشَّرْحَ مَا فِيهِ جَلِيٌّ يَبَانِ

١٤٤٦- فِي بَعْضِهَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

١٤٤٧- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ وَأَبْطَلَ «الـ

لَامَ» الَّتِي زِيدَتْ عَلَى الْقُرْآنِ

١٤٤٨- مِنْ أَوْجِهِ شَتَّى وَذَا فِي كُتُبِهِ

بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٤٣١: ١٤٤٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

أول من ذكر هنا هو عثمان بن سعيد الدارمي، وكتبه كان لها أثر فعال في زلزلة بناء النفاة عند ظهورها في عالم المطبوعات، والبخاري صاحب الصحيح، وكم في تراجم أبوابه من غصة للنفاة، واللالكائي هو الإمام أبو القاسم الطبري أحد أئمة أصحاب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وَلَهُ كِتَابٌ فِي السَّنَةِ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ الْكُتُبِ. والتيمي هو الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل، كان إماماً للشافعية، والطلمنكي هو أبو عمر وله كتاب في الأصول، والطحاوي هو أبو جعفر إمام الحنفية في وقته في الحديث والفقهاء ومعرفة أقوال السلف وله كتاب نفيس «العقيدة الطحاوية» ولها شروح عدة، والباقلاني هو القاضي أبو بكر

١٤٤٩- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ كُلابٍ وَمَا

يَقْضِي بِهِ لِمَعْطَلِ الرَّحْمَنِ

١٤٥٠- أَخْرَجَ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وَعَقْلِهِ

مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٤٥١- لَيْسَ الْإِلَهُ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ

أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

على كل حال: هذه من الكتب التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تدل على سعة اطلاعه ولم نحب أن نقف عند كل واحد؛ لأن الفائدة قليلة لكن كلها تقرر أن الله تعالى فوق السماء والقول بأنه ليس بداخل ولا خارج قول منكر لا يقره العقل ولا يقره النقل، إذا قلنا: ليس بداخل العالم ولا خارج العالم فأين يكون؟ لا شيء؛ لأن النسبة بين لا داخل ولا خارج نسبة بين نقيضين، والنقيضان لا بد من وجود أحدهما فلا يمكن أن يرتفعا أبداً، فإذا قلنا: لا داخل ولا خارج فهو النفي المحض؛ ولذلك لا شك أن ما ذكره ابن القيم من هذه الكتب العظيمة من هؤلاء الأئمة يدل دلالة واضحة على: أن السلف رَحِمَهُ اللهُ لا يشكون في أن الله تعالى فوق كل شيء كما دلت على ذلك العقول والفطر السليمة.

مَا ذَاكَ يَنْقُمُ بَعْدَ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ وَصْفِ الْعُلُوِّ لِزَيْنَا الرَّحْمَنِ

هذا صحيح ماذا ينقل منكر العلو، وسبحان الله على هذه العقول التي تنكر العلو والذي يقرب كل أحد بأنه صفة كمال وأنه لو لم يثبت لله لكان الله تعالى - وحاشاه - متصفاً بالنقص فتعجب للعب الشياطين بعقول هؤلاء هم يقرون، وكل واحد يقرب بأن العلو صفة كمال ومع ذلك ينكرونها مع وضوحها عقلاً ونقلاً.

أَيْرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أَوْلِي الْأَذْهَانِ

وماذا الجواب؟ لا.

وَاللَّهِ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بَعِيًّا — رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

لأن الذي يرد علو الله وأنه فوق كل شيء لا تخلو حاله من أمرين، إما الجهل وهذا قصور، والقصور يكون ناشئاً عن تقصير أم لا؟ نعم عن تقصير يعني: أنه لم يطلب الحق، أو حمية الشيطان، أي: التعصب وسوء القصد والنية ومثل هذا لم يرده أبداً فرد الحق أسبابه ثلاثة، قصور وتقصير وسوء قصد ونية يعني هوى، والقصور هو الجهل، والتقصير هو التفريط في طلب الحق، والثالث سوء القصد يعني: لا يقصد الحق وإنما هو متعصب - صاحب هوى - أما شخص عنده علم وجدَّ في طلب العلم و عنده حسن نية وقصد فإنه لا يمكن أن يرد الحق إطلاقاً.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٥٢ - وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي التِّ

تَفْسِيرِ وَالتَّهْذِيبِ قَوْلِ مَعَانَ

١٤٥٣ - وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي سُورَةِ ال

أَعْرَافِ مَعَ طَةَ وَمَعَ سُبْحَانَ

١٤٥٤ - وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ البَغَوِيُّ فِي

تَفْسِيرِهِ وَالشَّرْحِ بِالإِحْسَانِ

١٤٥٥ - فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ عِنْدَ الإِسْتَوَا

فِيهَا وَفِي الأُولَى مِنَ الْقُرْآنِ

١٤٥٦ - وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ذُو سُنَّةِ

وَقِرَاءَةِ ذَلِكَ الإِمَامِ الدَّانِي

١٤٥٧ - وَكَذَلِكَ سُنَّةُ جَعْفَرٍ يُكْنَى أبا الشَّ

شرح الرضا المستل من حيان

١٤٥٨- وانظر إلى ما قاله ابن سريج ذلك

بحر الخضم الشافعي الثاني

١٤٥٩- وانظر إلى ما قاله علم الهدى

أعني أبا الخير الرضا الثعمان<sup>(١)</sup>

١٤٦٠- وكتابه في الفقه وهو بيانه

يُدي مكانته من الإيمان

١٤٦١- وانظر إلى السنن التي قد صنف الـ

علماء بالأثار والقُرآن

١٤٦٢- زادت على المائتين منها مفردًا

أو في من الخمسين في الحُسابان

١٤٦٣- منها لأحمد عدة موجودة

فإن رَسائله إلى الإخوان

١٤٦٤- واللاء في ضمن التصانيف التي

شهرت فلم تحتج إلى حُسابان

(١) [١٤٤٩: ١٤٥٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

أول من ذكر هنا ابن كلاب وهو من أئمة المتكلمين وإمام الطائفة الكلابية. والطبري هو الإمام محمد بن جرير إمام أهل التفسير، والبعوي هو الحسين بن مسعود محي السنة، وقد اجتمعت الأمة على تلقي تفسيره بالقبول.

وختم المؤلف هذا السجل الحافل بابن سريج وهو أبو العباس إمام الشافعية في وقته، ونحن نحيل القارئ إلى الكتب التي سردها المؤلف إذا أراد الاطلاع على ما فيها ليرى بنفسه إجماع سلف الأمة وأئمتها على هذه المقالة دون تكبر حتى لا يغتر بتليسات أهل التعطيل وشبههم الفاسدة وتأويلاتهم الباردة، فليسع كل مؤمن ناصح لنفسه ما وسع هؤلاء الأئمة الأعلام الذين هم أكمل هذه الأمة علمًا وعملاً وأرضاهم دينًا، نسأل الله أن يوفقنا لاتباع سبيلهم بمنه وكرمه.

١٤٦٥- فكثيرة جدًا فمن يك راغبًا

فيها يجد فيها هدى الحيرانِ

١٤٦٦- أصحابها هم حافظو الإسلام لا

أصحاب جهم حافظو الكفرانِ

١٤٦٧- وهم التجوم لكل عبد سائرِ

يبغي الإله وجنة الحيوانِ

١٤٦٨- وسواهم والله قطاع الطربِ

سقى أئمة تدعو إلى النيرانِ

١٤٦٩- ما في الذين حكيت عنهم أنفا

من حنبليٍّ واحدٍ بضمانِ

١٤٧٠- بل كلهم والله شيعة أحمدٍ

فأضولهُ وأضولهُم سيانِ

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لمل قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: ما في الذين تكلمنا عنهم أنفا من حنبلي؟ لأن أهل الشر والباطل كانوا يرمون الحنابلة بالمجسمة ولا يقبلون منهم شيئاً كما رمى المتأخرون أهل هذه البلاد بالوهابية؛ لأنهم يتبعون محمد بن عبد الوهاب ويقولون: إنهم متشددون ويكفرون الناس وما أشبه هذا؛ وكل هذا كذب، كذلك أصحاب الإمام أحمد فالتناس كانوا يقولون: إن أصحاب الإمام أحمد حنابلة مجسمة وابن القيم يقول: إن ما حكى عنهم ليس فيهم حنبلي واحد حتى يقال: إنه مجسمة بل هم من الأحناف والشافعية والمالكية وغيرهم ومن التابعين والصحابة فالمسألة واضحة والحمد لله فكلهم يشتون بأن الله سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٤٧١ - وَبِذَاكَ فِي كُتُبِ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا

وَأَخُو الْعَمَايَةِ مَالَهُ عَيْنَانِ

١٤٧٢ - أَتْظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً

مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ

١٤٧٣ - حَاشَاهُمْ مِنْ ذَاكَ بَلِ وَاللَّهِ هُمْ

أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ<sup>(١)</sup>

١٤٧٤ - فَاَنْظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ

بِالتَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٧٥ - عَقْلَانِ عَقْلٌ بِالتَّصْوِصِ مُؤَيَّدٌ

وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ

(١) [١٤٦٠: ١٤٧٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

بعد أن سرد المؤلف هذه المصنفات الكثيرة في السنن والآثار وتفسير القرآن وبين تضافرها على إثبات صفة العلو له سبحانه على ما تقتضيه النصوص الصريحة القطعية من الكتاب والسنة، قال أن أصحاب هذه المصنفات هم بحق حملة الإسلام الحافظون له الذين ورد فيهم الأثر القائل (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) وهم رضي الله عنهم نجوم الهدى يهتدي بهم كل سائر إلى الله يبغي رضوانه وجنته، وأما سواهم من أتباع جهم وشيعته من أهل التعطيل، فهم قطاع طريق يصدون عن سبيل الله الحق ويبغونها عوجًا، وهم أئمة تدعو إلى النيران، يعني إلى الأسباب الموجبة لها من المروق والتعطيل والإلحاد.

ويقول المؤلف رحمه الله ردًا على خصوم الحنابلة الذين يتهمونهم بالحشو والتجسيم أنه ليس في الذين حكى أقوالهم وسرد مصنفاتهم أنفًا حنبلي واحد ولكنهم مع ذلك هم شيعة أحمد المتفقون معه في الأصول، لا يسع أحد الخلاف فيها، وكلمة أهل الحق فيها متفقة كما صرحوا جميعًا بذلك في كتبهم، وينكر المؤلف على هؤلاء الجهمية رميهم هؤلاء الأئمة الكبار بالألقاب الشنيعة مثل قولهم إنهم لفظية يعنون بذلك أنهم يقفون عند ظواهر الألفاظ ولا يتعمقون في فهم ما تحتمله من تأويلات، وقولهم أنهم جهلية نسبة إلى الجهل وحشوية يعنون أنهم من طعام الناس وحاشاهم رضي الله عنهم من مقالة السفهاء ولمز الأغبياء، بل هم أهل العقول الراجحة والأذهان الصحيحة والفترة السليمة المستقيمة.

- ١٤٧٦- وَاللَّهِ مَا اسْتَوَيَْا وَلَنْ يَتَلَاقِيَا  
حَتَّى تَشِيْبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ
- ١٤٧٧- أَفْتَقِدُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أضعَافُهُمْ  
مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانِ
- ١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّ  
بَدِيْعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ
- ١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا اللهُ فِي إِسْلَامِكُمْ  
لَا تُفْسِدُوهُ لِنُخْوَةِ الشَّيْطَانِ
- ١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعٍ مَنْ خَلَا  
مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
- ١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِذْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ  
وَقَتْلُهُمْ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ
- ١٤٨٢- كَلَاءٌ وَلَا وَالتَّلْبِيسِ التَّدْلِيسِ عِنْدَ  
سَدِّ النَّاسِ وَالحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ
- ١٤٨٣- وَبَدَأَ لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَائِهِمْ  
مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ
- ١٤٨٤- وَبَدَأَ لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ ال  
إِيْمَانِ أَنَّهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ
- ١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ وَاللهِ غَيْرُ شِكَايَةٍ  
فَأَتُوا بِعِلْمٍ وَانطَقُوا بِبَيِّنَانِ
- ١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ  
فَاشْكُوا لِنَعْدِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ

١٤٨٧ - ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ

وَعَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً      مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ

لأن من الناس من ادعى أن مذهب السلف يقوم على الإيمان باللفظ فقط دون فهم معناه فيقولون: إن السلف يقرأون اللفظ ويجهلون المعنى كالحمار يُقاد بالرَّسَنِ ولا يدري أين يُذهب به، وهذا القول كذب على السلف بل هذا القول يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: «درء تعارض العقل والنقل»: إنه شر أقوال أهل البدع والإلحاد هذا الذي يظنه كثير من المتأخرين مذهب السلف وأنه هو الذي فتح الباب على مصراعيه لأهل الفلسفة والمنطق فقالوا: إذا كان مذهبكم أيها السلفيون أنكم لا تفهمون إلا اللفظ فأنتم جهال أميون؛ لأن الله قال في القرآن: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: 78] يعني: إلا قراءة ونحن أهل العقول نجمع المعاني ولو بالتحريف الذي يسمونه تأويلاً ففتحوا على المسلمين باباً لا يمكن سده لأهل البدع والكلام، والأمر كذلك حقيقة يعني: لو أن مذهب السلف كما يقول هؤلاء أن تقرأ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ولا تدري ما معني «استوى» لكنت أجهل من الحمار كيف تقرأ «استوى» وأنت لا تعرف معناها؟ هم يقولون: نحن ندري معناها بأنها استولى وكوننا نثبت للنصوص معني ولو بتأويل خير من كوننا لا نثبت لها معني؛ لأنها إذا لم يكن لها معنى بقيت الألفاظ لا فائدة منها كالأحجار.

إن ابن القيم ينكر هذا الظن الخاطيء بالنسبة للسلف أنهم لفظية جهلية.

أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةُ الْأَذْهَانِ	حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ
بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ	فَانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ
مُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِ	عَقْلَانَ عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ وَمُؤَيَّدٌ

العقل الأول: عقل أهل السنة والجماعة والثاني: عقل أهل البدع.

وَاللَّهِ مَا اسْتَوَىٰ وَلَنْ يَتَلَاقِيَا حَتَّىٰ تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ

ومتى تشيب؟ لا تشيب أبداً؛ لهذا يقول الشاعر الذي لا يجب أهله:

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ

والغراب لا يشيب أبداً (وصار القار كاللبن الحليب) ومتى يصير؟ لو غليناها في النار ما

يصير كاللبن الحليب قوله: (لن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان) هذا أمر مستحيل.

أَفْتَقِدُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أَضَاعَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ

بالجهل يقولون: هؤلاء جهال ما يعرفون المعنى، والتشبيه هذا لمن يثبتون الصفات

يقولون: أنتم مشبهة، والتجسيم أيضاً يقولون: أنتم مجسمة تقولون: إن الله جسم، والتبديع

يقولون: أنت مبتدعة، والتضليل أنتم ضلال، والبهتان الكذب يصفونهم بكل ما

يستطيعون من المعاني التي تُردُّ عليهم، وما أشبه ذلك من الكلمات التي ينفرون بها الناس

ثم ندبهم إلى أن يتقوا الله تعالى في إسلامهم.

يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ لَا تُفْسِدُوهُ لِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعٍ مَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ

لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِذْبُهُمْ وَمِحَالُّهُمْ وَقَتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

كَلَّا وَلَا التَّلْبِيسَ وَالتَّدْلِيْسَ عَنِ دِ النَّاسِ وَالْحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ

لأن فيهم من أهل البدع من صار إلى ذي السلطان من الحكام والسلاطين وصاروا

يسبون أهل السنة، والغالب منذ انقراض القرون الثلاثة أن الحكام قليلو البضاعة من العلم

ليس عندهم علم فيجيء هؤلاء الذين يدعون العلم ويلتقون بهم ويسبون عندهم أهل

السنة ويقولون: هم مجسمة مشبهة وما أشبه ذلك، والحاكم لقلة علمه يظن أن ما قال

هؤلاء حق وأهل السنة ذاهبون عن السلاطين ولا يجبون أن يلتقوا بهم؛ لأنهم يخشون على

أنفسهم؛ لأن العالم إذا لم يكن قائداً للحاكم إلى الحق صار الحاكم يقوده إلى الباطل ويخشى

الإنسان على نفسه فلا يلقاه إلا للضرورة.

وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ  
 هذا كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ  
 مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهُ غَيْرُ شَكَايَةٍ فَاتُّوا بِعِلْمٍ وَانْطَقُوا بِبَيِّنَاتٍ

الذي ليس عنده إلا الشكاية يقول له: إما أن ترجع عن قولك وإلا أخبرت عنك الأمير  
 ما يقول ماذا عندك وما الدليل؟ إنما الشكاية كثير من الناس ليس عندهم شكاية لا يقدر أن  
 يصل إلى الأمير لكن عنده كلمة وما يجيئون أن يلتقوا بالحكام والسلاطين إلا إذا دعت  
 الضرورة؛ ولهذا وشوا بالإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبشيخ الإسلام ابن تيمية وبغيرهم من  
 العلماء وأوذوا كثيرا وكل ذلك من أجل الوشاية.

مَا يَسْتَكْبِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ فَاشْكُوا لِنَعِذِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ  
 ثُمَّ اسْمَعُوا مَا ذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

فأنتم إذا شكيتم الأمر إلى القرآن عرفتم ماذا يقضيكم القرآن أو يقضي عليكم فإن فيه الحق.



\* قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٤٨٨ - لِبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلُنَا

فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْيِيسَانِ

١٤٨٩ - مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا

يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى الْإِنْسَانِ

١٤٩٠ - يَا قَوْمِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ

بِأَيِّمَّةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِي

١٤٩١ - مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَدْ قَالَ مَا

قَالُوا كَذَلِكَ مُنْزِلُ الْقُرْآنِ

١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ

إِذْ جَسَمْتَ بَلْ شَبَّهْتَ صِنْفَانَ

١٤٩٣- مَا ذَنْبٌ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانَ

١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْخَيْثُ لِصَحْبِهِ

كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثُ الْحَيَوَانَ

١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفِضِ عِنْدَ

سَدِّ الْقَبْرِ لَا يَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانٍ

١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بِلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ

مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرَيَانِ

١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ عَدَا

يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً ذِي شُكْرَانِ

١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاةِ يَوْمُكُمْ

عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بَلَا زَوْغَانِ

١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ

حَتَّى يُرَى فِي صَوْرَةِ الْغُضْبَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٤٩٠: ١٤٩٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

ينكر المؤلف على هؤلاء المعطلة أنهم أساءوا الظن بأئمة الإسلام حين رموهم ظلماً بالتجسيم والتشبيه، وما تقموا منهم إلا أنهم قالوا ما قال الله ورسوله بلا زيادة ولا نقص، ولا تحريف ولا تبديل، ووقفوا عند ما جاءت به النصوص الصريحة في الإثبات بلا كيف ولا تمثيل فليتهموا النصوص إذاً وليرموها هي بالتجسيم والتشبيه، وليفعلوا ما فعله ذلك الرافضي الخبيث حين أشار إلى قبر النبي ﷺ وقال لأصحابه مقالة المغيظ المحق: إن أصل بلائكم وسر شقائكم هو ما صرح به صاحب هذا القبر من تقديم أبي بكر على جميع أصحابه، وثناؤه عليه الشاكر له سالفته في الإسلام حيث يقول: «إن من أمنَّ الناس علي صحبته وماله أبا بكر»، وقوله في مرضه الذي توفي فيه، حين عجز عن الخروج للصلاة: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» ولما

١٥٠٠- ويقول لو كنت الخليل لوأحد

في الناس كان هو الخليل الداني

١٥٠١- لكنه الأخ والرفيق وصاحبي

وله علينا منة الإحسان

١٥٠٢- ويقول للصديق يوم الغار لا

تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان

١٥٠٣- الله ثالثنا وتلك فضيلة

ما حازها إلا فتى عثمان

١٥٠٤- يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا

لم يذهبكم إلا كبير الشان

١٥٠٥- فتفرقت تلك الروافض كلهم

قد أطبقت أسنانه الشفتان

١٥٠٦- وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم

فهما رضيعا كفرهم بلبان

١٥٠٧- ثوبان قد نسجا على المنوال يا

عريان لا تلبس فَمَا ثوبان

١٥٠٨- والله شر منهما فهما على

أهل الضلالة والشقا علمان<sup>(١)</sup>

قالت عائشة أن أبا بكر رجل أسيف لا يملك نفسه إن هو قام مقامك من البكاء، غضب وقال: «إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس».

(١) [١٥٠٠: ١٥٠٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لانتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، فإن صاحبكم خليل الرحمن» وعندما كان الرسول ﷺ هو وأبو بكر في الغار مختفين من

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر رَحِمَهُ اللهُ أن هؤلاء ليس عندهم من الوشاية لدى الحكام والسلاطين وأن هذا إنما يكون دأب المكذبين ودعاهم إلى الشكاية إلى القرآن الكريم فيحكم لهم أو يحكم عليهم وذكر أنهم حَرَفُوا النصوص وأقوالنا أيضًا، وقالوا علينا ما لم نقل فغدا لهم في الحق تليسان؛ التلييس الأول: للنصوص، والثاني: لأقوال أهل السنة.

مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ

الذي يتجاسر على تحريف كلام الله وكلام رسوله لا يهمه أن يتجاسر على تحريف كلام غيرهما من الناس.

يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ بِأَيْمَّةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِي

أي: المبغض يعني: أنكم ظننتم بأهل الإسلام ظن المبغض.

مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا قَالُوا كَذَلِكَ مُنَزَّلَ الْقُرْآنِ

هل هؤلاء الذين يقولون ما قاله الله ورسوله أي ذنب لهم؟ أبدًا هم على الحق.

مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ

هم يقولون: إن ظاهر النصوص التجسيم فيجب صرفها عن ظاهرها؛ يعني مثلاً قال:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] الله عز وجل ظاهر النص عندهم أن هاتين اليدين

مشبهتان لأيدٍ المخلوقين، وأنه لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه والتشبيه باطل فإذا

قريش نظر أبو بكر إلى فم الغار فوجد القوم مجتمعين عليه فبكى وقال: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم موضع قدمه لأبصرنا فقال له ﷺ ما حكاة القرآن ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وروي أنه قال له: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر ما حازها أحد من هذه الأمة غيره، وإذا فلا ذنب للنواصب يا قوم في تقديمهم أبا بكر وعمر، وإنما الذنب على من قدمها ودل على فضلها، فلما سمع الروافض مقالة ذلك الخبيث تفرقوا وكلهم يعرض بأسنانه على شفثيه من الغيظ، فكذلك الجهمي رضيع الرافضة الذي رضع معهم بلبان الكفر يصب كل غيظه ونقمته على النصوص التي تفسد عليه أمره وتنادي بفساد مذهبه، فالرفض والتجهم ثوبان قد نسجا على منوال واحد، وهما والله شر ما عرف الناس من أثواب ما ارتداهما أحد إلا كانا علامة على شقائه وضلاله.



كان لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه والتشبيه باطل كانت الحقيقة باطلة فيجب أن نصرّف معني اليد إلى النعمة أو القوة، و﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قالوا لا يستوي شيء على شيء إلا وهو جسم والجسم على الله مستحيل وإذا كان مستحيلًا وجب أن نصرّف معني الاستواء إلى الاستيلاء وهو الملك والغلبة والقهر وهكذا يقولون فلذلك قالوا: إن النصوص التي ظاهرها التشبيه أو ظاهرها التجسيم فيجب علينا أن نصرّفها عن هذا الظاهر فأساءوا وإساءتين:

الإساءة الأولى: ظنوا أنها تستلزم التشبيه أو التجسيم، والثانية: إخراجهم إياها عن معانيها التي أرادها الله ورسوله، والله أعلم.

الدليل السابع عشر يقول ﷺ:

مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ  
مَا ذَنْبٌ مَنْ قَدَ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ  
إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ  
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ

فالجواب: لا ذنب له.

هَذَا كَمَا قَالَ الْخَبِيثُ لِصَاحِبِهِ  
كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَحْبَبَ الْحَيَوَانَ

هذا الرجل رافضي قال لأصحابه وهم واقفون عند قبر النبي ﷺ ما سيذكره ابن القيم. وقوله: (كلب الروافض أحبت) بالجر صفة للروافض فابن القيم رحمه الله وصف الروافض بأنهم أحببت الحيوان والمراد بذلك الروافض الذين تصل بدعتهم إلى الكفر؛ لأن من كان كافرًا فإنه شر الدواب عند الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْآلَانَعِيمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ماذا قال هذا الخبيث لصاحبه وهذا الخبيث لم أجده لا في شرح الهراس ولا في شرح إبراهيم بن عيسى فلعله منقول لابن القيم أو كان في عصره - الله أعلم - على كل حال لا يهمننا شخص الرجل فالذي يهمننا هو الفعل والقول قال:

لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفِضِ عَنِ  
دَ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانِ

يعني: لما صاروا يتكلمون عن أصول الروافض ومن أصولهم أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ظالمان معتديان وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحق بالخلافة منها حتى إنني رأيت عجبًا



عجَابًا قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعَلِيٌّ كُلُّ مَنْهُمْ كَافِرٌ فَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ؛ لِأَغْتَصَابِهِمُ الْخِلَافَةَ وَعَلِيٌّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ عَنِ حَقِّ الْخِلَافَةِ فَكَفَرَ بِتَفْرِيطِهِ وَعَدَمِ مَدَافَعَتِهِ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي يَرُونَ أَنَّهُ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ قَالَ: (لَا يَخْشُونَ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ)؛ لِأَنَّ الْبَلَاءَ لَيْسَ إِنْسَانًا، وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ مِنْ هَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ.

يَا قَوْمُ أَصْلُ بِلَاتِكُمْ وَمُصَابِكُمْ مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرَيَانِ  
 مِنْ هُوَ؟ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. يَقُولُ أَصْلُ بِلَاتِكُمْ وَمُصَابِكُمْ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ كَيْفَ؟

كَمْ قَدَّمَ ابْنَ أَبِي فُحَّافَةَ بَلَّ غَدَاً يُتِنِّي عَلَيْهِ ثَنَاءً ذِي شُكْرَانٍ  
 فَلَمَّا قَدِمَهُ وَأَتْنِي عَلَيْهِ صَارَ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ فَالذَّنْبُ إِذَا ذَنْبَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَحَاشَاهُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي يَدْعُونَهُ.

وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ يَوْمُكُمْ عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بَلًا رَوَّعَانٍ  
 إِذَا هُوَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ شَأْنِهِ فَهُوَ بَلِيَّتِكُمْ وَمُصَابِكُمْ.

وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ  
 لَمَّا خَاطَبَتْهُ عَائِشَةُ ~~عِيسَى~~ قَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ<sup>(١)</sup> مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَوْمَ النَّاسِ بَعْدَكَ لَوْ أَنَّهُ أُمَّ النَّاسِ لَمْ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ لَكِنْ هَذِهِ اعْتَذَرَتْ أَمَامَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: «إِنْ كُنَّ صَوَاحِبَ يُوسُفَ» يَعْنِي: إِنَّ هَذَا كَيْدٌ مِنْ كَيْدِكُنَّ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ وَغَضِبْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَهَذَا قَالَ: (حَتَّى يَرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ).

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا أَشَارَ ابْنُ الْقَيْمِ:

وَيَقُولُ لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي  
 وَالرَّسُولُ قَدْ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري (٦٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).



لَكِنَّهُ الْأَخَ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي وَلَهُ عَلَيْنَا مِثْلَةُ الْإِحْسَانِ

هذا لأنه قال صلى الله عليه وسلم على المنبر في مرض موته: «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ»، أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيْهِ لَا عَمَّهُ وَلَا ابْنَ عَمَّهُ وَلَا أَيَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ» <sup>(١)</sup>.

وَيَقُولُ لِلصِّدِّيقِ يَوْمَ الْغَارِ لَا تَحْزَنْ فَانْحُنْ ثَلَاثَةَ لَأَثَانِ

لما قال أبو بكر وهو في الغار: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا قال له: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَمَا ظَنُّكَ بِأَثْنَيْنِ اللَّهِ تَالِثُهُمَا» <sup>(٢)</sup> لا شك أن حفظ الله لا يمكن أن يخرق سياجه أبدًا ولهذا يقول: «اللَّهُ تَالِثُهُمَا».

اللَّهُ تَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ

(فتى عثمان) هو أبو بكر؛ لأن اسمه عبد الله بن عثمان أبوه اسمه عثمان هذه الفضيلة ما حازها إلا أبو بكر، انظر الفضائل العظيمة فيقول هذا الرافضي الخبيث: هذه بليتكم التي جعلت أبا بكر مقدمًا على غيره من الصحابة لا البلية أن يقول واحد من الناس إن أبا بكر أفضل من علي لا إنما البلية من صاحب هذا القبر.

قوله: (ياقوم ما ذنب النواصب بعد ذاك) النواصب: هم الذين يفضلون أبا بكر ولكنهم يبغضون عليًا وما ذنبه إذا قُدِمَ أبو بكر؟

(لم يدهكم إلا كبير الشأن) يعني: هذا هو الذي دهاكم وهو الرسول عليه الصلاة والسلام كبير الشأن هو الذي ضربكم بداهية حيث فَضَّلَ أبا بكر وأنتم تفضلون عليًا.

فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْتَانَهُ الشُّفْتَانِ

يعني: أنهم ممتثلون غيظًا، يعني: أنه صار ليس على وجوههم ابتسامة إطلاقًا؛ لأنهم دروا بهذه الداهية التي ذكرها خبيثهم.

وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكُضَ رَضِيعُهُمْ فَهَمَّا رَضِيعًا كُفِّرَهُمْ بِلَبَانِ

الجهمي أيضًا يقول: الذنب ذنب النصوص في إثبات التجسيم؛ لأن الجهمي يقول: كل

(١) صحيح البخاري (٤٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٥٣).

صفة فإنها تستلزم التجسيم، فالاستواء يستلزم التجسيم، واليد تستلزم التجسيم، والوجه يستلزم التجسيم، وهذا على رأي الجهمي بلية ومصيبة أن تكون النصوص التي هي كلام الله وكلام رسوله تقتضي على زعمهم التجسيم فهو والرافضي على حد سواء لكنه هو أعظم من الرافضي؛ لأن الجهمي جعل هذا في أساء الله وصفاته والرافضي جعله في مسألة الإيثار وإن كان كل منهما خبيث لكن الجهمي أشد.

ثوبانٍ قد نُسِجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا عُرِيَانُ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثوبانٍ

لا تلبس ماذا؟ ثوب الجهمي أو ثوب الرافضي، الاثنان ليس والله هناك ثوبان شر منهما، أقسم ابن القيم أنه لا يوجد ثوبان شر من هذين الثوبين: ثوب الرفض، وثوب التجهم (فهما على أهل الضلالة والشقا علمان).



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٥٠٩ - هَذَا وَسَابِعُ عَشْرَهَا إِخْبَارُهُ

سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٥١٠ - عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرِيهِ

فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

١٥١١ - تَكْذِيبِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ

اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ تَبَانِي

١٥١٢ - وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ إِنَّ أَعْتَقْنَا

ذَ الْفُوقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ

١٥١٣ - فَإِذَا أَعْتَقْتُمْ ذَا فَأَشْيَاغَ لَهُ

أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

١٥١٤ - فَاسْمَعْ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِر

عَوْنِ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

١٥١٥- وَانظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي

تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانٍ<sup>(١)</sup>

١٥١٦- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلُوا الضَّلَالَةَ قُدُوءَ

بِأَيْمَةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ

١٥١٧- فإِمَامٌ كُلِّ مُعْطَلٍ فِيهِ

فِرْعَوْنٌ مَعَ نَمْرُودَ مَعَ هَامَانَ

١٥١٨- طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكْذِبًا

مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبَيَّانِ

١٥١٩- بَلْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ

فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو سُلْطَانِ

١٥٢٠- فَابْتُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلِّي

أَزْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ

١٥٢١- وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ

اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ

(١) [١٥١٥: ١٥٠٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذا هو الوجه السابع عشر من الوجوه الدالة على علوه تعالى فوق خلقه، وهو ما أخبر به سبحانه في كتابه عن كلمته موسى عليه السلام وعن عدوه فرعون ذي التكذيب والطغيان، فقد أخبر سبحانه أن فرعون كذب موسى عندما قال له أنه مرسل من الله في السماء، وقال ما حكاه عنه القرآن ﴿يَهْتَكُنُّ ابْنِي لِي صِرْمًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

ومن المصائب أن الجهمية يعكسون المسألة ويجعلون اعتقاد الفوق من رأي فرعون ذي الكفران لم يسمعه من موسى، وأن كل من اعتقد الفوق فهو من شيعة فرعون وحزبه، وهذا من أعظم الكذب والبهتان، وذلك يظهر بأدنى تأمل في القصص التي حكى الله فيها مقالة إمام المعطلة فرعون كما سيأتي.

١٥٢٢- وَكَذَٰكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ

نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ

١٥٢٣- هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمَ وَالْفَوْقِيَّةَ الـ

عُلْيَا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانِ

١٥٢٤- فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَا

مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّيْيَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا المقطع فيه الدليل السابع عشر على علو الله وذلك فيما أخبر الله به عن موسى وفرعون.

هَذَا وَسَابِعُ عَشْرَهَا إِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ فِي حُكْمِ الْقُرْآنِ

قوله: (عن عبده موسى الكليم وحربه فرعون) يعني: وعن حربه فرعون (ذي التكذيب والطغيان) فإن فرعون جمع بين التكذيب والطغيان والاستكبار وقصته في القرآن معروفة.

(١) [١٥١٦: ١٥٢٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: أن الله تعالى جعل الضلال في الاقتداء بفرعون وملئه الذين هم أئمة الضلال الداعون إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [الفصص: ٤١] وهم إنما يدعون إلى النار أشباعهم في الجحد والتعطيل فإمام كل معطل في نفسه هم هؤلاء الثلاثة: فرعون. وهو لقب لمن ملك مصر، ونمرود، وهو لقب ملك الكنعانيين، وهامان هو وزير فرعون، فأولهم وهو فرعون إنما طلب الصعود إلى السماء وأمر هامان ببناء الصرح؛ تكذيباً منه لموسى عليه السلام حين أخبره أن الرب في السماء، فإن موسى حين أخبره بأنه رسول من رب العالمين، سأله عن مكانه وأين هو، فأخبره أنه في السماء، فقال ما قال. وكذلك كذبه حين أخبره أن الله ناداه وكلمه من وراء حجاب دون رؤية، وبذلك يكون فرعون قد أنكر تكليم الله لموسى وفوقيته على عرشه، كما أنكرهما الجهم وشيعته.

فمن إذا أولى بفرعون وأحق بالانتساب إليه منا ومنكم، لا شك أن أولى الناس به هم من وافقوه على الجحد والتعطيل.

تَكْذِيبِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ اللهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَانِي

بقوله: أي بقول موسى الله ربي في السماء نَبَانِي يعني: أرسلني وهو كَذَّبَ موسى قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] أي: في دعواه أن الله أرسله وأن الله في السماء والأمر هنا واضح أن فرعون ينكر علو الله بل ينكر الله أصلاً يقول: (أظنه كاذبًا).

والعجيب: أن أهل التعطيل قالوا: إنكم أنتم أيها المثبتون للعلو أنتم الذين جعلتم فرعون إمامًا لكم؛ لأن فرعون مقرَّب بالعلو، والدليل على إقراره: أنه قال لوزيره هامان ﴿أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَتَلُوعُ الْأَسْبَابِ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] وهذا يدل على تقريره فأنتم إذا قلتُم أن الله في السماء فقد جعلتم فرعون إمامًا لكم وهذا لا شك أنه من الطغيان على أهل السنة؛ لأن قولهم هذا كقول القائل:

ما قال ربك ويل للأبي سكروا بل قال ربك ويل للمصلين

ومناسبته: أن واحدًا كان ينهى شخصًا عن شرب الخمر وكان الوقت وقت صلاة يقول: له اترك الخمر واذهب للصلاة فقال: له شارب الخمر هذا البيت الشعري.

أعوذ بالله، هذا خطأ عظيم فقد اشترط الله شرطًا هو: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، فهؤلاء تركوا قول فرعون ﴿وَإِنِّي لأظنُّهُ كَاذِبًا﴾ ووقفوا على قوله: ﴿فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ فجعلوا فرعون يقر بعلو الله فرجل ينكر الله ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] كيف نقول: إنه يقر بالعلو؟! الذي ينكر الله بكبر وغطرسة هل يمكن أن يقر بعلوه؟ لا، لا يمكن؛ ولهذا قال:

وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ إِنَّ عَتِقًا دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ

فَإِذَا عَتَقْتُمْ ذَا فَاشْيَاعَ لَهُ أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

(ذا) يعني: قولهم أنا نحن أشياع لفرعون بإثبات العلو.

فاسْمِعْ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ الْمَعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ

فمن الأولى؟ المعطلة لا شك؛ لأن فرعون معطل بل هو إمام المعطلة.

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي      تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانٍ  
وَاللَّهُ قَدْ جَعَلُوا الضَّلَالََةَ قُدُورَةً      بِأُتَمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ

في قول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذَا الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢] فهم أئمة الكفر تدعو إلى النيران.

فِيمَا مِثْلٍ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ      فِرْعَوْنُ مَعَ نَمْرُودَ مَعَ هَامَانَ  
طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا      مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبَيَّانِ

لا مصدقاً له، لكن يريد أن يوهم قومه حيث بيني الصرح العالي ويقول: أنا والله كنت أبحث عن إله موسى، ولكن ما وجدته فهو يقول لأصحابه وأتباعه وهذا هو مراده بها طلب قال: (فابنوا لي الصرح) طلب الصعود إلى السماء مكذباً موسى (ورام الصرح بالبيان).

بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ      فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ

فالذي يقول هو فرعون، قال: إن موسى كاذب في زعمه (فوق السماء الرب) يعني: أن الرب فوق السماء.

فَابْتُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي      أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ  
أَرْقَى إِلَى إِلَهٍ مُوسَى لَيْسَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَقْرَبُهُ، بَلْ هُوَ يَقُولُ: إِلَى إِلَهٍ مُوسَى.

وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ      اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سُلْطَانِ  
وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ      نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ ذُونَ عِيَانِ  
هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمِ وَالْفَوْقِيَّةِ الـ      غَلِيًّا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانِ

الجهم بن صفوان ينكر التكليم وفرعون ينكر التكليم يقول لموسى ما كلمك الله ولا أرسلك فالجهم ينكر العلو وفرعون ينكر العلو.

فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَا      مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبَيَّانِ  
المنصف يقول: هم أولى.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٥٢٥- يَا قَوْمَنَا وَاللهُ إِنَّ لِقَوْلِنَا

أَلْفٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلِّ الْفَانِ

١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ ال

أَوْلَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ

١٥٢٧- كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَيِّنُ الْأُخْوَانِ

١٥٢٨- أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُفْلِهِ

لِجَعَجَاعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَذْيَانِ

١٥٢٩- يَا قَوْمَ مَا أَنْتُمْ عَلَيَّ شَيْءٌ إِلَى

أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحِيِّ بِالْإِذْعَانِ

١٥٣٠- وَتَحْكِمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ

تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ<sup>(١)</sup>

١٥٣١- قَدْ أَقْسَمَ اللهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ

(١) [١٥٢٥: ١٥٣٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

بعد أن أورد المؤلف هذا الوجه وقرره هذا التقرير الحسن التفت إلى هؤلاء النفاة المعاندين مبيناً لهم أن الأدلة على ثبوت الفوق لله عز وجل قد بلغت من الكثرة أن صارت ألف دليل بل ألفين وهي أدلة متنوعة، فمنها ما يرجع إلى العقل الصريح، ومنها ما يرجع إلى النقل الصحيح، ومنها ما يرجع إلى الفطرة الأولى التي فطر الله عباده عليها، ومنها ما يفهمه العلماء الراسخون من أساليب القرآن بأذواقهم السليمة، وكل واحد من هذه الأدلة المتكاثرة يكفي وحده لإثبات ذلك المطلوب، وهو أن الله فوق عرشه مبين لخلقهم، فهل يعقل بعد ذلك أن يترك أهل الحق هذه الأدلة القاطعة التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار من أجل تشغيب هؤلاء المعطلة وتمويهاتهم الباطلة، وقد حكموا عقولهم الفاسدة في أمور نطق بها صريح الوحي ولم يترك فيها مجالاً لرأي، فما هم على شيء من الدين حتى ينزعوا عن غرورهم ويرجعوا إلى وحي ربهم ويدعوا له ويحكموه في كل دقيق وجليل من أمور الدين، ثم يرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً.

قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ

١٥٣٢ - أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا

غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

١٥٣٣ - بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرُ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الْ

وَحْيَيْنِ حَسْبُ فَذَلِكَ ذُو إِيْمَانِ

١٥٣٤ - هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكِّمُ مُؤْمِنًا

إِنْ كَانَ ذَا حَرْجٍ وَضَيْقٍ بِطَانِ

١٥٣٥ - هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّدَ

لِمْ لِّلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانَ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه القطعة أيضًا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فيها: إن لقولنا في علو الله عز وجل فوق كل شيء ألف دليل بل ألفان من الأدلة وكلها تدل على علو الله من العقل والنقل والفطرة والذوق وأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء.

كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ لِيَجْعَلَ التَّعْطِيلَ وَالْهَذْيَانَ

يعني: أتظنون أنا تاركو ذا كله لجعاجع التعطيل والهذيان والجعاجع<sup>(١)</sup> في الأصل: صوت الرِّحَا وقد يكون فيها طحن وقد لا يكون فلا يمكن أن ندع هذه الأدلة من أجل جعاجعكم أيها المعطلة وهذيانكم.

يَا قَوْمَ مَا أَنْتُمْ عَلَيَّ شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ

وهذا حق كل من خالف الوحيين فليس على شيء.

(١) ومنها: جعجع الجمل أي: اشتد هديره.

وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدَقِّهِ تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ

الجليل: الأمور العظيمة، والدقيق: الأمور التي ليس من عظام الأصول وكذلك حتى تحكموا في العبادات والمعاملات وفي الأمور الاجتماعية والأمور الاقتصادية فمن حكم الوحي في شيء دون شيء فقد كفر بالوحي كله وليس بمؤمن؛ لأنه إذا قال أرضى بهذا وأحكم به ولا أرضى بهذا ولا أحكم به لم يكن متبعاً لشرع الله وإنما هو متبع لهواه إذ إن المتبع للشرع يقول: سمعنا وأطعنا في أمور العبادات والمعاملات والاقتصاديات والاجتماعيات وفي جميع شئون الحياة يقول:

قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] انظر إلى الترتيبات في هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذه الآية مؤكدة بالقسم وبلا وبإضافة الربوبية إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه صاحب الشريعة، لا في ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ هذه زائدة للتبنيه والتأكيد والقسم هو ربط الربوبية إلى من؟ إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه صاحب الشريعة وهذا نوع من التأكيد؛ لأن ربوبية الله سبحانه وتعالى لرسوله ليست كربوبيته العامة، ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ أنت وحدك ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فيما حصل بينهم من نزاع؛ هذه واحدة، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ يعني: ضيقاً بمعنى: أن تقبل نفوسهم هذا الحكم بانسراح وفرح وسرور لا بضيق وحرَج، الثالث ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ أي: ينقادوا ويدعنوا ويستسلموا تماماً، الرابع ﴿تَسْلِيمًا﴾ وهذا تأكيد للمصدر يعني: تسليماً تاماً، فكل هذا المؤكدات وهذه الشروط تدل على أنه لا يمكن الإيثار إلا بهذه الأمور فلو حكّم غير الرسول فليس بمؤمن ولو حكّم الرسول ولكن ضاق صدره بحكمه وكرهه لكن ينفذه فليس بمؤمن، ولو قبله ورضي به لكن لم يسلم التسليم التام فصار يباطل فليس بمؤمن لا بد من هذه الأمور كلها.

يقول رَحِمَهُ اللهُ :

أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرُ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الـ وَحَيِّينِ حَسْبُ فَذَاكَ ذُو إِيمَانٍ

وَدَلِيلِ تَحْكِيمِ الْوَحِيِّينِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ فِي سَنَاءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] يَعْنِي: فَإِنْ لَمْ تَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَلَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ.

هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكَّمُ مُؤْمِنًا إِنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ وَضَيْقٍ بِطَانٍ

وَمَا مَعْنَى ضَيْقٍ؟ لَيْسَ مُؤْمِنًا إِنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ يَعْنِي: لَوْ حَكَّمَ الْوَحِيِّينَ وَقَبْلَ حَكْمِهَا لَكِنْ لَمْ يَرْتَحِ لَهُ وَصَارَ مَعَهُ ضَيْقٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - لَا بَدَّ أَنْ يَقْبَلَ وَيَنْشُرَ صَدْرَهُ بِذَلِكَ.

هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّدَ لِمَ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانَ

أَيْضًا مَا يَكْفِي أَنْ يَنْشُرَ صَدْرَهُ بَلْ لَا بَدَّ أَنْ يَسْلَمَ وَلَنْضَرْبِ لِهَذَا أَمْثَلَةٌ:  
الأول، رَجُلٌ لَمْ يَتَحَاكَمْ إِلَى الشَّرْعِ بَلْ تَحَاكَمَ إِلَى الْقَانُونِ وَلَمْ يَرْضَ بِالشَّرْعِ أَصْلًا مَا ذَهَبَ لِلشَّرْعِ هَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

الثاني: رَجُلٌ تَحَاكَمَ إِلَى الشَّرْعِ وَحَكَّمَ الشَّرْعَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ لَهُ بَدٌّ مِنْ تَنْفِيذِهِ لَكِنْ مَعَ الشَّدَةِ وَالْحَرَجِ وَالضَّيْقِ وَالْكَرَاهَةِ هَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ لَكِنَّهُ أَهْوَنُ مِنَ الْأَوَّلِ.

الثالث: رَجُلٌ تَحَاكَمَ إِلَى الشَّرْعِ وَأَنْشَرَ صَدْرَهُ لَهُ لَكِنْ صَارَ يَبْاطِلُ مَا سَلَّمَ التَّسْلِيمَ التَّامَ هَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ لَكِنَّهُ دُونَ الثَّانِي. فَلَا بَدَّ مِنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ فِي التَّحْكِيمِ: وَالرِّضَا وَالْإِنْشِرَاحَ وَالتَّسْلِيمَ التَّامَ.

أَيْضًا رَجُلٌ احْتَلَمَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَسْخُنُ بِهِ الْمَاءَ لَكِنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْمَاءَ الْبَارِدَ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْمَشَقَّةِ الْآنَ مَاذَا سَيَعْمَلُ؟ قَالَ الْجَوَابُ بَارِدٌ وَلَمْ يَسْتَطِيعْ هَلْ هَذَا حَكْمَ الشَّرْعِ أَمْ لَا؟ لَا فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

الثاني احْتَلَمَ وَاعْتَسَلَ لَكِنْ عَلَى كِرَاهَةٍ تَجِدُهُ يَتَكْرَهُ الدِّينَ أَوْ لِهَذَا الْعَمَلِ الْوَاجِبِ فِي الدِّينِ هَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَإِنْ كَانَ نَفَذَ وَاعْتَسَلَ.

الثالث: رَضِيَ وَانْقَضَى لَكِنْ صَارَ يَبْاطِلُ وَيَمْلَمَلُ حَتَّى خَرَجَ الْوَقْتُ هَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ التَّسْلِيمَ التَّامَ فَفَتَشَ فِي نَفْسِكَ الْآنَ هَلْ أَنْتِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ تَحْكُمِ الشَّرِيعَةَ وَيَنْشُرُ صَدْرَكَ لَهَا وَتَسْلَمُ تَسْلِيمًا تَامًا؟ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ

فأنت سعيد مؤمن وإن كانت هناك عراقيل فأصلح أحوالك فلست بمؤمن لابد أن تكون في انقياد تام ورضى وتسليم، فمن يصوم رمضان ولا يتأخر لكن مع ثقل عظيم وكراهة وربما - نسأل الله العافية - يعترض على هذا ليس بمؤمن بل لابد أن يسلم ويصوم بانسراح صيامًا تامًا حسب ما يؤمر به فيكون بذلك تام الإيـان.



\* قوله رحمه الله:

١٥٣٦ - يَا قَوْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ

وَبِحِرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٥٣٧ - هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا

فَسَلُّوا نُفُوسَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>

١٥٣٨ - لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ

وَرَسُولَهُ الْمُبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

١٥٣٩ - هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنْكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ

(١) [١٥٣٨: ١٥٣١] قال العلامة محمد خليل هراس:

يشير المؤلف بهذه الآيات إلى الآية الكريمة التي في سورة النساء والتي نزلت في شأن المنافقين الذين احتكموا إلى الطاغوت وأعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ أعني قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٥٦] فقد أقسم الله في هذه الآية الكريمة بنفسه أن هؤلاء لا يكونون مؤمنين أبدًا حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما ينشأ بينهم من خصومات، ثم لا يقابلوا حكمه بالخرج وضيق الصدر، بل يرضوا به ويدعوا، وبعد وفاته ﷺ إنها يكون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله فلا يتم إيـان أحد حتى يحكمها وحدهما ويسلم للذي يحكمان به كما قال تعالى: ﴿فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فهؤلاء المبتدعة من أرباب المقالات والمذاهب حكموا في دين الله عقولهم وقدموا كلام رؤسائهم وقادتهم في الضلال على حكم الله ورسوله، فأشبهوا هؤلاء المنافقين الذين حكى الله عنهم تحاكمهم إلى الطاغوت وصدودهم عن حكم الرسول عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينشدهم المؤلف بالله العظيم وبحرمة الإيـان والقرآن أن يراجعوا أنفسهم وأن يسألوها: ألا يزال فيها شيء من الإيـان!؟

ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

١٥٤٠- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ أَحْمَدَ خَصْمُكُمْ

أَعْنِي ابْنَ حَبْلِ الرِّضَا الشُّيْبَانِي

١٥٤١- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ بَعْدُ خُصُومُكُمْ

أَهْلَ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرَ الْقُرْآنِ

١٥٤٢- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ أَيْضًا خَصْمُكُمْ

شَيْخَ الْوَجُودِ الْعَالِمِ الْحِرَّازِي

١٥٤٣- أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْ-

مُخْتَارِ قَامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ

١٥٤٤- وَاللَّهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى

تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكَ كَذَا

تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ

١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْمَقْضُودُ مَعَ قَصْدٍ لَهُ

فَلِذَلِكَ لَمْ يَنْصَفْ إِلَى إِنْسَانٍ<sup>(١)</sup>

(١) [١٥٣٨: ١٥٤٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

فإذا لم تشهدوا على أنفسكم ببراءتها من الإيذان بسبب معاداتها للوحي من السنة والقرآن، فاعلموا أن الله وجنده من الملائكة ورسوله المبعوث بالقرآن، كلهم يشهدون عليكم بأنكم في كل زمان أعداء لمن شأنه التمسك بالسنة والقرآن، وإلا فأخبرونا لماذا عاديتم إمام أهل السنة وناصر مذهب السلف وقدوة أهل الحق في الثبات والصبر والجهاد لأعداء الله أحمد بن حنبل رحمته الله، ولماذا كان أعداؤكم دائما هم أهل الحديث وعسكر القرآن، ثم لأي شيء عاديتم شيخ الإسلام وعلم الأعلام غير منازع الذي بعثه الله على رأس المائة الثامنة ليجدد لهذه الأمة ما رث من أمر دينها ويشد ما وهى من عقد إيمانها من نصر الله به السنة وقمع به البدعة وأقام على المارقين الحججة - تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الدمشقي - الذي لم يأت الزمان له بنظير في الجمع بين المعقول والمنقول، وهل كان ذنبه إلا أنه جرد الدين من كل دخيل وأزال ما لصق به من أوضار الشرك وظلمات البدع حتى رده

١٥٤٧- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ

غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفَرْقَانِ

١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى

وَدَعَوْتُهُمْ أَنْتُمْ لِـرَأْيِ فُلَانٍ

١٥٤٩- شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ

يَا قَوْمُ مَا بِكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ

١٥٥٠- قَالُوا لَنَا لَمَّا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى

هَذَا مَقَالَةٍ ذِي هَوَى مَالَانِ

١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الـ

عُلَمَاءِ بَلْ عَبَّرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ

١٥٥٢- وَتَرَكَتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا

أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أذُنَانِ

١٥٥٣- لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ

نَعُدَّ الَّذِي قَالُوهُ قَدَرًا بَنَانٍ<sup>(١)</sup>

سليماً نقيّاً، وأنه جرد الوحي بما زاده المفترون الكذابون.

وهذا وأعتذر للقارئ عن شرح البيت الأخير أعني قوله: (فتجرد المقصود له إلخ) فإنني لم أفهمه والله تعالى أعلم. ويجوز أن يكون الشيخ قد أراد أن المقصود من التوحيد والوحي قد تجرد عما لصق به من زيادات ومحدثات حين قصد شيخ الإسلام إلى تجريده، فلهذا عودى بِحَوْلِهِ ولم ينصفه من الناس أحد.

(١) [١٥٥٠: ١٥٥٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

والعجيب من أمركم أنكم كلما دعاكم داع إلى الرجوع للأصل الأول، وهو كتاب الله وسنة رسوله نفرتم منه نفار الوحش وقلتم له مقالة المغيظ المحنق: لقد أزريت بأقدار الشيوخ وانتهكت حرمة العلماء حيث تدعوننا إلى ترك أقوالهم وعدم الإصغاء إلى آرائهم، وأما نحن فقد حفظنا حرمتهم حيث لم نتجاوز أقوالهم ولم نعد آراءهم مقدار بنان - أي طرف أصبع - وهذا الذي أشار إليه المؤلف هو دأب هؤلاء المقلدة الجامدين في كل زمان يعدون كل من يدعو إلى الكتاب والسنة وأخذ الدين منها متهجماً على الأئمة مزيئاً بمذاهبهم التي يجب في نظرهم اتباعها وأخذ الأحكام منها دون مناقشة،

- ١٥٥٤ - يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ  
وَأْتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٥٥٥ - وَنَسَبْتُمْ الْعُلَمَاءَ لِلأَمْرِ الَّذِي  
هُم مِّنْهُ أَهْلٌ بِرَاءةٍ وَأَمَانِ
- ١٥٥٦ - وَاللَّهِ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا  
قَوْلَ الرُّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ
- ١٥٥٧ - كَلًّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا بَلَى  
بِالعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِأَلَّا كِتْمَانِ
- ١٥٥٨ - إِذْ قَدْ أَحَاطَ العِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
لَيْسُوا بِمَعْضُومِينَ بِالبُرْهَانِ
- ١٥٥٩ - كَلًّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا  
قَدْ قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ
- ١٥٦٠ - فَلِذَلِكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا  
أَقْوَالَهُمْ كَالنَّصِصِ فِي المِيزَانِ
- ١٥٦١ - لَكِنَّ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَا  
فَقَهَا فَتِلْكَ صَاحِبَةُ الأَوْزَانِ<sup>(١)</sup>

فبئس ما رضوا لأنفسهم أن يجرموها ميزة الفهم والإدراك التي جعلها الله خاصة الإنسان.

(١) [١٥٥٤ : ١٥٦١] قال العلامة محمد خليل هراس:

يقسم المؤلف بالله العظيم أن هؤلاء المقلدة المتباكين على حرمة الأئمة ومذاهبهم قد كذبوا على هؤلاء ونسبواهم إلى ما هم منه براء من دعوة الناس إلى الأخذ بمذاهبهم دون نظر في أدلتها من الكتاب والسنة. والله سبحانه ما أمرنا في كتابه أن نترك قول الرسول لقول أحد من الناس، بل قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وكذلك الأئمة رحمهم الله لم يدع أحد منهم أن مذهبه هو الحق الذي يجب اتباعه، بل صح عنهم جميعاً أنهم يبرأون إلى الله من كل قول لهم يخالف الحديث، وقد صح عن الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:

١٥٦٢ - لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَهُمْ

أَبْدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٥٦٣ - وَاللَّهِ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفْ

فَدَنْتُمْ وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ

١٥٦٤ - وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلِينَ ثُمَّ تَرَكْتُمْ الذِّ

نَصِّينَ مَعَ ظَلَمٍ وَمَعَ عُدْوَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ:

يَا قَوْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُمْكُمْ وَيَحْرَمَةَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

المناشدة: الطلب بإلحاح يقول: أنا أشدكم بالله وبحرمة الإيـمان والقرآن (هل حدثكم قط أنفسكم هذا) يعني: بأن ترجعوا إلى الكتاب والسنة وتحكموا كتاب الله وسنة رسوله (فسلوا نفوسكم عن الإيـمان) الذي يبدو من أفعالهم أنهم لم تحدثهم أنفسهم يوماً من الدهر أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة؛ ولهذا إذا رجعت إلى كتب المتكلمين في العقائد لا تجد فيها قال الله، ولا قال رسول الله، كلها تعليقات ونظريات وعقليات وهي تخالف البدهيات فضلاً عن العقول؛ ولهذا يقول: (فسلوا نفوسكم عن الإيـمان)

لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمُبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

«إذا جاء الحديث يخالف ما قلناه فخذوا به ودعوا ما قلناه».

وورد عن مالك رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» وأشار إلى قبر النبي ﷺ، وصح عن أحمد أنه قال: «لا يجل لأحد أن يأخذ بشيء من أقوالنا حتى يعلم من أين قلناه». وهذا هو اللائق بهم رحمهم الله، فإنهم يعلمون أنهم ليسوا بمعصومين، بل هم مجتهدون يصيبون ويخطئون، ويعلمون كذلك أن أحداً منهم لم يحط علماً بكل ما قاله الرسول ﷺ، فلذلك جاءت وصيتهم جميعاً بأن لا تجعل أقوالهم مساوية للنص في الميزان، بل يجب أن تُوزن بالنصوص فإن وافقتها فهي صحيحة وإلا وجب اتباع النص.

هُم يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

أما كون الله عز وجل يشهد بأن هؤلاء أعداء فمن يرجع إلى الكتاب والسنة فظاهر وكذلك جند الله تشهد بأن هؤلاء أعداء كل من يحكم الكتاب والسنة؛ لأن هؤلاء المتكلمين أعداء للسلف، والسلف يحكمون الكتاب والسنة لكن رسول الله كيف يشهد وهو ميت؟ نقول يشهد بما جاءت به سنته فكل إنسان لا يحكم الكتاب والسنة فإن النبي ﷺ يعلم أنه عدو لمن يحكم الكتاب والسنة يقول:

وَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمُكُمْ أَعْنِي ابْنَ حَنْبَلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي

هل كان خصمهم؟ نعم كان خصمهم وشوا به إلى المأمون وأذاه المأمون وحبسه لكن تجالذ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكتب في الرد عليهم رسائل فكان خصمًا لهم.

وَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُوفُكُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرَ الْقُرْآنِ

كل من يقول: قال الله وقال رسوله فهو عدو لهؤلاء المتكلمين الذين يشتون العقائد بالعقول التي يدعون أنها عقول وليست عقولاً.

وَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصْمُكُمْ شَيْخُ الْوَجُودِ الْعَالِمُ الْحِرَازِيُّ

أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سَنَةِ الْ

وَاللَّهُ لَمْ يَكْ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى تَجْرِيدِهِ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ

أهذا ذنب؟! لكن ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] فشيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو أبو العباس - لا ذنب له وهم يعادونه حتى إنهم قالوا من قال: إن ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر مباح المال والدم - أعود بالله - إلى هذا الحد يعني: الذي يصف ابن تيمية بشيخ الإسلام كافر يقتل وشيخ الإسلام يصير أكفر إذا كان من يصفه بشيخ الإسلام كافرًا فهو أكفر.

يقول ابن القيم: (إذ جرد التوحيد عن شرك) وكتبه مملوءة بذلك في تقريره توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وكتبه كثيرة جدًا وكذلك تجريده للوحي عن بهتان، البهتان في الوحي أما بالنسبة للفظ فهذا لا يمكن إذ لا يمكن لأحد أن يغير شيئًا من



القرآن لفظًا، وأما معنىّ فما أكثر الذين حرّفوا القرآن في المعنى، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ جرد الوحي عن البهتان والمراد بالبهتان هنا بهتان المعنى أم بهتان اللفظ؟ المعنى؛ لأن ما يجروا أحد أن يعيّر لفظه من كتاب الله أبدًا.

يقول: (فتجرد المقصود عن قصد له) المقصود: هو توحيد الله وكذلك توحيد الرسول عليه الصلاة والسلام، أما توحيد الله فهو بالإخلاص له، وأما توحيد الرسول فهو اتباعه وعدم اتباع هدي غيره؛ (فلذا لم ينصت إلى إنسان) هذه النسخة هي أصح النسخ وأقربها للمعنى يعني أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ما أنصت إلى أحد فلم يمنعه أحد من نشر ما هو عليه من الحق ولم يتبع أحدًا فيقلده تقليدًا أعمى أبدًا فيها، وقراءة (لم ينصف إلى إنسان) الإنصاف يأتي بمعنى الخشوع يعني: لم يخشع ولم يخضع للإنسان وهذا أيضًا معنى صحيح، أما النسخة الثالثة (لم ينصف) ولا أدري هل هذه النسخة زائدة أم غير زائدة لكن إن كانت صحيحة فهو من الإضافة (لم ينصف إلى إنسان) يعني: لم يتبع إنسانًا كما تقول: ينصف هذا الشيء إلى هذا الشيء لكن أقرب النسخ إلى الصواب - والعلم عند الله - لم ينصت إلى إنسان.

مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفُرْقَانِ

قوله: (منهم) يعني ابن حنبل وأهل الحديث وابن تيمية رحمهم الله جميعًا.

فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَيَّ غَيْرِ الْهُدَى وَدَعَوْتُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

(شتان بين الدعوتين) شتان بمعنى: بُعد وهل هذا صحيح أن ما بين الدعوتين متباعدا؟

نعم، ولهذا قال: (فحسبكم يا قوم ما بكم من الخذلان).

قَالُوا لَنَا لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيَّ هَذَا مَقَالَةٌ ذِي هَوَى مَلَانٍ

لما دعوناهم إلى الكتاب والسنة قالوا لنا مقالة صاحب هوى ملان من الهوى.

ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْـ عَلَمَاءِ بَلْ عَبَّرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ

يعني: يقولون عن السلف أنتم تدعون إلى الكتاب والسنة وهذا استهانة بالعلماء ما

للعلماء عندكم قدر وحرمة كيف تقولون اذهبوا إلى الكتاب والسنة والشيخ، الفلاني يقول

كذا وكذا أما له حرمة عندكم؟! وماذا نقول؟ نقول حرمة الكتاب والسنة عندنا أعظم من

حرمة هذا وأمثاله وكل إنسان.

وَتَرَكَتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذُنَانِ

من يقوله؟ هم هؤلاء المتكلمون الذين يسيرون مع أقوال المشايخ يقولون لنا تركتم أقوالهم هدرًا وما أصغت إليها منكم أذنان نقول: أبدًا ما تركنا شيئًا بل ننظر إليها فإن وافقت الكتاب والسنة فهي حق وعلى الرأس والعين، وإن خالفت فهي باطلة ولا نقبلها.

لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ نَعُدْ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانٍ

يعني: نحن الذين عرفنا حق الشيوخ وحرمتهم ما نتعدى أقوالهم ولو خالفت الكتاب والسنة قال ابن القيم ردًا عليهم.

يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ وَأْتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

وَنَسَبْتُمْ الْعُلَمَاءَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُمْ مِنْهُ أَهْلٌ بِرَأْيَةٍ وَأَمَانٍ

فابن القيم يكذب هؤلاء يقول: أتم ما احترمت العلماء ولا رجعت لأقوالهم.

وَاللَّهُ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانٍ

هذا صحيح؟ هل رأيت من الأئمة من قال اتبعوني ولا تتبعوا الكتاب والسنة؟ أبدًا ما أحد يقول بها.

كَلَّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا بَلَى بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانٍ

ما الذي أوصى به الأئمة؟ أوصوا جميعًا بأنه إذا كانت أقوالهم تخالف أقوال الله ورسوله فاضربوا به عرض الحائط وكلهم متفقون على هذا المعنى جزاهم الله خيرًا.

إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ

فإذا كانوا غير معصومين رجعنا إلى المعصومين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

هذا صحيح هل كل واحد من العلماء أحاط بكل حديث قاله الرسول أو فعله أو أقره؟ لا.

فَلِذَلِكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَهُمْ كَالنَّصِّ فِي الْمِيزَانِ

لَكِنْ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَّافَقَهَا فَتِلْكَ صَحِيحَةٌ الْأَوْزَانِ

لَكِنْتُمْ قَدَمْتُمْ أَقْوَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ  
 يقول: (والله لا لوصية العلماء نفذتم) ما هي وصيتهم؟ الرجوع إلى الكتاب والسنة، (ولا  
 لوصية الرحمن) وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].  
 (وركبتم الجهلين ثم تركتم النصين) الجهلين يعني: وصية العلماء ووصية الله وتركتم  
 النصين ما هما؟ الكتاب والسنة، (مع ظلم ومع عدوان) ليت أنكم تركتم هذا وسكتتم لكن  
 تعتدون على من خالفكم وتقولون أنت أهتمت العلماء أنت احتقرت العلماء أنت ضللت  
 وما أشبه ذلك.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ١٥٦٥ - قَلْنَا لَكُمْ فَتَعَلَّمُوا قُلْتُمْ أَمَا  
 نَحْنُ الْأُمَّةُ فَاضِلُوا الْأَزْمَانَ  
 ١٥٦٦ - مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا  
 أَيْنَ النَّجُومُ مِنَ الشَّرَى التَّحْتَانِي  
 ١٥٦٧ - لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ  
 أَشْبَهُتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ  
 ١٥٦٨ - وَاللَّهِ لَا عِلْمَ وَلَا دِينََّ وَلَا  
 عَقْلَ، وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ  
 ١٥٦٩ - عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمُ  
 لِلْحَقِّ بَلْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٥٦٢ : ١٥٦٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

لكنكم بالرغم من أمر الله لكم أن لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ومن وصية الأئمة لكم أن لا تقدموا  
 آراءهم ومذاهبهم على قول الله وحديث رسوله ﷺ، قد خالفتم هذا كله وقدمتم أقوالهم على النصوص  
 الصريحة من الكتاب والسنة، فلا أنتم امتثلتم أمر ربكم بالوقوف عند ما جاء به الرسول عليه الصلاة  
 والسلام، ولا أنتم نفذتم وصية العلماء بترك أقوالهم، إذا ظهر مخالفتها لصريح النص، وركبتم الجهلين،

١٥٧٠- إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الذَّبَابُ إِذَا رَأَى

طَعْمًا فَيَا لِمَسَاقِطِ الذَّبَابِ

١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَرَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ

مِثْلَ الْبُغَاثِ يُسَاقُ بِالْعِقَبَانِ

١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْبُرْهَانِ كَمَا

نَ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِأَلَا بُرْهَانَ

١٥٧٣- نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الْأَلَى أَلْفُوا كَذَا

آبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

١٥٧٤- قُلْنَا فَكَيْفَ تُكْفِرُونَ وَمَا لَكُمْ

عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيْمَانٍ

١٥٧٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنْ مُقَلِّدًا

لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخْوَانِ

١٥٧٦- وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ

مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ

١٥٧٧- حِزْنَا بِكُمْ وَاللَّهُ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ

جهلكم بالحق الذي يجب اتباعه والإيمان به، وجهلكم أنكم تجهلون، وهذا الجهل المركب، ثم تركتم النصين من الكتاب والسنة ظلماً وعدواناً، وإذا نصح لكم ناصح أن تتعلموا؛ لأنكم لستم على شيء غضبتم من رمية لكم بالجهل، وقتلم تبجحاً وغروراً: ألسنا نحن الأئمة الفضلاء والعلماء الأذكياء، كذبتهم فأين أنتم من هؤلاء أو هؤلاء؟ ألم يبق في وجوهكم قطرة من حياة؟ فأين الثرى من الثريا، أم أين الأرض من السماء؟ ألم يبق مما يشبه العلماء إلا أنتم، صدقتهم، ولكنكم أشبهتموهم في طول اللحي والأذقان، أما ما وراء ذلك فأنتم لا علم ولا دين ولا عقل ولا حتى مروءة إنسانية، فقد كنتم لئاماً حين عاملتم من يدعوكم من العلماء إلى الحق بالبغي والكيد الدنيء والاعتداء الأثيم، وكأنه يشير بذلك ﷻ إلى ما وقع عليه وعلى شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية من علماء عصرهم من الجهلة المتعصبين للمذاهب من إيذاء واعتداء على حين لا ذنب لهما إلا الذب عن دين الله ونصر السنة المطهرة والرجوع بالأمة إلى ما كان عليه سلفها الصالح قبل نجوم الخلاف، وظهور البدع والمقاتلات.

عَلَّمَاءٍ تَنَقَّادُونَ لِلْبُرْهَانِ

١٥٧٨ - كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى

تُدْعَوْنَ؟ نَحْسِبُكُمْ مِنَ الثِّيرَانِ

١٥٧٩ - لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ أَل

مَعَهُودَ مَنْ بَغِي وَمِنْ عُذْوَانِ

١٥٨٠ - نَأَلَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَأَلَتْ مِنْكُمْ أَل

مَعَهُودَ مَنْ بَغِي وَمِنْ عُذْوَانِ

١٥٨١ - فَمَنِ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى

أَنْتُمْ أُمُّ الثِّيرَانِ بِالْبُرْهَانِ<sup>(١)</sup>

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ:

قَلْنَا لَكُمْ فَتَعَلَّمُوا قُلْتُمْ أَمَا نَحْنُ الْأَثْمَةُ فَاضِلُوا الْأَزْمَانَ

(١) [١٥٧٠: ١٥٨١] قال العلامة محمد خليل هراس:

يشبه المؤلف هؤلاء الأعداء من أهل التعصب والتقليد الأعمى في دناءتهم وتهافتهم على حطام الدنيا بالذباب إذا رأى طعاماً، أي شيئاً حلو كالعسل كثر تساقطه فيه، وهم مع ذلك جنباء رعاعيد إذا رأوا هيعة طارت نفوسهم منها شعاعاً وانخلعت قلوبهم، كأنهم رخم تسوقه الصقور والعقبان، وإذا ناظرهم العلماء وطالبوهم بالبرهان لم يقدرُوا على إقامته، وكان جوابهم هو جواب أهل التقليد في كل زمان ﴿وَإِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ سَبِيلٍ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّهِتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] فقليل لهم فكيف تكفرون إذا من خالفكم وأنتم لا علم عندكم بمواضع التكفير والإيمان، وهل التقليد إلا عمى في العقل والبصيرة، يحمل المقلد على الانقياد لمن يقلده، كانقياد الأعمى لمن يقوده، فأين هو من العلم الصحيح الذي يكون قائماً على الدليل والبرهان، فشتان ما بينهما ثم شتان، ولقد تركتمونا في حيرة من أمركم فلا ندري إلى أي قبيل ننسبكم، فلا أنتم مع العلماء في طلب الدليل والبرهان ولا أنتم ترضون أن تتعلموا لتزيلوا عن أنفسكم غشاوة الجهل والتقليد، فلا نظنكم إلا أمة من الثيران التي لا تفقه ولا تعي، على أن الثيران كذلك خير منكم وأنفع، فإنها تحرث الأرض وتسقي الزرع، أما أنتم فما نالت بكم الأرض إلا شراً، فقد أكثرتم فيها البغي والعدوان، فأصبحتم أخف وزناً حتى من الثيران.

يعني: دعوناهم للعلم ولكنهم استكبروا وقالوا نحن العلماء نحن الأئمة فضلاً عن العلماء.  
(من أين والعلماء أنتم فاستحوا) يعني: أين أنتم من العلماء؟ فكيف تدعون أنكم أئمة  
(أين النجوم من الثرى التحتاني) قريب بعضه من بعض بعيد بعضه من بعض فأين النجوم  
من الثرى التحتاني.

لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ أَشْبَهُتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ

يعني: أنتم تُشبهون العلماء في اللحية والهيكل العالي ولكنكم لستم بعلماء وهذا نفسه من  
باب التنكر بهم يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا عَقْلَ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ

كل هذه الأربع انتفت عنهم أي: العلم والدين والعقل والمروءة.

عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْتُمْ لِلْحَقِّ بَلِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

فلم يعاملوهم بماذا؟ بالحسنة ولهذا قال: بل بالبغي والعدوان

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الْأَذْبَابُ إِذَا رَأَى طُعْمًا فَيَا لِمَسَاقِطِ الذَّبَّانِ

يعني؛ أنتم مثل الذبان إذا رأى طعاماً حلواً أو لحمًا وجدته يتساقط ولكن إذا نفخت عليه  
نفخة واحدة يطير أو إذا حركت أدنى شيء من الخوص هرب. ولهذا قال:

وَإِذَا رَأَى فَرَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ مِثْلَ الْبَغَاثِ يُسَاقُ بِالْعَقَبَانِ

أنا أظنها بالكسر؛ لأن العقبان جمع عقاب، والعقاب طائر معروف والبغاث طائر  
معروف لكنه جبان إذا رأى العقاب طار وهرب ثم يأتي العقاب وراءه يضربه ضربة  
بمنقاره فيقع على الأرض فهو يشبههم أيضًا أنهم مثل البغاث يسوقه العقاب.

وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْبُرْهَانِ كَمَا نَنْ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانِ

نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الْأَلَى أَلْفُوا كَذَا أَبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

يعني: نحن مقلدة نقلد فلاناً وفلاناً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ  
ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فَلَمَّا فَكَّيْفَ تُكْفِرُونَ وَمَا لَكُمْ عِلْمًا بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانًا

مادتم مقلدة فليس عندكم العلم فكيف تكفرون، وأنتم لا تعرفون التكفير ولا الإيمان فهذا عدوان؛ ولهذا قال: (إذا أجمع العلماء) هذا تعليل لقوله: (وما لكم علم بتكفير ولا إيمان).  
 إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مُقَلِّدًا لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخَوَانِ  
 يقول: إن العلماء أجمعوا أن المقلد كالأعمى لا يهتدي للطريق وإنما يقاد فهما أخوان يقول بعض الشعراء:

لا فرق بين مقلدٍ وبهيمةٍ تنقاد بين دعافلٍ وجنادلٍ

فلا فرق بين المقلد والبهيمة؛ لأن البهيمة تنقاد مع راعيها بين الدعافل والجنادل والمقلد كذلك، وقد أجمع العلماء على أن المقلد لا يعد من العلماء، ذكر هذا ابن وعبد البر وغيره قال: أجمع العلماء على أن المقلد ليس من العلماء وأنه لا يجوز أن يُستفتى؛ لأنه ليس من أهل العلم وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣] لكن عند الضرورة إذا لم يوجد عالم مجتهد يعقل الكتاب والسنة فنسأل المقلد.  
 ثم بين العلم الحقيقي فقال:

(والعلم معرفة الهدى بدليله) هذا هو العلم أن تعرف الهدى يعني: الحق بالدليل وإلا فلست بعالم ما ذاك والتقليد مستويان حرنا بكم) يعني: أنكم حيرتمونا ما الذي أنتم عليه؟ (والله لا أنتم مع العلماء تنقادون للبرهان)؛ لأن العالم حقيقة هو الذي يتقاد إلى الحق أين وجدته.  
 وقوله: (كلا ولا متعلمون) أي: لا علماء ولا متعلمون فماذا نسميكم؟ نحسبكم من الثيران وهذا أحسن وصف عليكم أن نقول أنتم ثيران ثم قال:

(لكنها) يعني: الثيران (والله أنفع منكم للأرض في حرث وفي دوران) الحرث واضح والدوران السياقة كانوا يدهسون الحب بالبقر، يضعون خشبة قائمة واقفة في وسط السنبيل ثم يربطون بها البقر ثم يجعلون البقر تدور على هذه الخشب فتدوس السنبيل حتى يكون حبة فيقول هي أحسن منكم في الحرث وفي الدوران.

(نالت بهم خيرا) يعني: الأرض (ونالت منكم المعهود من بغي ومن عدوان).  
 فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان؟ الثيران وهي مفردها ثور.





١٥٨٢ - هَذَا وَثَامِنُ عَشْرَهَا تَنْزِيهُهُ

سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ التَّقْصَانِ

١٥٨٣ - وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمْثِيلِ وَالذِّ

تَشْبِيهِ جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

١٥٨٤ - وَلِذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ

عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانٍ

١٥٨٥ - أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى

سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانٍ

١٥٨٦ - أَوْ أَنْ يُوَالِيَ خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ

مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

١٥٨٧ - أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ

إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَثْنَانِ

١٥٨٨ - وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ وَالِدٍ

وَكَذَلِكَ عَنِ وَلَدٍ هُمَا نَسْبَانِ

١٥٨٩ - وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ

وَكَذَلِكَ عَنِ كَفْوٍ يَكُونُ مُدَانِي<sup>(١)</sup>

(١) [١٥٨٤: ١٥٨٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأيات نفي الشريك في القرآن أكثر من أن تحصر، ومنها آيات مشتملة على دليل ذلك النفي، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ

١٥٩٠ - وَلَقَدْ آتَى التَّنْزِيَهُ عَمَّا لَمْ يُقَلِّ

كَي لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ

١٥٩١ - فَانظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طَعْمٍ وَلَمْ

يَنْسَبَ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ

١٥٩٢ - وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ مَوْتٍ وَعَنْ

نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غَشْيَانِ

١٥٩٣ - وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نِسْيَانِهِ

وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانِ

١٥٩٤ - وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظَلْمٍ وَفِي الْ

أَفْعَالِ عَنِ عَبَثٍ وَعَنِ بَطْلَانِ

١٥٩٥ - وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ تَعَبٍ وَعَنْ

مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿ [المؤمنون: ٩١] وكذلك نزه نفسه سبحانه عن الظهير، وهو المظاهر المعاون له في شيء من الخلق أو التدبير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ بَيْنٌ ظَاهِرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] ونزه نفسه عن أن يكون له ولي من خلقه يواليه من ذل أو حاجة. قال تعالى في آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدُنْيَاكَ كُفْرًا شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَافِظًا وَمَنْ يَتَّخِذْ لِلدُّنْيَا حَافِظًا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الإسراء: ١١١] ونزه نفسه عن أن يكون لديه شافع أصلاً يشفع بغير إذنه فيقبل شفاعته لرغبة أو رهبة، كما يقبل الملوك في الدنيا شفاعته من حولهم من القواد والأمرء وذوي الجاه لخوفهم منهم وحاجتهم إليهم، أما الشفاعته عنده سبحانه فإنها لا تكون أبداً إلا بشرطين، أحدهما في الشافع، وهو إذن الله له بالشفاعة والثاني في المشفوع له، وهو أن يكون مرضياً عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: ٢٦].

وكذلك نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وعن الزوجة والكفء الذي هو النظير المساوي قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: شبيهاً ونظيراً يستحق مثل اسمه، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١] وقال حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدْرَيْنَا مَا أَحْتَضِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

عَجَزِيَّتَا فِي قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ<sup>(١)</sup>

١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَه

فِنَحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ

١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْد

حَابُ الْغِنَى ذُو الْوُجْدِ وَالْإِمْكَانِ

١٥٩٨- وَلِذَلِكَ أَضْحَى رَبُّنَا مُسْتَقْرِضًا

أَمْوَالَنَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالَةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ

أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنَ مَنْ الرَّحْمَنِ

١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالَةً

مَنْضُورَةً فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ

١٦٠١- لَكِنْ مَقَالَةٌ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى

وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

(١) [١٥٩٠: ١٥٩٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني أنه سبحانه كما نزه نفسه عما قاله المبطلون ووصفوه به نزه نفسه عما لم يقله أحد ولم ينسبه إليه حتى لا يقع بخاطر أحد، فنزه نفسه عن الطعم مع أن أحدًا لم يصفه به، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أُتَّخَذُ وَإِنِّي فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] وكذلك نزه نفسه عن الموت وعن السنّة والنوم وعن الغشيان الذي هو الجماع وعن النسيان الذي هو ضد الذكر مع أن أحدًا لم ينسبه إلى شيء من ذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ونزه نفسه كذلك عن الظلم في معاملة خلقه فلا يعاقب أحدًا بغير ذنب، ولا يضيع عمل عامل، ولا ينقصه شيئًا من أجره، ونزه نفسه في الأفعال عن العبث والباطل، وهو خلو الفعل عن الحكمة المقتضية له، قال تعالى: ﴿وَلَا يَطْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَعَرَبَهَا

وَعَدَّتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

١٦٠٣- فَلَأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُنَزِّهِ نَفْسَهُ

سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٠٤- عَنِ ذِي الْمَقَالَةِ مَعَ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا

وَتُظْهِرُهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ<sup>(١)</sup>

١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُدِي لَنَا إِثْبَاتَهَا

وَيُعِينُهُ بِأَدْلَىةِ التَّيَّيَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) لفظة: «الأديان» غير سديدة في استخدامها والصواب - والله أعلم - ألا يجمع لفظ «الدين» طالما أنه يقصد به رسالات الله للأنبياء فإنه واحد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩].

(٢) [١٥٩٦: ١٦٠٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى عكرمة عن ابن عباس سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية. أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت المدراس فوجد ناسًا كثيرة من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم، فقال له أبو بكر: اتق الله يا فنحاص وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول من عند الله قد جاء بالحق من عنده تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنه إلينا فقير، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر وضربه على وجهه ضربًا شديدًا، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو أبا بكر، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولًا عظيمًا يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه فوجد فنحاص ذلك، فنزلت الآية.

وكما حكى الله عز وجل مقالة فنحاص هذه حكى لنا مقالة بعض الجهلة من قومه اليهود أن عزيزًا ابن الله لما كتب لهم التوراة بقلمه بعد غلبة العالقة على بني إسرائيل وذهاب علمائهم مع أن كلاً من هاتين المقالتين فسادها ظاهر، وليست مشهورة في أي مكان وزمان فإذا كان الله سبحانه قد نزه نفسه عما تقدم من العيوب والنقائص وعما قاله اليهود مع اشتهاه وظهور فساده، فلأبي شيء إذا لم ينزه نفسه عن تلك المقالة وهي كونه فوق عرشه مباينًا لخلقه إذا كانت متضمنة لمعنى فاسد لا يجوز اعتقاده في حق الله تعالى مع شهرة هذه المقالة وتفاقم أمرها وإجماع الأديان عليها، فكانت هي أحق من هذا كله بالتنبيه على فسادها والتحذير منها مع أن العكس هو الواقع، فالله عز وجل يثبت لنا هذه

- ١٦٠٦ - لَا سِيَّامًا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ  
مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
- ١٦٠٧ - أَوْ أَنَّهَا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلِّثٍ  
عَبْدِ الصَّلِيبِ الْمَشْرِكِ النَّصْرَانِي
- ١٦٠٨ - إِذْ كَانَ جَسْمًا كُلُّ مَوْضُوفٍ بِهَا  
لَيْسَ الْإِلَٰهُ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ
- ١٦٠٩ - فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ  
بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدِّيَانِ
- ١٦١٠ - لَكِنَّهُمْ عُبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى  
هَذَا الْمَعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ
- ١٦١١ - وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمَعْطَلُ كُفْرَهُمْ  
هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانَ
- ١٦١٢ - هَذَا رَأْيَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ  
نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ
- ١٦١٣ - وَلَا يَشَيْءٍ لَمْ يُحْذِرْ خَلْقَهُ  
عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ
- ١٦١٤ - هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ  
حَتَّى يُحَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ

المقالة ويعيدها ويكررها في كتابه في أسلوب واضح صريح مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تقبل تأويلاً، وقوله: ذو البهتان - أي - الكذب والافتراء واتهام الغير بما ليس فيه - وقوله: ذو الوجد بضم الواو: بمعنى الغنى. والتفاهم الزيادة والاشتهار.

١٦١٥ - وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدْتَ أَفَاضِلَكُمْ لَهَا

بِظُهُورِهَا فِي الْوَهْمِ لِلْإِنْسَانِ

١٦١٦ - وَخَفَاءَ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ عَلَى الـ

أَذْهَانَ بَلْ يَحْتَاجُ لِلْبُرْهَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

إن هذا الفصل هو الثامن عشر في الدلالة على علو الله عز وجل ووجه ذلك باختصار: إن الله سبحانه وتعالى نزه نفسه عن كل نقص وعيب، وذكر المؤلف أمثلة على ذلك والعلو عند هؤلاء القوم نقص وعيب فلماذا لم ينزه نفسه عنه في آية واحدة في القرآن مع أن من الأشياء التي نزه الله نفسه عنها انقسمت إلى ثلاثة أقسام: قسم لم يقل به أحد، وقسم قال به أفراد، وقسم قال به طوائف وكلها نفاها الله عن نفسه، لكن علو الله من الذي قال به؟ كل الخلق قالوا بعلو الله ولم ينزه نفسه عنه مرة واحدة فدل هذا على أن العلو صفة كمال لا صفة نقص وإلا لو كان صفة نقص - كما يزعم هؤلاء - لبينه الله عز وجل ونفاه عن نفسه وهذا استدلال خفي يخفى على كثير من الناس كيف نقول: إن نفي النقائص عن الله تدل على ثبوت علوه؟ وجهه لو كان العلو نقصاً كما ذكرتم لنزه الله نفسه عنه.

هَذَا وَثَامِنُ عَشْرَهَا تَنْزِيهُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ النَّقْصَانِ

فهو منزّه عن كل شيء يوجب النقص ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

(١) [١٦٠٦:١٦١٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: كيف ينزه الله نفسه عن تلك المقالة مع أنها عندكم أشنع المقالات فهي مساوية لعبادة الأوثان، أو هي كمقالة النصرى المثلثة المشركين عباد الصليب إذ كان كل موصوف بها عندكم جسماً، ويستحيل أن يكون الإله جسماً فالعابدون لمن استوى على العرش بذاته ليسوا بعبادين لله عز وجل عندكم ولكنهم عباد أوثان ولهذا حكمتهم عليهم بالكفر في كتبكم وقتلتم إن هذا هو مقتضى العقل والبرهان، فمقالة هذا شأنها كيف يسكت الله عز وجل عنها ولا يحذر خلقه منها مع أن فسادها ليس بيّن في نفسه حتى تحال معرفته على العقول، ولهذا قد اعترف فضلائكم بأنها أظهر وأوضح للوهم أو لما سميتموه وهما وأن مذهبهم في النفي من الأمور التي تخفى على الأذهان فهو محتاج إلى البرهان.

في ستة أيام ﴿ وهذه تحتاج إلى قدرة وقوة ﴾ ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] هذا نفي للنقص فقال:

وَعَنِ الْغُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمثِيلِ وَالْتَشْبِيهِ جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

قال النبي عليه الصلاة والسلام في الدجال: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ» والعيوب، وعن مقتضى التشبيه والتمثيل قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ والتشبيه هنا المراد به التمثيل لا مطلق التشبيه كما مر علينا كثيرا (جل الله ذو السلطان).

وَلِذَاكَ نَزَرَهُ نَفْسُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ ثَانٍ

لقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانٍ

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَاهِرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢] أي: من معين (سبحانه عن إفك ذي بهتان).

أَوْ أَنْ يُوَالِي خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

يعني: أنه ليس له ولي من الذل كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ ﴾ أما ولي من العز والإكرام فله أولياء ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وذلك لكمال سلطانه فلا أحد يتكلم ولو بالشفاعة التي فيها نفع للغير إلا بإذنه.

وَكَذَاكَ نَزَرَهُ نَفْسُهُ عَنِ الْوَالِدِ وَكَذَاكَ عَنِ وَلَدِهِ هُمَا نَسَبَانِ

فقال تعالى: ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ ﴾.

وَكَذَاكَ نَزَرَهُ نَفْسُهُ عَنِ زَوْجَةٍ

كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ [الأنعام: ١٠١] (وكذاك عن كفؤ) لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

وَلَقَدْ أَتَى التَّنْزِيَهُ عَمَّا لَمْ يُقَلَّ كَي لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ

يعني: أتى التنزيه عن شيء لن يمكن ولم يقل به أحد مثل قوله:

فَانظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طَعْمٍ وَلَمْ يَنْسَبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ

قال هو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ (ولم ينسب إليه قط من إنسان) يعني: ليس أحد من الناس قال: إن الله يأكل ويمع ذلك قال: ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ هذا من القسم الأول الذي ذكرنا منذ قليل.

وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ مَوْتٍ وَعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَّةٍ وَعَنْ غَشْيَانٍ

كل هذا منزّه عنه عز وجل.

وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نَسْيَانِهِ وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نَسْيَانٍ

قال تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] (والرب لم ينسب إلى نسيان) يعني: لا

أحد من الناس قال: إنه ينسى ومع ذلك نزه نفسه عنه.

وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظُلْمٍ وَفِيهِ أَلْ أفعالٍ عَنِ عَبَثٍ وَعَنْ بَطْلَانٍ

قال تعالى: ﴿وَلَا يظلمُ رَبُّكَ أحداً﴾ [الكهف: ٤٩]، (وفي الأفعال عن عبث وعن بطلان)

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً﴾ [ص: ٢٧]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا لَعِيبَةً﴾ [الأنبياء: ١٦].

وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ

قوله: (عَنْ تَعَبٍ) لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، (وعن عجز) لقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِعُجْرَةٍ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤] ينافي قدرة الرحمن.

إذن نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه في هذه الآيات ما قيل وما لم يقل، إذن الذي مر

معنا الآن قسمان: قسم: قيل فنفاه الله مثل الولد ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ

النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ونفى الله، الذي لم يقل مثل: الطعام،

والموت، والظلم، والنسيان وما أشبه هذا نفاه الله عن نفسه.

وهناك شيء قيل لكن قاله أفراد:

وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلَا قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ

قوله: (فِنْحَاصُ) قدم اليهود.

قال:

إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْدُ حَابُ الْغِنَى ذُو الْوُجِدِ وَالْإِمْكَانِ

قوله: (والجد) يعني: الحظ والإمكان (والوجد) يعني: الكثرة والغنى وهذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وَلِذَلِكَ أَضْحَى رَبَّنَا مُسْتَقْرِضًا أَمْوَالَنَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

قالوا: إن الله فقير لأنه طلب منا القرض فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١] الذين قالوا هذا إنما هم أفراد ثم قال المؤلف:

وَحَكَى مَقَالَةً قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الْغَزِيرَ ابْنَ مَنْ الرَّحْمَنِ

هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالَةً مَنْصُورَةً فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانٍ

يعني: أن هذا القول لم يسمعه أحد فما قاله إلا أفراد من الناس وأما العلو فقاله كل الناس فكل الفطر تشهد به فهو موصول في كل زمان ومكان ولهذا قال:

لَكِنَّ مَقَالَةً كَوْنَهُ فَوْقَ الْوَرَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَغَدَّتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

فَلَأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يَنْزِهِ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

عَنْ ذِي الْمَقَالَةِ مَعَ تَقَائِمِ أَمْرِهَا وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ

فصار تقرير هذا الدليل أن يقال: إن العلو الذاتي عندكم صفة نقص وإذا كان صفة نقص مع ظهوره وانتشاره وأنه طبق الأرض شرقاً وغرباً فلماذا لم ينزه الله نفسه عنه مع أن الله سبحانه وتعالى ينزه نفسه عن العيب الذي قيل والعيب الذي لم يقله.

بَلْ دَائِمًا يُبْدِي لَنَا إِثْبَاتَهَا وَيُعِيدُهُ بِأَدْلَةِ التَّبْيَانِ

ييدي لنا إثبات العلو ويعيده على وجوه متنوعة مثل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

[الأعلى: ١] وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

[الأنعام: ١٨] وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] والأدلة متنوعة في القرآن والسنة

فكيف يبدي ويعيد في إثبات هذه الصفة وهي على زعمكم نقص؟ مع أن صفات النقص ينفيها عن نفسه حتى التي لم تُقل خوفاً من أن تدور في الذهن.

يقول:

لَأَسِيْمًا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

يقولون: إن الذي يقر بعلو الله يعبد الوثن لأن الإقرار بالعلو إلتزام بأن الله جسم فأنت تعبد جسمًا مثل الذي يعبد اللات والعزى فالذي يوقن بالعلو مشرك - والعباد بالله - لأنه عبد جسمًا ولهذا قال (لاسيما تلك المقالة عندكم مقرونة) يعني لاسيما وأن تلك المقالة مقرونة بعبادة الأوثان (أو إنها كمقالة لمثلث عبد الصليب) وهذا هو المشرك النصراني، وعلى النصراني لعنة الله إلى يوم القيامة حيث يقول: إن الله ثالث ثلاثة ويقولون إنه موحد لأن الثلاثة صاروا واحدًا سبحان الله من قال إن الثلاثة تكون واحدًا؟ لا يمكن هذا، ولكن لجهلهم لأنهم ظالمون كما قال الله عنهم.

إِذ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا لَيْسَ الْإِلَهِ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ

قوله: (إذ كان جسمًا كل موصوف بها) أي بالعلو (ليس الإله منزل الفرقان) يعني أن كل موصوف بالعلو فهو جسم على زعمهم فإذا كان جسمًا فالذي يعبد هذا الجسم كالذي يعبد الوثن.

فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
لَكِنَّهُمْ عُبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى  
وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ  
هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبِرْهَانِ

يعني: أن المعطل ينكر علو الله ويقول: إن كفر المقرين بعلوه (هو مقتضى المعقول والبرهان) يعني: دل عليه العقل والنقل.

هَذَا رَأْيُنَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ  
وَلَأَيِّ شَيْءٍ عِلْمٌ يُحْذِرُ خَلْقَهُ  
نَكْذِبُ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ  
عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ

قوله: (ولأي شيء علم يحذر خلقه) يعني: هذه المقالة وهي مقالة العلو.



وقوله: (وهذا شأنها ببيان) يعني أن: شأنها على زعمكم خطير جدًا لأنها هي الكفر.

هَذَا وَلَيْسَ فَسَادَهَا بِمُبَيِّنٍ حَتَّى يُحَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني أن: الله تعالى لم يبين فسادها على زعمهم بل أحالها على الأذهان وجعلها هي التي تحكم على أنها صفة نقص أو صفة مدح.

وَلِذَلِكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَهَا بِظُهُورِهَا لِلْوَهْمِ فِي الْإِنْسَانِ

وَخَفَاءُ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ عَلَى الـ أَذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلْبُرْهَانِ

يعني أن: أفاضل هؤلاء قالوا: إن دلالة الأدلة على العلو أظهر وأبين من الأدلة على عدم العلو بل نحن نقول: لا أدلة بل لا دليل واحد على نفي صفات العلو.





## فصل

- ١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعُ عَشْرَهَا إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَادَ لِأَزْمِ بَيِّنَاتٍ
- ١٦١٨- وَفَسَادُ لِأَزْمِ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضٍ لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ
- ١٦١٩- فَسَلِ الْمَعْطِيلَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبَطْلَانِ
- ١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ أَكَّانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ
- ١٦٢١- أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا كُلَّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْحَوَانِ
- ١٦٢٢- أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟
- ١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَضْتُ هَذِي الثَّلَاثَةَ فِيهِ كَأَمَلَةٍ مَبْرَأَةٌ مِنَ التَّقْصَانِ
- ١٦٢٤- فَالْأَيُّ شَيْءٍ عَاشَ فِيْنَا كَاتِمًا لِلتَّقِيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ
- ١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ ال

إفصاح موضحاً بكل بيان<sup>(١)</sup>

١٦٢٦- وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يُصْرَحِ بِالذِّي

صَرَّحْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٢٧- أَلِعْجَزِهِ عَنِ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ

فِي النَّصْحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟

١٦٢٨- حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفِكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ

عْطِيلِ لَا الْمَبْغُوثِ بِالْقُرْآنِ

١٦٢٩- وَلَايَ شَيْءٍ كَانَ يَذْكُرُ ضِدًّا ذَا

فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ

١٦٣٠- أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ «اس-

تَوَلَى» وَيَنْزِلُ «أَمْرُهُ» وَ«فُلَانٍ»

(١) [١٦١٧: ١٦٢٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذا هو الوجه التاسع عشر ويقوم على إلزام أهل التعطيل بأحد لوازم ثلاثة كل منها في غاية الفساد، ولا شك أن فساد اللازم يقتضي عقلاً فساد الملزوم فيسأل هذا المعطل أولاً: هل تعتقد أن الرسول ﷺ كان يعرف ربه حق المعرفة، وأنه لا أحد من الخلق يمكن أن يكون علمه بالله عز وجل مساوياً لعلم رسوله به أم لا؟

ثم يسأل ثانياً: هل كان هذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه في غاية النصح لأُمَّته والحرص على هدايتهم، أم كان غاشاً لهم كما تم عنهم ما يجب أن يعلموه من أساء ربه وصفاته؟

ثم يسأل ثالثاً: هل كان هذا الرسول في أعلى درجات البلاغة والقدرة على البيان والإفهام، وأن الألفاظ والمعاني كانت تسلس له قيادها، فلا يستعصى عليه شيء منها أم لا؟

فإذا كانت هذه الأمور الثلاثة من العلم وإرادة البيان والقدرة عليه قد كملت فيه غاية الكمال، بحيث لا يمكن أن يساويه أحد من الخلق في واحد منها، ولا أن تجتمع لأحد من الخلق كما اجتمعت له، فلاي شيء إذا عاش طول حياته كما تمأ لما يجب اعتقاده من النفي والتعطيل في زعمكم، بل لأي شيء عاش مفصلاً عن ضد ذلك من الإثبات غاية الإفصاح، ومبيناً له أوضح البيان.

إن مذهبكم في التعطيل يقتضي واحداً من هذه الثلاثة، إما نفي علم الرسول بما يجب لله من تنزيه وتقديس، وإما كتمان ذلك عن أُمَّته غشاً وتليساً، وإما عدم قدرته على بيان ذلك وإيضاحه، فأبي واحد منها إذا تختارون لتسجيلوا على أنفسكم أشنع الكفر والبهتان.

١٦٣١ - وَيَقُولُ «أَيْنَ اللَّهِ؟» يَعْنِي «مَنْ» بِلَفْظِ

ظِ «الْأَيْنِ» هَلْ هَذَا مِنْ التَّيْبَانِ؟

١٦٣٢ - وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيْمَةَ كُلَّ مَا

قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

١٦٣٣ - لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ

ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

١٦٣٤ - وَغَدَتْ بِصَائِرِهِمْ كَحَفَاشٍ أَتَى

ضَوْءُ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ

١٦٣٥ - حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ

أَبْصَرَتْهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانٍ<sup>(١)</sup>

(١) [١٦٢٦ : ١٦٣٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: إذا كان ما تقولونه من التعطيل ونفي الصفات هو الحق الذي يجب اعتقاده، فلاي شيء لم يصرح به الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما صرحتم أنتم به في حق الله عز وجل، ولا بد أن يكون ذلك لأحد الأمور الثلاثة التي قدمناها: إما لعجزه وعدم التعبير والإفصاح عن ذلك وحاشاه، فهو أكمل الخلق بلاغة وأقدرهم على أداء أي معنى بما يناسبه من الألفاظ، وإما لتقصيره في النصح لأئمة وقصده إلى غشهم والتلبس عليهم، وحاشاه فهو الأمين الذي ائتمنه الله على وحيه، فلا يعقل منه كتمان لشيء من ذلك أو تبديل، وإما لخفاء هذا الشأن عليه وعدم ظهوره له، وحاشاه فهو أعلم الخلق بما يجب لربه عز وجل وما يجوز وما يمتنع، لا يخفى عليه شيء من ذلك في النفي والإثبات، بل أنتم يا جماعة التعطيل والإنكار أولى بهذه الأوصاف، فأنتم أجهل الناس بالحق وأقصرهم تعبيراً وأداءً وأغشهم لناصح، وأما الرسول فبراء من ذلك.

وإذا كان ما تقولونه من التعطيل هو الحق، فلاي شيء كان الرسول ﷺ يذكر ضده ويصرح به في كل مجتمع وزمان، هل ترونه كان عاجزاً عن قوله استولى بدلاً من استوى، أو عاجزاً عن قوله ينزل أمر ربنا بدلاً من قوله ينزل ربنا إلخ، ولا سيما إذا كانت الألفاظ التي نطق بها موقعة في اللبس والإيهام، ولأي شيء عبتم على الأئمة أقوالهم، وهم لم يقولوا غير ما قاله الرسول بلا تبديل ولا كتمان، لكن عقول أهل زمانهم القاصرة ضاقت عن فهم دقائق ذلك العلم وعجزت عن حل أسرارها، فهي أشبه شيء بالخفاش الذي لا يبصر ولا يطير إلى في الظلام، حتى إذا طلع عليه النهار كف عن الطيران لعجزه عن الإبصار.

١٦٣٦- وَكَذًا عُقُولُكُمْ لَوْ اسْتَشَعَرْتُمْ

يَا قَوْمُ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفِئْرَانِ

١٦٣٧- أُنِسْتَ بِبَيْحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا

بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ

١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مَعْطَلٌ

لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ

١٦٣٩- لَزِمْتَكُمْ شُنْعَ ثَلَاثٍ فَارْتَوُوا

أَوْ خَلَّةً مِنْهُنَّ أَوْ ثِتَّانِ

١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نَصِحِهِمْ

أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمَّكَانِ؟

١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ

ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا

ضِدَّانٍ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا

وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ

١٦٤٤- إِمَّا عَلَى «جَهْمٍ» وَ«جَعْدٍ» أَوْ عَلَى «الذِّ

ظَامِ» أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ<sup>(١)</sup>

(١) [١٦٣٦ : ١٦٤٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: كما عجزت عقول أسلافكم في النفي والتعطيل عن رؤية الحق الواضح في كلام الله ورسوله، وسلف هذه الأمة من أئمة الهدى والعلم، فكذلك عقولكم مثل عقولهم في الغمّة والضلال، فهي لا تأنس إلا بظلم التعطيل والتأويل، ولا قدرة لها على مطالعة نور الحق الواضح الصريح. ولو كان حقًا ما تقولونه أيها المعطلة النافون لعلوه تعالى ولسائر صفاته لزمكم أن تكونوا أعلم بهذا



١٦٤٥ - وَكَذَٰكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَفَعُ الْفَلَآ

ضُمَّمْ وَبِكُمْ تَابِعُوا الْعُمَيَّانِ

١٦٤٦ - وَكَذَٰكَ أَفْرَاحُ الْقَرَامِطَةِ الْأَلَى

قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

١٦٤٧ - كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأَلَى وَالْوَهُمْ

كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سِنَانِ

١٦٤٨ - وَكَذَا ابْنُ سَيْنَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْلِ

بَيْتِ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ وَالكُفْرَانِ

١٦٤٩ - وَكَذَٰكَ أَفْرَاحُ الْمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ

وَالصَّابِئِينَ وَكُلُّ ذِي بُهْتَانِ

١٦٥٠ - إِخْوَانُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ

لَا مَرَجَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup>

الشأن من الله ورسوله، أو أخلص في النصيح للأمة أو أقدر على التعبير والبيان، فهل يمكن أن تلتزموا واحدة من هذه الشئع الثلاث أو كلها؟ وهل يقبل هذا عقل عاقل، ولو كان حقاً ما تقولونه لزم أن لا يكون الوحي والقرآن مصدر هداية للناس، بل مصدر ضلال وتلبيس، فإنها قد جاءت بصريح الإثبات الذي هو ضد ما قلتم من النفي والتعطيل، ولا يمكن أن يجتمع الضدان، فلو فرض أن ما جئتم به هو الحق لزم أن يكون الوحي والقرآن باطلاً .. ووجب أن يحال الناس في العلم بالله وصفاته على ما قاله الجهم بن صفوان الترمذي والجمع بن درهم أو على ما قاله إبراهيم النظام المعتزلي صاحب القول بالطفرة أو على ما قاله ابن سينا صاحب المذهب اليوناني.

(١) [١٦٤٥ : ١٦٥٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

ووجب أن يحال أيضاً في هذا الشأن على أتباع هؤلاء الضلال كأنهم فقع الفلا والفقع هو البيضاء الرخوة من الكمأة، وهو نبات ينبت في الصحراء على مياه الأمطار يشبه البطاطس ويحبه البدو كثيراً. والمراد تشبيه هؤلاء بالفقع في كونهم يعيشون في متاهات الضلال كما يعيش الفقع في الفلوات. ثم أخبر عنهم كذلك بأنهم تابعون لعيان لا يبصرون، فلهذا كانوا صمًا وبكمًا في الظلمات، ووجب أن يحال كذلك على أفراخ القرامطة أتباع قرمط المجاهرين بالعدوان لله ورسوله، من أمثال الحاكمة أتباع الحاكم بأمر الله الفاطمي الذين اعتقدوا إلهيته ولا يزالون يعبدونه إلى اليوم في جبال سوريا ولبنان،

١٦٥١- أَمَّنْ حَوَالَتَهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَال-

وَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٥٢- كَمْخَيَّرِ أَضَحَتْ حَوَالَتَهُ عَلَى

أَمْثَالِهِ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبَةً بِمُصَابِهِ

وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قَفْلَانِ

١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ

قُفْلُ التَّعْصَبِ كَيْفَ يَنْفَتِحُ

١٦٥٥- وَمَفَاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّ-

ضْرِيْفُ شُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتَحَ الْقَفْلِ مَجْتَهِدًا عَلَى ال-

أَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ<sup>(١)</sup>

ويسمون بالدروز، وكذلك من والاهم وتشيع لهم، مثل أبي سعيد، وآل سنان، وهي أسرة كانت تحكم خراسان، وفي ظلها نشأ ابن سينا القرمطي والنصير، وهذا هو نصير الدين الطوسي شارح الإشارات لابن سينا، والمحصل للرازي، وكذلك أتباع المجوس عبدة النار وأشباههم والصابئة عبدة النجوم والكواكب وكل ذي فرية وبهتان كلهم إخوان إبليس وجنده وأعوانه في الإغواء والإضلال فلا مرحبًا بعساكر الشيطان أعداء الرحمن.

(١) [١٦٥٦: ١٦٥٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولكن كيف يستوي من حوالتة على الوحي المنزل في محكم القرآن وصحيح السنة ومن هو حائر ضال يحال على أمثاله في الحيرة والضلال، أم كيف يشعر هذا التائه الضال بمصابه، وقد جعل على قلبه قفلان يمنعان نور الحق من النفوذ إليه، أحدهما قفل الجهل المركب الذي هو جهله بأنه جاهل، والآخر قفل التعصب الأعمى الذي يحمل صاحبه على الحمية الجاهلية لما هو عليه من الباطل، فكيف يفتح هذان القفلان، إلا أن يشاء الله الذي بيده قلوب العباد يقربها كيف شاء، فليسأل العبد أن يفتح أقفال قلبه حتى يبصر الحق ويرى النور، ولكن كل مفتاح له أسنان، فما لم يجتهد العبد في تحصيل الأسنان لم يتم له ما أراد، ولعل مراده بالأسنان هنا النظر الصحيح في الأدلة مع الانصياع لما تهدي إليه من الحق في غير تعصب ولا تقليد.

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَتَاسِعُ عَشْرَهَا إِزَامٌ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَدَ لِأَزْمٍ بَيِّنَانٍ

قوله: (هذا وتاسع عشرها) ويجوز وتاسع عشرها ويجوز وتاسع عشرها.

وقوله: (الإزام ذي التعطيل أفسد لازم بيان) يعني: يحاج صاحب التعطيل الذي أنكر علو الله سبحانه وتعالى بالإلزام.

وَفَسَادٌ لِأَزْمٍ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضٍ لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ

لقوله: (وفساد لازم قوله هو مقتضى لفساد ذلك القول) القاعدة المقررة عند جميع العقلاء أن فساد اللازم مقتضى لفساد الملزوم ولهذا نقول لكل إنسان يلزم من قولك كذا وهذا لازم فاسد فيدل على فساد قوله وجه ذلك:

فَسَلِ الْمَعْطَلُ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

مَاذَا تَقُولُ أَكَّانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ

يعني: سأل المعطل وقل له: إن الرسول ﷺ لما وصف ربه بالعلو، هل كان يعرف ربه؟ هذا المعطل يجيب إما أن يقول: نعم، أو يقول: لا إن قال: لا فقد آذن على نفسه بالكفر، وإن قال: يعرفه، نقول: (هل كانت نصيحته لنا كل النصيحة ليس بالخوان أم لا؟) إن قال: خائناً فقد كفر، وإن قال: ناصحاً نقول: (وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعان) يعني أم لا؟ إذا قال إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان ناصحاً، قل له أكان فصيحاً أم عيباً؟ يعني أنه يريد معنى لا يطوعه فيه اللفظ؛ لأن العيب هو الذي يريد المعنى ولكن لا يطوعه اللفظ دائماً فيكون الإنسان في قلبه شيء لكن عاجز أن يعبر عنه، فسله هل النبي ﷺ فصيح أم لا؟ ما أظنه سيقول عيب بل سيقول إنه فصيح، إذاً اجتمع في كلامه العلم والنصح والبلاغة هذه ثلاثة أمور إذا اجتمعت وجب العمل بمقتضى قوله، إذاً هذه الثلاثة فيه كاملة مبرأة من النقصان.

فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَمَا مِلَّةٌ مِبْرَأَةٌ مِنَ النُّقْصَانِ

فَلَا يَشَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا لِلتَّقْيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ



أي: قل له إذا كانت هذه الثلاثة كلها تامة في حقه - أعني العلم والنصح والبيان - فلماذا يكتفم ما كان يعرفه عن الله عز وجل بل على الرغم من ذلك كان يفصح بخلافه ولذلك قال:

بَلْ مُفْصِحًا بِالضِدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً الـ إِفْصَاحٌ مُوَضَّحَةٌ بِكُلِّ بَيَانٍ

هل النبي عليه الصلاة والسلام قال للناس يوماً من الدهر إن ربكم ليس فوقكم بل كان بالعكس، فبالضد يفصح ويبين في كل موضع بأنه فوق كل شيء.

وَلَأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِالذِّى صَرَّحْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ  
وهم قد صرحوا بالتعطيل فنفوا الكمال في العلو وما صرحوا به يوماً من الدهر.  
أَلْعَجَزَهُ عَنِ ذَاكَ أَمْ تَصِيرُهُ فِي النَّصْحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟

كل هذه الثلاث متنتية فهو ليس بعاجزٍ عن الإفصاح به لأنه أفصح الخلق وليس مقصراً في النصح؛ لأنه أنصح الخلق وليس خافياً عليه هذا؛ لأنه أعلم الخلق.

حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصَفُكُمْ يَا أُمَّةَ اللَّهِ عَطِيلٌ لِأَلْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

هذا الضمير يعود على هذه العيوب الثلاثة العجز أو التقصير أو الخفاء ولكن الغالب على أهل التعطيل هو التقصير وعدم البحث والنظر في العدل.

قوله: (لا المبعوث) يعني لا المبعوث بالقرآن.

وَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَذْكُرُ ضِدًّا ذَا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ  
ضد التعطيل أي: تعطيل علوه كان دائماً ضده.

أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ «اسـ سَوَّلَى» وَيَنْزِلُ «أَمْرُهُ» وَ«فُلَانٍ»

قوله: (قوله استولى) بدل استوى فالذي يقول استوى يستطيع أن يقول استولى فهو ليس بعاجز عنه.

وقوله: (وينزل أمره وفلان) ينزل أمره هذا في تحريفهم لحديث النزول «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»<sup>(١)</sup> قالوا: إن الذي ينزل أمر الله، وبعضهم قال: الذي ينزل ملك من الملائكة



وهذا معنى قوله (وفلان) فهل الرسول ﷺ لما قال: «ينزل ربنا» هل هو عاجز أن يقول: ينزل أمره؟ أبدًا ليس بعاجز، وهل هو عاجز أن يقول: ينزل ملك من الملائكة إلى السماء الدنيا؟ لا، فلماذا لم يقل هذا؟ لماذا لم يقل أمره؟ لماذا يأتي بكلمة موهمة للكفر على زعمهم؟ هذا شيء مستحيل.

وَيَقُولُ: «أَيْنَ اللَّهِ؟» يَعْنِي «مَنْ» بِلَفْظِ «الْأَيْنِ» هَلْ هَذَا مِنَ التَّبَيُّانِ؟

يقصد قول النبي ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهِ؟»<sup>(١)</sup> يعني: - على زعمهم - هو يريد أن يقول للجارية: من الله؟ فتقول الله خالق كل شيء، لكن قال ﷺ: «أين الله» يريد من الله؟ سبحان الله! أيها أسهل (من) أم (أين؟) من حرفان وأين ثلاثة حروف (ومن) أدل على المقصود من أين إذا كان يريد أن يسأل من الله؟

وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيْمَّةَ كُلَّ مَا قَدَّ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

صدق رحمته: الأئمة ما قالوا كل ما قاله الرسول؛ لأن كثيرًا من الناس يخفى عليه كل ما قاله الرسول وياحبذا أمره إذا كان يعرف أكثر ما قاله الرسول، أما أن يعرف كل ما قاله الرسول فهذا شيء بعيد ولهذا قال:

وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيْمَّةَ كُلَّ مَا قَدَّ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ضَاوَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

صحيح فالأئمة جبهوا بمبتدعة معطلة ممثلة من كل عيب فكانوا يحدثون الناس بما يعرفونه ويوافق عقولهم ولهذا قال:

لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ضَاوَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وَعَدَّتْ بَصَائِرُهُمْ كَحَفَاشٍ أَتَى ضَوْءَ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ

الحفاش: طائر لا يطير إلا بالليل فإذا جاء النهار توقف ولهذا قال:

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ

وَكَذَا عُقُولُكُمْ لَوْ اسْتَشَعَرْتُمْ يَا قَوْمُ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفُئْرَانِ

أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا بِمَطَالِحِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ

الحشرات ما تخرج إلا في الليل غالباً لأن النهار يوحشها وتخاف منه فتندس في جحورها فإذا جاء الليل انتشرت، والفئران لا تخرج وهي تسمع صوتاً في المكان أبداً وإن اضطرت للخروج خرجت بسرعة، لكن إذا غاب الناس عن المطبخ وجدتها تطلب الخبز والكيء وكل شيء؛ لأنه ليس حولها أحد فهي لا تعيش إلا في الانفراد.

أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا  
لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مَعْطِلٌ  
لِغُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ  
لَزِمْتَكُمْ شُنْعَ ثَلَاثٍ فَارْتَوُوا  
أَوْ خَلَّةً مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ  
أَوْ فِي الْبَيَانِ أَدَاكَ ذُو إِمْكَانِ؟

يعني: لو الحق فيما قال هؤلاء المعطلة للزم أن يكونوا أعلم بالله من رسوله؛ لأن الرسول أثبت وهم نفوا، وعلى فرض أن الحق معهم فلذا لزم أن يكونوا أعلم بالله من رسول الله، ولزم أن يكونوا أنصح لعباد الله من رسول الله، ولزم أن يكونوا أفصح في التعبير من رسول الله. وحينئذ نقول: الحق إما فيما قلتم أيها المعطلة أو فيما قاله الرسول ﷺ فإن كان فيما قاله الرسول، فأنتم على باطل يجب أن تتركوه، وإن كان فيما قلتم لزمكم هذه اللوازم الثلاث وهي: أن يكونوا أعلم بالله من رسول الله، وأنصح لعباد الله من رسول الله، وأبين في التعبير من رسول الله ﷺ وكل هذه لا أحد يقول بها.

إِنْ كَانَ مَا قَدْ قَلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

لو كان ما يقولون حقاً لكان الوحي يعني: السنة والقرآن ضلالاً، فينزل ربنا إلى السماء الدنيا هذا في السنة وظاهر الحديث أنه نزول ذاته لكن هم يقولون: إن من أثبت الله نزول ذاتٍ فقد كفر، إذاً تكون السنة مدلولها الكفر، وكذا استوى على العرش هذا في القرآن يعني: أن الله عز وجل بذاته استوى على العرش استواءً يليق به تبارك وتعالى ولكن هم يقولون: لو فسرنا استوى بمعناها الظاهري للفظها لكان هذا كفر، فعلى زعمهم يكون القرآن مدلوله كفر، فانظر إلى هذا القول الخبيث الذي يقتضي أن يكون مدلول كلام الله

ورسوله كفرًا ولهذا قال:

إِنْ كَانَ مَا قَدْ قَلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ  
إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ  
بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ

قوله: (بل كان أولى أن يعطل منهما) أي: من الكتاب والسنة.

وقوله: (إما على جهم) إلى آخر ما ذكر يعني: على هذا نقول: الأولى بالناس ألا يأخذوا عقيدتهم في ربهم من كتاب الله وسنة رسوله ولكن يأخذوها بعقولهم. إما على جهم أو على النظام أو بالمذهب اليوناني إلى آخره.

وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ لَهُمْ فَفَعُ الْفَلَا ضُمَّ وَبِكُمْ تَابِعُوا الْعُمَيَانَ

قوله: (أتباع لهم ففعع الفلا): جمع فلاة، والفقع معروف فهو كمئة لينة رقيقة تداس بالأرجل فتفسد، ويضرب بها المثل لكل إنسان لا يصبر ولا يقاوم، ويقال: أنت فقع فلاة يعني: كمئة رقيقة لا تتحمل.

فهؤلاء (فقع الفلاة صم وبكم تابعوا العميان) فهم بين أصم وأبكم يقودهم أعمى الدلالة، والحاصل أن الكل ضائع والعياذ بالله.

وَكَذَلِكَ أَفْرَاخُ الْقِرَامِطَةِ الْأَلَى قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

قوله: (أفراخ) جمع فرخ وهو ولد الطير الصغير، ومعلوم أن الفرخ يضرب به المثل في الضعف والمهانة فهؤلاء أفراخ القرامطة.

وقوله: (القرامطة) أصحاب رجل يقال له: قرمطي رجل مذهبه مذهب باطني خبيث حصل منه عدوان خطير والعياذ بالله على المسلمين حتى إنه دخل مكة في أيام الحج وقتل الناس وهم يطوفون بالكعبة وجرهم ووضعهم في بئر زمزم فأفسد مائها وأخذ الحجر الأسود ونصبه على بيت له في الأحناء من أجل أن يحج الناس إليه ويدعوا الكعبة وبقي عنده هناك نحو اثنتين وعشرين سنة وهو يستولي عليه حتى أنقذه الله منه، فهؤلاء القرامطة من أشد الناس عداوة للمؤمنين.

كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأَلَى وَالْوَهُمُ كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سِنَانٍ  
 قوله: (الحاكمية) أتباع الحاكم العبيدي الذي حكم مصر وادعى أنه من ذرية الرسول  
 عليه الصلاة والسلام وقصته معروفة يمكن الرجوع إليها في التاريخ.  
 وقوله: (والألى والوهوم كأبي سعيد ثم آل سنان) كل هذه أسماء يمكن أن يرجع إليها في  
 شرح ابن عيسى.

وَكَذَا ابْنُ سَيْنَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْد  
 لِ الشَّرِكِ وَالتَّكْذِيبِ وَالكُفْرَانِ  
 وَكَذَاكَ أَفْرَاحُ المَجُوسِ وَشِبْهُهُمُ  
 وَالصَّابِثِينَ وَكُلُّ ذِي بُهْتَانِ  
 إِخْوَانِ إبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ  
 لَأَمْرَجَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

هؤلاء الجماعة يشدد ابن القيم رَحْمَتَهُ فِيهِمْ؛ لأنهم أساءوا للإسلام أعظم إساءة ليس في  
 الأعمال البدنية لكن في الأمور العقدية فأفسدوا عقيدة الناس حتى إن الذي يعتقد ما قالوه  
 يصبح الرب عز وجل عنده عدماً ليس بشيء.

أَفَمَنْ حَوَّالَتْهُ عَلَى التَّزْيِيلِ وَالـ  
 سَوْحِي المَبِينِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ  
 كَمُحَيَّرٍ أَضْحَتْ حَوَّالَتْهُ عَلَى  
 أَمْثَالِهِ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

لا شك أنه ليست هناك هداية لهذا المحير ولهذا على أمثاله فكيف يستوي مع أهل  
 الكتاب والسنة؟ لا شك أنه لا يستوي من إحالته على الكتاب والسنة مع من إحالته على  
 متحير مثله، وتحير أهل الكلام معلوم مع إقرار رؤسائهم كما قال الرازي وهو من  
 رؤسائهم: (لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضع  
 كف حائر على بقنٍ أو قارعاً في المنادم) يعني: أنه طاف على جميع المعالم أي: أهل الكلام  
 فوجدهم على قسمين: واضع كف حائر على بقن، أو قارعاً في المنادم، هذا قاله غير الرازي،  
 وقال أيضاً: قولٌ آخر نهاية إقدام العقول عقلاً، وأكثر سعي العالمين ضلالاً، وأرواحنا في  
 وحشة من جسامنا، وغاية دنياننا ألم ووبال، ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا  
 فيه قيل وقال. انتهى.

هذا الذي بحثوا فيه طول عمرهم جمعوا قيل كذا وقال كذا وقال الآخر كذا وقال

الثالث كذا وقال الرابع كذا وهكذا فذهب على كل حال تجدهم حيارى كما قال ابن القيم:

أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبُهُ بِمُضَابِهِ      وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ  
قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ      قُفْلُ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحُضَانِ  
وَمَفَاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّ      صَرِيْفُ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

جهل مركب وتعصب مقيت فلو أتيت إلى عامي تحدّثه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وله شيخ متبوع يحمله ويقدره وهذا الشيخ يخالف ما قلته ستجده يقول: أنت جاهل، الشيخ الفلاني يقول كذا وكذا؛ فهذا جهل مركب ومعه تعصب، فإذا اجتمع الجهل المركب والتعصب فإنه يبعد جداً أن يهتدي من اتصل بهما قال:

وَمَفَاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّ      صَرِيْفُ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

وهو الله عز وجل مفاتيح الأقفال بيده سبحانه وتعالى فلا تتجه لسواه ولا تعتمد على نفسك ولا تقل أنا على بصيرة فلن يضلني أحد، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر من سمع بالدجال أن ينأى عنه فإن الرجل يأتيه فيرى أنه مؤمن لكنه يزيغ بما معه من الشبهات فلا تعتمد على الغير واسأل الله دائماً الثبات<sup>(١)</sup> واسأل الله دائماً الازدياد ولا تعتمد إلا على الله ولهذا قال:

فَاسْأَلُهُ فَتَحَ الْقُفْلِ مَجْتَهِدًا عَلَى الـ      أَسْنَانَ إِنْ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ

يعني: اسأل الله دائماً أن يفتح قلبك وأن يعينك على الأعمال الصالحة التي هي أسنان هذا القفل ولما قيل لبعضهم إن النبي ﷺ قال: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> قال: نعم صدق الرسول لكن المفتاح يحتاج إلى أسنان إن كان فيه أسنان فتح وإلا فلا يفتح، وهذا صحيح اللهم اهدنا فيمن هديت.



(١) صحيح البخاري، (٨٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٦٨/٤).



١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْرِينَ وَجْ

— هَهَا وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ

١٦٥٨- سَرْدُ النَّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ

طُرُقَ الْأَدْلَةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ

١٦٥٩- وَالنَّظْمُ يَمْنَعُنِي مِنَ اسْتِيفَائِهَا

وَسِيَاقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ

١٦٦٠- فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ

مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلْجَانِ

١٦٦١- فَادْكُرْ نُصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا

فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ

١٦٦٢- وَادْكُرْ نُصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ

بِ قَدْ غَدَّتْ مَعْلُومَةَ التَّيْبَانِ

١٦٦٣- وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةِ

مَعْلُومَةٍ بَرَّرْتُ مِنَ النَّقْصَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٦٥٧: ١٦٦٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذا هو الوجه العشرون من الوجوه الدالة على علوه تعالى على خلقه واستوائه فوق عرشه، وهو أقرب هذه الوجوه كلها تناولاً، وأسهلها مؤنة لأنه يقوم على سرد النصوص الصريحة من كتاب الله عز وجل الدالة على العلو عند من أنصف عقله، ولم تفسد فطرته الأهواء، ولم يوسع هذه النصوص تحريفًا، ولم يسمها تأويلًا.

والشيخ ﷺ يعتذر من عدم قدرته على إيراد هذه النصوص هنا لتقيده بقيود النظم والقافية التي ٧

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الفصل: خاتم العشرين أن تذكر النصوص الدالة على علو الله وهي أنواع متنوعة ليست نوعاً واحداً ولكن المؤلف اعتذر عن سياقها بلفظها؛ لأن النظم يمنعه ولا يمكنه أن يأتي بالآيات الكريمة على حسب ميزان النظم؛ لأن النظم كما

يجوز إخضاع هذه النصوص لها، فاكفني بأن يشير إلى مواضعها من القرآن، فذكر أن لفظ الاستواء قد ورد في سبع آيات وهي قوله في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] وفي سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] وفي سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وفي سورة الفرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِرَبِّهِ حَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] وفي الم السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا مُفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] وفي سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية [الحديد: ٤].

وأما نصوص الدالة على الفوقية قد ذكر أنها وردت في ثلاث آيات. وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ اللَّكِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله في نفس السورة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. وقوله في سورة النحل في شأن الملائكة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وأما نصوص العلو فقد ذكر أنها وردت في خمسة مواضع وهي قوله في آخر سورة الكرسي من سورة البقرة: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] سورة النساء: ﴿وَأَلَّنِي نَخْلًا مَشْرِجًا مَفْرُوحًا وَعَطَوْهُمْ وَأَهْجَرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ وَأَضْرَبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وفي سورة الرعد: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وفي سورة غافر: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وفي سورة الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

ولا شك أن هذه النصوص كلها صريحة في علوه تعالى فوق خلقه واستوائه على عرشه ولا يجوز صرفها عن ظاهرها إلى معانٍ آخر لما قدمنا من عدم وجود قرينة توجب ذلك الصرف، وما يدعيه أهل التأويل الباطل من قرينة عقلية وهي حكم العقل باستحالة الجهة على الله معارض بأدلة من العقل والفطرة أقوى منه كما بينا.

قال الحريري رَحِمَهُ اللهُ: وجائزٌ في صنعة النظم الصلف (الشعر الصلف) هو ما لا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيه. يقول رَحِمَهُ اللهُ: إني لا أستطيع أن أطلق النصوص بلفظها؛ لأن الميزان يمنعني من ذلك ولكن أشير بعض إشارات لمواضع منها.

قوله: (وأين البحر من خلجان) أيها أعظم البحر أعظم؟ من الخليج.  
فاذكر نُصوصَ الإِسْتِواءِ فَإِنَّهَا فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ  
هذا نوع من أنواع أدلة العلو والاستواء، فإن الله قد صرح أنه سبحانه استوى على عرشه في سبع آيات من القرآن معلومة قد ذكرناها.

واذكر نُصوصَ الفوقِ أيضًا في ثَلَاثِ آيَاتٍ قَدْ غَدَّتْ مَعْلُومَةُ التَّيْبَانِ

هذا من التصريح بذكر الفوقية في ثلاث آيات: في سورة الأنعام آيتان ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿[الأنعام: ١٨]﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴿[الأنعام: ٦١]﴾ وَفِي النحل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

واذكر نُصوصَ غُلُوهِ فِي خَمْسَةِ مَعْلُومَةٍ بَرَأَتْ مِنَ التَّقْصَانِ

هي: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] آية الكرسي، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ في الشورى هذه خمسة.





١٦٦٤- واذكر نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ

تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلِينَ قَامَ عَلَيْهِمَا الْ

إِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبَيْتَيْنِ

١٦٦٦- كَوْنَ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ

وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ

زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

١٦٦٨- واذكر نُصُوصًا ضُمَّتْ رَفْعًا وَمَعِ

رَاجًا وَإِصْغَادًا إِلَى الدِّيَانِ

١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَال

حُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٦٦٤ : ١٦٦٩] قال العلامة محمد خليل هراس: أما النصوص التي وردت في الكتاب العزيز مصرحة بأن هذا القرآن منزل من عند الله عز وجل، فقد تضمنت أصليين عظيمين عليهما قام بناء الإسلام وصرح الإيمان. (الأصل الأول) أن هذا القرآن كلامه هو سبحانه حقيقة لا مجازًا، بمعنى أنه تكلم به بألفاظه ومعانيه بصوت نفسه، وسمعه منه الأمين جبريل عليه السلام وأداه إلى رسول الله ﷺ كما سمعه. (والأصل الثاني) أن سبحانه وتعالى في جهة العلو فوق جميع الأمكنة، فإن النزول يقتضي الهبوط من أعلى إلى أسفل، فلو لم يكن سبحانه عاليًا فوق خلقه لم يصح الإخبار بكون الكتاب منزلًا من عنده، وهذه النصوص المتضمنة لنزول القرآن من عند الله عز وجل، ذكر المصنف أن عددها سبعون أو تزيد، ويطول بنا القول لو ذكرناها جميعًا، فلنقتصر على بعضها على سبيل المثال، فنقول: منها قوله

١٦٧٠ - ولقد أتى في سورة الملك التي

تُنجِي لِقَارِيَهَا مِنَ التِّيَرَانِ

١٦٧١ - نَصَّانٍ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ

عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ

## الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

مر علينا الاستواء والفوقية والعلو، الرابع كون القرآن تنزيلاً من عند الله وهذا في آيات كثيرة بلغت سبعين آية أو يزيد أن القرآن مُنزَّلٌ من عند الله وهذا كما قال المؤلف تضمنت أصليين قام عليهما الإسلام والإيمان كالبيان.

الأصل الأول: كون الكتاب كلامه سبحانه وتعالى فإن القرآن نزل من عند الله والقرآن كلام والكلام صفة المتكلم فإن كان نزل من عنده وهو صفته لزم أن يكون الله فوقاً؛ لأنه إذا كان صفته وقد نزل من فوق لزم أن يكون الموصوف فوق فهذا واحد.

الأصل الثاني: أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لأن القرآن صفة فهو كلام والكلام لا

تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وفي سورة الأنعام: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَدِّينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وفي سورة النحل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢] وفي سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّي الْعَلِيِّينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وأما النصوص التي تضمنت رفع بعض الأشياء أو عروجها أو صعودها إليه سبحانه فقد ذكر المصنف أنها في خمسة مواضع من القرآن: الأول قوله تعالى في سورة آل عمران خطاباً لعيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَرَأْنِي فَارْجِعِي وَأَتِيكِ إِتِيًّا وَطَهِّرْكِ مِنَ التُّرَابِ﴾ [آل عمران: ٥٥] وفي سورة النساء إخباراً عنه عليه السلام: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وفي سورة الم السجدة: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] وفي سورة فاطر: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَبِيرُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وفي سورة المعارج: ﴿تَصْرَعُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤، ٥].

يكون إلا لتكلم فالقرآن غير مخلوق؛ لأنه صفة الله فتضمن ذكر تنزيل القرآن من عند الله أمرين:

الأمر الأول: علو الله عز وجل؛ لأن نزوله من أعلى.

الأمر الثاني: القرآن كلام الله لا كلام غيره؛ لأنه نزل منه فهو صفة فلزم أن يكون كلام الله. النوع الخامس: قال:

وَأذْكَرُ نُضُوضًا ضُبِّمَتْ رَفَعًا وَمَعْدٌ رَاجًا وَإِصْعَادًا إِلَى الدِّيَانِ

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال عن عيسى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ والإصعاد ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ والعروج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ فَاطْلُبَهَا مِنَ الْقُرْآنِ

إذن الصعود يستلزم أن يكون المصعود إليه عاليًا والعروج، والرفع كذلك، هذا النوع الخامس من الأدلة.

أمَّا السادس: أن الله في السماء. وهذا جاء في سورة الملك ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦] ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧] ولهذا قال:

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النَّيْرَانِ

نَصَّانِ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ

النص يعني: الدليل الواضح، ولهذا قيل فيه نص مأخوذ من منصة العروس التي تجلس عليها ليلة الزفاف، فالنص المعنى الظاهر له لكن عند المحرّف ما هما نصان؛ لأنه يقول: ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ أَي: لَيْسَ هُوَ، ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ سُلْطَانُهُ وَلَيْسَ هُوَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَحْرِيفٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ضَمِيرُ الصَّلَاةِ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، فَإِذَا قُلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَادَتْ بِغَيْرِ مَوْصُولِهَا فَالصَّلَاةُ تَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ وَالْمَوْصُولُ هُوَ اللَّهُ ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ مِنْ هَذِهِ اسْمُ وَالْمَوْصُولُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَالَّذِي فِي السَّمَاءِ لَيْسَ مُلْكُهُ بَلْ هُوَ اللَّهُ نَفْسُهُ، أَمَّا مُلْكُهُ فَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَي: مُلْكُهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانُهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَكِنِ الْمَحْرَفُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ لَمَّا طَبَعَ اللَّهُ

على قلبه صار لا يرى الحق حقًا بل يرى الباطل حقًا وإلا فإن الأمر واضح والله الحمد فتكون هذه الآية نوعًا من الدلالة على علو الله والله أعلم.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٦٧٢ - وَلَقَدْ آتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي

قُلْنَا بِسَبْعِ بَلْ آتَى بِثَمَانٍ

١٦٧٣ - مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الـ

أَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي

١٦٧٤ - فَتَدْبِيرِ النَّصِيِّ وَانظُرْ مَا الَّذِي

لِسَوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانَ

١٦٧٥ - وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ

بَادِي الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ<sup>(١)</sup>

١٦٧٦ - وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ

نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَفِيذَتْ بَيِّنَانِ

(١) [١٦٧٢: ١٦٧٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

ورد في سورة الملك التي قال فيها رسول الله ﷺ: «سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ فِي صَاحِبِهَا» نصان صريحان في أن الله عز وجل في السماء وهما قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿ [الملك: ١٦، ١٧] وأما النصوص الدالة على تخصيص بعض الأشياء بكونها عنده فقد جاء ذلك في سبعة أو ثمانية مواضع. الأول: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] والثاني: في سورة الأنبياء: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] فتخصيص الملائكة الذين هم سكان السموات بكونهم عنده دليل على أن المراد بها عندية مكان، والثالث: في سورة التحريم قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَبْلِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَبِحَبْلِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمَعْطَلٍ

مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَبَيَّانِ

١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزْمَلٍ

سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ

١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدُ

عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي

١٦٨٠- لَمْ يَسْمَحِ الْمَتَأَخِرُونَ بِنَقْلِهِ

جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ

١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الـ

إِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ

١٦٨٢- وَمَحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي

تَفْسِيرِهِ حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٦٧٦: ١٦٨٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما بقية المواضع فإنه وإن لم يصرح فيها بلفظ العند فإن الإضافة فيها إلى لفظ لدى الذي هو بمعنى عند ودال على نفس المراد منها، وذلك مثل قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [١٣] وقوله في سورة ق: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] ﴿قَالَ لَا تَخْضَعُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيْهِ بِالْوَعْدِ﴾ [٢٨] مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلَّيْسِ ﴿[ق: ٢٨، ٢٩] وفي سورة الشورى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وأما قوله: وفي مزمل سر عظيم شأنه ذو شأن في ذكر تفتير السماء إلخ فهو إشارة إلى قوله تعالى من هذه السورة: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨] فالضمير في به يحتمل أن يعود إلى اليوم في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] يعني: أن السماء تفتط في هذا اليوم وتشقق، وتكون الباء بمعنى في، ويحتمل أن يعود إلى الله عز وجل وإن لم يسبق له ذكر؛ لأنه مفهوم من السياق، ويؤيده قوله بعد ذلك: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨] فإن عود الضمير هنا على الله في غاية الظهور. ويكون معنى انفطار السماء بالله عز وجل تشققها عند نزوله لفصل القضاء بين عباده كما في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَبِّبًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

ولكن المتأخرين من المفسرين مثل ابن كثير وغيره جنبوا عن إيراد هذا القول الثاني ولم يصرح به إلا المتقدمون من جهابذة الإسلام الذين هم أعلم هذه الأمة بمعاني كلام الله عز وجل، وقد حكى ابن

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل وهو أنه جاءت آيات متعددة في إثبات العندية مثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ومثل قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] ومثل قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢] وأمثال ذلك فالعندية تدل على العلو؛ لأنه لو لم يكن عاليًا لكان كل الخلق عنده، وحينئذ لا يتميز القريب من البعيد، فالنصوص التي في إثبات العندية تدل على أن الله سبحانه وتعالى عالٍ فوق عرشه، يقول المؤلف:

وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي قُلْنَا بِسَبْعِ بَلْ أَتَى بِثَمَانٍ  
يعني: ثمان آيات أو ثمان مواضع.

منها صريحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْأَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي  
في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾  
والأنبياء: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

فَتَدَبَّرِ النَّصِيحِينَ وَانظُرْ مَا الَّذِي لِسَوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانِ  
التعيين لمن عنده يدل على أن سوى هؤلاء ليسوا عنده إذاً فهو سبحانه وتعالى عالٍ ولولا ذلك لكان الناس كلهم عنده.

وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ بِأَيْ الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ  
في التحريم قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].  
وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ نَفْسَ الْمُرَادِ وَقِيَّدَتْ بِيَّانٍ  
وفي مزمل بينت نفس المراد: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾.

لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمَعْطَلٍ مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَبْيَانٍ  
يعني: أن لدى وعند لا يتناقضان؛ لأنك تقول فلان لديّ وفلان عندي وهما سواء في

اللغة العربية فلا يتناقضان.

وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزْمَلٍ سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانٍ  
في سورة الشورى: ﴿وَلَئِنَّ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ وفي سورة المزمل:  
﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

في ذكرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدُ عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي  
قوله: (في ذكر تفتير السماء فمن يرد) يعني قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ  
فَوْقِهِنَّ﴾ [مريم: ٩٠] وفي سورة المزمل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨].

قوله: (فمن يرد) يعني: من يريد علمًا بهذا الشأن العظيم في سورة الشورى وفي سورة  
المزمل فهو قريب فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يدل  
على أن الله تعالى فوق ، فمن عظمته تكاد السموات تتفطر من فوق ولم يقل من تحتها مما  
يدل على أن الذي تعظيمه هذه السموات وتكاد تتفطر منه فوقها قال:

لَمْ يَسْمَحِ الْمَتَأَخِرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ  
المتأخرون يعني بهم: أهل الكلام لأن أهل الكلام يكرهون كل نص يخالف بدعتهم وما  
هم عليه حتى قال بعضهم أتمنى أن أتمكن من حك قوله تعالى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في  
قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنه يجعل ليس كمثلها شيء هي صفة نفي وهو السميع  
البصير صفة إثبات فيقول أنا أتمنى أن أتمكن من حك وهو السميع البصير؛ لأنها جاءت  
على خلاف مراده.

بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِشَ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ  
يعني: قالوا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ .  
وَمَحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ  
نقل لنا قول ابن جرير.





- ١٦٨٣- هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشْرُونَ الَّذِي  
قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
- ١٦٨٤- إِيَّانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَمَجِيئُهُ لِلْفَصْلِ بِالْمِيزَانِ
- ١٦٨٥- فَانظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الـ  
قُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ
- ١٦٨٦- إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرِهِ  
كَأَنَّ وَلَا مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ
- ١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيَّـ  
نَهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْعَفْرَانِ
- ١٦٨٨- وَاللَّهُ مَا أَحْتَمَلُ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِي  
ءِ الذَّاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ
- ١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أَوْلِيَّ الْمَعْقُولِ إِنْ  
كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلِ مَعَ الْعِرْفَانِ
- ١٦٩٠- مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ خَلْفِنَا  
أَوْ عَن شِمَائِلِنَا وَعَن أَيْمَانِ
- ١٦٩١- وَاللَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ  
أَبَدًا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

١٦٩٢- كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ

وَعَنِ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الْإِيمَانِ

١٦٩٣- وَاللَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَلْفِ

مَغْلُو الَّذِي فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول من الأدلة على علو الله عز وجل ما ثبت في القرآن والسنة من أن الله سبحانه وتعالى فوق العرش.

وهذا الدليل الحادي والعشرون وهو من الأدلة الدالة على مجيء الله سبحانه وتعالى في القرآن والسنة، فإذا ثبت أن الله يجيء للفصل بين عباده يوم القيامة فمن أين يجيء؟ هل

(١) [١٦٨٣: ١٦٩٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

الوجه الحادي والعشرون من الوجوه الدالة على العلو والفوقية ما نظقت به آيات الكتاب الكريم، ووردت به الأخبار الصحيحة، من إتيانه عز وجل ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] يعني ما ينتظر هؤلاء إلا وقوع ذلك الأمر العظيم، وهو أن يأتيهم الله في ظلل الغمام وتأتي معه الملائكة وقضى الأمر. يعني فرغ من حسابهم، وعطف الملائكة هنا على الله ينفي تأويل المعطلة بأن الإتيان للملك، فهو كقوله في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ولكن قد يقول المعطل أن إتيان الرب عز وجل هو إتيان أمره كما في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] فإرد عليه بتلك الآية التي تأخذ بخنافة ولا يجد لتأويلها مساعفاً، أعني قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فإن التردد هنا بين إتيان الرب والملائكة والآيات أوضح دليل على أن المراد مجيء ذاته لا أمره، فإنه مذكور بين الأمرين الآخرين وهما مجيء الملك والآيات، فكيف يجوز تأويله بأحدهما، وإذا ثبت مجيء الرب وإتيانه جل شأنه بهذه الآية القاطعة، فمن أين يأتي إذا؟ والجهات المعروفة ست، هي الفوق والتحت، واليمين والشمال، والأمم والخلف، فليقل لنا هؤلاء المعطلة أي هذه الجهات يختارون ليكون منها مجيء الرب وإتيانه، لا يعقل أبداً أن يجيئهم من تحتهم - تعالى الله عن ذلك - وكذلك لا يعقل أن يجيئهم من خلفهم ولا من أمامهم، ولا عن أيانهم ولا عن شمائلهم، فلم يبق إلا أن يأتيهم من العلو المطلق الذي هو فوق الأمكنة جميعاً.



ننظر تحت أو يمين أو شمال أو خلف أو أمام؟ لا يمكن هذا؛ لأنه يقتضي أن يكون مساوياً للمخلوق، إذا لا يمكن إلا من فوق، قال المؤلف:

هَذَا وَحَادِيهَا وَعَشْرُونَ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ  
إِتْيَانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ وَمَجِيئُهُ لِلْفَصْلِ بِالْمِيزَانِ  
وهذا يكون يوم القيامة.

فانظرُ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الـ قُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ  
إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرَهُ كَلَّا وَلَا مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ  
إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيَّنَّ نَهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْعُفْرَانِ

أين هذا: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (١١) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١]،  
[٢٢] هنا لا يستقيم أن يقال جاء أمر ربك ولا جاء ملك من الملائكة؛ لأن الملائكة قد ذكروا  
والآيات الثانية: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾  
وهذا تقسيم وتنوع واضح أن المراد إتيان الله سبحانه وتعالى بنفسه يقول:

وَاللَّهُ مَا أَحْتَمِلُ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِيءِ ءِ الذَّاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ  
ثم قال:

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أَوْلِيَّ الْمَعْقُولِ إِنْ مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ خَلْفِنَا  
وَاللَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ أَبَدًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ  
وَعَنِ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الْأَيْمَانِ كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ  
وَاللَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنْ الـ





## تَهْدِيدٌ بَيْنَ يَدَيْ الْفَصْلِ



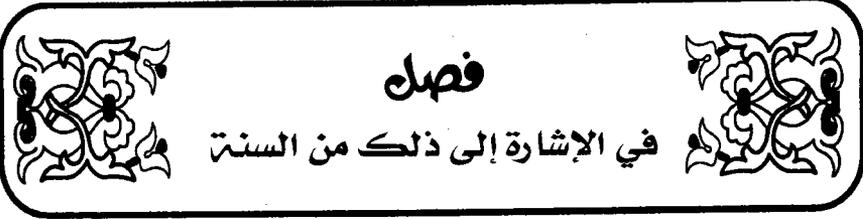
قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في الإشارة إلى ذلك من السُّنَّةِ

أشار المصنف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الفصل إلى بعض ما تضمنته الأحاديث النبوية من علو الله تعالى واستوائه على عرشه، وقد بسط الأدلة في ذلك والآثار في كتابه «الجيوش الإسلامية» فليرجع إليه من أحب الوقوف عليه، وذكر في آخر الفصل حين أشار إليها أن هذه الأدلة الكثيرة المتنوعة لا تقبل التأويل بوجه من الوجوه وأن تأويلها من باب تحريف الكلم عن مواضعه.





## فصل

في الإشارة إلى ذلك من السنة

- ١٦٩٤- وَأذْكَرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ  
كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
- ١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا  
كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
- ١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ  
عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
- ١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي  
غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي
- ١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ  
نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبِعِ وَبَنَانِ
- ١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى  
لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ
- ١٧٠٠- أَتْرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا  
أَمَ لِلذِّي هُوَ ذِي الْأَكْوَانِ
- ١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَّةِ الْمَرَضَى عَنِ الْ  
هَادِي الْمُبِينِ أْتَمَّ مَا تَبَيَّنَ
- ١٧٠٢- نَصُّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوقَ سَمَائِهِ

فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأَذْنَانِ<sup>(١)</sup>

١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى حَبْرٌ رَوَاهُ عَمَّهُ الـ

عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ

١٧٠٤- أَنْ السَّمَوَاتِ الْعُلَا مِنْ فَوْقِهَا الـ

كِرْسِي عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ

١٧٠٥- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يُبْصِرُ خَلْقَهُ

فَانظُرْهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ

١٧٠٦- وَاذْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الرَّبِّيِّ

سَقَةَ الرَّضَى أَعْنِي أَبَا عِمْرَانَ

(١) [١٦٩٤: ١٧٠٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

بعد أن فرغ من دلالة آيات الكتاب الحكيم على إثبات صفة العلو للعلي العظيم شرع في إيراد ما تضمنته السنة الصحيحة من دلالات واضحة وإشارات صريحة لا تخفى إلا على من أعمى الهوى والتعصب بصائر قلوبهم، فمن ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي» فقوله في كتاب موضوع عنده فوق العرش لا يحتاج إلى بيان أن تلك العندية تقتضي وجوده سبحانه فوق عرشه.

ومن ذلك قوله في حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره كالطبراني والحاكم وأخرجه البيهقي في الأساء والصفات: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض أنت رب الطيبين اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع».

فقوله ربنا الله الذي في السماء صريح لا يسوغ العقل تأويله أبداً لا بملك ولا برحمة ولا بأمر ولا بغير ذلك مما يتكلفه المعطلة، فإن كلا من الرحمة والأمر المذكور في الحديث، وقصارى شغب المبطلين على هذه الأحاديث الصريحة أن يقولوا إنها أحاديث آحاد لا يُعوَّلُ عليها في باب الاعتقاد، ولكن هذه الشبهة يرد عليها بأن هذه الأحاديث وإن كان كل واحد منها لا يفيد إلا الظن إلا أنها إذا ضم بعضها إلى بعض تبلغ مبلغ التواتر المعنوي، وهو مفيد للعلم اليقيني.

والعجب من هؤلاء المخذولين الذين يردون على هذه الأحاديث ويرفضون أخذ عقائدهم منها، وهم إذا جاءهم خبر منقطع عن شخص مجهول يوافق أهواءهم طاروا به فرحاً وجعلوه حجة لهم في مجال التأويل والإنكار، وكم رأينا من هؤلاء من ينقل عن أرسطو وأفلاطون الوثنيين، وعن أفلوطين المسيحي، ويقدم ذلك على الوحي المنزل من عند الله، فبئس ما اشتروا به أنفسهم أن يقدموا كلام هؤلاء الكفرة على كلام الله ورسوله يأخذوا دينهم عن أهل الشرك والاتحاد.

١٧٠٧- إِذْ قَالَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي

وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ

١٧٠٨- فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يُقَلِّ

أَنْتَ الْمُجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانٍ

١٧٠٩- حَيَّرْتَ بَلَّ جَهَّيْتَ بَلَّ شَبَّهْتَ [بَلَّ]

جَسَّمْتَ [لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ

١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ مَا

قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عَمْرَانَ

١٧١١- فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ

أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلدِّيَّانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٧٠٣: ١٧١١] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى أبو داود في سننه عن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قال: «كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب، قال: والمزن؟ قالوا: والمزن. قال: والعنان؟ قالوا: والعنان - قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً - قال: هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري. قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة. ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات. ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلىه مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلىه مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك» ثم رواه أبو داود من طريق آخر وفيه: «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته».

وكذلك رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، ورواه الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة وابن منده في كتاب التوحيد وهو صريح في فوقية الذات؛ لأنه ذكر أن العرش فوق السموات، وهي فوقية حسية بالمكان، فتكون فوقية الله عز وجل على العرش كذلك، ولا يصح أبداً حمل الفوقية هنا على فوقية القهر والغلبة، وإلا لتفكك معنى الحديث ولا يبقى حيثنذ معنى لتخصيص العرش بتلك الفوقية، إذ الله عز وجل فوق الخلق جميعاً قاهر لهم.

وأما حديث حصين بن منذر فقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال لحصين: «كم إلهما تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: فأتارك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين» فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم إلهمني رشدي وقني شر نفسي».

١٧١٢- وَاذْكَرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ

سِي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

١٧١٣- وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمَعْطَلِ لِلَّذِي

قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيْتِهِمَا تَشَاءُ وَإِنِّي

لَأُرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهَمِ صَاحِبِ التَّ

عَطِيلِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

١٧١٦- وَاذْكَرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرَّضِيِّ

ذَاكَ الضُّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي

١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفَعُو

نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَنَانِ

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر هذه القطعة المؤلف رَحِمَهُ اللهُ وفيها إشارة إلى أحاديث متعددة فقال:

وَاذْكَرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ

كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبُ ذِي الْبُهْتَانِ

لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلِيقَةَ رَبَّنَا

كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ

وَكَتَابَهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الـ

عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ

وظاهر من الحديث أن النبي ﷺ أقر حصيناً على ما قاله من أن إلهه الذي يدعوه في الرغب والرهب في السماء، ولم يقل له أنت مجسم بذلك ولا قاتل بالمكان ولا قال له حيزت أي أثبت الحيز لله، ولا جيهت أي اعتقدت الجهة ولا شبهت ومثلت أي اعتقدت المشابهة والمائلة وغير ذلك من الألفاظ التي يرمى بها المعطلة كل من قال بمثل مقالة حصين. ولكن الله مطلع على ما يقوله الظالمون الجاحدون لصفاته، وسيأخذ حقه منهم يوم توفى الحقوق لأصحابها من كل ظالم غشوم.

إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تُسَبِّحُ رَحْمَتِي غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي

هذا حديث أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه تبارك وتعالى بأنه لما خلق الخلق - سبحانه وبحمده - كتب كتاباً عنده فوق العرش «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (١) فقول عنده فوق العرش يدل على العلو وأن الله تعالى فوق كل شيء وإلا لكان هذا الكتاب وغيره على حد سواء، ثم قال:

وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانٍ  
مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ  
أَتْرَاهُ أَمْسَى لِلْسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا أَمْ لِلذِّي هُوَ ذِي الْأَكْوَانِ

يشير المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فِي هذه الآيات إلى ما ثبت في الصحيح من حديث جابر أن النبي ﷺ خطب الناس يوم عرفة فقال لهم: (هَلْ بَلَغْتَ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ يَرْفَعُ أَصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ) (٢) فهل النبي ﷺ يستشهد السماء أو يستشهد من فوق السماء؟! الثاني بلا شك ولهذا قال اللهم اشهد ولم يقل يا سماء اشهدي، بل قال: اللهم اشهد وهذا شيء معلوم عَلِمَهُ كل الصحابة الذين سمعوا خطبة النبي ﷺ.

وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَةِ الْمَرْضَى عَنِ الِ هَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تَبَيَّنَ  
نَضُّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأُذُنَانِ

وهذا في رقية المريض حيث كان يقول عليه الصلاة والسلام وهو يرقى المرضى: (رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ فَأَجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحِمَتِكَ عَلَيَّ هَذَا الْوَجَعِ وَشِفَاءً مِن شِفَاءِكَ عَلَيَّ هَذَا الْوَجَعِ) (٣) فيبرأ.

الشاهد قوله: (رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ)؛ لأنه صريح بأن الله تعالى في السماء.  
قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَقَدْ أَتَى خَبَرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الِ عَبَّاسٌ صَبُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ

(١) رواه البخاري (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٢٥٧/٦) وهو حديث ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني.

خبر يعني: حديث.

أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا مِنْ فَوْقَهَا أَل  
وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يُبْصِرُ خَلْقَهُ  
كَرْسِي عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ  
فَانظُرْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ

هذا الحديث رواه العباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أن السموات السبع بينها مسيرة كذا وكذا وذكرها وأن الكرسي فوق ذلك والعرش فوق الكرسي وأن الله تعالى فوق العرش ينظر إلى عباده<sup>(١)</sup> فهذا حديث دل على العلو.

وَإِذْ كَرَّ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الَّذِي  
قَالَ الرِّضَى أَعْنِي أَبَا عَمْرَانَ

وهو عمران بن الحصين صحابي جليل وأبوه الحصين سأله النبي عليه الصلاة والسلام كم إلهًا تعبد؟ قال: أعبد ستة ألهة أو سبعة، واحدًا في السماء وستة في الأرض، قال: من تعد لرغبتك ورهبتك قال: الذي في السماء قال: فاعبد الذي في السماء<sup>(٢)</sup> فأقره على قوله «في السماء».

إِذْ قَالَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرُغْبَتِي  
وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ

فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يُقَلِّ  
أَنْتَ الْمُجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانٍ

وأهل التعطيل الذين ينكرون العلو يقولون: من قال إن الله في السماء فهو مجسم.

حَيَّرَتْ بَلَّ جَهَيْتَ بَلَّ شَبَّهَتْ بَلَّ  
جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ

يعني: هم يقولون فيمن قال إن الله تعالى في السماء حَيَّرَتْ أَي: جعلت الله تعالى حيز وهذا نقص في حق الله؛ لأن الله وسع كرسيه السموات والأرض لا في حيز تحوزه المخلوقات نحن نقول لهم: كلمة حيز لم ترد في القرآن ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا فأنتم لا تلموننا لا بنفيها ولا بإثباتها ومع ذلك نحن ننزل معكم ونقول ماذا تريدون بالحيز الذي شوهتم به سمعنا: هل تريدون بالحيز أن الله منحاو عن المخلوقات بأنه منها؟ نحن نقول به فهل تريدون بالحيز أن الله تعالى ومنحاو في المخلوقات يعني أنها تحوزه وتحيط به؟ فنحن لا نقول به.

وحيث نقول لنا نظران في الحيز: أولاً من جهة لفظه فالواجب علينا أن لا نثبته ولا ننفيه

(١) الأحاديث المختارة (٨/٣٧٦).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٠٩٨).

لأنه لم يرد إثباته ولا نفيه.

ثانياً: من جهة معناه فإن عرفت أن الله في حيز يحوزه فهذا قولٌ منكر ولا نقول به وإن أردت أن الله منحاز عن المخلوقات بائن منها ليس حالاً فيها فهذا حق.

وقوله: (بل جَهَّيْتُ) يعني: قلت إن الله في جهة، ويا ويل من قال إن الله في جهة مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: أين الله؟ وأين يستفهم بها عن المكان لكن هم يقولون أي إنسان يثبت العلو لله فهو مثبت للجهة نقول في الجهة كما قلنا في الحيز تماماً بالنسبة للفظ لا نفيه ولا نثبته فلا نقول الله في جهة ولا في غير جهة فهذا لا تلزمنا به؛ لأن الله لم يثبته لنفسه ولا نفاه عن نفسه ونحن في غنى عن الكلام فيه لكن تنزلاً معك نقول إن أردت جهة تحيط بالله فهذا منكر ولا نريده ولا نقول به، وإن أردت أن الله في العلو فالعلو عدم يعني ما في شيء يحيط بالله وليس فوق العالم إلا الله ما في شيء يجاذي الله عز وجل فإذا أردت أن الله في جهة العلو الذي لا يحيط به شيء من مخلوقاته فهذه حقيقة نوافقك عليها هذا باعتبار المعنى، أما في اللفظ فليس علينا بل وليس لنا أن نثبته أو نفيه؛ لأنه لم يرد إثباته ولا نفيه.

وقوله: (بل شَبَّهْتُ) يقول إذا قلت إن الله في العلو فأنت مشبه؛ لأن العلو الذاتي لا يقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة هنا.

نقول لا نوافقكم على هذا ونحن لا ننفي التشبه المطلق ولا نثبته؛ لأن التشبيه المطلق لم يقل به أحد من الناس أبداً حتى الكفار ما يقولون به فالتشبيه المطلق معناه التساوي من كل وجه فهذا لا أحد يقول به؛ لأنه لا يوجد أحد من الناس قال إن الخالق مشابه للمخلوق من كل وجه حتى المجوس الذين يقولون إن للعالم خالقين لا يقولون بتساويهم أي بتساوي هذين الخالقين المجوس بل يقولون: إن الخير يخلقه النور، والشر تخلقه الظلمة؛ لأن الشر والظلمة عدم نور، والنور وجود والشر غير وجود لكن مع ذلك لا يقولون: إن الظلمة والنور سواء فيقول بعضهم النور قديم والظلمة حال إذ لا تساوي النور ولا شك أنه - أي: النور - أمر مرغوب والظلمة مكروهة إذن لا تساوي أصل النور الذي ينتج الخير والظلمة التي تنتج الشر فلا يتساويان في آثارهما وتأثيرهما.

إذا لم يقل أحد من الخلق إن الخالق والمخلوق متشابهان من كل وجه تشابهًا مطلقًا ولكن الخالق والمخلوق بينهما اشتراك في أصل المعنى في الصفات، والحياة في الأصل معني مشترك، والسمع في الأصل معني مشترك لكن فرق بين حياة الخالق وحياة المخلوق وبين سمع الخالق وسمع المخلوق.

ونرد على من يتهمونا بالتجسيم فنقول لهم:

أولاً: ليس لكم أن تلزمونا بالقول بالجسم أو بنفيه؛ لأنه لم يرد نفيًا ولا إثباتًا وليس علينا بل ولنا أن نثبت أو ننفي لكن في المعنى نقول: ماذا تريدون بالجسم الذي شوهمونا به؟ هل تريدون أن نقول: إن الله جسم مشابه للأجسام يعني مركب من عظم وعصب ولحم ودم؟ فهذا منكر ولا نقول به أم تريدون بأن الله جسم موصوف بالصفات وقابل للصفات فهذا حق بلا شك فهو سبحانه وتعالى موصوف بالصفات يستوي على العرش وينزل ويأخذ بيده عز وجل ويضحك وله وجه وله يد وله عينان هذا حق ونقول به وما الذي يضر من هذا؟ فإذا هم والعياذ بالله يشوهون مذهب أهل السنة بمثل هذه الكلمات؛ لأن الله تعالى لما أرسل الرسل جعل أعدائهم ينادونهم بهذه الزخارف من القول ففي سورة الأنعام يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١] ولاحظ أن عدو الرسول عدو لأتباع الرسول، فالمشركون في عداة الرسول أعداء لأتباعه وكذلك من خالفوا هديه إلى يومنا هذا هم أعداء لنا يقولون مثل ما قال الأولون.

وقوله: (لست بعارف الرحمن) إذن من العارف بزعمهم؟ هم العارفون هم الذين يعرفون الله وأنه لا يوصف بصفة كمال هذه معرفتهم لربهم يعني لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يحب ولا يكره ولا يرضى، هل الذي يصف الله بهذا النفي عارف لله؟ أبدًا والله، هو أجهل خلق الله.

هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ مَا قَدَّ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عَمْرَانَ

من أبو عمران هو حصين بن منذر.

فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

هذا يجوز أن يكون خبراً ويجوز أن يكون دعاءً من المؤلف يعني: يسأل الله أن يأخذ حقه من هؤلاء أو أنه يجبر بأن الله سوف يأخذ حقه منهم والمعنيان متلازمان.

وَادْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ

ي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

ويعني بذلك الجارية التي سأها النبي ﷺ «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «اعْتَقِبْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمَعْطَلِ لِلَّذِي

قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

النبي عليه الصلاة والسلام قال: «اعْتَقِبْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» وعند المعطل الذي يقول: إن الله في السماء يقول: لا تعتقه فإنه كافر فهؤلاء يشهدون بالكفر لمن أقر بأن الله في السماء والنبي عليه الصلاة والسلام شهد بالإيمان لمن أقر بأن الله في السماء.

وَاحْكُمْ بَأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنِّي

لَأُرَاكَ تَقْبِلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

بأيهما تشاء بالإيمان أم بالكفر؟ هل تحكم على من قال إن الله في السماء بالإيمان أو بالكفر؟ بالإيمان كما حكم الرسول عليه الصلاة والسلام.

قوله: «وإنني لأراك تقبل شاهد البطلان» ولكن متى تقبله؟

إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمِ صَاحِبِ التَّ

عَطِيلِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

إذن سوف تقبل من حكم على من قال بأن الله في السماء بالكفر إذا كنت من أتباع جهم وبالإيمان إذا كنت من أتباع محمد ﷺ.

وَادْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرُّضَى

ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي

فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُوا

نَ إِلَى الرَّسُولِشِ بَرَبِهِ الْمَنَّانِ



\* قوله رحمه الله:

١٧١٨ - فاستعظم المختار ذاك وقال شأ

ن الله رب العرش أعظم شأن

١٧١٩- اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

١٧٢٠- وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيطُ مِثْلَمَا

قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّاكِبِ الْعَجْلَانِ<sup>(١)</sup>

١٧٢١- اللهُ مَا لَقِيَ ابْنَ إِسْحَاقَ مِنْ آلِ

جَهْمِي إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ

١٧٢٢- وَيَطْلُ يَمْدُحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي

يُرْوِي يُؤَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ

١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا

فَالْحُكْمَ اللهُ الْعَظِيمَ الشَّانِ

١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي

ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيْزَانِ

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أشار المؤلف إلى حديث يروى من طريق ابن إسحاق ووصف ابن القيم ابن إسحاق

(١) [١٧١٨ : ١٧٢٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما قوله واذكر حديثاً إلخ، فهو إشارة إلى الحديث الذي رواه ابن إسحاق أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فسبح النبي ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال للرجل: ويحك أتدري؟ ما الله إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم». ثم ذكر الحديث بعد ما بين ساء وساء، وبعد ما بين الساء السابعة والعرش، وأن الله فوق ذلك مستو على عرشه، وإن للعرش منه أطيظاً - وهو صوت الرّحل الجديد - كأطيظ الرّحل راكب عجلان - أي مع في سيره. فالرسول ﷺ إنما يذكر ذلك للأعرابي في مقام التعليم له بشأن الله عز وجل وعظمته تربية للمهابة في قلبه حين قال تلك القولة النكراء التي أطلقت لسان رسول الله ﷺ بالتسبيح والثناء، فدل هذا على أن التعظيم والتنزيه ليس بنفي الجهة والاستواء كما يدعي الجهمية السفهاء.

بأنه صدوق حافظ رباني والمعروف: أن ابن إسحاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المدلسين وأنه إذا لم يصرح بالتحديث فحديثه مدلس ضعيف وإن صرَّح بالتحديث فاختلف العلماء فيه فمنهم من ضعفه - ضعف الرجل - وقال: إنه لا يحتج به على أنهم يحتجون به في التاريخ والأخبار ومنهم من قال: إن حديثه حسن محتج به ومنهم من قال: بل هو ثقة إذا صرح بالتحديث فللعلماء فيه ثلاثة أقوال: إذا صرَّح بالتحديث ثقة مقبول، حديثه حسن، والثالث ضعيف. أما إذا لم يصرح بالتحديث فإنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن عُرف بالعنعنة ومن عرف بالتدليس، والمدلس إذا عنعن يكون حديثه غير متصل ضعيف.

على كل حال أشار المؤلف إلى حديث أن رجلاً أراد أن يستسقي بالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إننا نستشفع بالله عليك وبك على الله» ذكر الأعرابي جملتين (نستشفع بالله عليك) و(نستشفع بك على الله) الجملة الثانية صحيحة والجملة الأولى خطأ عظيم؛ ولهذا سبح النبي عليه الصلاة والسلام يعني يقول سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه فقال له: «ويحك إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه وإنه على عرشه وإن له - أي العرش - أطيظاً كأطيظ الرجل»<sup>(١)</sup> (الأطيظ) الصرير، (والرجل) الشداد الذي يشد على البعير فتجد البعير إذا كان مُحْمَلًا يكون للرجل صرير يصرصر.

وهذا الحديث ضعفه أكثر أهل العلم لكن ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صححه ولعله من شواهد، على كل حال نقول: إنه لا يجوز لأحد أن يقول: إني أستشفع بالله عليك هذا لا يجوز لماذا؟ لأن الشافع منزلته دون المشفوع إليه؛ لأنه لو كانت منزلته أعلى لكن يأمر لا يشفع فإذا قلت أستشفع بالله عليك فقد جعلت مرتبة الله جل وعلا دون مرتبة المشفوع عنده وهذا شيء عظيم؛ ولهذا قال الرسول: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» لكن إذا قلت: أستشفع بك على الله وكان حياً يقدر أن يدعو لك فهذا لا بأس به، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup> يعني: جعلهم شفعاء وهذا مما يدل أيضاً على العلو يقول:

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعفه الألباني في المشكاة (٥٧٢٧).

(٢) سبق تخريجه.

فاستعظمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ شَأْنُ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ  
استعظم أي شيء؟ كونهم يستشفعون بالله إلى الرسول.

اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ  
وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيبٌ مِثْلَمَا  
لَهُ مَا لَقِيَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ أَلِ  
وَيَظْلُ يَمْدَحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي  
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ  
قَدْ أَطَّرَحَلَ الرَّابِيبَ الْعَجَلَانَ  
جَهْمِي إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ  
يُرْوِي يُؤَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ

يقول: إن ابن إسحاق إذا روى ما يخالف مذهب المعطل رماه بالقدح والسب والشتم وإذا روى ما يوافقه قال: هذا هو الرجل الثقة العدل الثبت؛ لأنه يوافق هواه فيقول ابن القيم:

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا  
هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي  
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الشَّانِ  
ذَرَعَ وَلَا كَيْلَ وَلَا مِيزَانَ

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝۱۱ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۱۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ۱-۳] فالذي لا يقبل الحق إلا إذا وافق هواه ويرده إذا خالف هواه فهذا مطفف وهذا أعظم من تطفيف الكيل والوزن والزرع.



\* قوله رَحِمَ اللَّهُ:

١٧٢٥- واذكر حَدِيثَ نُزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى

فِي ثَلَاثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِ

١٧٢٦- فَتُزُولُ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ

فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

١٧٢٧- واذكر حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ

فِي شَأْنِ جَارِيَةِ لَدَى الْعَشِيَانِ

١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ

قَ الْمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٧٢٩- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ

سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْسِي ذِي الْبُهْتَانِ

١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي اسْتِيعَابِهِ

هَذَا وَصَحَّحَهُ بِإِلَّا نَكَرَانَ<sup>(١)</sup>

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذان حديثان ذكرهما المؤلف الأول: حديث النزول إلى السماء الدنيا في نصف الليل والنزول عقلاً لا يكون إلا من أعلى؛ لأنه لا يمكن أن يقال نزل إلا إذا كان عاليًا يقول:

(١) [١٧٢١ : ١٧٣٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

الله: يعني في سبيل الله ما لقي ابن اسحاق من الجهمي بسبب روايته؛ لهذا الحديث حيث يتهمه بالعدوان والكذب. ولكنه يظل يمدحه ويطره إذا هو روى ما يوافق مذهبه فهذا دأبهم دائماً تصديق للراوي فيما لا يصادم من قضايا عقولهم الخاسرة فإذا روى هو نفسه حديثاً على خلاف ما ذهبوا إليه لم يكن نصيبه منهم إلا التشنيع والتكذيب. فما أجدر هؤلاء باسم المطففين حيث يستوفون الذي لهم وينكرون الذي عليهم فهذا هو التطفيف في الحقيقة لا التطفيف في كيل أو زرع أو ميزان. بل أجدرهم أن يكونوا ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ لَمَنٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعَيْنَ ﴿٤٩﴾ أَلَمْ يَأْتُوا بَرًا وَمَكْرُوهًا أَلَمْ يَحْفَوُوا أَنْ يُحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [النور: ٤٨-٥٠].

وأما قوله: واذكر حديث نزوله إلخ فقد تقدم الكلام على هذا الحديث وهو يدل دلالة قاطعة على وجود الله عز وجل فوق عرشه، فإن حقيقة النزول هي انتقال النازل من مكان عالٍ إلى ما دونه فنزوله بلا فوقية ممتنع في العقل والشرع جميعاً وأما تأويله بنزول الأمر أو الرحمة أو الملك فقد بينا فساده، وأما قوله واذكر الحديث الصادق ابن رواحة إلخ فهو عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد شعراء الرسول ﷺ قتل في غزوة مؤتة. وقد جاء في هذا الحديث أن عبد الله بن رواحة وقع على جارية له فرأته زوجته فجاءت بسكين لتضربه بها فأنكر أنه غشى الجارية فقالت له: إن كنت صادقاً فقرأ قرآناً فأنشدها هذين البيتين:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

فقالت: صدق الله وكذبت عيناى. وقد أخبر ابن رواحة رسول الله ﷺ بذلك فأقره، ولم ينكر عليه، وفي هذين البيتين تصريح بأن الله فوق عرشه فوقية حقيقية.

(واذكر حديث نزوله نصف الدُّجَى) يعني: نصف الليل (في ثلث ليل آخر أو ثان).

فَنُزُولُ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

إِذَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْزَلَ إِلَّا مِنْ أَعْلَى، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنْ نَزَلَ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ يَزُولُ وَصَفُهُ بِالْعُلُوِّ فَهُوَ نَازِلٌ عَالٍ عِزٍّ وَجَلٍّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، وَلَكِنْ هَلْ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ لَيْسَ صِفَةً ذَاتِيَّةً أَوْ لَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ؟ فِي هَذَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، الْقَوْلُ الْأَوَّلُ يَقُولُ: يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي يَقُولُ: لَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، وَالثَّلَاثُ التَّوَقُّفُ.

فَلدِينَا مَسْأَلَتَانِ: الْأُولَى: هَلْ إِذَا نَزَلَ يَتَنَفَّى عَنْهُ الْعُلُوُّ؟

الجواب: لَا يُمْكِنُ؛ لِأَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ وَالصِّفَةُ الذَّاتِيَّةُ لَازِمَةٌ لَا يَنْفَكُ اللَّهُ عَنْهَا، هَلْ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ فَعَلٌ يَفْعَلُهَا مَتَى شَاءَ؟ نَقُولُ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ لِلْعُلَمَاءِ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: نَعَمْ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا وَهَذَا الثَّانِي اخْتِيَارُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَيَكُونُ نَازِلًا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ نَتَوَقَّفُ أَوْ نَسْكُتُ. وَالصَّوَابُ عِنْدِي: أَنْ نَسْكُتَ وَلَا نَتَكَلَّمَ بِهَذَا إِطْلَاقًا؛ لِأَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ التَّفْصِيلُ فِيهِ خَيْرٌ لَكَانَ الصَّحَابَةُ أَوَّلَ مَنْ يَسْأَلُ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَالصَّوَابُ أَنْ نَسْكُتَ عَنْ هَذَا وَأَنْ نَعْرُضَ عَنْهُ.

وَإِذْكَرَ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ فِي شَأْنِ جَارِيَةٍ لَدَى الْعَشِيَّانِ

فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ الْمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْسِي ذِي الْبُهْتَانِ

حديث ابن رواحة<sup>(١)</sup>: هو أن عبد الله بن رواحة كانت عنده جارية فدخلت عليه امرأته فأخذت السكين؛ لأنها غارت كيف تجامع الجارية؟ فغارت منها فقال: على مهلك أتحبين أن أقرأ عليك؟ ومعروف أن الجنب لا يقرأ القرآن قالت: نعم اقرأ قال:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

الشاهد قوله (وفوق العرش رب العالمين) وهو لما قرأ عليها البيتين قالت: ما جامع؛ لأن الجُئِبَ لا يقرأ القرآن فظنت أن هذين البيتين قرأنا فهدأ غضبها، فأخبر عبد الله بن ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأقره على قوله: وأن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش رب العالمين يقول:

ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي اسْتِيعَابِهِ هَذَا وَصَحَّحَهُ بِإِسْنَادٍ

وهو كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر رحمته الله يشبه «الإصابة في معرفة الصحابة» لابن حجر العسقلاني، وإن كان كل واحد منهم له ميزة لكن ابن حجر متأخر عن ابن عبد البر؛ ولذلك صار أجمع وأكثر بالنسبة لتراجم الصحابة رضي عنهم.

ومن أدلة العلو النقلية معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله فإنه ثابت والعروج يكون من أسفل إلى أعلى وقد ثبت الإسراء والمعراج في القرآن فالإسراء ثبت بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ والمعراج ثبت بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ [النجم: ١، ٢] إلى آخر الآيات.



\* قوله رحمته الله:

١٧٣١ - وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَتَابَتْ

وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّيْيَانِ

١٧٣٢ - وَإِلَى إِلِهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ

لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَاحِبِهِ رَجُلَانِ

١٧٣٣ - وَادْكُرْ بِقِصَّةِ خَنْدِقِ حُكْمًا جَرَى

لِقَرِيطَةَ مِنْ سَعْدِ الرَّبَّانِي

١٧٣٤ - شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَهَنَا

مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وَفُقُّهُ بِوِزَانِ

١٧٣٥- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لِلْبَرَاءِ رَوَاهُ أَصَحُّ

حَبَابِ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِيُّ

١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرِّضَا

وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ

١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ

مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ

١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا

وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ

١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءِ فَوْقَهَا

أُخْرَى إِلَى خَلْقِهَا الرَّحْمَنِ

١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبُّهَا

فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانٍ<sup>(١)</sup>

(١) [١٧٣١: ١٧٤٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

المعراج آلة العروج وهو الصعود. وقد ثبت عروجه ﷺ ليلة الإسراء بالأحاديث الصحيحة التي تبلغ حد التواتر فلا مجال لإنكاره ووقع اتفاق الصحابة فمن بعدهم على أن هذا العروج كان إلى ذي العرش سبحانه، وأنه قربه منه وأدناه، وفرض عليه وعلى أمته الصلاة مباشرة في تلك الليلة، وتأمل قول موسى عليه السلام (حين سأل نبينا ﷺ عما فرض الله عليه وعلى أمته فقال خمسين صلاة) ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وقوله عليه السلام: «فما زلت أراجع ربي حتى جعلها خمس صلوات في اليوم والليلة».

فليست شعري ماذا يقول المعطلة في هذا؟ وهل يعقل أن موسى أمر نبينا ﷺ بالرجوع إلى ملك الله أو أمره كما يزعمون في غير هذا الموضوع. وقد كان معه جبريل ملك الوحي وقتئذ، وقد ورد أنه استشار جبريل فيما قاله موسى فقال له نعم إن شئت. وأما قوله: واذكر بقصة خندق حكماً جرى إلخ. فهو إشارة إلى ما كان من أمر بني قريظة حين حاصرهم النبي ﷺ بسبب نقضهم العهد وانضمامهم للأحزاب في غزوة الخندق، فطلبوا منه أن يحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، فحكم فيهم سعد بأن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى نساؤهم وذرايرهم، وأن تؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين، فقال له النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات». وقد نزل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي

١٧٤١- واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحـ

مذير لذات البعل من هجران

١٧٤٢- من سخط رب في السماء على النبي

هجرت بلا ذنب ولا غدوان

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

هذه أيضاً من الأحاديث الدالة على علو الله عز وجل منها حديث المعراج<sup>(١)</sup> وهو ثابت في الصحاح والمسانيد وغيرها وثابت بالقرآن أيضاً أن الله سبحانه وتعالى عرج بنبيه ﷺ إليه. فإنه عرج به يقول ابن القيم:

وإلى إله العرش كان عروجه لم يختلف من صحبه رجلاً

ومن الأدلة قوله:

وإذكر بقصة خندق حكما جرى لقريظة من سعد الزباني

شهد الرسول بأن حكم إلهنا من فوق سبع وفتة بوران

هذا الحديث يشير إلى حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة؛ لأن بني قريظة كانوا حلفاء للأوس، ولما حاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام نحو خمس وعشرين ليلة نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان سعد قد أصيب في أحمله في غزوة الخندق فضرب له النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب؛ لأن الرسول ﷺ كان يحبه ويحمله، لأنه سيد الأوس، وقال النبي عليه الصلاة والسلام لمناديل سعد في الجنة خير من هذا فشهد له بأنه له مناديل في الجنة رضي الله عنه لما أصيب في أحمله قال: اللهم لا تمنني حتى تفر عيني في بني

قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا نَقَلْتُمُوهَا وَأَسْرُوتَ فَرِيقًا ﴿٥﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٦﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

وأما قوله: واذكر حديثاً للبراء الخ، فهو إشارة إلى ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه من قوله ﷺ ما معناه أن روح العبد إذا فارقت البدن تصعد بها الملائكة من سماء إلى سماء حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الرب الخ، فهو صريح بوجود الرب جل شأنه في السماء، أي: في جهة العلو.

(١) صحيح البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

قريظة حلفائه فأجاب الله دعوته فنزلت بنو قريظة على حكمه فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام إليه فأتى به من مسجد الرسول ﷺ على حمار فلما أقبل قال النبي عليه الصلاة والسلام: «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» فقاموا إليه فأنزلوه من على الحمار وجلس فأخبره النبي عليه الصلاة والسلام بأن بني قريظة حَكَمُوهُ فِيهِمْ فَقَالَ: أَحْكَمْنَا فِيهِمْ؟ قَالَ بَنُو قَرِيظَةَ: نَعَمْ، قَالَ وَعَلَى هَؤُلَاءِ وَيَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنَّهُ قَدْ غَطَى طَرَفَهُ احْتِرَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَعَلَى هَؤُلَاءِ فَقَالَ: أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بَأَن تُقْتَلَ مَقَاتِلَتُهُمْ وَتُسَبَى نِسَاءُهُمْ وَذَرِيَّتُهُمْ وَتَغْنَمُ أَمْوَالُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»<sup>(١)</sup> ثُمَّ فَعَلَ بِهِمْ مَا حَكَمَ بِهِ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ ثُمَّ عَادَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ إِلَى خِيَمَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ فَانْبَعَثَ الدَّمُ مِنْ جِرْحِهِ فَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا انْقَضَتِ الْمَهْمَةُ الَّتِي قَرَّتْ بِهَا عَيْنَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المهم: هذا يدل على أن الله فوق لقوله: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

وَأَذْكَرُ حَدِيثًا لِلْبَرَاءِ<sup>(٢)</sup> رَوَاهُ أَصَدُ حَبَابُ الْمَسَائِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِيُّ

يعني: الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكَمْنَا الرِّضَا  
قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ  
فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا  
فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا  
حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا  
وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ  
مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ  
وَفَرَّاقَهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ  
أَخْرَجَ إِلَى خَلْقِهَا الرَّحْمَنِ  
فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانٍ

تصير إلى سماء فيها ربها، وهذا نص الحديث بأمان يعني: أن المؤمن إذا قبضت روحه صعدت بها الملائكة إلى السماء الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن تصل إلى السماء التي بها الله عز وجل، أما الكافر فإنه لا تفتح لروحه أبواب السماء بل تطرح في الأرض

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩). وصححه الألباني

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الجامع (١٦٧٦).

طرحاً - والعياذ بالله - ثم قرأ النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحذير لذات البعل من هجران

يعني: المرأة ذات الزوج حذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من هجر زوجها فمن أي شيء حذرنا؟

من سخط رب في السماء على التي هجرت بلا ذنب ولا عدوان

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إن الذي في السماء يكون ساخطاً عليها»<sup>(١)</sup> فقال: «الذي في السماء» وهو الله عز وجل.



\* قوله رحمه الله:

١٧٤٣ - واذكر حديثاً قد رواه جابر

فيه الشفاء لطالب الإيمان

١٧٤٤ - في شأن أهل الجنة العليا وما

يلقون من فضل ومن إحسان

١٧٤٥ - بيناهم في عيشهم ونعيمهم

وإذا بُور ساطع الغشيان

١٧٤٦ - لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم

فإذا هو الرحمن ذو العفوان

١٧٤٧ - فيسلم الجبار جل جلاله

حقاً عليهم وهو ذو الإحسان<sup>(٢)</sup>

(١) رواه مسلم (١٧٣٦).

(٢) [١٧٤٣: ١٧٤٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

قوله: واذكر حديثاً في الصحيح الخ، إشارة إلى قوله عليه السلام ما معناه «والذي نفسي بيده ما من امرأة تبيت هاجرة فراش زوجها إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى تصبح» فالذي في السماء

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ

يُ طَرِيقُهُ فِيهِ أَبُو الْيَقْظَانِ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْيَوْمِ الَّذِي

بِالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ أَلَسْتُ أَمِينًا مَنْ

فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَى

هُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ

١٧٥٣- وَاللَّهِ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ

أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى التُّكْرَانِ

١٧٥٤- فَأُضُولُ دِينِ نَبِينَا فِيهِ أَتَتْ

فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ

١٧٥٥- وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا

فِي سُنَّةِ وَالْحَافِظِ الطَّبْرَانِيِّ

إنها هو الرب جل شأنه لا يصح أن يُحمل على شيء آخر من ملك ونحوه. فإن المقصود من الحديث الزجر والتهديد والوعيد الشديد لمن تفعل ذلك، والذي يناسب هذا إنما هو سخط الرب وغضبه. وأما قوله: واذكر حديثاً، قد رواه جابر إلخ، فهو إشارة على قوله ﷺ ما معناه فيما رواه ابن ماجه في سننه «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم» رواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب.

١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرِ بِتَارِيخِ لَهُ

وَأَبُوهُ ذَاكَ زَهْيَرُ الرَّبَّانِي (١)

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أشار إليها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الأحاديث التي تكلمت عن علو الله قال:

وَأذْكَرُ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ  
فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا يَبْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ  
لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ وَإِذَا بَنُورٍ سَاطِعِ الْعَشْيَانِ  
فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْعُفْرَانِ

(١) [١٧٤٨: ١٧٥٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

أخرج الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في «مسنده» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أتى جبريل رسول الله ﷺ بمرأة بيضاء فيها نكتة، فقال النبي ﷺ ما هذه؟ فقال هذه الجمعة. فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع. اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجيب له. هو عندنا يوم المزيد. فقال النبي ﷺ «وما يوم المزيد يا جبريل؟» قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كتب من مسك. فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله من نور عليها مقاعد النبيين. وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون. فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب. فيقول الله عز وجل: انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم. فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة».

والشاهد هنا في قوله: «وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش»، وهو موافق لما في القرآن من أن استواءه تعالى على العرش كان بعد خلق السموات والأرض، ومعلوم أن الله ابتداء الخلق يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة حيث خلق آدم وهو آخر المخلوقات في آخر ساعة منه بعد العصر ثم استوى بعد ذلك على العرش، فيكون الاستواء قد وقع يوم الجمعة بعد الفراغ من الخلق.

وأما قوله: (وإذكر مقالته ألت أمين من فوق السماء) (البيت) فهو إشارة إلى ما ورد في الصحيح من حديث الخوارج من قوله عليه السلام: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً».

والشاهد في قوله: «وأنا أمين من في السماء» فليس له معنى إلا أنه أمين الله الذي في السماء، لا يجوز أبداً أن يراد بمن في السماء غير ذلك.

فَيْسَلِّمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

وهذا حديث رواه جابر<sup>(١)</sup> أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم وعيشهم وسرورهم إذا هم بنور ساطع قد ملأ المكان وغشي المكان فيرفعون رؤوسهم فإذا هو الله عز وجل فيسلم عليهم سلامًا يسمعون حقيقته؛ فهذا دليل على علوه سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: «لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم» والرفع لا يكون إلا إلى أعلى ومن ذلك أيضًا حديث رواه الشافعي طريقه فيه أبو اليقظان في «فضل يوم الجمعة» الذي هو يوم المزيد وأن أهل الجنة يزورون الله عز وجل في ذلك اليوم<sup>(٢)</sup> وهذا اليوم حصل فيه استواء الله على العرش كما قال المؤلف:

يَوْمٌ اسْتَوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

وجه ذلك: أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وهذه الأيام أولها الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة تمت يوم الجمعة ففي يوم الجمعة استوى الله عز وجل على عرشه جل جلاله.

وَإِذْكَرُ مَقَالَتَهُ أَلَسْتُ أَمِينٌ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

هذا قاله عليه الصلاة والسلام حين قال له أحد الخوارج: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله<sup>(٣)</sup> قال أو أعدل فقال: «ألا تؤمنون وأن أمين من في السماء» والذي في السماء هو الله.

وَإِذْكَرُ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَى  
وَاللَّهُ مَا لِمَعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ  
أَبْدًا قُوَى إِلَّا عَلَى التُّكْرَانِ  
فَأُضُولُ دِينَ نَبِينَا فِيهِ أَتَتْ  
عُهُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ  
فِي سُنَّةِ وَالْحَافِظِ الطَّبْرَانِيِّ

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه (١٨٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٦٣).

(٢) موضوع: انظر «ضعيف الجامع» (١٨٣٢).

(٣) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بَتَارِيخٍ لَهُ وَأَبُوهُ ذَاكَ زَهَيْرُ الرَّبَّانِيِّ

فَهؤُلاءِ كُلُّهُمُ سَاقُوا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ وَهُوَ أَظُنُّ مَوْجُودٌ فِي شَرْحِ ابْنِ عَيْسَى، وَعِنْدَ الْهَرَّاسِ.

أَخْرَجَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ~~رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ~~ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمِرْآةٍ بِيضَاءَ <sup>(١)</sup>، وَحَدِيثِ أَبِي رَزِينِ سَاقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «كِتَابِ الْعُلُوِّ» فَقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْنَاهُ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ وَهْبَةَ اللَّهِ وَجَمَاعَةٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمُقْرِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدِانُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءَ عَنْ وَكَيْعِ بْنِ حُدْسٍ عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءَ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ» <sup>(٢)</sup> رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَبَيْنَ مَاجَةِ وَإِسْنَادِهِ حَسَنٌ.

وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ وَغَيْرُهُ عَنْ يَعْلَى وَقَالُوا: عَدَسٌ بَدَلَ حُدْسٍ وَرَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ حَمَادٍ وَعِنْدَهُ «ثُمَّ كَانَ الْعَرْشُ فَارْتَفَعَ عَلَى عَرْشِهِ» وَرَوَى حَرْبٌ عَنْ ابْنِ رَاهَوِيَةَ تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَفَوْقَهُ هَوَاءٌ يَعْنِي: السَّحَابَ.

وَقَالَ أَبُو عَيْبَةَ: الْعُلَمَاءُ: الْغَمَامُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ الْخَنْزَلِيُّ الْهَرَوِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا الْهَيْثَمِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ الرَّازِيَّ يَقُولُ: أَخْطَأَ أَبُو عَيْبَةَ إِنَّمَا الْعَمَى مَقْصُورٌ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ كَانَ الرَّبُّ يَعْنِي قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ رَزِينِ حَدِيثَ طَوِيلٍ بِإِسْنَادَيْنِ مَدْنِيِّينَ فِي الْبَابِ لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ. انْتَهَى كَلَامُ الذَّهَبِيِّ.

قُلْتُ: هَذَا كَلَامُ الذَّهَبِيِّ فَقَدْ سَاقَهُ بِتَمَامِهِ «النَّاظِمُ» فِي كِتَابِ «الْهُدَى» فَقَالَ:

هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ تَنَادَى جَلَالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَشْكَاتِ النَّبُوَّةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدْنِيِّ، رَوَاهُ عَنْهُ غِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ الزُّبَيْرِيُّ وَهُمَا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ ثَقَاتَانِ مَحْتَجَّجَانِ فِي الصَّحِيحِ، احْتَجَّ بِهِمَا إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَرَوَاهُ أُمَّةُ أَهْلِ السَّنَةِ فِي كُتُبِهِمْ وَتَلَقَّوْهُ

(١) ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزُّوَادِ (١٠/٤٢١)، وَعَزَاهُ إِلَى الْبِزَارِ وَالطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ وَأَبِي يَعْلَى.

(٢) ضَعِيفٌ: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣١٠٩)، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الضَّعِيفَةِ (٥٣٢٠).

بالقبول وقابله بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواه.  
فمن رواه: الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب  
«السنة» وقال: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري:  
كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عني.  
ومنهم: الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبي في كتاب «السنة» له.  
ومنهم: الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب «المعرفة».  
ومنهم: حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في كثير  
من كتبه.

ومنهم: الحافظ أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب  
السنة.  
ومنهم: الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة حافظ  
أصبهان.

ومنهم: الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه.  
ومنهم: حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني وجماعة من  
الحفّاظ سواهم يطول ذكرهم.

وقال ابن مندة: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن  
حنبل وغيرهما وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو  
زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده  
بل روه على سبيل القبول والتسليم ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف  
للكتاب والسنة وهذا كلام أبي عبد الله بن مندة. انتهى كلامه.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٧٥٧ - واذكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ

«أَقِمِ الصَّلَاةَ» وَتِلْكَ فِي سُبْحَانِ

١٧٥٨- في ذكر تفسير المقام لأحمد

مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ

١٧٥٩- إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا

هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الْفُوقَانِي

١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذَكَرَ الْجُلُوسِ بِهِ وَفِي

أَثَرٍ زَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّثَّانِي

١٧٦١- أَعْنِي ابْنَ عَمِّ نَبِيَّتَا وَبِعِيرِهِ

أَيْضًا أَتَى وَالْحَقُّ ذُو تَبَيَّانِ

١٧٦٢- وَالِدَارَ قُطْنِي الْإِمَامُ يَبْتِئُ الـ

آثَارَ فِي ذَا الْبَابِ غَيْرَ جَبَانِ

١٧٦٣- وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِي

هَذَا: لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ

١٧٦٤- وَجَرَتْ لِذَلِكَ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ

مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ

١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ

وَرَشُؤُهُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

١٧٦٦- لَكِنْ بِمِحْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ

ذَا حُكْمُهُ مُذْ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

١٧٦٧- وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرِ

رِ فَأَيْتٌ لِلْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالثَّ

تَحْرِيفٌ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ (١)  
الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا النوع من الأدلة ما ذكره مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمَاسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿[الإسراء: ٧٨، ٧٩] ذكر أن من المقام المحمود أن الله سبحانه وتعالى يجلس نبيه محمداً ﷺ على عرشه وذكر في هذا آثاراً والله أعلم بصحة هذه الآثار لكن بعض العلماء حسنها لكثرة طرقها وذكر أن الدارقطني أثبت هذه الآثار وأن له قصيدة ضمنت هذا وفيه (لست للمروي ذا نكران) الذي يقول هذا الدارقطني.

وَجَرَّتْ لِذَلِكَ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ

وهذه الفتنة يقول الشارحون للقصيدة أنهم لم يعلموا عنها شيئاً ثم قال المؤلف هذه الآيات المفيدة المهمة قال:

وَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَرْمَانِ

(١) [١٧٦٥: ١٧٦٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

إذا كانت الحرب في هذا الباب قائمة بين أهل الحق والإثبات من جهة، وبين أهل النفي والتعطيل من جهة أخرى، فإن النصر فيها مضمون لأقربهما إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حيث وعد الله عز وجل بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِإِبَادِنَا الْمُتَرَسِّلِينَ﴾ (٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿[الصافات: ١٧١-١٧٣] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١] ولكن ما يجري على أهل الحق من عدوان أهل الباطل عليهم وإيذائهم لهم، فإن ذلك امتحان من الله تبارك وتعالى لحزبه وأوليائه ليصفي بذلك جوهرهم ويمحص قلوبهم ويزيدهم عنده كرامة ورفعة على ما أودوا في سبيله وصبروا، وعلى ما احتملوا في جهاد أعدائه المبطلين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنَصِّرَهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوًا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنه لم يذكر من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه إلا طرفاً يسيراً جداً من كثير لا يمكن عده وإحصاؤه، ولا يعقل أن تكون هذه النصوص كلها من الآيات والأحاديث والآثار في كثرتها ووضوحها قابلة لتأويل هؤلاء المعطلة لولا أن القوم قد أصبحوا ولا حياء عندهم يمنهم من الجرأة على كتاب الله عز وجل بالتحريف، ويلزمهم الوقوف عند ما وقف سلف هذه الأمة الذين هم أكملها علماً وأوسعها فهماً بدلاً من أن يتخبطوا في هذه المتاهات التي أضلتهم عن سواء السبيل.



لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١] ولكن قال: (لكن بمحنة حزه من حربه) يعني: لا بد أن حربه يمتهنون حزه بالعداوة والبغضاء والقتال وغير ذلك.

وقوله: (ذا حكمة مذ كانت الفتتان) يعني: هذا النداء وهذه المحن حكمة من الله مذ كانت الفتتان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١] ثم قال:

وَقَدْ اِقْتَصَرْتُ عَلَىٰ يَسِيرٍ مِّنْ كَثِيرٍ فَائْتِ لِلْعَدِّ وَٱلْحُسْبَانِ

أي: إني اقتصرت على يسير من الأدلة على علو الله سبحانه وتعالى.

مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِٱلثَّـٰنِيَةِ تَحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ





## مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في جناية التأويل،

والفرق بين المقبول منه والمردود

لا يرتاب عارف أن جميع المصائب التي جرت في صدر الإسلام وبعد ذلك ووقوع الفتن والافتتال والتحزبات كلها متفرعة عن التأويل الباطل الذي لا ينتج إلا شراً، فالتأويل الباطل سبب فتن الأقوال والبدع الاعتقادية، والفتن الفعلية، فلم يزل التأويل يتوسع، وكل بدعة متأخرة تحدث من التأويلات الباطلة غير ما أحدثته التي قبلها، حتى وصلت النبوة إلى ابن سينا وأتباعه، فتأولوا جميع الشرائع العلمية والعملية، وأبطل القرامطة جميع الشرع، وفسروا شرائعه الكبار بتفاسير يعلم الصبيان بطلانها. فهذه البدع أصلها الذي تأسست عليه التأويل الباطل المردود.

وأما التأويل الذي يراد به تفسير مراد الله ومراد رسوله بالطرق الموصلة إلى ذلك فهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهي التي أمر الله ورسوله بها ومدح أهلها، وكذلك التأويل الذي هو بمعنى ما يؤول إليه الأمر من العمل بأمر الله ومن فهم ما يؤول إليه الخبر، فلفظ «التأويل» في الكتاب والسنة الغالب عليه هذان الأمران: إما نفس وقوع ما أخبر الله به ورسوله، وإما العمل بما أمر الله به ورسوله. فالأول راجع إلى التصديق والثاني: راجع إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله هو الخير كله وسبب السعادة والفلاح.

فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله، وإلى العمل بالخبر، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله



ورسوله، إلى بدعهم وضلالهم، وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق.

وكل من ادعى تأويلًا يخالف اللفظ لم تصح دعواه إلا بأربعة أمور لو اختلف واحد منها فتأويله باطل:

أحدها: أن يأتي بدليل يدل على قوله، لأنه خلاف الأصل فإن الأصل حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته، فمن ادعى خلاف ذلك فعليه البرهان. فإذا أتى بدليل طولب بأمر ثان: وهو أن ذلك الذي تأوله إلى ذلك المعنى يحتمله، لأن لا بد أن يكون بين الألفاظ والمعاني ارتباط وتناسب، لأنه باللسان العربي أنزله الله ليعقله العباد إذا تدبروا ألفاظه، فهل يمكن أن يعقلوا أو يفهموا ما ليس له ارتباط ودلالة على المعاني من ذات اللفظ ونفس العبارة بحيث لا يحتاجون إلى أمور خارجية.

فإذا أتى بما يدل ويحتمل ذلك المعنى الذي عينه وهيهات له ذلك طولب بأمر ثالث: وهو تعيينه المعنى الذي تأول اللفظ له، فهب أن ظاهره غير مراد فلا بد من دليل يعين المعنى الذي صرفه إليه ويخصه به، فإن التخصيص من دون دليل من باب التكهن والتخرص، لأن اللفظ لا يدل عليه بخصوصه، فقد يكون القصد به معنى غير الذي عينوه، وقد يكون اللفظ متعبداً بتلاوته ولفظه مجرداً عن المعاني، وهو أولى من تحريفهم أو إتيانهم بمعان ما أنزل الله بها من سلطان، وإن كان الأمران ينافيان حكمة الباري، لكن التعبد أهون من التحريف.

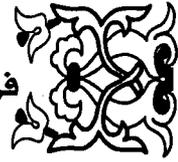
فإن فرض أنه تأول على غير ظاهره وأتى بدليل على الاحتمال وعلى التعيين طولب بأمر رابع: وهو الجواب عن المعارض، لأن الدعوى لا تتم إلا بذلك، والمعارض للنفي هو جميع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة والأدلة العقلية والفطرة كما تقدمت الإشارة إليها، ومن المستحيل أن يُعَارَضَ وحيه وتنزيله وقول رسوله وأصحابه والتابعين بإحسان بأقوال النفاة الذين بنوا أمرهم على المحال، فتبين أن المعطلين النافين لا سبيل لهم إلى إثبات قولهم أبداً بوجه من الوجوه وهو المطلوب.



## فصل



في جنائمة التأويل على ما جاء به الرسول  
والفرق بين المردود منه والمقبول



- ١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ  
تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلِ  
زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانِ
- ١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْـ  
قُرْآنِ ذَا الثُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانِ
- ١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ  
أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانِ
- ١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ  
فَقَدُوا عَلَيْهِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ
- ١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرَّتِهِمْ أَبَا  
حِجْمَى الْمَدِينَةَ مَعْقِلَ الْإِيمَانِ
- ١٧٧٥- حَتَّى جَرَتْ تِلْكَ الدِّمَاءُ كَأَنَّهَا  
فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ
- ١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقْدُ  
تُلُّ صَاحِبِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ

مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ<sup>(١)</sup>

١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَوَارِجَ مِثْلَمَا

أَنْشَأَ الرَّوَافِضَ أَخْبَثَ الْحَيَوَانَ

١٧٧٩- وَلَاجِلِهِ شَتَّمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ

سَدِّ الرُّسُلِ بِالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

١٧٨٠- وَلَاجِلِهِ سَلَّ الْبُعَاةُ سُيُوفَهُمْ

ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُوو إِحْسَانِ

١٧٨١- وَلَاجِلِهِ قَدَّ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا

لِ مَقَالَةً هَدَّتْ قُوى الْإِيْمَانِ

١٧٨٢- وَلَاجِلِهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ

(١) [١٧٧٢: ١٧٧٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكان مما تأوله هؤلاء القتلة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فقالوا أن عثمان كفر لحكمه بغير الحق وكل كافر فهو مشرك حلال الدم والمال، وبهذه التأويلات الفاسدة استحل الخوارج الذين خرجوا في زمن علي رضي الله عنه دماء المسلمين وأموالهم وكفروا عليًا ومعاوية ومن معها من الصحابة، وخرج منهم عبد الرحمن بن ملجم أشقى هذه الأمة فقتل عليًا رضي الله عنه وهو ينادي لصلاة الصبح بمسجد الكوفة سنة ٤٠ من الهجرة. وكان التأويل أيضًا سببًا في مقتل الحسين والإيقاع به هو وأهله في كربلاء حيث قتله جند يزيد بن معاوية متأولين أنه من البغاة الخارجين عن طاعة الإمام.

وكان التأويل كذلك هو السبب في استباحة جند يزيد حمى المدينة المنورة في وقعة الحرة ثلاثة أيام يسفكون الدماء وينهبون الأموال ويهتكون الأعراض حتى فني في هذه الواقعة معظم الأنصار الذين آووا ونصروا رضي الله عنهم أجمعين.

ومن بعد ذلك جرى بمكة ما جرى من عسكر الحجاج الغشوم حيث حاصرها في أيام ابن الزبير رضي الله عنه وضربها بالمنجنيق وانتهت المعركة بمقتل ابن الزبير بعد أن تخلى عنه أصحابه.

فكل هذه البلايا ما وقعت إلا بسبب تأويلات الخوارج والمرجئة والقدرية والرافضة وغيرهم من فرق الضلال والزيغ التي اتبعت ما تشابه من الكتاب، وتركت مُحْكَمَهُ فصاروا في أمر مريب.

سُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنْ الْأَكْوَانِ

١٧٨٣- وَلَا جِلْهَ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ

شِبْهَ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيرَانِ

١٧٨٤- وَلَا جِلْهَ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا

بِرِّ فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ

١٧٨٥- وَلَا جِلْهَ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْ-

مُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ التُّكْرَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٧٧٨ : ١٧٨٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

والتأويل كذلك هو الذي كان سبباً في ظهور الخوارج والروافض.  
أما الخوارج فهم الذين يسمون باحزورية أو الشراة، وقد كانوا أولاً في معسكر علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه بعد حادثة التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله وكفروا علياً ومعاوية ومن معها من الصحابة رضي الله عنهم واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم. ومن مذهبهم أن من ارتكب كبيرة ولم يتب منها فهو كافر مخلد في النار. ومن شبههم الفاسدة في هذا أن الله عز وجل قال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨] ثم قال في آية أخرى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فقالوا: إن الله قد نفى الخزي عن المؤمنين وأثبته لأهل النار وعلى ذلك فكل من دخل النار فليس بمؤمن وكل من ليس بمؤمن فهو كافر. وهم محجوجون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وبالأحاديث المتواترة في خروج الموحدين من النار. وأما الروافض فهم غالبية الشيعة الذين عكفوا في علي رضي الله عنه وفي أهل بيته، وكان سبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من إمامة الشيخين أي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما لم يجيبهم انفضوا عنه. فقال: رفضني هؤلاء، فسموا رافضة.  
وهؤلاء الروافض أحبب الناس قولاً في صحابة رسول الله ﷺ وأكذبهم في الحديث عنه. ويقولون بالإمام المعصوم وبالتقية والرجعة. وهم خارجون عن دائرة الإسلام، والتأويل كذلك هو السبب في خروج البغاة على الأئمة، وشقهم عصا الطاعة وخروجهم عن الجماعة وترويعهم المسلمين. ويظنون أنهم بذلك من أهل الإحسان؛ لأنهم يريدون إقامة العدل، ودك صروح الظلم والطغيان. وينسون قوله عليه السلام: «من فارق الجماعة قيّد شيرٍ فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» وهو كذلك السبب فيما ذهب إليه أهل الاعتزال من أقوال منكرة كانت معاول هدم في صرح الإيذان منها قولهم أن كلام الله مخلوق منفصل عنه، وليس صفة قائمة به، فخالفوا بذلك العقل والنقل وأتوا منكراً من القول

١٧٨٦- ولأجله ضرب الإمام بسوطهم

صديق أهل السنة الشيباني

١٧٨٧- ولأجله قد قال جهنم ليس رب

ب العرش خارج هذه الأكوان

١٧٨٨- كلاً ولا فوق السموات العلى

والعرش من رب ومن رخصن

١٧٨٩- ما فوقها رب يطاع جباهنا

تهوي له بسجود ذي خضعان

١٧٩٠- ولأجله جحدت صفات كماله

والعرش أخلوه من الرحمن

١٧٩١- ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـ

— ماوى مقالة كاذب فتان

١٧٩٢- ولأجله قالوا: الإله معطل

وزوراً. وقد سبق الكلام في هذه المسألة. ومنها تكذيبهم بقضاء الله وقدره وقولهم أن الأمر أنف وأن الله لم يكن يعلم أعمال العباد قبل أن يفعلوها، وأن الله لا يريد أفعال العباد لا يقدر عليها، بل هم الذين يخلقونها، فأشبهوا بذلك المجوس حيث أثبتوا خالقاً غير الله.

ومنها حكمهم على أهل الكبائر بالخلود في النار كما قالت الخوارج إلا أنهم لا يسمونهم كفاراً ولا مؤمنين بل يجعلونهم في منزلة بين المنزلتين ومنها إنكارهم لشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر وهي ثابتة بالأحاديث البالغة حد التواتر ويتمسكون في هذا بالآيات التي تنفي الشفاعة (مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقوله على لسان المشركين: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [١٠] ولا صديق حميم [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]) مع أنها خاصة بالشفاعة لأهل الشرك. ونفي الشفاعة عن هؤلاء يفيد ثبوتها لغيرهم كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي الشفاعة بغير إذن يفيد ثبوتها بالإذن كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرِضْوَانٍ﴾ [النجم: ٢٦].

أَزْلًا بَغَيْرِ نَهَائِيَةٍ وَزَمَانٍ

١٧٩٣- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ قَالَ لَيْسَ لِفِعْلِهِ

مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٧٨٦ : ١٧٩٣] قال العلامة محمد خليل هراس :

ولأجل التأويل أيضًا ضرب أحمد بن حنبل الشيباني صديق أهل السنة رضي الله عنه حيث أراد المأمون - بتأثير المعتزلة - أن يحمل العلماء على القول بخلق القرآن وامتحنهم بذلك امتحانًا شديدًا، فأجابوه إلى ذلك تقيية وخوفًا من القتل، ولم يثبت في المحنة إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فأمر المأمون بحملهما إليه بواسطة ولكن المنية عاجلته قبل أن يصلا إليه فقام بها أخوه المعتصم بوصية منه، وضرب أحمد بن حنبل وطيف به وهو مُصْرٌّ على قوله الحق في أن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق، ومنه بدأ وإليه يعود، فاستحق بذلك منصب الإمامة في الدين. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ يَا مَرْغُوبًا وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا قَوْمَ ثَمُودَ إِذْ كَانُوا يَسْجُدُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وكانت محنة أحمد نقطة سوداء في تاريخ بني العباس والمعتزلة قبحهم الله، ولأجل التأويل كذلك نفى جهم شيخ المعتزلة وجود الله عز وجل فوق عرشه بذاته وقال: ليس في السماء إله يُعبد ولا فوق العرش رب يُصلى له ويسجد، وتاول جميع الآيات والأحاديث الواردة في إثبات جهة العلو، وهي من الكثرة والوضوح بحيث لا ينكرها إلا ضال أعمى كما قدمنا، ولا متمسك له هو وأشياعه على هذا النفي إلا شبه واهية ويسمونها عقلية، وهي جهليات لا تغني من الحق شيئًا كقولهم: إذا كان الله في جهة كان محدودًا ومتحيزًا وذا صورة، ويمكن أن يُشار إليه بالإشارة الحسية وهذا من خواص الأجسام.

والجواب: ما قدمناه من أن استواء تعالى على العرش ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، فلا يلزمه ما يلزمها، على أن ما ذكره من اللوازم ليس كله فاسدًا، كالحذ والتحيز والصورة والإشارة الحسية إلخ، وادعائهم أن هذا من لوازم الأجسام إن أرادوا تلك الأجسام الاصطلاحية التي هي مركبة عندهم، إما من الجواهر الفردة على رأي المتكلمين أو الهبولي، والصورة على رأي الفلاسفة فممنوع، وإنما هي من خواص كل موجود قائم بنفسه وله وجود مستقل، إذ لا يُعقل وجود بدون هذه اللوازم، ولأجل التأويل أيضًا جحد الجهم وأشياعه صفات الله عز وجل من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام وغيرها، وقالوا: لا نصفه بصفة المخلوق، ومنهم من أثبت بعضًا ونفي بعضًا على اختلاف مذاهبهم في التجهم والتعطيل، وكل من نفى صفة من الصفات اضطر إلى تأويل ما ورد في إثباتها من النصوص، ولا متمسك لهم على هذا النفي أيضًا إلا ادعائهم أن الإثبات يقتضي الماثلة بين الله عز وجل وبين خلقه، وهو وَهْمٌ فاسد، فإن الإثبات لا يستلزم الماثلة، بل يثبت للمخالف من ذلك ما يليق به ويثبت للمخلوق ما يليق به فليس العلم كالعلم، ولا القدرة كالقدرة، وليست اليد كاليد ولا العين كالعين، وليس الاستواء كالأستواء ولا النزول كالنزول إلخ.

١٧٩٤- وَلَا جِلْهَ قَدْ كَذَّبُوا بِتُرْوِلِهِ

نَحْوَ السَّمَاءِ يَنْصِفُ لَيْلٍ ثَنَانٍ

١٧٩٥- وَلَا جِلْهَ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً

وَجِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ

فإن الاشتراك إنما هو في مسمى الاسم الكلي وذلك يستلزم التماثل بين أفراده في الخارج، ألا ترى أن الوجود الكلي يشترك فيه الواجب والممكن، وليس وجود الواجب في الخروج يماثل وجود الممكن، وهكذا، ولأجل التأويل ذهب الجهم إلى القول بقاء الجنة والنار، وهي مقالة لم يقلها في الإسلام غيره. وقال هو ومن تبعه من المعتزلة والأشاعرة أن الله لم يكن فاعلاً في الأزل ثم صار فاعلاً، أي: أنه لم يزل معطلاً عن الفعل مدة لا نهاية لها من الزمان قبل أن يخلق هذا العالم، ثم ابتداء الخلق، وكان هذا مما أعان الفلاسفة عليهم حيث أوردوا عليهم أنه يلزم حدوث شيء في ذاته اقتضى الفعل بعد أن لم يكن مقتضياً كأن كان عاجزاً فَقَدِر، أو كان فاقد لآلة فوجدها أو كان غير مريد للفعل ثم أراد إلخ.

فإن قلت: إن الإرادة قديمة والقدرة موجودة في الأزل وجميع الشرائط المعتبرة في الفعل مستكملة فما الذي منعه من أن يفعل وليس لكم أن تقولوا أن الإرادة القديمة إنما تعلقت بالإيجاد في هذا الوقت دون غيره، ولأجل التأويل أيضاً نفى الجهم وأشياعه من الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة الحكمة عن فعله تعالى، وقالوا: إن أفعاله لا تعلق بالأغراض والغايات، فإن الفاعل لغرض مستكمل، وتوهما أن إثبات غاية باعثة له عز وجل على الفعل نقص يجب تنزيهه الله تعالى عنه، وجوزوا ترجيح القادر لأحد الأمرين المتساويين بلا مرجح، وفاتهم أن مثل ذلك يكون عبثاً يستحيل صدوره عن الله عز وجل، على أن الغايات والمصالح التي من أجلها يفعل ربنا سبحانه ظاهرة متجلية في كل ما خلقه أو أمر به، والقرآن والسنة فيهما الكثير من تلك الحُكْم التي لا ينكرها إلا مكابراً مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ومثلها قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [المالك: ٢]، ومثل قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَمِجَاهُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [المائدة: ٩٤]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيْنَا عَقِيبًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١]. إلخ ما لا يمكن حصره من آيات الكتاب العزيز.

١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَال-

قُرْآنٍ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ

١٧٩٧- مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً

لَكِنْ مَجَازٌ وَيَحُذِرُ الْبُهْتَانَ

١٧٩٨- وَلَا جِلْدَ قَتِيلِ ابْنِ نَصْرِ أَحْمَدَ

ذَاكَ الْخُرَازْمِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٧٩٩- إِذْ قَالَ ذَا الْقُرْآنِ نَفْسُ كَلَامِهِ

مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ<sup>(١)</sup>

١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سَيْنَا وَالْأَلَى

قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

١٨٠١- فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

(١) [١٧٩٤: ١٧٩٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكما جنى التأويل على صفة العلو والاستواء على العرش التي جاء بها صريح الكتاب والسنة، كذلك حمل هؤلاء المتأولة على التكذيب بنزوله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى شطر الليل الآخر مع صحة الحديث بذلك وبلوغه مبلغ التواتر، ومن سلم منهم بصحة الحديث تأوله بدنو الرحمة أو بنزول الأمر أو الملك إلى غير ذلك مما لا تدل عليه العبارة لا تصريحاً ولا تلميحاً، وهل يعقل أن يكون الأمر أو الملك هو الذي يقول: هل من سائل فأعطيه إلخ.

ومن أجل التأويل أيضاً ذهب الكلابية والأشعرية إلى إثبات الكلام النفسي ونفي الحرف والصوت عن كلام الله عز وجل، ولهذا قالوا: إن هذا المتلو بالألسنة والمكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور ليس كلام الله، بل هو عبارة أو حكاية عنه، فإن كلام الله قديم ليس بحرف ولا صوت، وهذا الذي عندنا محدث مخلوق؛ لأنه مركب من حروف وأصوات، والله لم يتكلم عندهم بالقرآن؛ لأن كلامه ليس بحروف وأصوات مسموعة، فجزيريل عليه السلام لم يسمع القرآن من الله عز وجل، ولكنه أخذه من اللوح المحفوظ أو سمع كلاماً في الهواء إلخ.

ومن أجل التأويل أيضاً قتل الشيخ أحمد بن نصر الخزازي رحمه الله زمان المخنة حين ثبت مع الإمام أحمد في القول بأن هذا القرآن المتلو المسموع هو نفس كلامه تعالى ليس بمخلوق من جملة المكونات.

وَحُدُوثُهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ

١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ

وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ

١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ

رُسُلُ الْإِلَهِ بِهِذِهِ الْأَبْدَانِ

١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ

حَتَّى تَعُودَ بِسَيِّطَةِ الْأَرْكَانِ

١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى

يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ

١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأْوِيلِ الـ

عِلْمِيَّ عِنْدَكُمْ بِأَلَا فُرْقَانِ

١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ

حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ

١٨٠٨- فَجَزَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِحْنَةٍ

وَخُمَارُهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٨٠٠: ١٨٠٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

والتأويل كذلك هو الذي جرَّ أبو علي ابن سينا الفيلسوف، ومن لَفَّ لَفَّهُ على القول بقدم العالم بالزمان، لأنه معلول لعلة قديمة والعللة التامة يجب أن يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها، وتأولوا خلق الله للعالم وحدوثه عنه بأنه مفقتر إليه لإمكانه افتقار المعلول إلى علته، وليس معنى الخلق أو الحدوث أن الله أوجده من العدم، والقول بقدم العالم كانت إحدى المسائل التي كفر بها الغزالي الفلاسفة في كتابه «التهافت».

وكذلك تأولوا علم الله عز وجل وجميع صفاته بمعان سلبية تحاشياً من القول بالتركيب، يقول ابن سينا في كتابه «النجاة»: «فإذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه موجود، ثم الصفات الأخرى يكون بعضها المتعين فيه هذا الوجود مع إضافة وبعضها هذا الوجود مع سلب، وليس ولا

١٨٠٩ - وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدَعٍ وَأَحَدٍ

ذَاتِ تَخَالِفٍ مُوجِبِ الْقُرْآنِ

١٨١٠ - فَاسَاسُهَا التَّوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا

تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَأْوِيلِ ذِ التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ

ما حصل في الإسلام من مخالفات ومعاصي وبدع وقتل وسلب ونهب كل من التأويل هذا فيمن ينتسب للإسلام، أما من لم ينتسب فأصل بلية الإسلام من أنه عدو للإسلام لكن المنتسب للإسلام ما جاءت البلية للإسلام إلا بسبب تأويله وقال المؤلف: «ذي التحريف والبطلان» أما تأويل من ليس بمحرف فليس في الإسلام منه بلية.

واحد منها موجباً في ذاته كثرة البتة ولا مغايرة.

وكذلك تأولوا علم الله عز وجل وجميع صفاته بمعان سلبية كما تأولوا البعث الذي هو خروج الموتى من قبورهم أحياء بأنه فراق الروح لعالم العناصر الذي هو عالم الكون والفساد ورجوعها إلى عالمها الأول، حين كانت تعيش في عالم البسائط والمجردات التي لا يعترها تحلل ولا فساد، ولا يجوز أن يكون الضمير في قوله: (بفراقها) عائد إلى الأبدان، لأن الأبدان من عالم العناصر، فكيف تفارقه؟ اللهم إلا إذا أريد بهذا أنها تتحلل فيعود كل عنصر منها إلى حاله قبل التركيب، ولكن إطلاق اسم البعث على هذا المعنى بعيد، فالظاهر: أن المراد بالبعث هنا مفارقة الروح لعالم العناصر.

وكذلك جرّأ التأويل القرامطة أتباع حمدان قرمط، وهم من غلاة الشيعة على أن يتأولوا شرائع الإيمان العملية، كما تأولوا شرائعه العلمية بلا فارق بينهما، فتأولوا الصلاة والصيام، والحج والزكاة، والجهاد وغيرها، بمعان اصطلاحاً عليها تناسب مذاهبهم الخبيثة، وفسروا آيات الكتاب برموز وقالوا أنها لها ظاهراً وباطناً؛ ولهذا سمّوا باطنية.

والتأويل كذلك هو الذي جرّأ نصير الدين الطوسي الخبيث شارح «الإشارات» لابن سينا، و«المحصل» للرازي على أن يكيد للإسلام وأهله، فيقال أنه هو الذي كتب إلى هولاء ليغزو بجيوشه الباغية بلاد الإسلام، ويقوّض أركان الخلافة الإسلامية، وقد جرى للمسلمين على أيدي هؤلاء التتار من المحن والبلايا ما بقيت آثاره إلى أيام الشيخ ابن القيم رحمه الله.

وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانِ

يعني: فرق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة مع أن الواجب أن هذه الأمة الإسلامية تكون فرقة واحدة لكن التأويل الذي أحدث التحريف فَرَّقَ الأمة إلى ثلاث وسبعين شعبة.

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْـ قُرْآنِ ذَا الثُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانَ

يعني بذلك عثمان بن عفان فالذي قتله التأويل؛ لأن الذين ثاروا عليه وقلبوا عليه شعبه وأمته كانوا متأولين يدَّعون أنه فسَقَ بزعمهم حيث إنه وُلِّيَ من لا يصلح للولاية مثل عبد الله بن أبي سرح وغيره فقالوا: إن هذا الرجل فسق، وبعضهم قال: إنه كفر فجمعوا عليه الناس واقتحموا بيته وقتلوه وهو يقرأ كتاب الله ﷻ وأرضاه.

قال: (جامع القرآن) فهو الذي جمع القرآن الجمع الثاني؛ لأن الجمع الأول كان في عهد أبي بكر ﷻ لكنه جمعه وكان الناس يقرأونه على سبعة أحرف ويختلفون في قرأته فلما خاف عثمان ﷻ من الفتنة بذلك جمعهم على حرف واحد وهو حرف قريش أي: لغة قريش وأحرق ما سواه من المصاحف وأوجب على الأمة أن يقتصروا على لغة قريش فقط فكان في هذا جمع للأمة واتتلاف بينها يُشكر عليه ﷻ وجزاه الله عن أمة محمد خيرًا.

وقال: (ذا النورين) يعني: صاحب النورين وذلك أن النبي ﷺ زوجته ابنته: رقية وأم كلثوم؛ ولهذا قال بعض أهل السنة إذا افتخر الرافضة بأن علي بن أبي طالب زوجة النبي صلى الله عليه فإن عثمان قد زوجة النبي ﷺ ابنته الشتين.

قال: (والإحسان) لأنه ﷻ جهز جيش العسرة بمائة بعير بأحداثها وأقطابها، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام من يشتري هذا البئر؟ بئر رومة ويكون له الجنة اشتراه عثمان بحرَّ ماله ﷻ ولهذا فقد أحسن للأمة الإسلامية بتجهيز الجيوش واستيعاب الماء لهم.

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانِ

فعلي بن أبي طالب ﷻ أيضًا، قتله الخوارج الذين خرجوا عليه بعد أن كانوا معه في صفه لكنهم تنكروا وخرجوا عليه وقتلوه في الكوفة وهو خارج إلى صلاة الصبح يدعو إلى الصلاة ﷻ فقتلوه شهيدًا، ودُفِنَ في قصر الإمارة في الكوفة ومن نعمة الله أن قبره لم يكن معروفًا لأنه دفن في قصر الإمارة خوفًا عليه أن يخرج الخوارج من قبره في المقبرة ويمثلوا

به، الذين قتلوه هؤلاء هؤلاء الخوارج وبأي شيء؟ بالتأويل؛ لأنهم قالوا: إنك لما قبلت التحكيم مع معاوية رضي الله عنه كفرت وحلّ دمك فقتلوه بهذا التأويل.

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ فَعَدُوا عَلَيْهِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

وقتلوا أيضًا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع أهل العراق حيث غدروا به وقتلوه حتى مزقوه تمزيقًا ومثلوا به ولكنه ليس كما يزعم بعض الناس: أن رأسه دُفِنَ في دمشق وبعضهم قال: دفن في العراق وبعضهم قال: إنه دفن في مصر، فكان لهذا الرجل ثلاثة رؤوس، رأس في العراق ورأس في الشام ورأس في مصر فتبارك الله أحسن الخالقين هذا الرجل ليس له إلا رأس واحدة ولم ينقل رأسه إلى غير مكانه ومن المعلوم أن المواصلات كانت صعبة ثم إنه في ذلك الوقت بالذات فتن عظيمة من الذي يستطيع أن ينقل رأسه إلى الشام أو إلى مصر!؟

وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرَّتِهِمْ أَبَا حَمَى الْمَدِينَةَ مَعْقِلَ الْإِيمَانِ

حَتَّى جَرَتْ تِلْكَ الدِّمَاءُ كَأَنَّهَا فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ

ويوم الحرّة كان بالمدينة المنورة حيث استبيحت واستحلت ثلاثة أيام وقتل فيها ناس كثيرون من الأنصار الذين آووا النبي صلى الله عليه وآله ونصروه، واستبيحت مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، كل ذلك بالتأويل، وبه حصل الخروج على يزيد بن معاوية فحصل بذلك الشر العظيم والفتنة العظيمة وكذلك يقول:

وَعَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقُ تُلُّ صَاحِبِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ

أيضًا من التأويل ما جرى في مكة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي فإنه قاتل أهل مكة وحاصرهم ونصب المنجنيق ورمى به الكعبة وانهدم بعض جدرانها ودخل مكة وقتل من فيها حتى قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ومثّل به وعلّقه؛ وكل هذا بسبب التأويل بأنهم فئة خارجة عن الإيمان والفئة الخارجة عن الإيمان تُقتل.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَوَارِجَ مِثْلَمَا أَنْشَأَ الرَّوَافِضَ أَحْبَثَ الْحَيَوَانَ

(وهو) الضمير يعود على على التأويل الذي أنشأ الخوارج، والخوارج فرقة ضالة كفرت كثيراً من الصحابة واستباحت دماء المسلمين بغير حجة لكن لما معها - والعياذ بالله - من التفرد والاستكبار والاعتزاز بالنفس حتى رأوا أن مَنْ سواهم كافر وكفروا بالفسق والكبائر، وقالوا: من شرب قطرة من خمر فهو كافر مخلد في النار يجب قتاله، ويحل دمه - والعياذ بالله - فهم من أشد الناس خطراً على الأمة الإسلامية، كذلك الروافض وصفهم المؤلف ابن القيم: أنهم أخبث الحيوان، فالروافض أيضاً فرقة ضالة فرقة مشرقة، والمراد بذلك الغلاة منهم فهم يدعون أن لهم أئمة يدبرون الكون، وأنه ما من ذرة تكون في الكون إلا ويدبرها الإمام المعصوم عندهم وأن من سوى أئمتهم فهم أئمة ضلال وكتبهم معروفة وهم أكثر الفرق بدعاً في الأمة الإسلامية حتى قسم الناس الأمة الإسلامية إلى قسمين: سنة وشيعة والشيعة هم الروافض.

ولأجله شتموا خيار الخلق بعد الرُّسُل بالعدوانِ والبهتانِ

لأجل التأويل شتم الروافض خيار الخلق بعد الرسول بالعدوان والبهتان، فالروافض يكفرون الصحابة إلا نفرًا قليلاً، والباقي كلهم كفار حتى إن بعضهم قال إن أبا بكر وعمر كافرين وماتا على النفاق، ولا شك أن هذا القول لازمه من أبطال اللوازم؛ لأنه قدح في الله وقدح في الرسول عليه الصلاة والسلام وقدح في الشريعة وقدح في خيار الناس فهذا المذهب يلزم منه هذه اللوازم الباطلة، القدح في الله حيث جعل أصحاب رسوله هؤلاء القوم الفساق والفجار الخونة، هكذا اعتقادهم القدح في الرسول حيث كان أخذانه وأحبائه هؤلاء الفسقة، وأن المرء على دين خليله وأن الإنسان يُعرف بصاحبه: إذن يستلزم القدح في الصحابة والقدح في الرسول ﷺ وهو قدح في الشريعة؛ أيضاً لأن الوسيلة التي نقلت لنا الشريعة هم الصحابة، فإذا كانوا فجاراً فسقة أو كفاراً فكيف نثق بالشريعة؟ إذن لا ثقة لنا بها، وهو قدح أيضاً في الصحابة الذين هم خير القرون بشهادة النبي ﷺ لهم<sup>(١)</sup>

(١) كما روى البخاري في صحيحه (٣٦٥١): أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» قال إبراهيم وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

وأعمى الله بصائرهم كيف تمر بهم الآيات القرآنية الواضحة في أن الصحابة رضي الله عنهم خير الأمة قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ١٩] وقال أيضًا: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠] والآيات في هذا كثيرة.

والأحاديث كثيرة قال النبي عليه الصلاة والسلام لأحد لما اهتز به ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: «أثبتُّ أحدُ أو اسكنُ فإنَّنا عليك نبيُّ وصدِّيقٌ وشَهِيدانِ»<sup>(١)</sup> لكن نسأل الله العافية الهوى يعمى ويصم.

ولأجله سلَّ البغاةُ سُيوفَهُمْ ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُوو إِحْسَانٍ

(البغاة) الخارجون على الأئمة، سلُّوا سيوفهم، وظنوا أنهم يحسنون فيأتي الإنسان يقول: هذا الخليفة يشرب الخمر فيقول الثاني الله أكبر إنه لكافر فيقول الثالث جهَّزَ السيف ويقول الرابع انفروا خفافاً وثقالاً فيخرجون على الإمام بهذا التأويل، والإمام الذي يشرب الخمر والذي يزني ورجل كهذا هل يكون كافرًا؟ لا لكنه فاسق وليس كافرًا ولا يجوز أن يُخرج عليه؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ»<sup>(٢)</sup> وهذه الشروط ثلاثة:

الأول: تَرَوْا.

الثاني: كُفْرًا بَوَاحًا.

الثالث: عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ.

فالظن لا يكفي حتى ترى بعينك كفرًا بواحا صريحًا فالذي فيه احتمال كفر أو فسق لا يبيح الخروج عليه بواحا وليس بمقتضى ظنك إنَّها بمقتضى الدليل الشرعي؛ حيث إن

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٦).



الدليل الشرعي. يكون عندكم فيه من الله برهان، قال العلماء: البرهان هو الدليل القاطع. فالمسألة عظيمة جداً ثم إن الخروج أيضاً مع تمام الشروط المجيزة له، لا بد من شرط رابع وهو أن يزول هذا الشيء بالخروج وإذا كان لا يزول فإنه يزيد حرمة الخروج لا لعدم المبيح له ولكن لعدم الجدوى منه؛ حيث لو خرج عشرة من الناس بعد أن رأوا كفراً بواحا عندهم فيه من الله برهان، وخروج عشرة على الدولة؛ واحد مثلاً معه سكين والثاني سيف والثالث مخلب والرابع خنجر والخامس حجر، وهكذا. وقالوا نخرج على دولة عندها دبابات وقنابل وصواريخ، ماذا يكون خروجهم؟ يكون الخروج جنوناً لا يحل لهم لا بشرع ولا بعقل؛ فلا بد من تهيئة يكون بها زوال هذا المنكر الذي رأيناه كفراً بواحا عندنا فيه من الله برهان، أما أن تخرج طائفة ثم تُطْحَنَ وَيُطْحَنَ من ورائها من هو خير فلا شك أن هذا سفةٌ وضرر؛ ولهذا أنكر ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مثل هذا، وقالوا: إنهم يخرجون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن ما يفعلون أكبر مما يخرجون من أجله.

فالخاص: أن التأويل سبب كل بلية وهو الذي جعل البغاة يخرجون على الأئمة حتى حصلت الشرور والفتن.

وقوله: (ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُؤُوبُ إِحْسَانٍ) لكنهم والله ذوي إساءة على أنفسهم وعلى غيرهم. وَلَا جِلِّهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا لِمَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيْمَانِ

قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لا يستطيع وإن الله لا يجب ولا يرضى، فأنكروا المحبة وأنكروا الكلام وأنكروا كل الصفات؛ لأنهم يَدْعُونَ أَنْ إثباتها يستلزم التمثيل أو التجسيم أو الإشارك على خلاف بينهم.

وَلَا جِلِّهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ شُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ  
وَلَا جِلِّهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ شِبْهُ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيِّرَانِ

وهم القدريّة فقد كذبوا بقضاء الله، والقدريّة من الأمة يتسبون لها ويقولون: إن الله سبحانه وتعالى لا علاقة له بسير العبد ولا يدري عن العبد إلا إذا فعل العبد ويقولون: إن الله لا يدري عن العبد إطلاقاً ولا له التصرف فيه ولا يعلم عن فعله إلا إذا فعله. فهم أنكروا العلم وأنكروا الكتابة وأنكروا المشيئة وأنكروا الخلق، وهذا رأيهم أما المعتدلون



منهم قالوا: إن الله يعلم ولا يقدر أي: يعلم أن العبد يفعل لكن لا يقدر أن يغيّره؛ لأن فعل العبد بمشيئته، ما لله فيها دخل أيهم خير هؤلاء أم هؤلاء؟ كلهم شر والذي استقر رأيهم عليه: أنهم قالوا يعلم لكن لا يشاء ولا يخلق فهو يعلم أن العبد يفعل كذا، لكن لا يستطيع أن يغيّر؛ لأن فعل العبد ليس بمشيئة الله، هؤلاء القدرية يقول المؤلف: إنهم شبه المجوس فكيف كانوا شبه المجوس وما وجه المشابهة؟ المجوس يقولون: إن الكون له خالقان اثنان وكل ما يحدث فيه فهو إما من خالق النور وإما من خالق الظلمة، إن كان خيراً فهو من النور وإن كان شراً فهو من الظلمة فجعلوا للخلق خالقين.

وهؤلاء القدرية جعلوا للحوادث خالقين: حوادث من فعل الله كإنزال المطر وإنبات الأرض والإحياء والإماتة، وحوادث من فعل العبد فالأولى تختص بالله والثانية تختص بالعباد؛ إذن فللحوادث خالقان؛ ولهذا قال (شبه المجوس العابدي النيران).

وَأَلْجَلِهِ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا      يَرِي فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ

هؤلاء هم المعتزلة والخوارج كلاهما يخلد أهل الكبائر في الجحيم كما يخلد عابدي الأوثان؛ فرجل زنى ولكن لم يتب من الزنا ومات قبل أن يتوب، ورجل مشرك بالله منذ ميّز حتى مات عند الخوارج فكلاهما مخلد في النار كعابدي الأوثان.

وَأَلْجَلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ      مُخْتَارٍ فِيهِمْ غَايَةَ التُّكْرَانِ

هم يقولون: إن أهل الكبائر ليس فيهم شفاعاة كما أن أهل الإشراك ليس فيهم شفاعاة بناءً على أن أهل الكبائر مخلدون في النار والمخلد في النار لا يُشفع له وهذا واضح.

وَأَلْجَلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ      مُخْتَارٍ فِيهِمْ غَايَةَ التُّكْرَانِ

فالإمام أحمد ضرب بالسوط؛ لأنه أصرّ على قول الحق بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وهم يضربونه بالسياط حتى يغشى وتجره البغلة في السوق ويضرب حتى يغمى عليه؛ ليقول أن القرآن مخلوق ولكنه أصرّ وقال القرآن منزل غير مخلوق فافعلوا ما شئتم وهذا كما قال السحرة لفرعون: ﴿فَأَقِصْ مَا أَنْتَ قَاصِصٌ إِنَّمَا أَنْقَضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢] وهكذا هو مقام أهل الحق لاسيما في هذا المقام الضيق؛ لأن الإمام أحمد لو قال القرآن مخلوق ولو بتأويل لانقلبت الأمة كلها معتزلة وجهمية، فمقامه هنا ليس من باب مقام



الإقرار يعني: لو قال قائل: لماذا لم يتأول أو قال: المكره ليس عليه ذنب؟

نقول: لا هذا مقام جهاد ففرق بين شخص يُكره أن يسجد لصنم ولكن لا يقضي به الناس فهذا له أن يفعل ما أكره عليه إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، وبين شخص يكون إماماً هذا لا يجوز أن يفعل ما أكره عليه هذا هو الفرق؛ لأن هذا الإمام إذا فعل ما أكره عليه من الكفر، ماذا يكون؟

سيتبعه الناس ويكفرون بمقامه مقام جهاد لكن إذا كان شخصاً عادياً وقيل له اسجد للصليب وسجد، لا يهتم به أحد من الناس فهذا إذا سجد؛ دفعاً للإكراه فإنه لا حرج عليه ويكون معذوراً مادام قلبه مطمئناً بالإيمان.

وَأَجَلِهِ قَدْ قَالَ جَهَنَّمَ لَيْسَ رَبٌّ  
كَلًّا وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى  
مَا فَوْقَهَا رَبٌّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا  
بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ  
وَالْعَرْشِ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ  
تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ

جهنم بن صفوان إمام الجهمية يقول: إن الله ليس فوق العرش وليس فوق السموات وما فوق السموات من رب إذن فأين الله؟ انقسم الجهمية إلى قسمين: قسم قالوا: إن الله بذاته في كل مكان في المسجد وفي السوق وفي كل مكان فلا تقول فوق السموات.

وقسم آخر قالوا: إن الله تعالى ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل فالله غير موجود، هؤلاء - والعياذ بالله - جعلوا الله في كل مكان، وهؤلاء أخرجوه من كل مكان ولماذا هذا التأويل عند الجهمية؟ يقولون: لو قلنا إن الله فوق لزم أن يكون في جهة فيكون محدوداً ويكون جسمًا ويكون في حيز وما أشبه ذلك، فنقول لهم كما سبق: إن كل هذا ليس بلازم بالنسبة لعلو الله إلا ما كان لاثقًا به عز وجل.

وَأَجَلِهِ جُجِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ  
وَالْعَرْشِ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

صفات الكمال أنكرت بهاذا؟ بالتأويل، لماذا؟ لأننا لو أثبتنا لله صفة لازم أن يكون جسمًا والأجسام متماثلة.

وقال بعضهم: لو أثبتنا صفة قديمة لازم تعدد القدماء وهذا أعظم من شرك النصارى فالنصارى يجعلون الآلهة ثلاثة وأنتم إذا أثبتتم لله صفة قديمة جعلتم ألفًا، مثلاً، إذا أثبتتم لله

سمعاً قديماً وبصراً قديماً وقدرة قديمة وحياءً قديمة وقوة قديمة وعزة قديمة فصارت الصفات كثيرة وهكذا كلما أثبت صفةً زدت رباً فيقولون: إذن يجب أن ننكر كل صفة؛ لأجل هذا التأويل أنكروا صفات الكمال.

وَأَجْلِهِ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةِ الْمَأْوَى مَقَالَةٌ كَاذِبٌ فَتَّانٍ

يعني: التأويل أفنى الجحيم وأفنى جنة المأوى فهؤلاء الجهمية يقولون: إن أفعال الله ليس لها استمرار أزلي ولا أبدي؛ ولهذا قال بعدها هم يقولون أن الله ليس له فعل مستمر لا أزلاً ولا أبداً وعلى هذا فالنار تفتنى والجنة تفتنى ومر علينا فيما سبق أنهم يقولون بفناء الجنة وفناء النار وبعضهم قال تفتنى الحركات دون الذوات، حتى إن الإنسان إذا كان يريد أن يأكل ثمرة من الجنة وأخذ الثمرة بيده ليوصلها إلى فمه وجاء وقت الفناء بقيت يده هكذا فيها الثمرة أبد الأبدين - نسأل الله العافية - على كل حال هم يقولون بفناء الجنة والنار تأويلاً باطلاً.

وَأَجْلِهِ قَدْ قَالَ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ

هذا من مذهب جهم أي: إنكار الحكمة حيث يقول: إن أفعال الله غير معللة ما له حكمة يفعل هكذا ليس لها غاية تفيد؛ لأنك لو جعلت لأفعاله حكمة صيرته يفعل لغرض والذي يفعل لغرض ناقص؛ لأنه لا يمكن إلا بهذا الغرض، ولهذا من قواعدهم الفاسدة (أن الله منزّه عن الأعراض والأبعاض والأغراض) كلمة مسجوعة حلوة في لفظها لكنها مؤرّة في معناها: (منزّه عن الأعراض) يعني: عن الصفات، (والأبعاض) يعني: الوجه واليدين والعين، (والأغراض) يعني: عن الحكمة فليس لديه حكمة فأهدروا جميع ما يدل على اسم الحكيم فحكيم بلا حكمة، وأنكروا كل ما جعله الله سبباً؛ لأن الأسباب من العلل فأنكروا كل هذا، والقرآن مملوء بإثبات الحكمة لله لكن هم يقولون: يفعل بغير حكمة فهو يفعل لمجرد المشيئة.

وَأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانٍ

ولأجله أي: لأجل التأويل كذبوا بنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا في النصف الثاني من الليل فقالوا: إن معنى قوله ﷺ: «ينزل ربنا» ينزل أمر ربنا أو رحمة ربنا أو ملك ربنا وقد

سبق الجواب على هذا التحريف في الحقيقة.

وَأَجْلِهِ زَعَمُوا كِتَابَ عِبَارَةٍ

مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْ

لأجله زعموا: أن القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله وهؤلاء هم الماتريديّة والأشعرية

قالوا: إن كلام الله لا يُسْمَعُ وليس به حروف، لكن هو القائم بنفسه، وأن الله سبحانه وتعالى

خلق أصواتاً تُسْمَعُ عبارة عن هذا الكلام أو حكاية عن هذا الكلام ولهذا قال المؤلف:

مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً لَكِنْ مَجَازٌ وَيَحُذَا الْبُهْتَانِ

قوله: (ويح) كلمة توجع ووعيد لهذا البهتان الذي ذهب إليه هؤلاء، فهم إذا جعلوا

الكلام عبارة عن المعنى القائم بالنفس، فهل يُسَمَّى المعنى القائم بالنفس كلاماً؟ لا وليس

كما قال القائل:

إِنَّ الْكَلَامَ لِفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

يقولون: إن القائل لهذا البيت هو الأخطل النصراني المشهور وبعضهم أنكر أن يكون

قاله؛ لأنه لم يوجد في ديوانه وأياً كان فإنه لا حجة فيه؛ لأن معنى قوله: (إن الكلام لفي

الفؤاد) يعني: إن الكلام الرزين الذي يعتبر هو ما كان خارجاً من القلب أما كلام الهذيان

فهو الذي يكون على اللسان فالكلام الرزين الحقيقي المفيد هو الذي يخرج من قلب

الإنسان، يقدر الأول بقلبه ثم ينطق بلسانه.

وَأَجْلِهِ قُتِلَ ابْنُ نَصْرِ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخُرَاعِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

هذا أحمد بن نصر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الرجل الثاني الذي وقف أمام المحنة في عهد الإمام أحمد

ابن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإن هذين الرجلين أصراً على أن يقولوا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق فقتل

أحمد بن نصر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأما الإمام أحمد بن حنبل فنجى.

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سَيْنَا وَالْأَلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

(ابن سينا والألى) أي: الذين قالوا مقالته على الكفران.

فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَخُذَوْنَهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ

فابن سينا وشيعته من الفلاسفة قالوا: إنه ليس هناك خالق ومخلوق وأن خلق السموات معناه إمكان حدوثها هذا معنى خلقها وأنها وُجِدَتْ ووجودها دليل على الإمكان أما أن يكون هناك خالق فلا، وتأول الخلق بمعنى إمكان الحدوث.

وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ

قالوا: إن الله سبحانه وتعالى ليس له صفة وجودية بل كل صفاته سلبية حتى قالوا: لا يصح أن تقول بأن الله موجود فهذا غير صحيح؛ لأنه لا يجوز أن نثبت لله صفة الوجودية بل كل صفاته سلبية ومع هذا أيضًا يقولون: إنه تخييل لا حقيقة له لكن الرسل جاءوا بهذا التخيل من أجل أن يستقيم الناس على ما أريد منهم وإلا ما يوجد رب ولا صفات رب ولا جنة ولا نار ولا يوم آخر وإنما الرسل صَوَّرُوا هذا تصويرًا قصصيًا من أجل أن يستقيم الناس على ما طلبت منهم الرسل.

وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الْإِلَهِ بِهَذِهِ الْأَبْدَانِ بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بِبَسِيطَةِ الْأَرْكَانِ

البعث الذي هو: إخراج الناس من قبورهم لرب العالمين أحياء بعد الموت، قالوا: ليس هذا المراد بالبعث إنما المراد بالبعث بعث الروح من عالم المادة إلى عالم الروح، أي: أنها تخرج من عناصر المادة من البدن إلى عالم الأرواح.

والحقيقة أن هذا تحريف ليس بعده تحريف؛ لأننا لو قلنا: إن هذا هو البعث، فحقيقته أن هذا هو الموت بأن تفارق الروح البدن أي: تفارق العنصر المادي إلى عنصر الأرواح الغيبي هذا ليس ببعث هذا حقيقته أنه الموت، لكن لتحريفهم زعموا أن هذا هو البعث وأنكروا أن يكون هناك بعث للأبدان فقالوا: الأبدان تفتنى وتذهب ولا يمكن أن تُبعث مرة أخرى.

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ

القرامطة: أصلهم شيعة روافض لكن تطورت والعياذ بالله بدعتهم حتى قالوا: إن للإسلام ظاهرًا وباطنًا؛ الظاهر ما نعرفه من الصلاة والزكاة والصيام والحج وهذا لا يؤمر به إلا العامة ولا يقوم به إلا العامة، فالأنبياء عوام فتابعهم على هذا الدين الظاهر، والدين الحقيقي هو الدين الباطني؛ ولهذا يسمون الباطنية، وهذا الدين الباطني لا يؤمر به إلا

خواص الناس، وهم أوليائهم، ولهذا تأولوا حتى الدين العملي أو حتى الشريعة العملية تأولوها كما تأول هؤلاء الشريعة العلمية في صفات الله وغيرها تأولوها وحرفوها، فهم حرفوا حتى الأمور العملية، فقالوا: الصلاة ليست هي ذات الركوع والسجود، إنما الصلاة معرفة أسرار القول، أما الصيام فليس الإمساك عن الطعام والشراب والمفطرات لا، فهذا صوم العوام أمّا صوم الخواص فهو كتمان أسرارهم ولهذا لا يبوحون بأسرار مذهبهم إلا بعد أن يترقى الإنسان عشر مراتب معروفة عندهم، يعني: يرحلونه مرحلة مرحلة حتى يصل إلى الغاية والحج قالوا: الحج إنه زيارة أوليائنا بدلاً من زيارة الكعبة فزيارة الكعبة حج العوام أما حج الخواص أن تذهب إلى الولي الفلاني حياً كان أو ميتاً وتقصد هذا هو الحج، أما الزكاة فهي ليست بذل المال للفقراء والمساكين والعاملين عليها إلى آخره ولكنها بذل المال في تنمية مذاهبهم والبناء على قبور أوليائهم وما أشبه ذلك.

فَتَأُولُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأُولِ الْـ عِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِإِلَافٍ فَرْقَانِ

ما هو العلمي؟ ما يتعلق بالعقائد، والعملية ما يتعلق بأعمال الجوارح، فالباطنية القرامطة تأولوا الأمرين جميعاً فهم بمذهبهم العلمي كمذهب الفلاسفة تماماً فعندهم، كل اليوم الآخر وأسماء الله وصفات الله بل والله عز وجل تخييل أما المذهب العملي أيضاً تخييل للعوام فقط دون الخواص.

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ

النصير: هو نصير الدين الطوسي عليه من الله ما يستحق وهذا الرجل رافضي استبطنه الخليفة وجعله من بطانته فخانه أعظم خيانة وقاد التتار إلى دخول بغداد فدخل التتار بغداد وقتلوا الخليفة وقتلوا أمماً لا يحصيهم إلا الله من العلماء والعباد والزهاد وغيرهم، حتى إن ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يتكلم عن محتهم فقال: إنني كنت أقدم رجلاً أوخر أخرى أن أذكر تاريخهم؛ لأنه تاريخ - والعياذ بالله - عظيم فطبع شنيع، لكن نظراً لأن التاريخ لا بد أن يذكر ذكرت محتهم، وكان يقول من محتهم أن العشرة منهم أو الخمسة أو الرجلان أو الثلاثة يدخلون الزقاق والسوق ويدكون البيوت ويخرجون الرجال ويأتون بحجر بل بحجرين ويقولون للرجل: ضع رأسك على هذا الحجر ويقولون لأخيه اضرب رأس أخيك بالحجر

الثاني ويفعل ذلك ولا يدافعون عن أنفسهم فقد أنزل الله في قلوبهم الرعب ويخرجون المرأة وهي حامل فيفتحون بطنها ويخرجون ولدها وهو يتحرك أمامها ثم يقتلونها - نسأل الله العافية - وإذا رأيت ما جرى تقول سبحان الحليم الذي لا يؤاخذ عباده بما صنعوا يقول ابن القيم :

فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِحْنَةً وَحُمَازَهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ

يعني: جرى على الإسلام محنة عظيمة سقطت فيها الدولة العباسية، (وخمازها فينا) يعني: ما زالت هذه الفتنة إلى وقت ابن القيم في القرن الثامن وهي كانت في سنة ست مائة وخمسين أي: قبل مائة سنة وما زال أثرها:

وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدَعٍ وَأَحَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ

فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

إذن أساس البلاء في الإسلام هو التأويل لا في الأمور العلمية ولا في الأمور العملية حتى في مسائل الفقه الذين يخالفون الأقوال الصحيحة التي دلت عليه النصوص إنما خالفوها من أجل التأويل، يؤولون النصوص فيخالفون مراد الشارع.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٨١١ - إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشْفُهُ

وَيَبَيِّنُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

١٨١٢ - قَدْ كَانَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلُّ أَوَانٍ

١٨١٣ - يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ

وَسُجُودِهِ تَأْوِيلُ ذِي بُرْهَانَ

١٨١٤ - هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِي

سَنَ حِكَايَةَ عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ

١٨١٥- فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ

خَيْرُ النَّسَاءِ وَأَفْقَهُ النَّسْوَانِ

١٨١٦- أَنْظَرْتُهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الـ

مَعْنَى الْقَوِيِّ ذِي الرَّجْحَانِ<sup>(١)</sup>

١٨١٧- وَاَنْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ عَلَدِ

لِمَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ

(١) [١٨٠٩: ١٨١٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: أن جميع ما أحدث في الدين من بدع مخالفة لمقتضى الكتاب والسنة الصحيحة فلا سبب له إلا التأويل الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف للكلم عن مواضعه وعدول بالألفاظ عن معانيها المتبادرة منها بغير موجب لذلك الصِّرف إلا محاولة تصحيح ما جنح إليه القوم من الأهواء الضالة التي أخذوها مما عند اليهود والنصارى وفلاسفة اليونان والصابئة وغيرهم.

وأما تأويل أهل العلم والإيمان فهو تأويل صحيح؛ لأن المراد به كشف المعنى وتفسيره وبيان المراد منه وحقيقته نفس ما يؤول إليه الشيء، فإن كان اللفظ خبراً فتأويله هو نفس المخبر عنه وذلك مثل آيات الصفات والوعد والوعيد وأحوال أهل الجنة وأهل النار فتأويلها هو نفس حقيقة ما أخبر الله عنه فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] ومعناه ما ينتظر هؤلاء المكذوبون بيوم البعث والجزاء إلا تأويله أي وقوع ما أخبر عنه القرآن من ذلك، ومنه أيضاً قول القرآن حكاية عن الصديق يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] فقد أراد بتأويل الرؤيا وقوع مضمونها المفسر لها فيما جرى بينه وبين إخوته وما تقلب فيه من محن وأرزاء حتى بلغ من استخلاص الملك إياه وجعله على خزائن الأرض، ومنه قول الصديق بنت الصديقة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن، تعني: أنه كان ينفذ ما أمر به في القرآن، بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]؛ لأن اللفظ إن كان طلباً فتأويله هو نفس المأمور به أو المنهي عنه.

فهل يظن أن عائشة رضي الله عنها كانت تعني بقولها يتأول القرآن، ذلك المعنى الفاسد للتأويل الذي اصطلح عليه أهل الكلام وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح المتبادر منه إلى المعنى المرجوح بلا صارف.

وظهور معناه له ببيان

١٨١٩- قول ابن عباس هو التأويل لا

تأويل جهمي أخي بهتان

١٨٢٠- وحققة التأويل معناه الرجوع

ع إلى الحقيقة لا إلى البطلان

١٨٢١- وكذلك تأويل المنام حقيقة الـ

ممرئي لا التحريف بالبهتان

١٨٢٢- وكذلك تأويل الذي قد أخرجت

رسل الإله به من الإيمان

١٨٢٣- نفس الحقيقة إذ شاهدها لدى

يوم المعاد برؤية وعيان<sup>(١)</sup>

١٨٢٤- لا خلف بين أئمة التفسير في

(١) [١٨١٧ : ١٨٢٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وتأمل كذلك قوله ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فهل أراد به إلا أن يرزقه الله الفهم لتفسير كتابه وبيان معناه، وقد استجاب الله دعوة نبيه عليه السلام لابن عمه فكان يسمى ترجمان القرآن. فما أثر عن ابن عباس من تفسير للقرآن وكشف عن معناه هو الذي يصح أن يسمى تأويلاً لا تأويلات هؤلاء الجهمية المبطلين، وذلك لأن حقيقة التأويل كما قدمنا هي الرجوع إلى حقيقة المعنى الذي يدل عليه اللفظ ويقضيه عند الإطلاق إلى معنى باطل لا يدل عليه إلا باحتمال مرجوح فتأويل المنام مثلاً وقوع نفس ما رآه النائم في حال اليقظة مطابقاً للرؤية.

وتأويل ما أخرجت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أساء الله وصفاته واليوم الآخر وما فيه، ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار إلخ، وهو نفس الحقائق المخبر عنها كما سبق بحيث نشاهدها يوم القيامة مطابقة للخبر عنها ولا خلاف بين أئمة التفسير في أن هذا المعنى للتأويل هو الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، الآية أي: ما ينتظرون إلا حصول ما أُنذروا به من العذاب ووقوعه.

هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّيَّانِ

١٨٢٥- هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ رَشُوبُهُ

وَأئِمَّةُ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ

١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ

بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ

١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ

تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ

١٨٢٨- كَلًّا وَلَا نَفْيَ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا

عَزَلُ النَّصُوصِ عَنِ اليَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ البَاطِلِ المَرْدُودِ عِنْدَ

سَدِّ أئِمَّةِ العِرْفَانِ وَالإِيمَانِ

١٨٣٠- وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ

وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبَطْلَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٨٢٥ : ١٨٣٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهذا كلام الله وقرآنه لم يبي في التأويل في جميع استعماله إلا بمعنى التفسير وبيان المعنى أو وقوع المخبر عنه، وهذا كلام رسول الله ﷺ في دعائه لابن عمه بتعلم التأويل لم يرد إلا هذا المعنى كذلك، وهؤلاء أئمة التفسير من السلف الذين هم أعلم الناس بمعاني كتاب الله عز وجل مطبقون على أنه لا معنى للتأويل إلا كشف المعنى وتفسيره، ما قال أحد منهم قط بمثل مقالكم المحدثه التي لا أصل لها، ولا فسر التأويل بما فسرتموه به من أنه صرف اللفظ عن معناه الراجح الذي هو حقيقة فيه وحمله على معنى مرجوح بطريق المجاز، ولا ادعى أحد منهم أن نصوص الكتاب والسنة لا تفيد اليقين، لأن اللفظ يحتمل الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص إلخ، ولكنكم أنتم الذين اجترأتم على التلاعب بالنصوص فحرفتموها عن مواضعها، ونفيتم حقائقها وعزلتموها عما جاءت له من إفادة العلم واليقين وحملتتموها على ما شاء لكم الهوى من معان موافقة لمذاهبكم الباطلة، فهذه هي تأويلاتكم التي لا يعرفها أهل المعرفة والإيمان، بل ينكرونها أشد النكران وهي في حكم الله مقضي عليها كذلك بالبطلان.

١٨٣١- فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِ مَعْنَى غَيْرَ مَعْدٍ

نَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانٍ

١٨٣٢- وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى

تَسِي جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَحْذُورَانِ

١٨٣٣- كَذِبٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى

مَنْ قَالَهَا كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ

١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا

جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ

١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنْ مُرَادَهُ

غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بَطْلَانٍ<sup>(١)</sup>

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ قبل هذه الآيات أن التأويل الباطل هو الذي حصل بسببه كل البدع

(١) [١٨٣١: ١٨٥٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويقال لهؤلاء المتأولين الذين جعلوا القرآن عضين، فجعلوا للألفاظ معاني أخرى باصطلاحهم الفاسد غير المعاني المفهومة منها، واستكروها ألفاظ الكتاب في حملها على هذه المعاني البعيدة، يقال لهم يلزمكم في صنيعكم هذا أمران محذوران.

أحدهما: الكذب على الألفاظ حيث حملتموها من المعاني ما لا يتحمل وصرتموها قسراً واعتسافاً إلى هذه المعاني التي لا تخطر لأحد ممن يفهم معاني هذه الألفاظ عند إطلاقها.

والثاني: هو الكذب على من قالها حيث زعمتم أن مراده منها كذا وكذا زوراً، بل يلزمكم في صنيعكم هذا أمران آخران هما أقبح من المذكورين.

أحدهما: جحدكم الهدى الذي دلت عليه هذه الألفاظ حيث نفيتم معانيها الحقبة التي أراد الله أن تكون بيئاتاً.

والثاني: شهادتكم الزور والبهتان، إذ تشهدون على الله عز وجل أن مراده من هذه الألفاظ كذا وكذا، وأنه لم يرد منها حقائقها، وأن تلك الحقائق لا يمكن أن تكون مرادة الله من هذه الألفاظ لما يترتب عليها في زعمكم من محالات، فأبى شهادة زور أشنع من هذه التي شهدتموها على ربكم أيها الجاهلون.

والأحداث وقد ذكر المؤلف أن هناك تأويلاً صحيحاً وهو التأويل الذي قاله أهل العلم والإيمان حيث قال:

فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبَطْلَانِ لَا  
إِذْ قَالَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشَفُهُ  
تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ  
وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

هذا التأويل بمعنى التفسير؛ لأن التأويل الذي ذكرنا أنه أصل البلاء صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح هذا هو التأويل الذي أبطله ابن القيم، وحقيقة أمره أنه تحريف.

وهناك تأويل بمعنى التفسير وهو كشف المعنى وبيانه وهذا هو التأويل الصحيح؛ ولهذا قال: (ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه إلى الأذهان) وهذا يستعمله العلماء - أهل العلم والإيمان - فمثلاً يقول ابن جرير وهو إمام المفسرين بالأثر يقول عندما يتكلم على تفسير الآية القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، القول في تأويل يعني في تفسير وسمي التفسير تأويلاً؛ لأنه بيان لما يؤول إليه اللفظ فإن تفسير اللفظ بمعنى بيان لما يؤول إليه وأصل التأويل مأخوذ من الأول وهو الرجوح، ثم شرع يقول:

قَدْ كَانَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ كُلَّ أَوَانٍ

محمد رسول الله ﷺ هو أعلم الخلق بكلام الله لا شك في هذا.  
يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ

فإنه عليه الصلاة والسلام لما نزل قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣] عرف عليه الصلاة والسلام أن هذا دنو أجله (١) وأن الله أمره أن يختم عمره بهذا الدعاء (سبح بحمد ربك واستغفره) فكان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» نعم يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان أي: ذي علم ودليل.

(١) صحيح البخاري (٣٦٢٧)، والترمذي (٣٣٦٢).

يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ

ماذا قالت السيدة عائشة لما قالت كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك) قالت: يتأول القرآن ماذا تعني بالتأويل هنا؟ هل تعني أنه يصرف القرآن عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر؟ لا يتأول القرآن بل يعمل به؛ لأن حقيقة المأمور ومآله العمل به؛ فمثلاً إذا أمر الله بشيء فلنا فيه تأويلان: التأويل الأول تفسيره، والتأويل الثاني فعله والعمل به فقول عائشة يتأول القرآن ليس معناه يفسر المعنى (سبح بحمد ربك واستغفره) لكن المعنى يعمل به والعمل بالشيء في المأمور به يعتبر تأويلاً؛ لأنه إظهار للمأمور به حتى يكون مشاهد كما أن تأويل الخبر إذا وقع يسمى تأويل؛ لأنه ظهر للمخبر به أو للمخبر عنه حتى يشاهد ويرى الحقيقة أن التأويل يراد به التفسير ويراد به عين المؤول فإن كان مأموراً به فتأويله فعل المأمور به إذا كان مخبراً عنه فتأويله وقع المخبر عنه حتى يُشاهد ويرى.

فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسَوَانِ

أما كون عائشة أفقه النساء فهذا أمر يعرفه من عرف حالها، وأنها تعتبر فقيهة النساء <sup>وهي</sup>، وأما كونها خير النساء فهذا من الأمور المختلف فيها عند أهل السنة فمنهم من قال: إن خير النساء عائشة؛ لأن النبي ﷺ قال: «كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَكَمَلٌ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعٌ أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»<sup>(١)</sup>، قالوا فذكر أنه كمل من النساء فلانة وفلانة وفلانة وفضل عائشة على النساء وهذا عام كفضل الثريد على سائر الطعام، وكان ابن القيم في هذا الكلام يذهب هذا المذهب، ولكن مر علينا في العقيدة أن الصحيح أن عائشة لها مزية وخديجة لها مزية وفاطمة لها مزية ومريم لها مزية كل واحدة خير من الأخرى من وجه آخر.

أَتَنْظُرُهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْمَعْنَى الْقَوِيَّ لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ؟

الجواب: لا، لا تريد به - أي بالتأويل - فرق اللفظ عن المعنى القوي عن الظاهر للمعنى الذي ليس براجح؛ ولهذا قال (لغير ذي الرجحان).

(١) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

وَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ عَدُوُّهُ لِمَ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ  
 من القائل؟ الرسول عليه الصلاة والسلام قال لعبد الله بن العباس رضي الله عنه: «اللهم فقهه  
 في الدين وعلمه التأويل»<sup>(١)</sup> يعني: التفسير.

مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ وَظَهَرَ مَعْنَاهُ لَهُ بَيَّانٍ  
 قول ابن عباس هو التأويل يعني: هو التأويل الحقيقي التفسيري لا تأويل جهمي أخي  
 بهتان، فالجهمي ماذا يعني بالتأويل؟ التحريف لكن ما معناه عندهم؟ صرف اللفظ عن  
 المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، لدليل يرى أنه صائب أي والدليل الصائب عندهم هو  
 العقل كما مر علينا كثيرًا.

وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ  
 أما الجهمي وغيره يقولون عنه: هو الرجوع إلى المعنى الباطل الذي يخالف ظاهر اللفظ.  
 فمثلاً تأويل المنام: لما رفع يوسف أبويه على العرش وخرروا له سجدًا ماذا قال؟ قال  
 ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، معني هذا تأويلها أي: هذا وقوع هذه الرؤية  
 ؛ لأن الرؤية التي كانت، هي أنه رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين له وهذه  
 رؤية تصوير فقط ولما وقع الأمر ورفع أبويه على العرش وخرروا له سجدًا قال هذا تأويل  
 أي وقوع ما رآه في منامه مشاهدة.

وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ رُسُلُ الْإِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ  
 نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانٍ

الرسول عليهم الصلاة والسلام أخبرت بما يكون يوم القيامة فمتى تأويله الذي هو  
 وقوع هذا المخبر به؟ يكون يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي  
 تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف ٥٣] (نسوه من قبل)  
 يعني: تركه وليس النسيان الذي هو الذهول عن الشيء المعلوم بالمراد ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ  
 فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف ٥٣] قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿[الاعراف ٥٣].

هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ      وَأُئِمَّةُ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ  
تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ      بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ  
مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ      تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ

من الذي قال أن التأويل صرف عن الرجحان؟ الجهمية وأهل البدع، أما كلام الله وكلام رسوله وكلام أئمة التفسير وكلام أئمة المسلمين فتأويل عندهم له معنيان لا ثالث لهما ما هما؟ التفسير والحقيقة التي يؤول إليه الكلام إن كان خبراً فبوقوع المخبر به، وإن كان طلباً فامتثاله والعمل به.

وقوله: (كلا ولا نفي الحقيقة) يعني: ما قال منهم شخص قط أن التأويل نفي الحقيقة (ولا ... عزل النصوص عن اليقين فذان) أي: تأويل أهل الباطل، وأهل الباطل عزلوا النصوص عن اليقين وقالوا: إن دلالتها على المعنى لا تفيد اليقين وإذا لم تُفد اليقين فلنا الحق بتأويلها وصرفها عن ظاهرها، وهذه مكابرة؛ لأن في النصوص ما يفيد اليقين قطعاً فاستواء الله على العرش أي: علوه عليه تدل عليه النصوص يقيناً؛ لأنه في سبعة مواضع ذكر في القرآن ولم يَقُلْ الله في موضع واحد أنه استولى على العرش لكن جاءت بهذا اللفظ استوى على العرش أو الرحمن على العرش استوى مثلاً.

تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ      دَأِئِمَةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ  
وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ      وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبَطْلَانِ

الجملة الأخيرة (والله يقضي) ظاهر منها أنها جملة دعائية وأن ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل الله أن يقضي ببطلان هذا التأويل حتى لا يغترّ الناس به.

فَجَعَلْتُمْ بِلَفْظٍ مَعْنَى غَيْرِ مَعَى      نَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِ

لدى من؟ لدى أئمة الأذهان باصطلاح ثان.

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى      تَنِي جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَحْذُورَانِ

المحذور الأول: كذب على الألفاظ حيث قالوا: إنها تدل على كذا، وكذب على من قالها حيث قالوا أن مراده كذا؛ فعندنا الآن في تأويل أهل التحريف محذوران الأول الكذب على



الألفاظ، مثلاً ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ظاهر اللفظ جاء هو بنفسه، لكنهم قالوا جاء أمر ربك، وكذبوا على اللفظ وقالوا: المراد به جاء أمر ربك، وكذبوا على من تكلم بهذا اللفظ وهو الله فقالوا أن الله أراد بقوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ وجاء أمر ربك فكذبوا على الله إذن هنا كذبان الكذب الأول كذب على النصوص أو اللفظ، والكذب الثاني كذب على من قالها.

كَذِبَ عَلَى الْأَفْظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى مَنْ قَالَهَا كَذِبَانٍ مَقْبُوحَانِ  
وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ

ترتب على هذا أنهم جحدوا الحق وأشادوا بالباطل فقالوا مثلاً ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ليس معناها (علا) فجحدوا الحق وأشادوا بالمعنى الباطل وهو استولى ونحن الآن نبين هذه المحاذير الأربعة، ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ما ظاهر اللفظ؟ أنه استوى استواءً حقيقياً على العرش وهم قالوا المراد باستوى على العرش استولى فكذبوا على اللفظ، ثم إن الله أراد بقوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الاستواء الحقيقي أي: العلو عليه وهم قالوا: إن الله لم يرد ذلك ولكن أراد الاستيلاء فكذبوا على الله.

ثالثاً: الذي تلا هذين الأمرين كذبوا بالحق الذي هو الاستواء على العرش وحجده ثم أثبتوا معنى باطلاً، وهو الاستيلاء فكذبوا بالحق وأرشدوا للباطل؛ ولهذا قال: (وتلاهما أمران) أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان أي شهدوا بأنه استولى ولم يستو.

إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

يعني: الحقيقة باطلة وأن المراد سواها نسأل الله السلامة والهداية.

نقول يحتمل أن ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أراد مجموع الحكمين على الجنة والنار أنه كذب لا أنه أراد أن يحكم على كل واحد بانفراد فيكون الكذب هنا منصوب على مجموع الحكمين في النار والجنة فليس صريح في هذا ويحتمل أنه كان يرى هذا ثم تغير رأيه؛ لأن العلماء المجتهدين تتغير آرائهم.



## فصل

فيما يلزم مدعي التأويل  
لتصحيح دعواه

١٨٣٦- وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٍ

وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ

١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلْفِظِ عَنْ

مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ

١٨٣٨- إِذْ مُدْعِي نَفْسَ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ

لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ

١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ

هِيَئَاتِ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرِ ثَانٍ

١٨٤٠- وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى

قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْضُودُ بِالتَّبْيَانِ

١٨٤١- فَعِذَا أُتَيْتُمْ ذَاكَ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرِ

ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي

١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمْ إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا

ذَا ذَلِكَ أَمْ تَخْرُضُ الْكُفْهَانَ؟<sup>(١)</sup>

(١) [١٨٣٦: ١٨٤٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويلزمكم لتصحيح ما ادعيتموه من التأويل أربعة أمور وليس لكم قدرة على واحد منها.

الأول: أن تأتوا بدليل صارف للفظ عن معناه الأصلي، فإن اللفظ لا يجوز صرفه عن معناه الموضوع له إلا للدليل يدل على استحالة ذلك المعنى وما تدعونه من قرائن عقلية موجبة لذلك لا يسلمها لكم

١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ الْمَوْضُوعَ لَـ

كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي

١٨٤٤- غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ

نُ اللَّفْظُ مَقْضُودًا بِدُونِ مَعَانِ

١٨٤٥- لَتَعْبُدِ وَتَلَاوَةِ وَيَكُونُ ذَا

كَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ

١٨٤٦- مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ

وَيْلٍ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ

١٨٤٧- وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا

فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُنَّانِ

١٨٤٨- بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ الثَّ

تَحْرِيفَ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

١٨٤٩- وَكَذَلِكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ إِزْرَالَهَا

مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّيْيَانِ

١٨٥٠- وَهُمَا طَرِيقًا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا

خصومكم وأما نحن فلا نحتاج إلى مثل ذلك الدليل؛ لأننا ندعي أن اللفظ مستعمل في حقيقته التي هي الأصل فيه، فإذا ظفرتم بالدليل الصارف للفظ عن معناه، وهيئات طولبتم بإثبات أن اللفظ محتمل لذلك المعنى الذي ادعيتم أنه المقصود من اللفظ، ثم عليكم بعد أن تثبتوا بالدليل أن المعنى الذي ادعيتم أنه المقصود من اللفظ، كذا ثم عليكم بعد هذا أن تثبتوا بالدليل أن المعنى الذي عنيتموه حين قلت أن المراد كذا هو المقصود للمتكلم، فهذه أمور ثلاثة تلزم مدعي التأويل فلا تستقيم له دعواه إلا إذا أثبت كل واحد منها بالدليل، وما له إلى ذلك من سبيل.

ثم ينضم إليها أمر رابع سيذكره المصنف فيما سيأتي، وهو الجواب عن المعارض فإن الدعوى لا تتم إلا بذلك، والمعارض هنا هو جميع أدلة الإثبات في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأدلة العقل والفطرة، مما لا سبيل إلى معارضته بما يشغب به القوم من ترهات وأباطيل.

عَنْ مَقْصَدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرِفًا<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل فصل عظيم جدًا وذلك أن كل من ادعى التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح فلا بد أن يأتي بأمر أربع:  
الأمر الأول قال:

وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعُ      وَاللهَ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ  
مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلْفِظِ عَنْ      مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ

يعني: لا بد أن يأتي من ادعى التأويل بدليل صارف عن المعنى الأصلي، هذا الدليل إما من القرآن أو السنة أو الإجماع أو العقل الصريح فإذا أتى بدليل صارف لا بد من شيء آخر قال: فإن قال هذا الذي طالبناه بالدليل الذي صرف اللفظ عن ظاهره وقلنا له: هاتِ الدليل على أنه مصروف عن ظاهره لو أنه قلب علينا ذلك وقال: أنتم الذين تأتون بالدليل فيهاذا نجيبه؟ قال المؤلف للجواب عنه:

إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ      لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ

يقول: نحن ما صرفناه عن ظاهره حتى تتطالبنا بالدليل.

(١) [١٨٤٣ : ١٨٥٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

فلو قدر أن المتكلم لم يقصد المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ لم يمكن إثبات أنه أراد به المعنى الذي عيتموه، لجواز أن يكون له قصد آخر، أو أن يكون اللفظ مجردًا عن المعنى قد قصد من إنزاله التعبد بتلاوته، وهذا مع كونه جائزًا أنفع وأقرب إلى الحكمة من قصد معنى بعيد لا يدل عليه اللفظ، فإن ذلك تحريف للفظ عن معناه مع ما في ذلك من كد الأذهان وإتعاها في استخراج ذلك المعنى البعيد، فإذا وازنا هذا القصد الثاني بالأول الذي هو إنزال اللفظ للتعبد لم نجدهما سواء في حكمه المتكلم المنان جل شأنه، بل وجدنا الأول أقرب إلى الحكمة وأدنى إلى النفع من الآخر، بل الحكمة الإلهية في سموها وكماها تبطل أن يكون قصده جل شأنه التحريف للألفاظ باستعمالها في غير معانيها، كما هو زعم المؤولة، وكذلك تبطل أن يكون قصده منها معنى غير مفهوم من اللفظ، ولا يمكن للعباد إدراكه كما هو زعم المفوضة، فهذان الطريقان للمؤولة والمفوضة كلاهما منحرف عما قصد إليه القرآن الكريم من استعمال الألفاظ في معانيها الموضوع لها في اللغة التي نزل بها، فلا تفويض ولا تأويل.

فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا هِيَهَاتَ طَوَّلِبْتُمْ بِأَمْرِ ثَانٍ  
يعني: ما أبعد أن تأتوا بدليل بين يدل على صرف اللفظ عن ظاهره لكن على فرد أن  
يستقيم لكم طولبتم بأمر ثان.

وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْضُودُ بِالتَّبَيَّانِ  
لا بد أن يأتي بدليل على أن المعنى يحتمل ما ذكره فإن كان لا يحتمل لا يقبل منهم، فمثلاً  
هل يمكن أن يحتمل قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ معني استولى؟ لا؛ لأنه  
يلزم عليه لوازم باطلة، تمنع أن يكون اللفظ محتملاً لهذا المعنى، فإذا لا بد إذا قالوا: عندنا  
دليل يصرّف اللفظ عن ظاهره قلنا: هاتوا دليلاً آخر وهو احتمال اللفظ للمعنى، الذي  
قلتم؛ لأنه قد تدعون معنى لا يحتمله اللفظ فلا يقبل منكم.

فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ طَوَّلِبْتُمْ بِأَمْرِ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي  
إِذْ قُلْتُمْ إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلُّكُمْ أَتَخَرَّضُ الْكُفَّانِ؟  
إذا أتوا بدليل على أن اللفظ يحتمل ما ذكره نقول: نريد منكم دليلاً آخر وهو هل يتعين  
ما ذكرتموه معنى لهذا اللفظ فقد لا يتعين قد يكون اللفظ محتملاً لمعنى آخر غير الذي  
عيتتموه ما دتم صرّتموه عن ظاهره، وقلتم المراد كذا نقول هذا الذي عيتتم يحتمل أن  
المراد غيره ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: (إِذْ قُلْتُمْ إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلُّكُمْ أَنْ الْمُرَادَ مَا  
قُلْتُمْ أَتَخَرَّضُ الْكُفَّانِ؟ وهذا الاستفهام للإنكار.

هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِدِ الْمَوْضُوعَ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي  
غَيْرِ الَّذِي عَيْتْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ  
إِذْنِ فِي رَدِّ الْمُؤَلِّفِ عَلَيْهِمْ إِذَا عَيْنُوا الْمَعْنَى بِأَنَّهُ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْنَى آخَرَ كَذَا  
وَيَحْتَمَلُ أَنْ لَا يُرَادَ مَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ لَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ وَلَا الْآخَرَ، إِذْنِ مَا الْمُرَادُ بِاللَّفْظِ؟  
يقول:

لَتَعْبُدِ وَتَلَاوَةٌ وَيَكُونُ ذَاكَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ  
فصار رَحِمَهُ اللهُ يقول: إذا عينوا معنى طالبناهم بالدليل على تعيينه أي: تعين هذا المعنى

الذي ذكروه لاحتمال أن يكون المراد معنى آخر، ولاحتمال أن يكون هذا اللفظ لا يُراد به معنى وإنما نزل لمجرد اللفظ.

فإذا قال قائل: ما الفائدة من اللفظ؟ نقول: للتعبد وهذا في القرآن وللتلاوة ويكون ذلك القصد أنفع مما عينوه من المعنى المخالف للظاهر وهو ذو إمكان.

مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفِ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْوِيلٍ وَإِلَى مَعَ الْإِتْعَابِ لِلأَذْهَانِ

إِذَا كَوْنُنَا نَقْرَأُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ وَلَا نَفْهَمُ مَعْنَاهَا خَيْرَ مِنْ كَوْنُنَا نَحْرَفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا مَعَ إِتْعَابِ الْأَذْهَانِ؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا مَعْتَمِدَةٌ عَلَى الْمَعْنَى لِمَجْرَدِ التَّعْبُدِ وَالتَّلَاوَةِ أَوْلى مِنْ كَوْنِهَا مَحْرَفَةٌ وَتَعْبُ أَدْهَانَنَا وَنَأْتِي بِالْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّجَوُّزِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَاءٍ فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ

المراد بالقصدين التحريف الذي هو خلاف الظاهر أو كونها ليس لها معنى أيها أولى أن ينزل الله علينا كتاباً نتعبد بتلاوته دون أن نتعرض لمعناه أو كتاب يريد منا أن نحرفه عن ظاهره وأن نتعب أذهاننا في تحريفه؟ المعنى الذي نعينه الأول بلا شك؛ لأن الأول ما عندنا تعب وإنما نسلم الأمر إلى الله ولكن يقول:

بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّوْبَهُ تَحْرِيفَ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

يعني: تنزيه لها وليس هذا من باب الاستثناء حتى نقول: إنها تُجْرَبُ بل الرحمن هنا فاعل.

وَكَذَلِكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ إِنْزَالَهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبَيُّانِ

يعني: أن حكمة الله تأبى أن يكون كلامه خلاف الظاهر - كما زعمتم - وتأبى أن يكون كَلِمُهُ ليس له معنى كما قَدَّرْنَا نحن.

إِذْنِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَدَّ الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا، أَنْ يَقْصِدَ بِاللَّفْظِ مَجْرَدَ اللَّفْظِ مِنْ أَجْلِ التَّعْبُدِ وَالتَّلَاوَةِ فَقَطْ أَوْ أَنْ يَقْصِدَ بِهِ مَعْنَى يَخَالِفُ الظَّاهِرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ عَلَيْنَا قِرَاءَةً لِمَجْرَدِ أَنْ نَقْرَأَهُ فَقَطْ، بَلْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِفَهْمِ مَعْنَاهُ وَتَدْبِيرِهِ وَاعْتِقَادِ مَوْجِبِهِ؛ وَهَذَا قَالَ: (بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ) فَمَا هُوَ التَّحْرِيفُ الَّذِي عَنِيهِ؟ تَأْوِيلُ هُوَ لَاءٌ لِلْكَلامِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

وَهُمَا طَرِيقًا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنْ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرِفَانِ

قوله: (وهما) يعني: التحريف والتفويض: تفويض المعنى أي: القول بأن الله أنزل هذا

القرآن بغير معنى هما طريقا فرقتين كلاهما منحرفتان عن طريق القرآن؛ المفوضة والمؤولة وقد ادعى كثير من المتأخرين - الذين لا يعرفون منهج السلف - في الحقيقة أن مذهب السلف هو التفويض أي: أننا نقرأ ولا نتكلم عن المعنى، وقال هذا هو منهج السلف وقال: إن مذهب أهل السنة ينقسم إلى قسمين، تفويض وتأويل، ولكنه أخطأ في ذلك

نقول: إن مذهب أهل السنة لا هذا ولا هذا فأهل السنة يثبتون المعنى ويقولون: حاشا لله أن ينزل علينا قرآناً ليس له معني بمجرد التلاوة ولكنه أنزل علينا القرآن ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب، فلا بد من فهم معناه وإن خفي على بعض الناس ولكن الراسخون في العلم يعلمون فهؤلاء الذين قسّموا مذهب أهل السنة إلى قسمين، نقول: أخطأتم أولاً في جعلكم المؤولة من أهل السنة فإن المؤولة خالفوا أهل السنة في تأويلهم، والثاني جعلكم التفويض من مذهب أهل السنة فإن أهل السنة بريئون من ذلك حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن مذهب أهل التفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد وقال: إنه هو الذي فتح الباب للفلاسفة والمناطقة الذين أنكروا المعاد وأنكروا اليوم الآخر؛ لأن هؤلاء الفلاسفة قالوا: إذا كنتم أنتم يا أهل السنة لا تعرفون معاني القرآن وإنما تقرأونه تعبدًا بتلاوته فأنتم بمنزلة العجائز الأميين ونحن أصحاب الميدان الذين نعرف معاني ما أنزل الله ولو بتأويل فهذا فتح هؤلاء المفوضة الباب لأهل التأويل حتى الفلاسفة ومن شابههم ومن ثم نجد في كلام بعض العلماء المحققين كالنووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن طريقة السلف أسلم وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وهذه العبارة وصف شيخ الإسلام من قالها بالغباوة فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال بعض الأغبياء طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ولا شك أن هذه العبارة كذب ومتناقضة، أما كونها متناقضة فلأنه إذا كانت طريقة السلف أسلم لازم أن تكون أعلم وأحكم؛ لأننا لا نعلم سلامة إلا بعلم وحكمة بعلم بمعرفة أسباب السلامة وحكمة في سلوك هذه الأسباب.

وثانياً: كيف تكون طريقة الخلف أعلم وأحكم وهم الذين حرّفوا الكلام عن مواضعه؟! كيف تكون أعلم من طريق النبي ﷺ والصحابة والخلفاء الراشدين؟ وكيف تكون أعلم وهذه أقوال السلف كلها متضافرة ظاهرة في إثبات المعنى من العبارات

المشهوره عنهم أنهم قالوا في آيات اختلفوا في أحاديثها أمرؤها كما جاءت بلا كيف؛ لأن هذه العبارة تدل دلالة ظاهرة على أنهم يثبتون المعنى؛ لأن قولهم أمرؤها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعنى ليست ألفاظاً جوفاء لا معنى لها - وحاشا لله - أن يصف نفسه وأن يسمي نفسه بأسماء وصفات في كتابه وهي عندهم آثار جوفاء ليس لها معنى هي جاءت لإثبات المعنى، فإمرارها كما جاءت أن تثبت معانيها التي دلت عليها وأيضاً قولهم (بلا كيف) يدل على إثبات أصل المعنى؛ لأن نفي التكيف يدل على ثبوت الأصل أي: ثبوت أصل المعنى؛ لأنه لو لم يكن الأصل ثابتاً لكان ذكر نفي التكيف لغواً لا فائدة منه إذن فطريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

المؤلف كما ترون ذكر ثلاثة وجوه مع أنه في أول الكلام يقول وظائف أربع فأين الرابع؟ الرابع: أن يثبتوا أن اللفظ يحتمل المعنى الذي عينوه في سياقه في السياق المعين؛ لأن احتمال اللفظ للمعنى على سبيل الإطلاق لا يعني أنه يحتمله في كل سياق فلا بد أن يثبتوا دليلاً على أن المعنى الذي عينوه صالح في هذا السياق المعين؛ لأن احتمال اللفظ المعنى على سبيل الإطلاق لا يستلزم أن يحتمله في كل سياق فقد يكون في سياق ما يمنع المعنى الذي يحتمله اللفظ في غير هذا السياق، وهذا كثير في القرآن والسنة لكنها لا تصلح للمعاني المطلقة في هذا السياق المعين. فمثلاً إذا قالوا: إن استوى يمكن أن تأتي بمعنى استولى نقول: نحتاج إلى دليل يدل على أنها تحتمله في هذا السياق المعين دعنا من كونها تحتمله على سبيل الإطلاق هذا قد يُقر به لكن لا بد أن تقيم دليلاً على احتمالها لهذا المعنى في هذا السياق المعين وأضرب لكم، مثلاً القرية تطلق على المساكن وعلى الساكن لكنها في موضع لا تصلح للساكن وفي موضع لا تصلح للمساكن ففي قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج ٤٥] القرية هنا للمساكن؟؛ لأنها لا تظلم ولا تهلك فالذي يهلك أهلها كما قال تعالى في قوم هود: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف ٢٥]، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] فالقرية هنا تتعين للمساكن، فأهل هذه القرية أهل مضاف للقرية فلو قلنا: القرية هنا للساكن ترى المعنى إن القرية أهل هم الساكن والقرية المساكن، فهنا القرية لا تصلح للساكن؛ إذن نقول لهؤلاء المؤلفين

الوظيفة الرابعة عليكم أن تثبتوا أن اللفظ صالح للمعنى الذي عينتموه في هذا السياق المعين فصارت الوظائف التي يطالبون بها أربعا.



## فصل

في طريقة ابن سينا  
وذويه من الملاحدة في التأويل

- ١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ  
أُخْرَى وَلَمْ يَأْتَفْ مِنْ الْكُفْرَانِ  
١٨٥٢- قَالَ الْمَرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ تَخْيِيدًا  
لَا وَتَقْرِيْبًا إِلَى الْأَذْهَانِ  
١٨٥٣- عَجَزَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَّا  
فِي مِثَالِ الْجِسِّ كَالصَّبِيَانِ  
١٨٥٤- كَيْ يَبْرُزَ الْمَعْقُولُ فِي صُورٍ مِنَ الـ  
مَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِإِدْيِ الْأَذْهَانِ  
١٨٥٥- فَتَسَلُّطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالٌ لِهَذَا الـ  
قَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِ  
١٨٥٦- هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ  
لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَعْيَانِ  
١٨٥٧- وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ عَدَّتْ  
مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الْخُلُجَانِ  
١٨٥٨- وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنْ الْحَقِيْبَ

قَمَّةٌ مُتَّفٍ مَضْمُونُهَا بَيِّنَانٍ<sup>(١)</sup>

١٨٥٩- لَكِنْ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ

مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتَّبَيِّنَانِ

١٨٦٠- لَكِنَّ عِنْدَهُمْ أُرِيدَ ثُبُوتُهَا

فِي الذِّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْأَعْيَانِ

١٨٦١- إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمَخَاطِبِ عِنْدَهُمْ

وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانٍ

١٨٦٢- فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جُنَايَةٍ

جُنِيَّتٍ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

١٨٦٣- جَعَلُوا التُّضْوِصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ

قَدْ خَرَّفُوهُ بِأَسْمِهِمُ الْهَيْدِيَانِ

١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاخُ وَالـ

أَرْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالبُهْتَانِ

١٨٦٥- كُلٌّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا

(١) [١٨٥١: ١٨٥٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

وجاء بعد ذلك أبو علي بن سينا الذي يلقبه أشياعه بالشيخ الرئيس فابتدع طريقة أخرى في التأويل، فقال: إن المراد بالألفاظ حقائقها، لكن على سبيل التخيل تقريباً إلى الأذهان، فإن عقول العامة تعجز عن إدراك هذه المعاني العقلية لشدة اتصالها بالمحسوسات، فإذا أبرزت لها هذه المعقولات في صورة الأمور المحسوسة كانت مقبولة لديها، وقال إن تسلط التأويل على هذه النصوص يبطل ما قصد إليه الشارع من جعلها مثلاً للحقائق تقرّبها من الأذهان فهو جناية يا لمرتكبها من جان، ولكن ابن سينا نسي أنه هو أيضاً ينفي حقائق الألفاظ المعقولة، ويدعي عليها أنها مستعملة في حقائق حسية ليست هي مقصود التكلم بهذه الألفاظ، فطريقته في الإيهام والتخيل أخت لطريقة أهل التحريف والتأويل كلتاهما مشتقة من أصل واحد وهو الإنكار والتعطيل، وهما متفقتان على نفي حقائق الألفاظ وعزلها عن أن تكون مقصودة في التنزيل.

- بَلَّهٖ بِتَأْوِيلِ بِلَا بُرْهَانٍ<sup>(١)</sup>  
 ١٨٦٦- وَيَقُولُ تَأْوِيلِي كِتَاوِيلِ الذِّبِ  
 — تَأْوَلُوا فَوْقَيَّةَ الرَّحْمَنِ  
 ١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالذِّ  
 صَّيْنِ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي التَّيَّانِ  
 ١٨٦٨- أَيَسُوغُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا  
 يَتَأْوَلُ الْبَاقِي بِلَا فُرْقَانِ  
 ١٨٦٩- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ أَنَّهَا  
 مِلءُ الْحَدِيثِ وَمِلءُ ذَا الْقُرْآنِ  
 ١٨٧٠- وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ  
 تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ  
 ١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـ  
 ذَا الْعَالَمِ الْمُحْسُوسِ بِالْإِمْكَانِ  
 ١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ  
 وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ  
 ١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرِّ  
 بَعْ عِنْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ  
 ١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ

(١) [١٨٥٩: ١٨٦٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكلا الفريقين في المؤولة والمتفلسفة قد ارتكب أشد جناية على القرآن والإيمان حيث جعلوا النصوص الكريمة هدفاً لسهام هذيانهم وفتحوا المجال لكل وغد ورذيل ليقول في النصوص بما شاء له هواه، فكلما أوردت له نصاً قابله بتأويل من تلك التأويلات السمجة بلا دليل ولا برهان.

بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالٍ ذِي الْأَكْوَانِ<sup>(١)</sup>

١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفِضِ أَخ-

بَارَ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانِ

١٨٧٦- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤْوِلٍ

نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الْوَحْيَانِ

١٨٧٧- إِذْ صَرَّحَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلِّ

بِهِ جَمِيعَهَا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

١٨٧٨- فَلَأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا الت-

أَوْيْلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيْمَانِ؟

١٨٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوَّلُوا

لَكُمْ فَهَاتُوا وَاصِحَ الْفُرْقَانِ

١٨٨٠- أَلَكُمْ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَي-

ثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزَرَانِ؟

(١) [١٨٦٦: ١٨٧٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويقول الفيلسفي إذا حدثته في فساد تأويله وشناعته إن تأويلي كتأويل هؤلاء الجهمية الذين تأولوا فوقية الرحمن، بل هو دونها في الشناعة، فإن نصوص فوقية من الكتاب والسنة كالشمس في الوضوح والبيان، فكيف يسوغ لكم أيها الجهمية تأويل علوه سبحانه على كثرة نصوصه ووضوحها، ثم تنكرون علينا ما تأولناه، وكيف ساغ لكم أن تتأولوا آيات الصفات وأحاديثها مع انها ملء الكتاب والسنة ولا يسوغ لنا ذلك، والله لتأويلكم للعلو أشد من تأويلنا للقيامة بأن المراد بها رجوع الروح إلى عالمها الأول مع عود الجسم إلى العناصر التي تتركب منها وأشده من تأويلنا لحياته وعلمه ومشيئته بأن ذلك كله نفس ذاته وأشده من تأويلنا لحدوث هذا العالم بأنه ليس معناه الوجود من عدم، بل معناه أنه ممكن في ذاته مفتقر إلى علة يستند إليها في وجوده، فإن الممكن لا وجود له من ذاته لكنه مع ذلك لم يسبق بعدم لأن علة قديمة لا أول لها في الزمان، وهو مقارن لها، وأشده من تأويلنا لبعض الشرائع من الصلاة والحج ونحوهما بأن المراد بها معان فكرية وأشده من تأويلنا لكلامه بأنه فيض من العقل الفعال الذي هو عقل القمر المختص بالتدبير في عالم العناصر وإفاضة المعلومات على العقول الإنسانية وإنزالها على لوح قلب النبي ﷺ وانتقاش صور تلك المعاني في خياله حروفاً وكلاماً منظوماً.

١٨٨١ - هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ

مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِإِذْنِ عَدْوَانَ

١٨٨٢ - رُدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَحُوا

سُورًا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

١٨٨٣ - لَا تَحْطَمْتُمْ جُنُودَهُمْ كَحَطِّ

سَبِيلِ عَمَّا لَاقَى مِنَ الدِّيدَانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فصل «في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة التأويل» سبق بيان التأويل الذي أوله أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم في باب الصفات، وكذلك أيضًا الذين أولوا نصوص المعاد وقالوا إن المعاد لا حقيقة له، وأولوا الأعمال أيضًا وقالوا إن العبادات لا حقيقة لها وأن الحقيقة هي ما هو موجود عندهم وأن للإسلام ظاهر وباطن أم ابن سينا فقال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ عنه:

وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْتَفَ مِنَ الْكُفْرَانِ

(١) [١٨٧٥: ١٨٨٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وتأويلكم للعلو أشد كذلك من تأويل الرافضة للأخبار التي وردت في فضل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأشد من تأويل كل من تأول نصًّا أظهر المراد منه الوحيان من كتاب وسنة، فإن نصوص الفوقية فيها وفي غيرها من الكتب السماوية في غاية الصراحة ونهاية الكثرة، فلا شيء إذا أيها الجهميون تكون نحن كفارًا بتأويلنا وأنتم المؤمنون، وأي فرق بين تأويلنا وتأويلكم، دلونا إن استطعتم على ما يصلح أن يكون فارق بينهما، لعلمكم تقولون أننا مجتهدون في هذا التأويل ومصيبون فيه، فلنا على تأويلنا أجران، ولكنكم أنتم مخطئون في هذا التأويل متعمدون فعليكم منه وزران، وهذا كذب فنحن وأنتم سواء في تعمد الكذب على النصوص، حيث لا موضع للاجتهاد.

هذه مقالة الفلاسفة في الرد على الجهمية الذين ينكرون عليهم التأويل منقولة من كتبهم بلا زيادة ولا تبديل، فهل يستطيع هؤلاء الجهمية أن يردوا عليهم أو يتخلصوا من هذا الإلزام الذي وجهوه إليهم؟ كلا فليتركوا الميدان إذا لأهل الحق وعساكر الإيوان، وليخلوا لهم الطريق حتى لا تحطمهم جنودهم كحطم السيل المنهمر لما يقابله من الخشاش والديدان.

ابن سينا من المتفلسفة الإسلاميين الذي ينتمي ويقول أنه مسلم ولكنه نسأل الله العافية على خلاف ذلك وقد صرح ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله بأنه كافر، صحيح أنه طيب وله معرفة في الطب لكنه من جهة العقيدة فاسد العقيدة ولهذا قال المؤلف أنه أتى بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران يعني: معناها أنه لم يترفع عن الكفر بل وقع فيه قال:

قَالَ الْمَرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَافِ تَخْيِيلاً  
لَا وَتَقْرِيْبًا إِلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن المراد بالألفاظ حقيقتها لا من باب التخيل والتقريب للأذهان فالصلاة مثلاً يراد بها حقيقتها، والزكاة والصوم، وكذلك آيات الصفات وأحاديثها وليست على سبيل التقريب للأذهان فقط أي: لتدرك الأذهان أن الله سمعاً وبصراً وقدرة ولتدرك أنها تصلى وتصوم وتزكي وتحج وليست تقريباً للأذهان فقط وإلا فالأمر شيء وراء ذلك.

عَجَزَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ فِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَّانِ

يعني: أن النفوس أو الأفكار عجزت عن إدراك المعقول إلا إذا صور بصورة المحسوس يعني: مثلاً الله سميع بغير سمع وذكر هذا من باب التقريب.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] لا يوجد شيء مكتوب يسمى الصيام لكن من باب التقريب لإجاب الله الصيام على الناس وإلا فالحقائق شيء وراء ذلك هذا معني كلام ابن سينا.

كَيْ يُبْرَزَ الْمَعْقُولُ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْمَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ

فَتَسَلُطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالًا لِهَذَا الْمَقْصِدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِ

يعني: الذي يقول إن هذه النصوص لا يراد بها حقائقها وإنما مراد بها خلاف الظاهر فيجب تأويله يقول هذا تسلط من المؤول وجناية على النصوص بل المراد حقائقها لكنها رموز لأشياء ما تدرك وإنما هي من أجل تقريب الأمور للأذهان فقط وحينئذ تبقى العبادات ليس منها فائدة إلا مثلما ترسم للصبى رسماً وتقول هذا مثلاً سيارة وهي ليست بسيارة أو تقول: هذا إنسان وليس بإنسان.

قوله: (لذي الأذقان) فيها نسختان (لذي) و(لذي).

هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَعْيَانِ

إذا كان قال هذا القول ونفى أن يكون للألفاظ حقيقة يتصوره الذهن فهذا في الواقع إبطال للنصوص تمامًا؛ لأن النصوص ستبقى بلا فائدة منها ما دمت تقول أنها على الحقيقة ثم تقول إن الأمر شيء وراء ذلك إذا لا فائدة من النصوص سواء أن قولنا حقيقة أو أنها مؤولة.

وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ عَدَّتْ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الْخُلُجَانِ

قوله: (طريقة التأويل) أي: التأويل الذي سلكه المتدعة، وسلكه الفلاسفة وهو مأخوذ من كلام ابن سينا، وأمثاله وهو يعني عندهم بأن الألفاظ لا حقائق لها وإنما هي مجازات عن أمور يرمز لها بها.

وَكَلاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ

لَكِنْ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالْبَيِّنَانِ

قوله: (ما إن أريدت) «إن» هنا هذه زائدة يعني: ما أريدت.

لَكِنَّ عِنْدَهُمْ أُرِيدَتْ ثُبُوتُهَا فِي الدِّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْأَعْيَانِ

إِذَا ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانٍ

الفرق بين طريقة ابن سينا وطريقة هؤلاء: أن هؤلاء يقولون إنه لا يراد من النصوص حقيقتها إنما المراد معنى آخر.

ومثال ذلك: أنهم يقولون: إن الله لم يرد إثبات اليد وإنما أراد القدرة والقوة وهذا هو التأويل، أما ابن سينا فيقول: أراد حقيقة اليد لكن ليس له يد إطلاقاً ولا قدرة ولكنه ذكر اليد من باب التقريب للأذهان، وأنه سبحانه وتعالى ذكر أن له يد وله سمع وله بصر ولكن ليس له شيء من ذلك إطلاقاً وإنما ذكر كل هذا من أجل التقريب فقط.

فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جُنَيْتِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

جَعَلُوا التُّصَوُّصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهَمِ الْهَذْيَانِ

قوله (قد خرقوه بأسهم الهذيان) هذا مثلما تجعل الرماة، فهي تجعل الغرض أمامها وترمي عليه فينخرق، فهؤلاء جعلوا النصوص غرضاً لهم؛ لأنهم لو أنكروا النصوص رأساً لأعلنوا كفرهم وقامت عليهم الأمة لكنهم تحيلوا هذه الحيل بالتأويل سواءً على

طريقة ابن سينا أو على طريقة الآخرين لأجل أن لا ينفر الناس منهم ولا يخرجوهم من الإسلام.

وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاحُ وَالْأَرْدَالُ بِالْتَّحْرِيفِ وَالْبُهْتَانِ

قوله: (الأوغاد): جمع «وغد» وهو الذي يخدم بملء بطنه.

وقوله: (الأوقاح): جمع «وقح» وهو الذي لا حياء له.

والمعنى: أن الأوغاد والأوقاح والأردال من الباطنية والفلاسة وغيرهم تسلطوا بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أصلوها فابن سينا وأمثاله ينكرون حقيقة الذات والتي هي حقيقة الله عز وجل، ويقولون: إن هذه الأسماء وهذه الصفات وهذه الأحكام كلها من باب التقريب للأذهان، وأولئك لا ينكرون وجود الخالق لكن ينكرون حقائق صفاته، ويقولون إن المراد بهذا النص كذا وكذا مما يخالف الظاهر.

كُلُّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا بَلَهُ بِتَأْوِيلٍ بِلَا بُرْهَانٍ

يعني: أنهم إذا قابلتهم بالنص قابلك بتأويل بلا برهان ولو قابله بتأويل على برهان لقبيل منه.

وَيَقُولُ تَأْوِيلِي كِتَابِي الَّذِي نَن تَأَوَّلُوا فَوْقِيَةَ الرَّحْمَنِ

يعني: أن الذين أنكروا العلو أولوا كل نص يدل على العلو فقالوا في مثل قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١] المراد فوقية النوع كما تقول: الذهب فوق النحاس مثلاً أو فوق الفضة فهي فوقية معنوية وليست فوقية حسية، ويقولون: أن علو المعاني وليس علو الذات فتأولوا.

بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالذِّ

أَيْسُوعُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا تَتَأَوَّلُ الْبَاقِي بِبِلَا فُرْقَانٍ

يعني: أن هؤلاء الملاحدة من ابن سينا وأمثاله يقولون: نحن أولنا ولكننا أولنا نصوصاً ليست كالعلو في كثرتها وتنوعها وظهورها، وأتم تأولتم العلو، فكيف تنكرون علينا ولا تنكرون على أنفسكم؟

وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ أَنَّهَا مِلءُ الْحَدِيثِ وَمِلءُ ذَا الْقُرْآنِ

قوله (وملء ذَا القرآن): (ذا) اسم إشارة، ولا يصح استخدام «ذي».

وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

والقائل هم فلاسفة التخيير الذين يقولون إن القيامة لا حقيقة لها وإنما هي تخيير فهم يقولون: تأويل العلو أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان.

وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ

وهذا يقوله من ينكرون حياة الله من الفلاسفة وغيرهم.

قوله: (تأويلنا) أي: الفلاسفة الذين يقولون بقدوم العالم وأن العالم لا أول له فهو أزلي أبدي.

وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَا بَعْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ

يعني أن ومن أول الشرائع قال: المراد بالحج زيارة مشائخهم، والمراد بالصوم كتمان أسرارهم، والمراد بالصلاة معرفة أسرارهم وهكذا، فهم يجادلون ويقولون: تأويل العلو أشد من تأويلنا بعض الشرائع عند ذي الإنصاف والميزان.

وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ أَيْضًا بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالِ ذِي الْأَكْوَانِ

يعني أن من أقوال الفلاسفة؛ أيضًا: إن الكلام لا حقيقة له لكنه فيض من العقل الفعّال، والعقل الفعّال هو الذي خلق هذه الأشياء، وجعل الطبيعة تتحرك ويتولد بعضها من بعض ويكون بعضها سببًا لبعض وهكذا.

وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَخْبَارَ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانِ

قوله: (الشيخان)؛ يعني: أبا بكر وعمر فلهما من الأحاديث الكثيرة الدالة على الفضائل ما هو معلوم لكن أهل الرّفْض أولوا هذه وحرفوها ولهم فيها تحريفات غريبة لهذا يقول إن تأويل العلو أشد من تأويل أهل الرّفْض في أخبار الفضائل حازها الشيخان.

وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤَوَّلٍ نَصًّا بِأَنْ مُرَادَهُ الْوَحْيَانِ

يعني أنهم يقولون إن تأويل العلو أشد من كل شيء.

فَلَا يَشَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارًا بِذَا التَّأْوِيلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ

قوله: (بل أنتم على الإيمان) (بل) هنا بمعنى الواو يعني: لأي شيء نكون نحن كفارًا وأنتم مؤمنون؟

إِذْ صَرَخَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلَهِ جَمِيعَهَا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

فَلَا يَشِيءُ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التَّ  
أُوَيْلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ  
إِنَّا تَأْوَلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوُّ  
لْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الْفُرْقَانِ

يعني: أنتم مثلون ونحن مثلون فهاتوا واضح الفرقان أن يكون تأويلكم جائزاً وتأويلنا غير جائز.

أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزَرَانِ؟

الجواب: لا؛ لأن هؤلاء المثولة يقولون نحن اجتهدنا فأصبنا الحق وأنتم أخطأتم فلنا أجران لأننا تأولنا وأصبنا الحق، وأنتم عليكم وزران لأنكم عرض عليكم الحق وأنكرتموه. هَذَا مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِإِلَاءِ غَدَوَانِ

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يُحْمِلُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا عَلَى الْمَعْطَلَةِ وَخُصُوصًا مَنْ أَنْكَرُوا عَلُوَ اللهِ فَيَقُولُونَ: أَنَّهُمْ أَجْمُوكُمْ بِلِجَامِ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ فَكُ الْخَنَكِ.

رُدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَحُوا عَنِ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

هذا تحدُّ، من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ردوا عليهم) مخاطبًا الذين أولوا العلو فيقول: ردوا عليهم ما قالوا لكم أو فتحوا عن طريق عساكر الإيِّان؛ إذا نحننا عن طريق عساكر الإيِّان فماذا يقولون؟ يقولون: نحن لا نثول إلا في هذا ولا في هذا، ونقول الكل حقُّ على حقيقته فعلو الله ثابت وأمر الميعاد ثابت وما جاءت به النصوص من كل خبر فهو ثابت.

لَا تَحْطَمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ سَبِيلِ عَمَّا لَأَقَى مِنَ الدِّيدَانِ

في هذا البيت تشبيه في غاية ما يكون من الدقة، فعساكر الإيِّان فيهم الحياة والسيل «وأما الديدان» ففيها الضعف والعفونة والفساد، فكأنه بهذا شبه عساكر الإيِّان بالسيل وشبه هؤلاء بالديدان، ومعروف أن السيل إذا مر بالديدان حطَّماها.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

١٨٨٤ - وَكَذَا نَطَّالِكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ

وَاللهُ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ

١٨٨٥- وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ

عَوَى تَيْمٌ سَلِيمَةٌ الْأَرْكَانِ

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمَحَالِ وَلَوْ يُسَا

عِدْكُمْ عَلَيْهِ كُلُّ رَبِّ لِسَانَ

١٨٨٧- فَأِدْلَةُ الْإِثْبَاتِ حَقٌّ لَا تَقْوُ

مُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ

مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

١٨٨٩- أَنْى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةٌ هَذِهِ الـ

أَذْهَانَ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَذْيَانِ

١٨٩٠- وَجَعَّاجٌ وَفَرَّاقِعٌ مَا تَحْتَهَا

إِلَّا السَّرَابُ لَوَارِدِ ظَمَّانِ

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ

ذُخِرَتْ لَكُمْ عَنِ تَابِعِي الْإِحْسَانِ<sup>(١)</sup>

١٨٩٢- بَلْ عَنِ مَشَايِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَف

(١) [١٨٨٤ : ١٨٩١] قال العلامة محمد خليل هراس:

سبق أن طالب المؤلف مدعي التأويل بأربعة أمور، ذكر منها ثلاثة هناك، وهي الإتيان بدليل صارف للفظ عن معناه، وإثبات أن اللفظ محتمل للمعنى الذي ادعوه والإتيان بدليل على أن هذا المعنى يتعين إرادته من اللفظ.

ثم ذكر هنا الأمر الرابع، وهو الجواب عن المعارض حتى تتم لهم دعوى التأويل سليمة، وذلك من أمحل المحال وإن استعانوا عليه بكل فصيح مقوال، فإن المعارض هنا لا يقوم له شيء حتى ولا شم الجبال وغيرها من سائر الأكوان، كيف وهو تنزيل رب العالمين ووحيه مع فطرة الله التي لا تبدل لها، ومع براهين العقل القطعية، فأنى يعارض ذلك كله بأوسخ القرائح وزباله الأذهان من تلك الشبهات والهديانات التي هي كالطبل الأجوف، أو كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً.

قَتِمَ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانٍ

١٨٩٣ - وَاللَّهِ مَا دُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ

لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أَوْلِي التَّقْصَانِ

١٨٩٤ - لَكِنْ عَقُولُ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا

قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَكْمَلُ شَأْنِ

١٨٩٥ - وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشَدُّ

رَفُ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرِفِ الْهَذْيَانِ

١٨٩٦ - فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَهُ عَنِ الَّذِي

فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانٍ<sup>(١)</sup>

١٨٩٧ - سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّ

عَطِيلَ تَنْزِيهًا هَمًّا لِقَبَانِ

١٨٩٨ - وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا

شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ

(١) [١٨٩٢: ١٨٩٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

فإن كنتم لا تجدون ما تعارضون به النصوص الصريحة من الكتاب والسنة مع ما ينضم إليها من أدلة العقل والقطرة إلا هذه الهديانات التي ورثتموها عن أسلافكم في الضلال من فلاسفة اليونان والرومان وغيرهم من ضلال اليهود والنصارى والصابئة. فلتهكم إذا هذه العلوم التي هي أحق أن تُسمى جهالات. والتي ادخرت لكم في بطون الكتب تركها لكم هؤلاء الأسلاف حتى وقعتم عليها بعد زمان طويل. فاشتغلتم بها عن الوحي ونقلتموها إلى لسانكم العربي وفتنتم بها أيما فتنة وظننتم أنكم وقعتم على لحم وأنكم تميزتم بها عن أئمة الهدى ممن أحسنوا الاتباع ووقفوا عندما سنه لهم سلفهم الصالح رضي الله عنهم أجمعين. فلا تظنوا أن هذه العلوم قد ادخرت لكم لكي يرفعكم الله بها. أو أن اشتغالكم بهذه العلوم قد أورثكم فضلًا وكما لا فقتم به هؤلاء الأخيار من أهل السنة والاتباع. فإن عقولهم أسمى من أن تشتغل بهذه الترهات. وهم أجل أن ينزلوا بأنفسهم إلى هذا الدرك الذي نزلتم إليه. وعلمهم أعلى وأشرف من أن يدنسوه بهذه المقالات السخيفة. وهذا من فضل الله عز وجل عليهم أن صانهم وحامهم عما تورطتم أنتم فيه من أوساخ وأقذار هي نتاج عقول لم تستضيء بنور الله ولم تنتفع بما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام من الهدى والعلم النافع الصحيح.

١٨٩٩- فَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشَدُّ

بِيبَهَا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ

١٩٠٠- فَقَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلَمَا

قَلَبْتَ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ

١٩٠١- وَجَعَلْتُمْ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذَا

بِالْعَكْسِ حَتَّى تَمَّتِ اللَّبْسَانِ

١٩٠٢- وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحْمَدُوا بِالْإِثْبَاتِ

عِ نَعَمٍ (لَكِنَّ) لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ

١٩٠٣- وَبَعَيْتُمْ أَنْ تَنْسِبُوا لِلْإِبْتِدَاءِ

عِ عَسَاكِرِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>

١٩٠٤- وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيِينَ غَيْرَ مُفِيدَةٍ

لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبُرْهَانِ

١٩٠٥- لَكِنَّ عُقُولَ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى

(١) [١٨٩٧: ١٩٠٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

هذه العلوم التي ورثتموها عن أسلافكم في الضلال. وظننتموها مسلمات عقلية لا تقبل الجدل. وأحسستم الظن بأصحابها إلى حد اعتقاد العصمة. بل قدمتموها على الوحي بدعوى أنها أمور قطعية لا يتطرق إليها الاحتمال هي التي أفسدت عقولكم وسممت أفكاركم. فغدت مريضة منتكسة تُعطي الأشياء غير اسمها. وتقلب الحقائق على رأسها، فهي تسمى التحريف للنصوص والخروج بها عن وضعها الحقيقي الذي توجه اللغة تأويلاً، وهي تُسمى التعطيل الذي هو نفي ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الصفات تنزيهاً. بل أدهى من ذلك وأمر، وأدخل في باب الافتراء والبهتان أنها تُسمى الإثبات للأسماء والصفات الذي وردت به النصوص الصريحة تشبيهاً وتجسيماً، وما قلبكم هذه الحقائق والتباسها عليكم إلا نتيجة حتمية لفساد فطركم وزيف قلوبكم، فجعلتم بجهلكم المحمود من الإثبات للأسماء والصفات التي هي كالمات محضة، مذبوماً وبالعكس، جعلتم المذموم من النفي والتعطيل محموداً، وأردتم أن تحمدوا بالاتباع فنعم ولكن من تبعون؟ إن تبعون إلا أهواءكم الجاحمة وظنونكم الكاذبة وشياطينكم الذين زخرفوا لكم وموهوا. وأعجب من ذلك أنكم ترمون بدائكم في الابتداء والزيف جند الرحمن وعساكر الآثار والقرآن.

لَهُمَا تَفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

١٩٠٦- وَجَعَلْتُمْ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى

عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنَ الطَّغْيَانِ

١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَأَا

دَ اللَّهِ أَنْ تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ

١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِينَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ

عَطِيلٍ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْإِيمَانِ

١٩٠٩- يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا

وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ<sup>(١)</sup>

### الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه الآيات ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: أنه يلزم المتأولين أمرٌ رابع وهو الجواب عن المعارض

(١) [١٩٠٤: ١٩٠٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

ومن شر حماقاتكم وأشنع غلطاتكم ما اجترأتم به من الحكم على نصوص الوحيين من الكتاب والسنة بأنها غير مفيدة للعلم اليقيني وليست من قبل البراهين التي تفيد القطع ولا تحتل النقيض بما زينه لكم الشيطان من أن هذه النصوص ألفاظ تحتل الحقيقة والمجاز، ويدخلها التعميم والتخصيص والإجمال والتفصيل والإطلاق والتقييد. وغير ذلك مما يُنافي العلم بالمراد، ألا ساء ما تحكمون، وبئس ما تظنون بكتاب ربكم وسنة نبيكم حيث عزلتموهما عن إفادة العلم والهدى في الوقت الذي تزعمون فيه أن عقولكم المريضة التي نكبت عن صراط الله وحادت عن سبيله هي التي يوثق بأدلتها، فهي في نظركم براهين مفيدة للعلم اليقيني وموصلة إلى النتائج القطعية إذا كانت مؤلفة تأليفاً صحيحاً على أساس المنطق اليوناني الذي وضعه أرسطو.

وكذلك نتج عن التواء فهمكم وانتكاس عقولكم أن جعلتم الإيمان بعلو الله فوق خلقه وغير ذلك من صفاته كُفْرًا، وجعلتم هذا الهدى هو عين الضلال طغياناً منكم وتجاوزاً عن الحد، لأن عقولكم لم تطق حمل حقائق القرآن، ولا أراد الله لها أن تزكوا بآياته وتحسن الفهم لمقاصده وغاياته، فارتكست في غيها وضلالها، واستجابت بسرعة لمن دعاها إلى النفي والتعطيل، هاربة من الإيمان بمقتضى التنزيل، ولو علمت بحال من دعاها وحال ما دعاها إليه لقعدت قعود الجبان عن سلوك هذا السبيل المؤدي إلى أسوأ عاقبة وشر مقبل.

لأن الدعوة لا تتم إلا بأمرين إثبات الحجة، والجواب عن حجة المعارض ولا يكفي إذا أردت أن ترجح قولاً على قولٍ أن تذكر حجة قولك بل لابد من أن تذكر حجة قولك وكذلك الجواب عن حجة المعارض وإلا بقيت حجة المعارض قائمةً.

فمثلاً: إذا قالوا المراد باليد القوة نقول لزم عليكم أمور أربعة:

الأول: وجود الصارف عن المعنى الحقيقي.

والثاني: احتمال اللفظ أي: لمعنى القوة.

والثالث: تعين المعنى الذي ذكرتموه إذ يحتمل أن لا يكون به لا اليد الحقيقية ولا القوة بل يكون هناك معنى آخر غير الذي عيتم.

والرابع: احتمال اللفظ للمعنى في هذا السياق المعين وهذا لم يذكره المؤلف هنا لكن ذكره في «مختصر الصواعق».

والخامس: الجواب عن دليل المعارض، والمعارض يقول: المراد باليد اليد الحقيقية وهم يقولون المراد باليد القوة فما جوابكم على دليل المعارض؟ قالوا: لأن دليل المعارض لو أخذنا به لزم من ذلك التجسيم أي: أن يكون الله جسمًا، أو التبعض أي أن يكون الله له بعض وأعضاء ونحن نقول لهم: من قال إن هذا لازم؟ إن كان لازماً فهو حق، وإن لم يكن لازماً فهذا لا يلزمنا أن نلتزم به، فإذا لم يكن لازماً فهو باطل ولا يلزمنا أن نلتزم به، ونقول لهم: إن البعض والجزء إنما يكون هذا بالنسبة للمخلوق أما الخالق فلا نقول هكذا؛ لأن المعروف أن البعض أو الجزء هو ما يبقى الكل بعد فقده، وأما الخالق فكل صفاته لا يمكن أن تنفك عنه أعني بذلك: الصفات الذاتية؛ لأن الصفات الذاتية لازمة لا ينفك عنها لا أزلاً ولا أبداً فأين اللازم الباطل الذي ذكرتم أنه يلزم لو أثبتنا النصوص على حقيقتها، إذاً يلزم لأهل التأويل خمسة أمور:

الأول: وجود الصارف.

والثاني: احتمال اللفظ للمعنى من حيث الجملة.

والثالث: احتمال للمعنى في هذا السياق المعين؛ لأن اللفظ قد يحتمل المعنى في الجملة لكن لا يحتمله في هذا السياق.

الرابع: تعيين ما ذكرتم من المعاني لاحتمال أن يكون المراد معنىً آخر غير ما ذكرتم.



الخامس: الجواب عن المعارض، وكل هذه الأمور والله الحمد منتفية فيما ادعوه من التأويل الذي خالفوا به طريق السلف.

وَكَذَا نَطَّالِيكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ      وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

قوله: (وكذا نطالبيكم) أي: أهل التأويل (بأمر رابع) وقد سبق أن ذكرنا: أنه يمكن أن نجعله أمرًا خامسًا؛ لأن الأمور السابقة أربعة: الدليل الصارف، احتمال اللفظ للمعنى الذي ذكره، احتمال في هذا السياق المعين، تعين أن يكون هو المراد لاحتمال أن يكون المراد غيره، والخامس قوله:

.....نَطَّالِيكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ      وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

قوله: (بذا إمكان) كان عليه أن يقول: «إمكان» يعني: ليس لكم بهذا إمكان. بالرفع، لكنه جعلها بالكسر لضرورة الشعر أما إذا قلنا: بذي إمكان فالأمر واضح.

هُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّ      عَوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

وهذا هو الرابع: (الجواب عن المعارض) والمعارض للتأويلين هم أهل السنة الذين جعلوا النصوص على ظاهرها ولم يتولوها فمثلاً إذا قالوا: المراد باليد حقيقة اليد نقول لهم: أجيئوا هؤلاء الذين عارضوكم بالتأويل حيث قلتهم أنتم: إن المراد باليد القوة نقول: أجيئوا عن معارضتهم إياكم وقولكم إن المراد بها حقيقة اليد؛ لأننا نقول: ما المانع من أن يراد بذلك حقيقة اليد؟ فإن أتوا بمانع حينئذ يقبل منهم ولكنهم لا يمكن أن يأتوا بمانع يمنع من إرادة الحقيقة؛ ولهذا قال:

لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمَحَالِ وَلَوْ يُسَا      عِدْكُمْ عَلَيْهِ كُلُّ رَبِّ لِسَانِ

والمحال: أن يجيئوا عن دليل المعارض.

فَادِلَّةُ الْإِثْبَاتِ حَقًّا لَا يَقُو      مُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

لأنها أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن العقل والفطرة وإجماع السلف خمسة أنواع من الأدلة لا يمكن أن تقوم لها الجبال الراسيات.

تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ      مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: (تنزيل رب العالمين) أي: القرآن، (وحيه): أي: السنة، وهذا مبني على أن السنة وحي



وإذا تأملت السنة وجدت أن منها: ما هو وحي، ومنها: ما هو إقراراً من الله لاجتهاد النبي ﷺ.

وقوله: (مع فطرة الرحمن) أي: الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقوله: (والبرهان) يحتمل أن يراد به دليل العقل فيكون ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذكر هنا أربعة أنواع من الأدلة: القرآن والسنة والفطرة والعقل، ولكن بقي أمرٌ خامس وهو إجماع السلف على هذا.

أَتَى يُعَارِضُهَا كِنَاسَةٌ هَذِهِ الـ أَذْهَانٍ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَدْيَانِ

هذا الاستفهام للنفي؛ يعني: لا يمكن أن يعارض هذه الأدلة كناسة الأذهان بالشبهات.

وَجَعَّاجٌ وَفَرَاغٌ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لَوَارِدٍ ظَمَّانٍ

والجعجعة والفرقعة: عبارة عن أصواتٍ لا معنى لها، بل هي كلام هذيان ليس فيه فائدة؛ ولهذا قال: «ما تحتها إلا السراب لوارد ظمَّانٍ» والسراب للوارد الظمَّان لا يزيده إلا عطشاً وهلاكاً؛ لأنه إذا رأى السراب وكأنه الماء أقبل إليه مسرعاً فإذا رآه سراباً صار ذلك أشد وقعاً عليه مما لو لم يفرح ويأمل النجاة من العطش.

فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ دُخِرَتْ لَكُمْ عَن تَابِعِ الْإِحْسَانِ

هذه من باب التهكم، و«اللام» هنا للدعاء لكنه دعاء تهكم يعني: هنيئاً لكم هذه العلوم التي ذخرت لكم عن تابع الإحسان.

وقوله: (تابع الإحسان) يعني: عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

بَلْ عَن مَشَايِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَفَّقَ سَمَّ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانٍ

وهذا لأن هذه البدع لم تنتشر إلا بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة، ولكنه يقول:

وَاللَّهُ مَا دُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي التَّقْضَانِ

فأنتم أصحاب النقص ولا يمكن أن تذخر لكم الفضيلة وتحجب عن الصحابة والتابعين.

لَكِنَّ عُقُولَ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمَ شَأْنِ

وقوله: (عقول القوم) يشير إلى الصحابة والتابعين.

وقوله: (كانت فوق ذا قدرًا) أي: فوق ما أتم عليه من العقول التي هي في الحقيقة سفاهات.  
وقوله: (وشأنهم) يعني: قدرهم وفضلهم ومرتبتهم (فأعظم شان).

وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشَدُّ رَفٌّ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرُفِ الْهَدْيَانِ

هذا يؤكد أن علوم الأولين أعمق وكلامهم أقل ليس فيه تعقيد ولا هذيان ولا احتمالات وإنما هو كلامٌ مبنيٌّ على السليقة والطبيعة فتجده سهلاً يخرج بدون تكلف ويفهم بدون تكلف مع العمق.

فَلَيْدَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَٰهَ عَنِ الَّذِي فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ

والذي وقعوا فيه هو هذه الشبهات التي يدعونها معقولات.

سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّعْطِيلَ تَنْزِيهًا هُمَا لَقَبَانِ

والتأويل يكون بالنسبة للنصوص والتعطيل بالنسبة للصفات الذي يتصف الله بها فمثلاً يقولون: المراد بالاستواء الاستيلاء وهذا تحريف يسمونه هم تأويلاً ويقولون إن الله لم يستو على العرش حقيقة بل ينزه أن يكون مستوياً على العرش حقيقة فعطلوا الصفة وهي صفة الاستواء وسموها تنزيهاً.

وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ

إذن عندنا جنائتهم على النصوص وعلى البارئ جل وعلا؛ أما على النصوص فحرفوها، وأما على الله فعطلوه من صفاته، وهناك أمرٌ ثالث جنوه هو:

فَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ

هم قد قالوا: إن الذي يثبت لله هذه الصفات يكون مجسماً مشبهاً لله بالخلق فاعتدوا عدواناً ثالثاً على من أثبت الصفات وسموه مجسماً ومشبهاً فهذه ثلاث جنائيات على النصوص وهي الخبر، وعلى المخبر عنه وهو الله، وعلى قابل الخبر وهم الذين أخذوا بالنصوص على ظاهرها، فعلى الأول بالتحريف، وعلى الثاني بالتعطيل، وعلى الثالث بالتجسيم والتشبيه، فاعتدوا عليهم وقالوا أنتم مشبهة مجسمة.

فَقَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلَمَا قَلَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ

قوله: (فقلبتم تلك الحقائق) يعني: قلبتم الحقيقة فسميتم التعطيل تنزيهاً وهو تعطيل،

والتحريف تأويلاً وهو تحريف، وإثبات الصفات تجسيماً وهو إثبات للحقيقة، لكنكم قلبتم الحقائق مثلما قلبت قلوبكم عن الإيمان، والقلوب - والعياذ بالله - تقلب كما قال الله تعالى: ﴿وَنَقَلِبُ أَفْسَدْتَهُمْ وَابْصَرَهُمْ كَمَا لَرُّؤُوسُهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

وَجَعَلْتُمُ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذًا بِالْعَكْسِ حَتَّى تَمَّتِ اللِّبْسَانِ

قوله: (وجعلتم الممدوح مذموماً) والممدوح: هو إثبات الصفات والأخذ بظاهر النصوص فجعلتموه مذموماً. والمذموم هو التحريف.

وقوله: (كذا بالعكس) أي: وكذلك فعلتم بالعكس فجعلتم المذموم وهو التحريف ممدوحاً.

وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحَمِّدُوا بِالِاتِّبَاعِ عِ نَعَمٍ (لَكِنْ) لِمَنْ يَا فِرْقَةَ

قوله: ( وأردتم أن تحمدوا بالاتباع) أي: أردتم أن يحمدكم الناس بالاتباع، ولكن تحمدون لاتباعكم الشياطين فأنتم تتبعون الشيطان وخطوات الشيطان.

وقوله: (لمن يا فرقة البهتان؟) الجواب: للشيطان؛ أي: أردتم من الناس أن يحمدوكم على أنكم متبعون ولكنكم متبعون للشيطان.

وَبَغَيْتُمْ أَنْ تَسْبُؤُوا لِلِابْتِدَاءِ عِ عَسَاكِرِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

وهذا لا شك أنه قلبٌ للحقائق فقالوا لعساكر الآثار والقرآن: هؤلاء مبتدعة، والحقيقة أن الابتداع فيهم وليس في هؤلاء.

وَجَعَلْتُمُ الْوَحِيِّينَ غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبِرْهَانِ

قوله: (الوحيين) يعني: الكتاب والسنة؛ ولهذا يقولون: إن السنة لا تفيد العلم؛ لأنها خبر آحاد، وكذا القرآن لا يفيد العلم لكن هذا من حيث ثبوته، أما من حيث دلالاته فجعلوا للألفاظ معاني متعددة وقالوا: هذا اللفظ يحتمل كذا ويحتمل كذا ويحتمل كذا إذن فدلالته غير قطعية فلا تفيد العلم.

لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى لَهُمَا تُفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

قوله: (لهما) يعني: العلم والتحقيق، أي: أن ما يفيد عقول هؤلاء الناكبين ومنطق اليونان هما فقط اللذان يفيدان العلم والتحقيق.

وَجَعَلْتُمُ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ

قوله: (وجعلتم الإيمان كفرةً) أي: قلبتم الحقائق؛ فقلتم: الميثب كافر؛ لأنه مجسم أي: جعل الله جسمًا فيكون بهذا كافرًا.

وقوله: (والهدى عين الضلال) أي: جعلتم العلم ضلالًا وجهلًا.

وقوله: (وذا من الطغيان) لا شك في ذلك فما فعلوه طغيان، نسأل الله العافية.

ثُمَّ اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا      دَ اللَّهِ أَنْ تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ

حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِينَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ      تَعْطِيلٍ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْإِيمَانِ

قوله: (استخفيتم عقولًا) يعني: أنكم تهكمتم بها واستخففتموها وهذا كقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَأَسْخَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] الله لم يرد أن تزكو عقولكم على القرآن؛ لأن الله لو أراد أن تزكو هذه العقول على القرآن ما أجابتكم ولا أطاعتكم.

وقوله: (حتى استجابوا مهطعين) أي: مسرعين.

وقوله: (لدعوة التعطيل) المراد استخفاف عقول الناس، وما أكثر الذين اتبعوا أهل

التحريف وقالوا: إن قولهم هو الحق وهو التنزيه.

يَا وَيَحْتَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا      وَلَمَّا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ

قوله: (يا ويحهم) أي: ويح هؤلاء الذين استخفوا وتابعوا.

وقوله: (لو يشعرون بمن دعا ولما دعا) أي: بهؤلاء الذين دعوهم أنهم محرفة مضللة،

(ولما دعا)، وهؤلاء يدعون إلى تحريف النصوص وتعطيل الله سبحانه تعالى عن صفاته التي

أثبتها لنفسه، فلو شعروا بهذا لقعدوا قعود جبان، وقعود الجبان لا قيام بعده؛ لأن الجبان لا

تقله رجلاه فإذا قعد لم يعد يقوم.

فهؤلاء لو شعروا بما يدعوا إليه هؤلاء وشعروا بحالهم ما أجابوهم ولا تابعوهم

مهطعين بل سيقعدون قعود جبان ويتبرأوا منهم.





## مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في شَبَهِ الْمُعْطَلِينَ لليهود،  
المُحَرِّفِينَ للنصوص، وارْتَهَمَ التحريفَ منهم،  
وبراءة أهل الإثبات مِمَّا رَمَوْهُمُ بِهِ من هذا الشَّبَهِ

وذلك أن المحرفين من الجهمية ونحوهم رموا أهل السنة بأنهم ممثلون ومشبهون مشابهون لليهود، لأن اليهود على زعمهم ممثلون، فعندهم أن أهل السنة ممثلون لأنهم أثبتوا لله صفات الكمال التي نطق بها الكتاب والسنة ودلت عليه العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة لعقول الجهمية ومن دان بقولهم توهموا أن إثبات الصفات تمثيل ورموا به أهل السنة. والحال أن المشابهة الحقيقية لليهود منطبقه على الجهمية، فإن اليهود قد جمعوا بين تبديل النصوص وكتمانها وبين تحريف ما لا يمكن فيه أحد الأمرين، فهؤلاء الجهمية لما تعذر عليهم التبديل والكتمان لأن الله نزل الذكر وحفظه فيستحيل تبديله وكتمانه، عمدوا إلى تحريف معاني النصوص وتبديلها، فنفوا المعنى الذي أَرَادَهُ اللهُ ورسوله، وأثبتوا لها معاني من تلقاء أنفسهم. فهذا هو الشبه الحقيقي باليهود، وكذلك اليهود لما قيل لهم: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨].

دخلوا على إستانهم وقالوا حبة في حنطة تهكمًا وجرأة على الله، كذلك الجهمية لما نص الله أنه: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قالوا معنى استوى «استولى» فاليهود زادوا النون في قولهم حنطة بدل حطة والجهمية زادوا اللام في قولهم استولى بدل استوى، وهذا قول باطل قد بين الأئمة بطلانه من وجوه كثيرة. وقد ذكر المؤلف في كتابه «الصواعق المرسله» أكثر من أربعين وجهًا في إبطال هذا التحريف واليهود قد وصفوا الله بالنقائص والعيوب، وهؤلاء نفوا صفاته وهو أشنع التقيص.



## فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود  
وارثهم التحريف منهم وبراءة أهل الإثبات  
مما رموه به من هذه الشبه

١٩١٠- هَذَا وَتَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ

فِيهِمْ سَأْبِدِيهَا لَكُمْ بَيِّنَاتٍ

١٩١١- وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أُولُو

حَرِيفٍ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّكْتِمَانِ

١٩١٢- فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ

فَعَصَّتْ عَلَيْهِ غَايَةَ الْعِصْيَانِ

١٩١٣- إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظًا فَمَا التَّ

بَدِيلِ وَالتَّكْتِمَانِ فِي الإِمْكَانِ

١٩١٤- فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعْنَى إِذْ هِيَ الـ

مَقْضُودٌ مِنْ تَعْيِيرِ كُلِّ لِسَانٍ

١٩١٥- فَآتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ الـ

أَلْفَاظِ ظَاهِرَةً بِأَلَا كِتْمَانِ

١٩١٦- فَتَنَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا

مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي

١٩١٧- فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةً جَاحِدٍ

وَجِنَى عَلَى الْأَلْفَاظِ بِالْعُدْوَانِ<sup>(١)</sup>

١٩١٨- وَآتَى إِلَى حِزْبِ الْهَدَىٰ أَعْطَاهُمْ

شُبُهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ

١٩١٩- إِذْ قَالَ إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنَّ

ثُمَّ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي

١٩٢٠- فِي هَتِكِ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشَبَّهِمُ

مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ

١٩٢١- يَا مُسْلِمِينَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا

قَوْلِي وَغَوْهُ وَعَيِ ذِي عِرْفَانِ

١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدِ مَنْ هَذَا الَّذِي

أَوْلَىٰ بِهِ هَذَا الشُّبُهَةِ بِالْبُرْهَانِ

١٩٢٣- أَمَرَ الْيَهُودُ بِأَنْ يَقُولُوا «حِطَّةٌ»

(١) [١٩١٠: ١٩١٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهناك بلية أخرى خفية قد ابتلي بها هؤلاء المتأولون قد لا يفتن إليها كثير من الناس، وهي أنهم ورثوا تحريفهم للنصوص عن اليهود واتبعوا سنتهم فيه حذو القذة بالقذة. فإن اليهود - قبحهم الله - جمعوا بين جريمة التحريف الذي هو تفسير الألفاظ بغير معانيها وإمالتها عن المقصود منها وبين جنابة التبديل الذي هو حذف بعض نصوص الكتاب المنزل ووضع أخرى مكانها مما كتبه أيديهم وزورته أقلامهم. وبين خيانة الكتان الذي هو إخفاء ما عندهم من الحق وعدم بيانه للناس مع حاجة الناس إليه، فأراد هؤلاء المتأولون أن يرثوا عن اليهود هذه العظائم الثلاث. ولكنهم لم يجدوا إلى التبديل والكتان سيلاً، إذ كانت ألفاظ النصوص محفوظة لا يمكن لأحد أن ينال منها بتغيير أو تبديل، ولا بحذف أو زيادة. لا يمكن أن يجحد منها شيئاً، فاكتمى من ذلك بالتحريف وتبديل المعاني التي هي المقصود من الألفاظ، فعمد إليها وهي بارزة من الألفاظ تكاد تنطق مُعلنة عن نفسها وتترأى للعقول من خلال الألفاظ واضحة لا خفاء فيها، فنفي حقائقها وحول الألفاظ إلى معاني أخرى، يعلم كل من مارس اللغة وعرف مدلولاتها أنها ليست هي المقصود من هذه الألفاظ، وبذلك جنى على المعاني والألفاظ جميعاً، فجنى على المعاني بالجحد والإنكار، وبنى على الألفاظ بحملها قسراً على ما لا تحتمله من المعاني عدواناً وظلماً. فبعداً للقوم الظالمين.

فأبوا وقالوا «حنطة» لهوان

١٩٢٤- وكذلك الجهمي قيل له «استوى»

فأبى وزاد الحرف للتقصان

١٩٢٥- قال استوى «استولى» وذا من جهله

لغة وعقلا ما هما سيان

١٩٢٦- عشرون وجهها تبطل التأويل باس

تولى فلا تخرج عن القرآن

١٩٢٧- قد أفردت بمصنف هو عندنا

تصنيف حبر عالم رباني

١٩٢٨- ولقد ذكرنا أربعين طريقة

قد أبطلت هذا بحسن بيان

١٩٢٩- هي في الصواعق إن ترد تحقيقها

لا تخفي إلا على العميان

١٩٣٠- نون اليهود ولأم جهمي هما

في وحي رب العرش زائدتان

١٩٣١- وكذلك الجهمي عطّل وصفه

ويهود قد وصفوه بالتقصان

١٩٣٢- فهما إذا في نفيهم لصفاته الـ

عليا كما بيئته أخوان<sup>(١)</sup>

(١) [١٩١٨: ١٩٣٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

والعجيب من أمر هؤلاء المتأولين أنهم يرمون أهل الحق بما هم به أولى وأحق وهو بهم أشبه وألصق من الشبه باليهود حيث يقولون أن اليهود شبهوا حين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، وأنه استراح من الخلق يوم السبت إلخ: وأنتم شبهتم حين قلتم إن الله مستو على عرشه، وأن له وجهًا ويدًا. وأنه ينزل

ويجيء إلخ، سبحانه هذا مهتان عظيم، إننا حين نثبت لله عز وجل ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من صفات لا نعتقد أن هذه الصفات له تشبه ما للمخلوق من ذلك، بل نثبتها له على ما يليق بعظمته وجلاله فنحن لسنا مشبهين ولا ممثلين، كما أننا لسنا مُعْطِلِينَ ولا جاحدين، بل شأننا في ذلك إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ثم إننا نحتكم نحن وأنتم إلى كل مسلم يمكن أن يعي قولنا ويعرفه ليحكم أينا أقرب شبهاً إلى اليهود، وأولى أن ينسب إليهم.

إن اليهود أمرهم الله عز وجل أن يدخلوا الباب سجداً. وأن يقولوا حطة من الخط، يعني أن تحط عنا ذنوبنا وتغفر لنا خطايانا، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، ووضعوا حنطة مكان حطة هو ان نفوسهم وإخلاصهم إلى هذه الأرض وقصر أنظارهم على حطام الحياة ومادة العيش دون اعتبار للمعاني السامية والمبادئ الكريمة.

وهكذا أنتم معشر الجهمية، يقول الله لكم استوى على العرش فتأبون إلا أن تزيدوا حرفاً على النص، وذلك من نقصانكم في العلم والفهم، فتقولون استولى بدلاً من استوى جهلاً منكم بمواضع الألفاظ في اللغة التي لم يستعمل فيها لفظ استوى قط بمعنى استولى. ومخالفة منكم لمنطق العقل الذي يحكم بأن كل موجودين فلا بد أن يكونا إما متداخلين يعني أحدهما داخل في الآخر، وإما متباينين كل منهما منفصل عن الآخر، وما دام عز وجل باتفاق منا ومنكم ليس داخلاً في العالم ولا حالاً فيه لم يبق إلا أن يكون منفصلاً عنه عالياً عليه.

وقول الشيخ: فمن الذي يلحاني استفهام إنكار تعجبي أي لا أحد يلومني ويُعْزِفُنِي على ما قصدت إليه من فضيحة اليهود وإخوانهم المُحْرِفِينَ للقرآن.

وأن تأويل الجهمية للفظ استوى باستولى باطل من عشرين وجه، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله سره في مُصَنَّفٍ خاص. وقد ذكرها المُصَنِّفُ رحمه الله في كتابه (الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة) وزاد عليها عشرين وجهاً أخرى، فصار المجموع أربعين وجهاً مع قوة في الحجة وحُسن في البيان كما هو دأبه في كل كتبه صغيرها وكبيرها، فهو بحق كما وصفه أحد الإخوان من أنصار السُّنَّةِ (صاحب القلم السيال والسحر الحلال) جزاء الله وجزى أستاذه شيخ الإسلام عن هذه الأمة خير ما يجزى به العلماء العاملين الذي أناروا الطريق للسالكين، ومهدوا لمن بعدهم سبيل الحق واليقين.

ولا نطيل الكلام في سرد هذه الوجوه، فليرجع إليها من أراد في كتاب الصواعق المذكور، غير أننا نحب أن نشير إلى بعض ما يظهر به فساد هذا التأويل وتوضح به تفاهته أو سخافته وهو أنه يقتضي أن الله لم يكن مستولياً على العرش ولا مالكاً له ثم استولى عليه وملكه، وذلك يقتضي أن العرش كان في حوزة ملك آخر قبل أن يقهره الله ويتزع العرش منه. ثم ما الحكمة في تخصيص العرش وحده باستيلاء الله عز وجل عليه وهو مالك الملك كله من عرشه إلى فرشته كله في قبضته مقهور بقهر جبروته وعزته. أفلا يستحي هؤلاء من ترديد مثل هذا الهراء وتدرسه للناشئة من طلاب المعاهد الذين يأخذونه من أفواه شيوخهم عقيدة مسلمة لا يجرون على مناقشتهم فيه، وإلا رموا بالكفر والإلحاد.

وما أحسن قول من قال (لام الجهمية كنون اليهودية) فكلتاها زائدة على الوحي حيث جاء أمراً

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ الْمُحَرِّفِينَ يَشَابَهُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَيُرْثُونَهُمْ فِي التَّحْرِيفِ وَأَنَّ أَهْلَ الْإِبْتِهَاتِ بَرِيثُونَ مِمَّا وَصَمَهُمْ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُحَرِّفُونَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُحَرِّفِينَ قَالُوا: إِنَّ أَهْلَ الْإِبْتِهَاتِ هُمُ الَّذِينَ يَشْبَهُونَ الْيَهُودَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ مُشَبَّهَةٌ وَأَهْلُ الْإِبْتِهَاتِ عَلَى زَعْمِهِمْ مُشَبَّهَةٌ؛ وَلِذَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ: (هَذَا وَثْمٌ بَلِيَّةٌ مُسْتَوْرَةٌ فِيهِمْ سَابِدِيهَا لَكُمْ بَيَانٌ).

قوله: (هذا) أي: هذا المذكور سابقًا. و(ثم) يعني: هناك.

هَذَا وَثْمٌ بَلِيَّةٌ مُسْتَوْرَةٌ فِيهِمْ سَابِدِيهَا لَكُمْ بَيَانٌ

قوله: (فيهم) الضمير هنا يعود على أهل التأويل المحرفة.

وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنَ يَهُودَ وَهُمْ أُولُو الثَّ

أَي: أَنَّ الْمُحَرِّفَ وَرِثَ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيَهُودَ هُمُ أُولُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّكْتِمَانِ، بَلْ هُمُ

مِنَ أَعْظَمِ الْأُمَمِ تَحْرِيفًا لِنُصُوصِ الْكِتَابِ؛ فَقَدْ حَرَفُوا التَّوْرَةَ وَخَرَقُوا وَمَزَقُوا الْعَمَلَ بِهَا وَكَفَرُوا بِهَا فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَرِّفًا فَقَدْ وَرِثَهُمْ.

فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ فَعَصَّتْ عَلَيْهِ غَايَةَ الْعِصْيَانِ

إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظًا فَمَا الثَّ

قوله: (أراد ميراث الثلاثة) أي: التحريف والتبديل والتكتمان، فقد أراد هؤلاء - أهل

التأويل - أن يرثوا الثلاثة؛ فالتكتمان هم بعيدون أن يصلوا إليه؛ لأن هذا القرآن محفوظ،

وكذا التبديل، إذ لو بدلوا كلمة منه لثارت عليهم الأمة، فلو أنهم قرأوا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وبدلوا «استوى» باستولى لثارت عليهم الأمة وكذا لو أنهم

كتموا ومحووا من المصحف قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وجميع آيات الاستواء ما

أمكنهم ذلك أيضًا؛ فلذا عمدوا إلى تحريف المعنى؛ لأنه يمكن أن يلبسوا على الناس

لليهود بأن يقولوا حطة فقالوا حنطة. وجاء مجبرًا عن الله بأنه استوى فقال الجهمية: استولى. وكما

وصف اليهود ربهم بما لا يليق به من النقاخص. من قولهم أنه فقير ويده مغلولة. وأنه تعب من الخلق

فاستراح في يوم السبت إلخ. كذلك عطله الجهمية عن صفات كماله ونفوها عنه.

وبذلك اتفق الفريقان على نفي صفاته العليا التي هي كمالات محضة، وبأن لكل أحد منها أخوان متشابهان.

ويقولوا: إن «استوى» بمعنى استولى، ولكن قال ابن القيم: (فعصت عليه غاية العصيان) وهذا حق لا شك.

فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي إِذْ هِيَ الـ مَقْضُودٌ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ  
فَأَتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ الـ أَلْفَاظِ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِتْمَانٍ  
فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي

قوله: (أراد تبديل المعاني) أي: التحريف؛ فإذا قال في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: وجاء أمر ربك، فكأنه محاقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تماماً وأبدله بقوله هو: وجاء أمر ربك، لكن لفظاً لا يستطيع أحد ذلك ولا يجروء على هذا أحد؛ ولهذا فعمد إلى المعنى وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: فجاء أمر ربك.

قوله: (فأتى إليها) أي: إلى المعاني.

وقوله: (وهي بارزة من الألفاظ ظاهرة بلا كتمان) يعني: أتى إليها وهي واضحة بينة يدل عليها اللفظ بلا كتمان.

فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي

قوله: (نفى حقائقها) ومن نفى الحقائق المثال الأخير الذي ذكرناه من تأويله لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ حين قال: ليس المراد جاء هو نفسه، بل المراد جاء أمره، فهو قد نفى الحقيقة، وأعطى لفظها معنى سوى موضوعها: وكما هو معلوم أن موضوع قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: أنه جاء هو نفسه حقيقة، أما هو فيقول: لا، بل جاء أمره فأعطى الحقيقة معنى آخر، سوى موضوعه الحقاني.

فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةَ جَا حِدٍ وَجَنَى عَلَى الْأَلْفَاظِ بِالْعُدْوَانِ

قوله: (فجنى على المعنى جناية جاحد) هذا صحيح؛ لأنه إذا قال معنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء أمره، فقد جحد المعنى الأصلي وهو مجيء الله سبحانه وتعالى بنفسه.

وقوله: (وجنى على الألفاظ بالعدوان) حيث حرفها وقال: إن معناها كذا، فهذه جناية عليها؛ لأنه حملها معنى لم تحتمله.

وَأَتَى إِلَى حِزْبِ الْهُدَى أَعْطَاهُمْ شَبَةَ الْيَهُودِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

إِذْ قَالَ أَنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنْ تُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي؟

قوله: (أتى إلى حزب الهدى) أي: أتاهم وقال: أنتم الذين تُشبهون اليهود؛ وذلك لأن اليهود مجسمة؛ حيث قالوا: إن الله فقير، وقالوا: إن الله بخيل، وقالوا: إن الله بكى وحزن، وقالوا: إن الله تعالى تعب، فجسّموا وأنتم كذلك جسّمتم، فأنتم الذين شابهتم اليهود، ولكن هذا والله من الطغيان والعياذ بالله.

وقوله: (إنهم) أي: اليهود، هم مشبهةٌ وأنتم مثلهم.

وقوله: (فمن الذي يلحاني) أي: يلومني إذا قلت أنكم مشبهة كاليهود.

وقد سبق أن ذكرنا: أن هناك ثلاثة أشياء: هي: التحريف، والتبديل، والكتمان؛ وقد حاول أهل التعطيل أن يسلكوا هذه المسالك الثلاث ولكنهم عجزوا عن سلوكها جميعاً؛ لأن هذا بعيد عليهم، فلا يمكنهم التبديل ولا الكتمان؛ لأن القرآن محفوظ، وكذلك التحريف؛ لأنهم لا يستطيعون لا كتمان اللفظ ولا تبديله؛ لذا فسلكوا الطريق الثالث وهو التحريف؛ فأتوا إلى الألفاظ وقالوا: تبقى الألفاظ لكن لا يبقى من معناها إلا ما دلت عليه. وقوله: (من الذي يلحاني؟) أي: يلومني على ما قلت.

فِي هَتِكِ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشَبَّهِهِمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ

يَا مُسْلِمِينَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعَوِّهِ وَغِي ذِي عِرْفَانٍ

قوله: (يا مسلمون) المنادي: هو ابن القيم؛ فهو لما قال: (من الذي يلحاني) قال: (في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن) فإنه ينادي المسلمين.

وقوله: (وعوه وغي ذي العرفان)؛ لأن السمع بدون وعي لا فائدة منه، إذ لا بد للإنسان أن يسمع ويعي قول مخاطبه، فإنه إن سمع بلا وعي فلا فائدة من سمعه والسمع يكون في الأذن، والوعي يكون في القلب.

تُمْ أَحْكُمُوا مِنْ بَعْدِ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَذَا الشَّبْهِ بِالْبِرّهَانِ

وذكر مثلاً:

أَمَرَ الْيَهُودُ بِأَنْ يَقُولُوا «حِطَّةٌ» فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لِهَوَانٍ

وذلك حين قيل لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة ٥٨] يعني: باب القرية التي

أَمُرُوا بِقِتَالِ أَهْلِهَا ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة ٥٨] لكنهم لم يفعلوا ذلك بل دخلوا يزحفون على إسطاهم؛ كُلُّ واحدٍ يزحف على استه يعني: على دبره، ويقولون: حنطة، فبدل أن يقولوا: حطة، قالوا: حنطة، والحطة: هي: مغفرة الذنوب وحط الخطايا. فهم لم يريدوا حطة الذنوب وإنما يريدون الحنطة، فهم يبغون المال وملء البطون ولا يهمهم أن يحط الله ذنوبهم أو لا يحطها، نسأل الله العافية.

و كذا الجهمي لما قيل له: أن معنى «استوى» في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي: الاستواء الحقيقي، فأبى وزاد حرفاً وقال: لا، بل معناه «استولى» على العرش فزاد حرفاً كما زادت اليهود حرفاً حين قالوا: حنطة.

فالجهمية لا شك أنهم هم المشابهون لليهود؛ فاليهود زادوا حرفاً وهو «النون» والجهمية زادت حرفاً وهو «اللام» وقال: (زاد الحرف للنقصان) أي: زاد حرفاً فنقص المعنى فصار العرش وغيره سواءً بسواءٍ، فإذا كان استواؤه على العرش يعني: استيلاؤه عليه فهو أيضاً مستولى على الأرض فحينئذٍ يكون لا فضل للعرش على الأرض، ولا على أي شيء سواها إذ أن الله مستولى على كل شيء، فلما زادوا حرفاً نقص المعنى فنقص معه قدر العرش تبعاً.

قَالَ اسْتَوَى «اسْتَوْلَى» وَذَا مِنْ جَهْلِهِ  
لُغَةً وَعَقْلاً مَا هُمَا سِيَّانِ  
عِشْرُونَ وَجَهًّا تُبْطَلُ التَّأْوِيلُ بِاسِ  
سَتَوْلَى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ

قوله: (لا تخرج عن القرآن) أي: لو كان الله يريد أنه استولى على العرش فما الذي كان يمنعه أن يقول: استولى، ولكنه عز وجل أراد استوى، و«استوى» لا شك غير استولى؛ ولهذا قال: (لا تخرج عن القرآن).

قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا  
تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي

قوله: (تصنيف حبر عالم رباني) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وَلَهُ كِتَابٌ أَبْطَلُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ لَفْظَةً: «استوى» بمعنى استولى من عشرين وجهاً رَحِمَهُ اللهُ وَجِزَاهُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ خَيْرًا. وقوله: (حبر) كحبر كلمة مثلثة الحاء؛ يعني: حبر حبر حبر ومعناه: العالم واسع العلم، وهي مشتقة من البحر لكنه اشتقاق أكبر؛ لأن الاشتقاق الأكبر هو الذي تختلف فيه الحروف، لذا فالاشتقاق هنا من هذا النوع حيث تقدمت الحاء على الباء.

وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً      قَدْ أَبْطَلْتَ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانٍ  
هِيَ فِي الصَّوَاعِقِ إِنْ تُرَدُّ تَحْقِيقُهَا      لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قوله: (ولقد ذكرنا أربعين طريقة) هذه الطرائق المذكورة في «الصواعق المرسله» وهي والله صواعق مرسله على غزو الجهمية والمعطلة، فهو ما شاء الله اختار عنواناً مناسباً جداً؛ فهي إذا كانت صواعق مرسله ما بقي لهم أثر، والكتاب والحمد لله الآن مطبوع وكان لا يوجد إلا مختصره، ولكن - بفضل الله - الآن هو مطبوع، وهو كتاب إذا قرأه الإنسان أفاد منه فائدة كبيرة.

نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مَ جَهْمِيَّ هُمَا      فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ  
قوله: (نون اليهود) أي: الزائدة في حنطة، فالله يقول: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وهم يقولون: حنطة، كذلك لام الجهمية الزائدة في قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى﴾ فالله يقول: استوى وهم يقولون: استولى؛ ولذا قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فهما في وحي رب العرش زائدتان).

وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفُهُ      وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ  
قوله: (ويهود وصفوه بالنقصان) وذلك حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾، وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ وقالوا: إن الله تعب يوم السبت فاستراح - نعوذ بالله - كما وصفوا الله بكل عيب، وكذا الجهمي سلب من الله وصفه بالكمال وإذا سُلِبَ وَصْفُهُ بالكمال لزم ذلك أن يكون متصفاً بالنقص.

ووجه التلازم: أنك إذا نفيت صفة الكمال عن الله فإنه يلزم من ذلك أن يكون متصفاً بالنقص؛ لأنه ما من موجود إلا وله صفة فإذا انتفت عنه صفة الكمال لزم ثبوت صفة النقص، فاليهود وصفوه بالنقص والجهمية وصفوه بالنقص؛ لذا فالجهمية المعطلة هم أولى الناس بوصفهم، أنهم يتشبهون باليهود وليس المثبتون لصفات الله على حقيقتها.

فَهُمَا إِذَا فِي نَفِيهِمْ لِصِفَاتِهِ الْ      غُلِيًّا كَمَا بَيَّنَّشُهُ أَخْوَانِ





## تهديد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في بيان بهتانهم في تشبيهه أهل  
الإثبات بضرعون، وقولهم: إن مقالة العلو،  
عنه أخذوها، وأنهم أولى بضرعون، وهم أشباهه

وذلك أن الجهمية رموا أهل السنة وسموهم فرعونية، يقولون إن مذهبهم مذهب  
فرعون؛ لأنهم يعتقدون أن الله فوق خلقه كما اعتقد فرعون ذلك حتى طلب من وزيره  
هامان أن يبني له صرحًا ليبلغ الأسباب أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى تكديبًا  
لموسى وجحدًا لرب العالمين، ومن المعلوم أن الجهمية أولى بفرعون في هذه الحالة، لأنه قالها  
إنكارًا، وهو نفس مذهب الجهمية، فإنهم أنكروا كلام الله وعلوه على خلقه كما أنكر فرعون  
ذلك بتكذيبه لرسالة موسى ولعلو الله، وليس بينهم فرق إلا أن فرعون صرح بالإنكار  
وهم موهوا العبارات وزخرفوا الألفاظ وقبحوا الحسن وحسنوا القبيح وسموا أنفسهم  
أهل الحق وسموا غيرهم أهل الباطل فانخدعوا لهذه الزخارف وخدعوا غيرهم.



## فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بضرعون،  
وقولهم: إن مقالة العلو عنه أخذوها،  
وأنتهم أولى بضرعون وهم أشباهه

### الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (إن مقالة العلو عنه أخذوها) أي: أخذوا إثبات العلو لله من فرعون لذا فهم أتباعه ومتشبهون به؛ لأن فرعون أثبت العلو وكذا هم - أي: المثبتون - أثبتوا العلو، فهم يهودٌ فرعونية، فمرة قالوا: تشبهون اليهود، ومرة قالوا: تشبهون فرعون، نسأل الله العافية؛ ولذا رد عليهم ابن القيم فقال:

١٩٣٣- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَوْنُ مَدَّ

هَبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

١٩٣٤- وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الضُّعُودَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ

رَحِ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ

١٩٣٥- هَذَا رَأْيُنَاهُ بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ

أَفْوَاهِهِمْ سَمِعْنَا إِلَى الْأَذَانِ

١٩٣٦- فَاسْمَعِ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ

عَوْنِ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

١٩٣٧- وَانظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ

حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَةَ الرَّحْمَنِ

١٩٣٨- فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنَ يُكْتَمُ

أُضْحَى يُكْفِرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ

١٩٣٩- وَيَقُولُ ذَاكَ مُبَدِّلٌ لِلدِّينِ سَا

عِ بِالْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ<sup>(١)</sup>

١٩٤٠- إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنَ حِي

نَ رَمَى بِهِ الْمُؤَلُودَ مِنْ عِمْرَانَ

١٩٤١- فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَت

بُوعٍ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيِّرَانِ

١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقِ وَالْتَّ

كَلِيمِ إِنْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ

١٩٤٣- إِذْ قَصَدَهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالْتَّ

عَطِيلُ مَرْقَاةٍ لِذَا التُّكْرَانِ

(١) [١٩٣٣: ١٩٣٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

ومن عجائب هؤلاء الجهمية كذلك أنهم يرمون أهل الإثبات لصفة العلو وغيرها بأنهم أشباه فرعون، فقد حكى عنه القرآن أنه كان يعتقد أن إله موسى في السماء، ولهذا قال لهامان وزيره ﴿يَنْهَمْنُ أَنْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَنْبَلُغَ الْأَسْتَبَّ ۝ (٣٦) أَسَدَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] ويذكرون هذا في كتبهم ويصرحون به في مجالسهم، ونحن نبين من هو أولى بفرعون المعطل الجاحد لوجود الصانع جل وعلا. ومن هو أحق أن يُنسب إليه نحن أم هم؟ إن فرعون حين أخبره موسى عليه السلام بأنه رسول من رب العالمين سأله فرعون سؤال المتظاهر بالجدد والإنكار: ما رب العالمين وأين هو؟ فأخبره موسى بأن إلهه الذي أرسله في السماء. فقال فرعون ما حكاه عنه القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرٍ فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الظُّمِينِ فاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ففرعون كذب موسى في قوله أن إلهه في السماء ولهذا طلب بناء الصرح ليرقى عليه ويستطلع جلية الخبر.

وهكذا أنتم أيها الجهمية أشياع لفرعون في التعطيل والإنكار - إذا أخبركم أهل الحق بأن الله فوق خلقه مستو على عرشه قلمت حشوية كفار وخشيتهم منهم ما خشيه فرعون من موسى حين قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فأنتم أشياع فرعون في الكذب والبهتان ترمون به أهل الحق والإيمان كما رمى به هو موسى بن عمران.

١٩٤٤ - وَسَوَاءُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ

وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

١٩٤٥ - وَأَتَى بِذَلِكَ مُفَكِّرًا وَمُقَدِّرًا

وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ

١٩٤٦ - وَأَتَى إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ

لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ<sup>(١)</sup>

١٩٤٧ - وَأَتَى بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالْتِّ

عَظِيمِ تَلْبِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

١٩٤٨ - وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ ذَا

جَسِيمٌ لَيْسَ يَلِيْقُ بِالرَّحْمَنِ

١٩٤٩ - فَالْفَلْفُظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تَلْقَائِهِ

(١) [١٩٤٠: ١٩٤٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهذا البهت الذي بهتهم به أهل السنة والجماعة من قولكم حشوية ومجسمة حددوا ربهم وجعلوا له مكانًا إلخ، إنها ورثتموه من فرعون إمامكم في الضلال حين رمى به موسى بن عمران كليم الرحمن، فقال إنه ما جاء إلا لتبديل الدين والسعي في الأرض بالفساد فهو إمامكم في الدنيا. وسيكون كذلك إمامًا لكم في الآخرة يقودكم إلى النار. كما قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَنْسَأُ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ ﴿٩٨﴾ [هود: ٩٨].

وهو أنكر الوصفين جميعًا، وصف الفوق ووصف التكليم، أما وصف الفوق فيما تقدم من قوله في شأن موسى: ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴿٧﴾ وأما وصف التكليم فلأنه جحد رسالة موسى وكذب بها، والرسالة إنما مبناها على تكليم الله لمن يرسله فمن جحدها فقد جحد ما تنبني عليه من وصف التكليم. وكان قصد فرعون من الجحد لهذين الوصفين إنكار ذات الرب جل شأنه، فجعل من هذا التعطيل مرقاة يثب منها إلى جحد الصانع جل وعلا وتعطيل العالم عن صانعه وإلهه، ولكنكم حين قصدتم إلى هذا التعطيل والإنكار أعددتهم للأمر عدته واستكلمتم لآلته وبنيتم على هندسة ونظام مع تفكير وتقدير ورثتموه عن سلفكم في الجحود والإنكار: الوليد ابن المغيرة حين قال في القرآن بعد أن فكر وقدر إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. ودخلتم إلى التعطيل من بابه ولم تتسوروا الجدران ولا أتيتم البيت من ظهره، لهذا راج باطلكم وجاز تلبيسكم وخداعكم على كثير لا من العامة فحسب بل ممن يُنسبون إلى العلم والدين، ونالوا لقب الإمامة والزعامة بين المسلمين، والله في خلقه شئون.

وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَثَانِ

١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ

يَبْلُغَ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشَّيْخَانِ

١٩٥١- إِلَّا أَنَا سَلَّمُوا لِلْوَحِيِّ هُمْ

أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ

١٩٥٢- فَآتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ

كَالشَّاءِ إِذْ تَنَقَّادُ لِلْجَوْبَانِ

١٩٥٣- فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدَي

شَيْطَانٍ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup>

### الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (ومن العجائب قولهم فرعون مذهبه العلو وذاك في القرآن) وهذا من المصائب؛ ولذا قالوا: إن أهل السنة فرعونية يشبهون فرعون؛ لأن أهل السنة أثبتوا أن الله فوق كل شيء، وفرعون أثبت العلو لله فهذا شابهوا فرعون من هذا الوجه، ولكنهم عموا عن أن

(١) [١٩٤٧: ١٩٥٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني أنكم حين عطلتم الباري عن صفاته سميتم هذا التعطيل تنزيهاً وتعظيماً للرب جل شأنه لكي تلبسوا بذلك على أهل الغفلة والعمى فينقادوا لكم ويدينوا بتعظيمكم وعمدتم إلى وصف العلو الثابت له سبحانه بها لا يحصى من الأدلة النقلية والعقلية، فقلتم هذا تحسيم يجب تنزيه الله عنه، وهكذا أنشأتم لفظ التنزيه من عند أنفسكم وكسوتموه بما تشاءون من صفات، فاقترضى تنزيهكم أن تنفوا عنه الجهة والمكان والحيز والحركة والنزول والصعود والمقدار والصورة والإشارة الحسية إلخ، مما يجعله سبحانه، وحاشا أقرب إلى المعدوم منه إلى الموجود، وكل صفة مما أثبتته هو لنفسه أو أثبتته له رسوله لا تروق لكم تنفونها بحجة التنزيه. والناس ينقادون لكم في هذا النفي والتعطيل، لأنهم صبيان العقول وإن كانوا كبار الأعمار، ولكن المتبعين للوحي والواقفين عند النص هم الذين بلغوا رشدهم واستوت أحلامهم فهم لا ينقادون لكم ولا يغترون بجعجتكم، وإنما ينقاد لكم الصبيان انقياد الشاء للجوبان، يعني الراعي، وماذا يصنع عقل صغير بين يدي شيطان إلا أن يلعب به كما تلعب بالكرة الصولجان.

موسى هو الذي قال: إن الله في السماء؛ ولهذا قال فرعون: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨]. هل فرعون بهذا أثبت العلو؟ لا، بل أنكره، ولكنه أمر وزيره هامان أن يبني هذا الصرح توهيماً لقومه بأنه سوف يصعد على هذا الصرح ثم يقول: بحثت فلم أجد شيئاً، فيكون قد مَوَّهَ على قومه، فكذا الجهمية على طريق فرعون وليس أهل الإثبات أهل الحق وهذا هو الحق، والله أعلم.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ فِرْعَوْنُ مَدَّ هَبَّةَ الْعُلُوِّ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ  
وهذه دعوى بدليل، لكنها باطلة والاستدلال بها باطل.

وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بِالصَّدِّ رِحَ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ  
ففرعون طلب الصعود إلى الله، وهذا يدل على -على زعمهم- أنه يقر بأن الله في السماء.  
هَذَا رَأَيْتَاهُ بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ أَفْوَاهِهِمْ سَمِعْنَا إِلَى الْأَذَانِ  
فَأَسْمَعُ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ  
قوله: (من ذا الذي أولى بفرعون المطلق جاحد الرحمن) هل هم أهل السنة المثبتون للعلو، أم هؤلاء المنكرون لعلو الله؟ أيهم أولى بفرعون؟!

وَإِنظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَةَ الرَّحْمَنِ

قوله: (وانظر إلى من قال) أي: فرعون، فهو القائل: أن موسى كاذب فيما ادعاه من أن الله في السماء؛ وذلك لأن فرعون ينكر وجود الله نهائياً، ففرعون يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] فهو لا يؤمن بوجود إله أصلاً لا فوق ولا في أي مكان غير فوق، إذاً هل أهل السنة أولى بفرعون أم هؤلاء المعطلة؟ لا شك أن أولاهم به هؤلاء المعطلة، لكنهم يَقلِبُونَ الحقائق تلبيساً وترويحاً، نسأل العافية.

فَمَنْ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنِيَّكُمْ أَضْحَى يُكْفِرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ

قوله: (فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الإيمان) يقول رَحِمَهُ اللهُ هذا استهزاء بهم، فهو يقول: من المصائب أن فرعونكم هذا -الذي تزعمون أنه أثبت العلو لله- كفر موسى الذي يقول: إن الله في السماء، إذاً فهو كافر -أي: فرعون- وهذا لا شك ككلام أهل التعطيل.

وَيَقُولُ ذَاكَ مُبَدَّلٌ لِلدِّينِ سَا عِ بِالْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

قوله: (ويقول) أي: فرعونهم، يقول إن الذي يقول: إن الله في السماء مبدلٌ للدين؛ ولذا قال فرعون ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

قوله: (ساع بالفساد) فقال فرعون: ﴿أَوْ أَنْ يُظَهِّرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر ٢٦] وفي قراءة ﴿يُظَهِّرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمُ فِرْعَوْنُ حِي نَ رَمَى بِهِ الْمُؤَلَّدَ مِنْ عِمْرَانِ

فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَتَّ سُبُوعٍ يُثَوِّدُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ

قوله: (إن المورث ذأ) يعني: إنكار العلو، و«ذأ» هنا بمعنى: هذا.

وقوله: (إن المورث ذأ لهم فرعون) يعني: أن الذي أورثهم إنكار العلو إنما هو فرعون.

هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقِ كَلِيمٍ إِنْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ

قوله: ( أنكر الوصفين) الوصفين هما: علو الله، وإثبات الكلام لله؛ أما عن إنكاره وصف الله بالعلو؛ فهذا لأنه إنما قال لهامان ﴿أَبْنِي لِي صِرْحًا﴾ [غافر ٣٦] من باب التهكم بموسى من وجهه، وأيضًا من باب التضليل لقومه من وجه آخر؛ لأنه سيقول: صعدت ولم أجد شيئًا، وأما عن إنكاره لوصف الله بالتكليم، فهذا بإنكاره لرسالة موسى، ورسالة موسى ما ثبتت إلا بالوحي الذي هو تكليم الله، وفرعون أنكر الفوقية والتكليم. وكذا المعطلة أنكروا الفوقية والتكليم جميعًا؛ لذا فهم أشباه فرعون ولا شك.

إِذْ قَصَدَهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالَّذِي عَطِيلٌ مَرْقَاةٌ لِذَا التُّكْرَانِ

قوله: (قصده إنكار ذات الرب) وهو فرعون ومقصده إنكار ذات الرب، وأما (التعطيل) يعني بهم: هؤلاء المعطلة.

وقوله: (مرقاة لذا النكران) أي: نتيجة لتعطيل المعطلة وإثبات مذهبهم تصل إلى إنكار ذات الله، نسأل الله العافية.

وَسِوَاهُ جَاءَ بِسَلْمٍ وَبِآلَةٍ وَأَتَى بِقَاتُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

وَأَتَى بِذَاكَ مُفَكِّرًا وَمُقَدِّرًا وَرَثَ الْوَالِدِ الْعَابِدِ الْأَوْثَانَ

قوله: (سواه) أي: أن أهل التعطيل أتوا بسلم وآلة وقانون، والمراد بالقانون هنا: قانون

الكلام، فالمعنى: إن كان الله فوق فيلزم من ذلك أن يكون جسمًا، وإذا كان جسمًا لزم أن يكون مماثلًا للمخلوق، وهكذا فأتوا بقانون، ولكن فرعون لم يأت بهذا القانون وإنما أنكر رأسًا؛ فقال ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] فهو بذلك أحسن سيرة منهم؛ لأنه أصرح منهم أما هم فقد أتوا بهذه القوانين كي يلعبوا بها على الناس.

وقوله: (ورث الوليد العابد الأوثان) والوليد: هو الوليد بن المغيرة الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَبَّ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [المدثر: ١٨-٢٣] فكانت النتيجة: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥] فهؤلاء المتكلمون المعطلون صاروا يفكرون ويقدرون ويأتون بقوانين ويأتون بحجج واهية يدعونها عقليات وهي في الأصل وهميات غير حقيقية فهم بذلك قد ورثوا فرعون صاحب موسى وورثوا الوليد بن المغيرة، أحد زعماء الكفر في هذه الأمة.

وَأَتَى إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ

قوله: (وأتى على التعطيل من أبوابه) أي: من أجل أن يلج إلى التعطيل ولو جًا محكمًا؛ لأن الذي يأتي الشيء من بابه يدخله دخولًا محكمًا، أما الذي يأتيه من ظهور البيوت ويتسلقها تسلقًا فإنه قد يسقط ويموت ولا يصل إلى مراده، لكن هؤلاء أتوا إلى التعطيل من أبوابه بما كسوه من حالة الحجج الواهية، كقول الشاعر:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقًا وكل كاسر مكسور

قوله: (حجج تهافت كالزجاج) أي: تراهم مثلاً يقولون: حاشا أن يكون الله تعالى فوق حاشاه، وعلّة ذلك عندهم أنهم قالوا: لو أثبتنا أن الله تعالى فوق لأثبتنا أنه جسم، وإذا أثبتنا أنه جسم أثبتنا أنه مماثل للمخلوق فحاشا ربنا من مماثلة المخلوق؛ لأنه عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَأَتَى بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالْتَّعْظِيمِ تَلْيِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

وقوله: (وأتى به في قالب التنزيه والتعظيم تلييسًا على العميان) أي: إذا سمعها العامي وأشباه العوام صدقه، وقال: هذا هو الحق فالله منزّه عن ذلك.

ثم ذكر مثالًا من أقوالهم التي يلبسون بها على العوام، فقال:

وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ ذَا اللَّهِ حَجْسِيمٌ لَيْسَ يَلِيْقُ بِالرَّحْمَنِ

فَاللَّفْظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تَلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

قوله: (اللفظ) أي: الذي هو التنزيه، قد أنشأه من تلقائه، ويجوز أن يكون المراد بقوله: «اللفظ»: أي: التجسيم.

وقوله: (وكساه وصف الواحد المنان) من أجل أن يرتب على ذلك إنكار العلو.

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشَّيْخَانِ

قوله: (والناس كلهم صبيو العقل) هذا الوصف للناس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقوله: (وإن كان من الشيوخ) «الشيوخ» جمع: شيوخ، حتى لو كانوا شيوخاً؛ فعقولهم عقول الصبيان.

إِلَّا أَنَا سَلَّمُوا لِلْوَحِيِّ هُمْ أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ

فَأَتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ كَالشَّاءِ إِذْ تَنَقَّادُ لِلْجُوبَانِ

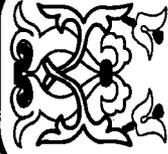
قوله: (أنا سلموا للوحي) وهم العقلاء الذين هم أهل البلوغ.

وقوله: (أتى إلى الصبيان) أي: صبيان العقول، (فانقادوا له كالشاة إذ تنقاد للجوبان) والجوبان: هو الراعي، والغنم تنقاد للراعي وهو قد يقودها إلى المنحر أو المذبح وهي لا تدري، فهؤلاء مثلهم؛ أي: مثل الغنم.

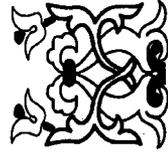
فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدِي شَيْطَانٌ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ

وعقل الصغير بين يدي الشيطان يلقي كل شر ولا شك.





## مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

#### في بيان تدليسهم وتليبسهم الحق بالباطل

وذلك أن كل صاحب بدعة يقصد نصر مقالته يأتي إلى الحق الصريح المناقض لقوله فيستخرج له الاحتمالات البعيدة والألفاظ المجملة، فإن هؤلاء الجهمية موهوا وقالوا لإخوانهم: إذا قال لكم المجسم: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

فقولوا له: هذا لفظ مجمل، فإن «العرش» له عدة معانٍ و«الاستواء» له عدة محامل، فأبي المعاني تريد وأي المحامل تقصد. و«على» أيضًا تأتي في العربية لعدة معانٍ فإذا سمع الجاهل هذا التليبس والتمويه استعظم ذلك ورآه إشكالًا يعسر الانحلال عنه، وأما المتبصر الذي نور الله قلبه فإنه يعرف أن هذا ليس محل إشكال ولا لبس بل هو من أوضح الأشياء وأبينها، فإن الألف واللام في «العرش» للعهد الذي يفهمه كل مسلم أنه عرش الرب العظيم لا غيره من عروش الكرم ونحوها، ولو قيل له يحتمل واحدًا غير هذا لبادر الإنكار، هذا مع اتفاق جميع الرسل وشهادتهم أنه استوى على العرش العظيم، فكل مؤمن يفهم المعنى من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وكذلك لفظ الاستواء المعدى بعلى فإنه واضح جدًا دالٌّ على العلوِّ والظهور، فإن الاستواء حيث عُدِّي بعلى فإنه يدل على العلو والظهور، وأما إذا عُدِّي بإلى نحو ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

فإنه يدل على القصد، وإذا قيل استوى كذا وكذا دل على معية الأول للثاني كقوله لموسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤].

فهذه المعاني المتباينة بحسب تعديته بالحروف كما ذكرنا، فعلم علماً يقيناً أن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

لا إشكال فيه ولا إجمال، خصوصاً وقد طرد إتيانه بهذا السياق في جميع موارد ومصادره، ولم يأت هذا المعنى بلفظ فيه إجمال، فلو كان المراد ما قصده الجهمي لآتى به ولو في موضع واحد ليستبين المراد، والجهميُّ من تليسه جعل هذه الألفاظ مجملة محتملة لعدة معاني ليتمكن من تحريفه، فينبغي مع ذلك أن يتمم هذا التحريف والتليس فيقول والرحمن له عدة معاني ليكمل إلحاده ويستريح ويجعل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. ليس له معنى وإنما يتبرك بقراءته تبركاً.

ونظير هذا الفصل الفصل الذي بعده وهو قوله:





## فصل

في بيان تديسههم  
وتلبسههم الحق بالباطل



- ١٩٥٤ - قَالُوا: إِذَا قَالَ الْمَجِيسُّمُ رَبُّنَا  
حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ  
١٩٥٥ - فَسَلُّوهُ كَمَا لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى  
أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ خَمْسُ مَعَانٍ  
١٩٥٦ - وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى  
عَمْرٍو فَذَلِكَ إِمَامٌ هَذَا الشَّانِ  
١٩٥٧ - بَيْنَ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي  
مِنْهَا أُرِيدُ بِوَأَضِحِ التَّيَّانِ  
١٩٥٨ - فَاسْمَعْ فَذَلِكَ مُعْطَلٌ هَذَا الْجَعَا  
جُعُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَذْيَانِ  
١٩٥٩ - قُلْ لِلْمُجْجِعِ وَيَلْكَ اغْقَلْ ذَا الَّذِي  
قَدْ قُتِلَتْهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ  
١٩٦٠ - الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَ«الْأَلَامُ» لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ  
١٩٦١ - مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ  
نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ  
١٩٦٢ - وَمُحَمَّدٌ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ

شَهَدُوا بِهِ لِلخَالِقِ الرَّحْمَنِ

١٩٦٣ - مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ

رَبِّ عَلَيْهِ قَدِ اسْتَوَى دِيَّانٍ<sup>(١)</sup>

١٩٦٤ - لَمْ تَفْهَمِ الأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَلَدٍ

قَيْسٍ وَلَا بَيْتًا عَلَى أَرْكَانِ

١٩٦٥ - كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرِ وَلَا

عَرْشًا لِجَبْرِيلَ بِإِلا بُئِيَّانِ

١٩٦٦ - كَلَّا وَلَا العَرْشَ الَّذِي إِنْ تُلِّ مِنْ

عَبْدِ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي

(١) [١٩٥٤: ١٩٦٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

مما أوصى به المعطلة النفاة بعضهم بعضًا أنهم قالوا: إذا قال لك المجسم (يعنون المثبت لعلوه تعالى واستوائه على العرش) - ربنا على العرش استوى حقًا كما جاء ذلك صريحًا في كتابه بلسان عربي مبين، فسله أي معنى من معاني العرش تريد؟ فإن العرش يُطلق ويُراد به سرير الملك، ويُطلق ويُراد به عرش الكروم، ويُطلق ويُراد به العريشة، ويُطلق ويُراد به عرش بلقيس ملكة سبأ، ويُطلق ويُراد به السقف.

وكذلك سله عن معنى استوى فإنه كذلك لفظ مُحْتَمِلٌ لعدة معانٍ: يُقال استوى بمعنى جلس، واستوى بمعنى قصد، واستوى بمعنى بلغ تمامه وكمالَه، واستوى بمعنى ساوى. وسله أيضًا عن معنى على فإنها تأتي للاستعلاء ولغيره، كما ذكر ذلك أئمة اللغة، فقل له بين لنا كل هذه المعاني التي تُراد من هذه الألفاظ، وأي هذه المعاني تريد، فإذا حاول المُعْطَلُ تشكيكك بمثل هذه الهديانات. أو أراد أن يسد عليك باب الفهم للنصوص بسلب الألفاظ دلالتها على معانيها المتبادرة منها، وادعاء أنه لا يمكن فهم مقصود المتكلم بهذه الألفاظ لاحتمالها لعدة معانٍ، فقل له: دع عنك هذه الجعاجع والمغالطات، فكل لفظ من هذه الألفاظ الثلاثة واضح الدلالة على معناه.

فالمراد بالعرش هنا ليس إلا عرش الرب جل شأنه الذي هو فوق السموات وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧] وفي قوله: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] وفي قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] إلى ما لا يُحصى من الآيات والأحاديث واللام فيه للعهد الذهني، وليس في هذا اللفظ بحمد الله إجمال يحتاج معه إلى تفصيل. ولا هو موهم أنه مستعمل في معنى مجازي، ولا هو من الألفاظ المُشْتَرَكَة الموضوع لعدة معانٍ، وهو العرش الذي شهد الرسول ﷺ وجميع الأنبياء قبله بشوته لربهم، وقد عرفنا نحن ذلك من أخبارهم كما عرفوه هم بالوحي الذي أنزل عليهم ممن على العرش استوى جل وعلا.

١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ الـ

أَعْنَابٍ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانٍ

١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَر

شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى

حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>

١٩٧٠- وَكَذًا «اسْتَوَى» الْمَوْضُوعُ بِالْحَرْفِ الَّذِي

ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانٍ

١٩٧١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ

لِللَّاشْتِرَاكِ وَلَا مَجَازٍ ثَانٍ

١٩٧٢- تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الْاسْتِعْلَاءِ نَضْ

ضٌ فِي الْعُلُوبِ بَوْضَعِ كُلِّ لِسَانٍ

١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَعَ

(١) [١٩٦٤: ١٩٦٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني أن العرش المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قد جاء إما مطلقاً معرفاً بلام العهد كما في الآية، أو مضافاً إلى الرب جل شأنه كما في قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] فلا يمكن أن يفهم الذهن منه غير معنى واحد وهو هذا الجسم المخصوص الذي تنتهي به كرة العالم، ولا يعقل أن يفهم منه أنه عرش بلقيس ملكة سبأ، فإنه مضاف إليها كما يدل عليه القول عرش الشيطان كما ورد في حديث ابن صوريا أن النبي ﷺ سأله عما يرى، فقال «أرى عرشاً على الماء» فقال عليه السلام ذاك عرش الشيطان، ولا يفهم منه أيضاً أنه العرش الذي استوى عليه جبريل حين رآه النبي ﷺ جالساً على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق، كما ورد في حديث جابر، وذلك بعد فترة الوحي وكان النبي ﷺ قد جاور بحراء شهراً، فلما خرج سمع صوتاً يُناديه فرفع رأسه فرآه على صورته الملكية فرعب منه، ولا يمكن أن يفهم منه أنه عرش ملك من ملوك الدنيا بحيث لو ثل أي سلب عنه هوى أي سقط عن عز ملكه وصار واحداً من الناس، ولا يفهم منه أنه العرش الذي تقوم عليه الكروم والأعناب، إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن أن تحظر ببال أحد يقرأ هذه الآيات ولكنه لا يفهم منه إلا أنه عرش الرب الموجود فوق جميع هذه الموجودات، ولا يفهم إلا أن الله استوى عليه استواءً حقيقياً كما جاء في القرآن.

مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيُوضِّحَ فِيهِ بَيِّنَاتٍ

١٩٧٤ - «إِلَى السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى» فَمُقَيَّدٌ

بِتَمَامِ صَانِعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ

١٩٧٥ - لَكِنَّ «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» هُوَ مُطْلَقٌ

مِنْ بَعْدِمَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ

١٩٧٦ - لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يَقْضُرُ فَهْمُهُ

عَنْ ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبِ الْمَنَانِ

١٩٧٧ - فَإِذَا اقْتَضَى «وَإِوَاءَ الْمَعِيَّةِ» كَانَ مَعَ

سِنَاءِ اسْتِوَاءِ مُقَدِّمِ وَالثَّانِي

١٩٧٨ - فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعَ

سِنَاءِ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ

١٩٧٩ - لَا تَلْبِسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي

قَدْ بَيَّنَّ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [١٩٧٠: ١٩٧٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك الفعل استوى إذا تعدى بالحرف، فإن معناه في غاية الظهور فليس فيه إجمال يحتاج معه إلى التفصيل ولا هو من الألفاظ المشتركة التي تحتل أكثر من معنى، ولا هو منقول من حقيقته إلى مجازه، بل إذا تعدى بعلى الموضوعه للاستعلاء كان نصاً في العلو لا يحتمل معنى آخر، قال تعالى: ﴿فَلِذَا اسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى السَّمَاءِ فَتِلْكَ الْبَنَاتُ لِلَّذِي تَبَيَّنَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقال في سورة الزخرف: ﴿لِاسْتَوَا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] ولا يمكن أن يقال استوى على كذا من غير أن يفيد ذلك معنى العلو، ويكون نصاً فيه، وإذا تعدى إلى أفاد القصد مع العلو وضماً يُقال استوى إلى كذا بمعنى قصد إليه مستعلياً عليه، وقوله تعالى في سورة حم السجدة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١] يفيد القصد إلى خلقها مع الإحكام والإتقان للخلق كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] أما قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فهو مطلق لا يفيد إلا علوه تعالى على العرش الذي قام على أركانه بعد السموات، والذي هو أعلى الموجودات، ولكن الجهمي المعتل يعجز عن فهم هذه المعاني لجهله بأوضاع اللغة والله هو الذي يهب الفهم من يشاء بمنه وكرمه أما إذا اقتضى الفعل استوى وإو المعية كما في قولنا (استوى الماء والخشبة) أفاد أن ما قبل الواو قد ساوى ما بعدها. فإذا أتى

١٩٨٠- و«على» للاستعلاء فهي حقيقة

فيه لدى أرباب هذا الشأن

١٩٨١- وكذلك الرحمن جَلَّ جَلَّاهُ

لم يحتمل معنى سوى الرحمن

١٩٨٢- يا ويحه بعماه لو وجد اسمه الرِّ

حمنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسِ مَعَانٍ

١٩٨٣- لَقَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ

إِلَّا التَّلَاوَةَ عِنْدَنَا بِلِسَانٍ

١٩٨٤- فَلِذَلِكَ قَالَ أُثْمَةُ الْإِسْلَامِ فِي

مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَّانٍ

١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحْلَنَّاكُمْ عَلَى كُتُبٍ لَهُمْ

هِيَ عِنْدَنَا وَاللَّهُ بِالْكِيمَانِ<sup>(١)</sup>

من غير حرف واستعمل لازماً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] أفاد معنى الكمال وتمام القوة - هذه هي استعمالات الفعل استوى في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، فلا تخلطوا أيها الجهمية الحق الذي بينه الله في كتابه بما تختلفونه من المفتريات والأباطيل.

(١) [١٩٨٥: ١٩٨٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك الحرف (على) الذي تعدى به فعل الاستواء هو نص في إفادة الاستعلاء عند أهل اللغة لا يجوز صرفه عن هذا المعنى الذي هو حقيقة فيه بلا قرينة كلامية توجب ذلك وتدل عليه. وكذلك الاسم الكريم (الرحمن) لا يحتمل معنى سوى الرب الموصوف بالرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء جل شأنه. فيا ويح هذا المعطل الأعمى لو رأى كذلك أن اسمه الرحمن ليس نصّاً في الدلالة على مسماه وطرده قاعدته الفاسدة في احتمال الألفاظ عليه، وادعى له هو الآخر أنه محتمل لخمس معانٍ، كما ادعى ذلك في العرش: إذأ لوجب أن يحكم بأن الألفاظ خالية من معانيها، وأن نصيب القارئ منها هو التلاوة باللسان فقط دون أن يفقه لها معنى. وهذا هو ما يهدف إليه هؤلاء المعطلة أعداء الكتاب والسنة أن يعزلوا نصوصهما عن إفادة الحق واليقين ليرجعوا في ذلك إلى قضايا عقولهم الفاسدة، وإذا ثبت أن كل لفظة من ألفاظ الآية الكريمة، أعني قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] هو نص في معناه بحيث لا يجوز صرفه عنه لم يكن حيثنذ للاستواء على العرش معنى إلا العلو والارتفاع عليه، وهذا المعنى هو الذي أطبق عليه أئمة الإسلام ولكن قلوبكم المريضة لم تتسع

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر في هذا الفصل تلبس أهل التعطيل في مسائل ثلاث:  
فقال في العرش.

قَالُوا إِذَا قَالَ الْمَجْسِمُ رَبَّنَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ

قوله: (قالوا: إذا قال المجسم) والمجسم عندهم: هو الذي يثبت العلو لله حقيقة، بل هو الذي يثبت الاستواء على العرش لله حقيقة؛ ولهذا يسمون أهل السنة المجسمّة.

فَسَلُّوهُ كَمِ لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ خَمْسُ مَعَانٍ

قوله: (فسلوه كم للعرش من معنى واستوى أيضًا) أي: أسألوه كم للعرش وللإستواء من معنى، وكذا كم للعلو من معنى؟ والغرض من هذا السؤال أنه إذا ثبتت المعاني صار اللفظ محتملاً، واللفظ المحتمل - كما هو معلوم - يسقط الاستدلال به، والقاعدة المشهورة تنص على أنه: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال. فابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يقول: (أسألوه كم للعرش معنى واستوى أيضًا له في الوضع خمس معاني).

وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى عَمَرُوا فَذَلِكَ إِمَامٌ هَذَا الشَّانِ

قوله: (عمرو) يقصد سيبويه، وعلى لها معاني كثيرة، وكذا استوى لها معاني كثيرة، والعرش أيضًا له معاني كثيرة، فأسألوه أي المعاني يريد؟

بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي مِنْهَا أُرِيدَ بِوَأَضَحِ التَّيْيَانَ

قوله: (بيِّن لنا) وهذا القول تحدُّ من ابن القيم وليس استفهامًا واستخبارًا؛ ولذا قال:

فَاسْمَعْ فَذَلِكَ مُعْطَلٌ هَذَا الْجَعَا جَعُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ

قوله: (الجعاجع) وهي: الأصوات الغير معلومة، (ما الذي فيها من الهديان) والهديان: هو كلام الرجل المخرف الذي ليس له ضابط ولا معنى.

له لامتلائها من الباطل الذي ورثتموه عن فلاسفة اليونان وغيرهم فساءكم ما قاله أئمة الهدى، وملأ قلوبكم غيظًا عليهم، ولن تستطيعوا إنكار نسبة هذا القول إليهم، فقد أحلناكم على كتبهم التي لا يشك في نسبتها إليهم وهي بحمد الله من الكثرة بحيث تشبه الكيان، والكيان جمع أكوام الذي هو جمع كومة، والكومة هي الجملة من الشيء المتكومة المجتمعمة.

قُلْ لِلْمُجْعِعِ وَتِلْكَ اعْقَلُ ذَا الَّذِي قَدْ قُتِلَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ

قوله: (إن كنت ذا عرفان) هذا تهكم به أي: إن كنت صادق وتعرف فاعقل ما تقول.

الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَ«الْلَامُ» لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ

قوله: (واللام للمعهود في الأذهان) فالكل يعرف أن المراد بالعرش: هو عرش الله، الذي هو العرش المجيد والذي ليس فيه لا إجمال ولا إيهام ولا اشتراك ولا مجاز ولا أي شيء أبداً.

مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوَهَّمٌ نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضَعَانَ

قوله: (ما فيه إجمال) أي: أنه واضح المعنى، (ولا فيه مجاز) لأنه حقيقة، (ولا له وضع ثان) يريد بذلك المشترك أي: أنه بإضافته إلى الله عز وجل لا يكون مشتركاً؛ أي: لا يصلح لهذا وهذا.

وَمُحَمَّدٌ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ شَهِدُوا بِهِ لِلخَالِقِ الرَّحْمَنِ

قوله: (ومحمد والأنبياء جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن) أي: بالاستواء على العرش، فكل الأنبياء جاءوا بهذا المعنى، وهو: أنه عز وجل استوى على العرش، وقد مر علينا: أن عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي.

مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دَيَّانٌ

قوله: (منهم عرفناه وهم عرفوه من رب) أي: نحن عرفناه من الأنبياء وهم عرفوه من الله، وفي هذا إشارة إلى: أن دلالة الاستواء دلالة سمعية محضة بخلاف العلو فإن دلالاته سمعية عقلية فطرية، أما الاستواء فدلالته سمعية .

لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرٌ بِلِ قَيْسٍ وَلَا بَيْتًا عَلَى أَرْكَانِ

قوله: (لم تفهم الأذهان منه سرير بلقيس) لأن المعطل يقول في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] المقصود بالعرش: عرش بلقيس؛ اعتماداً على قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] ولكن ما من أحد يفهم هذا أبداً.

قوله: (ولا بيتاً على أركان) لأن العرش يطلق على السقف القائم على الأعمدة فهل يفهم الناس ذلك المعنى من قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟!

كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرِ وَلَا عَرْشًا لِجَبْرِيلَ بِبِلَا بُتَيَانَ

قوله: (كلا ولا عرشاً على البحر) والعرش الذي على البحر هو عرش الشيطان؛ فالشيطان ينصب عرشه على البحر ويرسل جنوده لإضلال الناس. ولكن ما من أحد يفهم أن المراد بالعرش



الذي استوى عليه الرحمن هو عرش الشيطان الذي هو على البحر.

وقوله: (و لا عرشا لجبريل بلا بنيان) وهم أيضًا لا يفهمون منه عرش جبريل؛ وجبريل عليه الصلاة والسلام لما تأخر الوحي عن النبي ﷺ فأول ما نزل عليه سمع صوتًا فرفع رأسه، فإذا هو جبريل على كرسي بين السماء والأرض<sup>(١)</sup>، فهذا عرش جبريل

كَلَّا وَلَا الْعَرْشَ الَّذِي إِنْ نُئِلَ مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّنَائِي

قوله: (ئيل) أي: هدم، والمقصود هنا عرش السلطان الملك الذي له عرش، ولكن هذا العرش لو جاء شخص من تحته يجره لسقط، فهل يمكن أن يفهم الناس من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنه استوى على عرش كعرش السلطان؟!

كَلَّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ الْأَعْنَابُ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانٍ

قوله: (كلا ولا عرش الكروم) أي: وما فهموا أيضًا أنه استوى على عرش الكروم أو الأعناب أبدًا، وهذه الأسماء كلها للعرش ولكن لا يمكن أن تُفهم هذه المدلولات من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إذا ترديدهم لهذا الكلام لا شك أنه هذيان، وقولهم: أن العرش يحتمل معاني كثيرة باطل؛ لأن كل هذه المعاني التي يذكرونها لا تفهم من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَرَّشَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

أي: أن فوقية الله على عرشه فهمت والله الحمد، وأن عرشه فوق جميع ذي الأكوان.

وأيضًا قال في (الاستواء):

وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قوله: ( لكنها فهمت بحمد الله ..... كما جاء في القرآن) أي: أننا انتهينا من العرش وتشكيكهم في معناه، وتبين لنا أن ما ذكروا من المعاني لا يمكن أن يرد على قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وأشباهه، فالعرش المذكور هو العرش المعهود في الأذهان وهو عرش الله عز وجل، وهذا حق وثابت كما جاء في القرآن.

وَكَذَا «اسْتَوَى» الْمَوْضُوعُ بِالْحَرْفِ الَّذِي ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانٍ

قوله: ( وكذا استوى الموصول بالحرف) يقصد بـ«الله» قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،

أي: أنه مقيد بحرف يعرف معناه به، فمعنى استوى على الشيء أي: علا عليه؛ ولهذا قال:

مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ لِلِاشْتِرَاكِ وَلَا مَجَازٍ ثَانٍ

قوله: (لا فيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثان) وهذه الثلاثة كان قد نفاها بالنسبة للعرش، وكذلك هنا نفاها بالنسبة للاستواء؛ (لا فيه إجمال) حتى يكون موهماً، (ولا هو مفهم للاشتراك) أي: في المعنى؛ أي: أنه ليس بموضوع لمعنيين على السواء، (ولا فيه مجاز) بل هو حقيقة في سياقه.

تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ نَضٌّ فِي الْعُلُوِّ بَوْضَعِ كُلِّ لِسَانٍ

قوله: (تركيبه) أي: تركيب استوى مع حرف الاستعلاء «على».

وقوله: (نض في العلو بوضع كل لسان) فإذا قيل: استوى على كذا، فهذا يعني: أنه علا عليه، ولا أحد يشكّل عليه هذا الشيء.

فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَعَ مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيُوضَفَ بِهِ بَيَانٍ

قوله: (فإذا تركب مع إلى فالقصد مع معنى العلو لوصفه ببيان) أي: إذا قيل: استوى إلى كذا صار معناه: قصد إلى كذا، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11] فمعناها: قصد إلى السماء، ولكن قصد بإرادة كاملة مع علو، ولا يمكن أن نقول: أن «استوى» هنا بمعنى: ارتفع؛ لأن «إلى» للغاية، فإذا قلنا: ارتفع إلى السماء لزم أن يكون في الأول: سافلاً تحت السماء وهذا غير مراد قطعاً؛ ولهذا فرسها ابن كثير: بأن المراد بها قصد إلى السماء، وليس المعنى أنه: علا إلى السماء؛ لأن هناك فرقاً بين «استوى على السماء» و«استوى إلى».

وَ«إِلَى السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى» فَمُقَيَّدٌ بِتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ

قوله: (وإلى السماء استوى) هذه أخذها رَجَزُ اللَّهِ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة 29] والواضح: أن المراد: أنه عز وجل قصد إليها ليسويها ويحسنها، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: من أجل إتمامها، والله تعالى لم يقل: ثم استوى إلى العرش ليطمه، فالعرش تامٌّ من قبل ثم استوى عليه بعد تمامه، وهذا بخلاف استوائه إلى السماء فإنه استوى إليها من أجل إتمامها، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾.

لَكِنْ «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» هُوَ مُطْلَقٌ مِنْ بَعْدِمَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ

قوله: (لكن على العرش استوى هو مطلق) أي: ليعين الفرق بين استوائه على عرشه واستوائه إلى سمائه، وأن استواءه على عرشه مطلق أي: مطلق بلا قيود وأنه - العرش - تام من قبل استوائه عليه.

لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يَقْضُرُ فَهْمُهُ عَن ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ

قوله: (لكنما الجهمي يقصر فهمه عن ذا) أي: يقصر فهمه عن التفريق بين «على» وبين «إلى» (ومواهب المنان) تختلف من شخص إلى آخر؛ فمن الناس من يهبه الله عز وجل فهماً وعلماً، ومن الناس من لا يهبه فهماً ولا علماً، ومن الناس من يهبه علماً بلا فهمٍ ومن الناس من يهبه فهماً بلا علم.

فَإِذَا اقْتَضَى «وَإِوَاءَ الْمَعِيَةِ» كَانَ مَعَهُ سُنَّاهُ اسْتِوَاءِ مُقَدِّمٍ وَالثَّانِي

قوله: (فإذا اقتضى وإو المعية) يعني: إذا اقترن بها (كان معناه استواء مُقدم والثاني) وهذا كقولهم: استوى الماء والخشبة يعنى: أن الماء حاذى الخشبة، فالمقصود بالاستواء هنا: التساوى؛ ولهذا قال: (كان معناه استواء مُقدم والثاني) وفي قولهم: استوى الماء والخشبة؛ المتقدم هنا الماء فمعناه: أنه تساوى ما قبل الواو وما بعدها.

فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعَهُ سُنَّاهُ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ

قوله: (فإذا أتى من غير حرف) هذا كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]، (كان معناه الكمال فليس ذا نقصان) أي: بلغ مرحلة الكمال؛ إذن فإذا جاء لفظ «استوى» مقرونًا بـ «على» فمعناه العلو، وإذا جاء مقرونًا بـ «إلى» فمعناه: القصد، وإذا جاء مقرونًا بـ «واو المعية» فمعناه: المحاذاة والمساواة، وإذا لم يأت مقرونًا فمعناه: الوصول إلى مرحلة الكمال.

لَا تَلْبَسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ

أي: أنه بهذا انتهى الكلام عن الاستواء، وأنه ثابت لله عز وجل وكذا في القرآن. وقال أيضًا في (الاستعلاء):

وَ«عَلَى» لِلْإِسْتِعْلَاءِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ

قوله: (على للاستعلاء) أي: أن الأصل فيها أنها للاستعلاء كما قال ابن مالك في «الألفية»: على للاستعلاء، فهي دائمًا للاستعلاء، فإذا قيل: استوى على كذا فالمعنى: علا عليه، واطلع على كذا؛ أي: علا عليه بإطلاعه، وكذا ركب على كذا؛ أي: علا عليه، فـ«على»: تدل على العلو وهذا هو الأصل فيها.

وقوله: (لدى أرباب هذا الشان) أي: بالإجماع، وهذا كما أن «الرحمن» لا تحتل معنى سوى الرب عز وجل؛ فلهذا قال: لم يحتل معنى سوى الرحمن، فلا إجمال ولا اشتراك ولا إيهام في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ لا في «على» ولا في «العرش» ولا في «الرحمن».

يَا وَيْحَهُ بِعَمَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرَّحْمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسِ مَعَانٍ

قوله: (لو وجد اسمه الرحمن محتملا لخمس معان) أي: لو أن لفظة «الرحمن» تحتل خمسة معانٍ فويحه؛ لأنه يصير مشركًا، فـ «الرحمن» لا تحتل إلا معنى واحدًا وهو رب العزة جل وعلا؛ ولذلك لا يُسمَّى بها غيره أبدًا ولا يوصف بها غيره، فلا يجوز أن تقول: عن أي شخص أنه رحمن حتى النبي ﷺ لا يصح أن تقول: أنه بالمؤمنين رحمن، لكن قل: رحيم؛ ولهذا نقول: الله والرحمن اسمان خاصان بالله لا يسمى بهما غيره أبدًا.

لَقَضَى بَأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التَّيْلَافَةُ عِنْدَنَا بِلِسَانِ

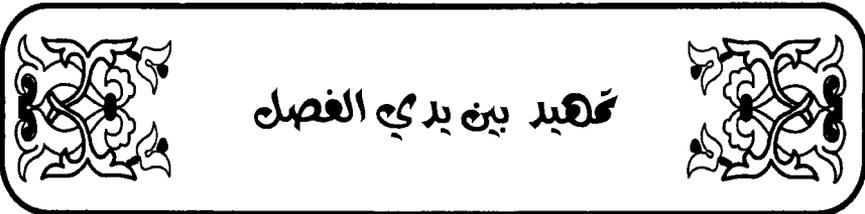
فَلِذَاكَ قَالَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَّانِ

قوله: (قال أئمة الإسلام في معناه) أي: في معنى استواء الله على العرش، قالوا: ما قد ساءكم.

وَلَقَدْ أَحْلَنَّاكُمْ عَلَى كُتُبِ لَهُمْ هِيَ عِنْدَنَا وَاللَّهُ بِالْكَيمَانِ

قوله: (الكيان) هي: جمع أكوام، والأكوام: جمع كومة، وهي: الشيء المجتمع؛ ولهذا إذا أراد الناس أن يقولوا عن الشيء أنه كثير قالوا: عندنا كومة؛ عندنا كومة من الإبل، كومة من الغنم، كومة من الطعام، فالكيان هنا: فعلان، جمع أكوام، وأكوام: جمع كومة، والله أعلم.





## عهد بين يدي الفصل

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

#### في بيان سبب غلطهم في الألفاظ، والحكم عليها بعدة معانٍ حتى أسقطوا الاستدلال بها

اعلم أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تأتي مركبة صريحة في معانيها لا تحتل غيره بوجه، هذا حالها في نفسها، وقد اتفق على هذا جميع أئمة المسلمين الذين عرفوا مقاصد الشرع في مصادره وموارده، وتمرنوا على ألفاظه ومعانيه، فكما لا يستريون في نصوصه في الأحكام الفروعية فلا يستريون أيضًا في نصوصه في الأصول، بل يرون هذا النوع أكثر بيأنًا وأبلغ وضوحًا لشدة الحاجة والضرورة إليه.

ودون هؤلاء من أهل العلم من لم يصل إلى ما وصلوا إليه لأنه ليس عندهم من الاعتناء بالنصوص كما عند أولئك، فنصوص الشارع عندهم ظواهر ظاهرة في معناها في مداركهم وأفهامهم، وربما وقع لبعض هؤلاء من الاحتمالات والإشكالات ما لا يقدر على حله، وبين هؤلاء وبين الأولين فرق عظيم في هذه الأبواب والأصول العظيمة، وليس نزولهم عن الأولين لقصور في أفهامهم وإنما ذلك لعدم إقبالهم التام واعتنائهم بكلام الشارع، ولهذا تجدهم في المذاهب التي تفقهوا بها واعتنوا بها جازمين بمقاصد أئمتهم ومرادهم بألفاظهم ونصوصهم، لأنهم وفروا مداركهم لتحصيل ذلك فمهوروا فيها.

وأما القسم الثالث المذموم فهم جمهور أهل الكلام الباطل الذين أصلوا أصولًا ما أنزل الله بها من سلطان حالت بينهم وبين فهم مراد الله ورسوله، حتى جعلوا كلامهم أصلًا واضحًا محكمًا وكلام الله ورسوله تابعًا مجملًا مشتبهًا، وموهوا على الناس أنهم أهل الحق ومن سواهم أهل الباطل، وسموا مقالاتهم بأسماء ممدوحة راجت على أكثر الخلق الذين يغترون بزخارف الألفاظ ولا تنفذ بصائرهم إلى بواطن المعاني، ثم تمموا مقالاتهم الباطلة بأن سموا أهل السنة والجماعة بالأسماء المذمومة كالمجسمة والمشبهة ومقاتلهم تجسيمًا وتشبيهًا وتنقيصًا، ثم عمدوا إلى ألفاظ

السنة الصريحة الواضحة المركبة ففككوا تراكيبها وتكلموا على مفاداتها وأنها تحتل كذا وكذا من المعاني من حيث أفرادها، فأسقطوا بعملهم هذا الاستدلال بها، وأفسدوا على الناس عقائدهم وحرّفوا معاني الوحي.

فاعلم هداك الله أن المجردات اللفظية والمجردات المعنوية لا وجود لها في الخارج، وإنما يفرضها الذهن فرضاً خيالياً وهو غالب في هذا الفرض، فإنه لا يستفاد من لفظ مفرد مجرد عن التركيب والقيود معنى أصلاً. وإنما تستفاد المعاني بانضمام الألفاظ بعضها إلى بعض وتركيبها تركيباً صحيحاً، ونظير فعل المتكلمين في الألفاظ المجردة نظير فعل الفلاسفة في المعاني المجردة كالوجود المطلق عن كل قيد فحكموا بوجوده خارجاً وجوداً مطلقاً مجرداً عن كل قيد وحيواناً مطلقاً وإنساناً مجرداً، فحصل بذلك من الغلط العظيم والتخبيط للأذهان والإلحاد شر عظيم، فالحاصل أن الألفاظ المجردة والمعاني المجردة عن كل قيد ووصف مفروض بالذهن لا وجود له أصلاً.



## فصل

في بيان سبب غلظهم في الألفاظ  
والحكم عليها باحتمال عدة معان  
حتى أسقطوا الاستدلال بها

١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

وَفِي الِاعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سَيِّانِ

١٩٨٧- وَاللَّفْظُ بِالْتَرَكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي

قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ بِالتَّبْيَانِ

١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبَ

بِتُّهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ

بَدِ سِوَاهُمْ هُوَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّبِحْ

لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتِّضَاحُ بَيَانِ

١٩٩١- فَالْأَوْلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَا

بِ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ

١٩٩٢- طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْ

تَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ

١٩٩٣- وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالمُخَاطَبِ إِذْ هُمْ

أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ

١٩٩٤- وَلَهُمْ أتمُّ عِنَايَةٍ بِكَلَامِهِ

وَقَضُوهُ مَبْعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ

١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ

فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبَيُّانِ<sup>(١)</sup>

١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ ذُو نُهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ

يَقْطَعُ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ

١٩٩٧- وَيَقُولُ يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ

فِي ذَهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ

١٩٩٨- وَلَا لِنَفْسِهِ لِكَلَامِ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ

بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ

١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ فَكَلَامُهُ

نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحٌ التَّبَيُّانِ<sup>(٢)</sup>

(١) [١٩٨٦: ١٩٩٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

يريد الشيخ رحمه الله أن يبين أحوال الناس في إدراكهم لمعاني الألفاظ ومدلولاتها، فيقسم اللفظ إلى مفرد لم يستعمل مع غيره من الألفاظ، كزيد مثلاً، وإلى مركب، وهو ما تركب مع غيره لإفادة معنى تام، وذلك مثل الجمل الفعلية والإسمية، فإذا تركب اللفظ مع غيره اختلف الناس في دلالة على معناه تبعاً لاختلاف أفهامهم وأحوالهم، فمن الناس من يجعله نصّاً في المعنى الذي قصده منه المخاطب بكلامه فلا يكون مُحْتَمَلاً لغيره، ومنهم من يعتبره ظاهراً فيه فقط، فيرجح أن يكون المقصود به هذا المعنى، ولكنه لا يقطع به، ومنهم طائفة ثالثة تجعل اللفظ من قبيل المجمال الذي لم يتضح المراد منه، فهو عندهم مُحْتَمَلٌ لعدة معانٍ ولا يدرون أيها هو المراد من اللفظ، لأن هذه المعاني عندهم متساوية فيه، فالأولون لأنهم ألقوا هذا الخطاب واعتادوه، وألقوا معانيه وطال مراسهم لها، واشتدت عنايتهم بها، ولأنهم أعرّف الناس بالمخاطب لهم، وأولى به من غيرهم، وأكمل الناس عنايةً بفهم خطابه وإدراك مقاصده مع ما لهم من الفهم الصحيح والنظر الصائب والفترة السليمة التي لم تفسد بالتقليد الأعمى، يعتبرون خطابه نصّاً قاطعاً في الدلالة على ما قصد إليه من دون أن يتطرق إلى نفوسهم أي توهم للاحتمال أو المجاز. والمراس هو الممارسة، وهو كثرة التمرن والاعتیاد.

(٢) [١٩٩٦: ١٩٩٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

لكن من نقصت درجته في العلم والتحصيل والفهم لمضمون الخطاب عن هؤلاء السابقين لم يسلك سبيلهم في القطع بمعاني النصوص، بل يرى فقط أن هذا هو الظاهر المتبادر منها إلى الذهن مع تجويزه أن يكون المراد بها معنى آخر، وذلك لقلّة إلفه بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة وقلة ممارسته لها، ولكنه لطول إلفه

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في بيان سبب غلطهم) أي: هؤلاء الذين يدعون: أن للفظ الواحد احتمالات كثيرة من أجل أن يبطلوا دلالته على المراد؛ لأن من القواعد المقررة أنه عند الاحتمال يسقط الاستدلال، فإذا قالوا: هذا يحتمل كذا وهذا يحتمل كذا وكذا وكذا فالسؤال: أي الوجوه تريدون؟ فإذا قلت: نريد كذا قال لك: من أين الدليل أن المراد كذا دون الاحتمالات الأخرى؟ وحينئذ يسقط الاستدلال.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يريد أن يبين السبب وأنه ليس كل لفظ يحتمل معنى بل إنه قد يكون في هذا السياق محتملاً له، وفي سياقٍ آخر يحتمل معنى آخر، فاللفظ قد يحتمل معنى في سياقٍ من السياقات ولكن لا يحتمل هذا المعنى في سياقٍ آخر، بل قد يكون من القرائن الحالية أو اللفظية ما يمنع إرادة هذا المعنى بحسب تركيب الكلام وبحسب القرينة الحالية؛ ولهذا قال:

وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمَرْكَبٌ فِي الْاِعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سِيَانِ

قوله: (اللفظ منه مفرد ومركب) أي: قد يكون للفظ معنى عند انفراده ومعنى آخر عند اقترانه في سياقٍ آخر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: «القرية» فأحياناً يكون المراد بها أهل القرية وأحياناً يكون المراد بها نفس القرية؛ فإذا سمعت قول الله عز وجل: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الأعراف: ٧] فالمراد: أهل القرية، وإذا سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] فالمراد: القرية نفسها؛ فليس المراد بالقرية هنا: أهل القرية؛ لأن أهل موجودة ومذكورة، فالمراد نفس القرية يعني: إنا مهلكوا ساكني هذه القرية، فتجد أن كلمة واحدة صار لها معنى قاطعٌ في سياقٍ ومعنى قاطعٌ في سياقٍ آخر.

وَاللَّفْظُ بِالترَكيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ بِالْيَسِيَانِ

قوله: (اللفظ في التركيب نص) والنص عندهم: هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً فهو بمعنى الصريح، ومنه: قولهم: منصة العروس وهو: الكرسي الذي تأتي وتجلس عليه، فلو سألت الجمع

بكلام من يقلده ويقتدي به من علماء زمانه يقطع بمراده من كلامه، ويعتبر كلامه نصاً واضحاً فيما يتضمنه من معنى، فجعل كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أقل في الإفادة والإفهام من كلام شيخه، ولم يرض حتى بالمساواة، وصاحب هذا المسلك هو على كل حال أقل خطراً وأخف ضرراً.

من هذه لقالوا: هي العروس وهي المرأة ولا يحتمل غيرها، كذلك أيضًا النص في الكلام هو الذي لا يحتمل سوى معناه فهو صريح فيه.

وقوله: (نص في الذي قصد المخاطب منه بالتيان) فالتركيب يجعله نصًا، ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه لا مجاز في القرآن ولا في اللغة العربية؛ لأن السياق يجعل اللفظ صريحًا في المعنى ونصًا في المعنى ولا يحتمل المجاز، فقوله: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] فهو غير قول القائل: اكسر جناح الطير؛ لأن الكل يعرف أن «اكسر جناح الطير» المراد به: الجناح الذي يطير به الطير، وأما جناح الذل فمعناه: مرتفع الذل يعني: أنك لا ترتفع عليهما بل اخفض لهما، وذلل نفسك لهما، كالجناح إذا خفض فإن الطائر لا يطير، إذن فالكلام نص في سياقه وحينئذ نقول: لا مجاز في اللغة العربية؛ لأن السياق يعين المعنى ويمنع المجاز، ولا شك أن ما قاله **رَحَلَهُ** هو الحق وهو: أنه لا مجاز في اللغة العربية؛ لأن الكلمات في حد ذاتها لا يعين معناها تمامًا إلا السياق، فإذا تعين معنى الكلمة في سياقها فحينئذ يكون احتمال إرادة الحقيقة الأصلية في الوضع غير وارد فيبقى الكلام حقيقة في سياقه نصًا في معناه.

أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبٌ سَبَّهَ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

قوله: (أو ظاهر فيه) والظاهر هو: الذي يحتمل معنيين هو في أحدهما أظهر، فمرتبته دون النص تكون ظاهرة، ولكنه ليس نصًا فهو أقل دلالة من النص، وهناك نص مجمل يكون فيه اللفظ محتملاً لمعنيين على السواء فهذا مجمل. فالكلام ثلاثة أقسام: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً فهذا نص، وما يحتمل معنيين هو في أحدهما أظهر فهذا ظاهر أي: الأظهر هو الظاهر، وما يحتمل معنيين على السواء فهذا مجمل يحتاج إلى بيان، وابن القيم قد بين هذا كله.

وقوله: (نسبته إلى الأفهام والأذهان) أي: أن الظهور والنصية بحسب الأفهام والأذهان ثم بين ذلك فقال:

فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنَ دَسَوَاهُمْ هُوَ ظَاهِرُ التَّيَّانِ

قوله: (فيكون نصًا عند طائفة) أي: يكون لفظ الواحد نصًا عند طائفة ولا يحتمل غير معنى واحداً.

وقوله: (وعند سواهم هو ظاهر التيان) أي: لدى سوى الطائفتين الأوليين يكون اللفظ ظاهرًا؛ أي: يحتمل معنيين هو في أحدهما أظهر، وهناك طائفة ثالثة يكون عندها مجملًا وسيذكره المؤلف فيما بعد؛ ولهذا تجد الآن المفتين؛ يفتيك رجل فيقول: الظاهر والله أن هذا جائز، الظاهر أنه

جائز؛ لقوله تعالى كذا وكذا، فيكون هذا الرجل فاهماً للدليل فهماً ظاهراً، ويأتيك إنسان آخر مُفْتِي فيقول: هذا حرام؛ لقوله تعالى كذا وكذا، فيكون هذا الرجل فاهماً للدليل فهم نص، والله يؤتي فضله من يشاء، فكثير من الناس تكون الأدلة عنده واضحة كأنها نصوص صريحة، وبعض الناس تكون ظاهرة فقط، وبعض الناس تكون مشتبهة حتى لا يكاد يستطيع أن يعطيك حكماً من أي دليل؛ لأنه مشتبهة عنده الأدلة.

وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتَّضَاحَ بَيَانٍ

فقسم رحمه الله الناس باعتبار الدليل إلى ثلاث أقسام: قسم: يكون له الدليل نصاً ظاهراً لا يحتمل معنى آخر، وقسم آخر: يكون له الدليل ظاهراً مع احتمال معنى مرجوح، وقسم ثالث: يكون له الدليل مجملاً لا يتضح به المراد.

فَالْأَوْلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَابَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانٍ

قوله: (لإلفهم ذاك الخطاب) الضمير «هم» يعود على: القسم الأول - اللهم اجعلنا منهم، فهؤلاء ألفوا خطاب الله ورسوله وألفوا معناه وصار المعنى الظاهر لغيرهم نصاً عندهم حتى أن بعضهم يميز صحة الحديث من ضعفه بمجرد أن يسمعه وإن لم ير سنده؛ لأنهم ألفوا كلام الرسول ﷺ واختلطت بدمائهم حتى كانوا يعرفون كلام الرسول ﷺ من كلام غيره، كما أننا نحن الآن إذا طالعنا كتب عالم من العلماء ثم مرت بنا عبارة من عباراته وإن لم تنسب إليه عرفنا أنها من كلامه، فكثيراً ما يمر بنا شيء من كلام شيخ الإسلام نعرف أنه من كلامه وإن لم يكن منسوباً إليه؛ لأننا طالعنا كلامه كثيراً وألفناه، وكذلك ابن القيم وغيره.

فالحاصل: أن هؤلاء الذين ألفوا كلام الرسول ﷺ وفهموه كان المعنى عندهم نصاً يقول:

طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ

وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالْمُخَاطَبِ إِذْ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ

وَلَهُمْ أْتَمُّ عِنَايَةٍ بِكَلَامِهِ وَقُضُودِهِ مَعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ

فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبَيُّانِ

ذكر رحمه الله أموراً متعددة:

أولاً: أنهم ألفوا الخطاب - خطاب الرسول ﷺ - وألفوا معناه أي: أنهم ألفوه من كثرة

ممارستهم له.

ثانيا: أن لهم عناية تامة بمعرفة كلام النبي ﷺ وتدبر معناه حتى يكون عندهم نصًا قاطعًا.

ثالثا: أنهم يعلمون بحال الرسول ﷺ ومراده ومقصده.

رابعًا: أنهم يعرفون الغايات الحميدة من الشريعة الإسلامية؛ فتجدهم يعرفون مراد النبي ﷺ بخطابه نصًا قاطعًا؛ لأنهم يعرفون مقاصد الشريعة.

فمن أجل هذه الأمور الأربعة كانوا يعلمون مراد النبي ﷺ بكلامه علمًا قاطعًا نصًا؛ ولهذا قال: (فخطابه نص لديهم قاطع فيما أريد به من التبيان).

لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ  
يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ  
وَيَقُولُ يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ  
فِي ذَهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ

قوله: (لكن من هو دونهم) أي: الذين دون هؤلاء؛ إما في الفهم لكلام الرسول ﷺ وكونهم لا يمارسونه دائمًا، وكون أكثر ما يقرءون كتب العلماء دون الأدلة أو لأشياء أخرى تكون في نفوسهم تمنعهم من أن يكون الكلام نصًا لديهم، فتراهم يقولون: يظهر كذا ولكنه ليس بقاطع في ذهنهم، إذ لو كان قاطعًا لكان نصًا، لكنهم يقولون: يظهر كذا، وهذا إنما هو في أذهانهم لا في سائر الأذهان؛ لأن هناك من يقول: أنه نص، بل وهناك من هو دونه يقول: أنه مجمل؛ ولهذا قال: (لا سائر الأذهان).

وَلِإِنَّهُ لِكَلَامٍ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ  
بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ  
هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ فَكَلَامُهُ  
نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحُ التَّبَيُّانِ

أي: أن هذا الرجل الذي كان لا يفهم الأدلة؛ لأنه مشغول بكلام متبوعه ومقلده، تجده يفهم من خطاب مقلده نص المقلد، لكن كلام الرسول ﷺ لا يفهموه هذا الفهم، وهذا الذي ذكره ابن القيم رحمه الله واقع، فإن كثيرًا من الناس ولاسيما المكتوب على الكتب المهتمون بالتقليد تجدهم إذا جاءتهم نصوص يقفون حيارى، أما في كتب مقلديهم فعندهم علم كامل، فهم يفهمون النصوص منطوقةً ومفهومةً وإيحاءً وإشارةً، بخلاف النصوص الشرعية، والذي ينبغي لطالب العلم: أن يركز على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل كل شيء وأن يستعين على فهمها بكتب أهل العلم؛ أي: لا يطرح كتب أهل العلم جانبًا ولا يعتمد عليها ويدع الكتاب والسنة بل يأخذ من هذا وهذا ولكن يجعل العمدة الكتاب والسنة.



\* قوله رحمه الله:

٢٠٠٠- وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمَسْلُوقِ الـ

مَخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أُخِي الْهَذْيَانِ

٢٠٠١- لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَا

مُ وَلَا لَهُ إِلْفٌ بِهَذَا الشَّانِ

٢٠٠٢- لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ

سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْجِيَرَانِ

٢٠٠٣- فَهَوَ الزَّنِيمُ دَعِيٌّ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ

مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ بِمَكَانِ

٢٠٠٤- فَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ

وَبِمَعْرَلٍ عَنِ امْرَأَةِ الْإِيقَانِ<sup>(١)</sup>

٢٠٠٥- نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَخَالُهَا

نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

٢٠٠٦- حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَه

مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانِ

٢٠٠٧- فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ

نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرْوِجُ فِي الْأَثْمَانِ

(١) [٢٠٠٠: ٢٠٠٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولكن الفتنة العظمى والداهية الكبرى في هذا المتسلق للجدران المخدوع بزخارف البهتان صاحب الدعاوى العريضة في العلم والعرفان، وما هو إلا أخو ضلالة وهذيان، يهرف بما لا يعرف، ويتكلم فيما لا علم له به، ولا يحسن الكلام فيه لعدم إلفه له وقلة مصاحبته إياه، فهو منه غريب كل الغربة، فلا هو من سكانه المقيمين معه ولا حتى من جيرانه القريبين منه، وهو زنيمة يدعي النسبة إلى قوم ليس هو منهم ولم يتشرف أبدًا بصحبتهم في أي مكان، فكلامهم دائمًا غير واضح المعنى عنده وبمعزل عن إفادة اليقين. والمراد بالقوم هنا أهل الحق من سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم في الاتباع رضي الله عنهم أجمعين.

٢٠٠٨- وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي

بَاقِي التُّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ

٢٠٠٩- وَاسْتَعْرَضَ الشُّمْنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ

وَبِظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ

٢٠١٠- عَوْجًا لَيْسَلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى

وَيَرْوِجُ فِيهِمْ كَامِلَ الْأَوْزَانِ

٢٠١١- وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدِ لِلذِّي

قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدَ فِي الْأَزْمَانِ

٢٠١٢- وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي

قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ

٢٠١٣- إِذْ هُمْ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا

بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ<sup>(١)</sup>

٢٠١٤- فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ

ذَهَبَ مُصَفًّى خَالِصَ الْعِقْيَانِ

٢٠١٥- رَدُّوهُ وَاعْتَدَرُوا بِأَنَّ نُقُودَهُمْ

(١) [٢٠٠٥: ٢٠١٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهذا الدعوي الزنيم المتعالم ولا علم عنده لا يتجر إلا في الزيوف، وهي الدراهم المغشوشة، يظنها بجهله وقلة بصره نقدًا جيدًا، فتراه يروج بين الناس قضايا وهمية وجهالات سوفسطائية، يخدعهم بها، ويوهمهم أنها علم صحيح، فإذا انبرى له أهل الحق وأرباب البصائر وردوا عليه زيوفه وكشفوا عن بهرجها لحقه من ذلك أشد الخزي وأسوأ الهوان، ولكنه لا يستسلم للهزيمة ولا يفيء إلى الحق بل يحاول تصحيحها لتروج في الأثمان، ويرى أن ذلك مستحيل بدون الطعن في باقي النقود، فيعمد إلى النقد الصحيح من علوم الكتاب والسنة، فيتعوض عنه بجهله وظلمه، ويريده بالكذب والافتراء عوجًا ليسلم له زيفه ويروج باطله، والناس كلهم إلا من عصم الله ليسوا أهل بصر بالنقود، فلا يقدر على تمييز الجيد من الرديء، ولا لهم خبرة بوزن الأقوال وتمحيص الآراء، اللهم إلا أفراد قلائل يوجدون في الأزمان المتطاولة. ولذلك تجد الزيف هو النقد المتداول بينهم والرائج في الأسفار والبلدان، لأنهم قد تعارفوا عليه وارتضوه جهرةً بلا كتمان.

مِن غَيْرِهِ بِمَرَّاسِمِ السُّلْطَانِ

٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِتَقْدِ غَيْرِهِ

قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيَوَانِ

٢٠١٧- وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ

نَكْذِبَ عَلَيْهِمْ وَيَحْ ذِي الْبُهْتَانِ

٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تِجَارَةَ تُنْجِيهِ مِنْ

عَضْبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيِّرَانِ

٢٠١٩- وَتَفِيدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَال-

حُورِ الْحِسَانِ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ

٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا

مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٢٠٢١- هِيَءَ لَهَا تَمَنَّا تُبَاعُ بِمِثْلِهِ

لَا تُشْتَرَى بِالزَّرِيفِ مِنْ أَمْنَانِ

٢٠٢٢- نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةُ نَبْوِيَّةٍ

ضَرَبَ الْمَدِينَةَ أَشْرَفِ الْبُلْدَانِ

٢٠٢٣- أَظَنَنْتَ يَا مَغْرُورُ بَاتِّعَهَا الَّذِي

يَرْضَى بِتَقْدِ ضَرْبِ جِنْكِسْخَانِ؟

٢٠٢٤- مَتَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ أَنْ

طَمِعَتْ بِذَا وَخُدِعَتْ بِالشَّيْطَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

مخدوع ذي الدعوى أخي الهديان

والفتنة العظمى من المسلق الـ

قوله: (إن الفتنة العظمى من المتسلق المخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان) هذا هو القسم الثالث الذي تكون الأدلة عنده من باب المجمل؛ لأنه لا يعرف فالفتنة العظمى من المتسلق المخدوع ذي الدعوى هو أخي الهذيان.

لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ      مُ وَلَا لَهُ الْفَ بِهَذَا الشَّانِ

و هذا هو الصحيح فالبلاء كل البلاء ألا يعرف الدليل، ولا يهتم به، وهو عنده غير قاطع للدلالة، ولا ظاهر الدلالة.

لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ      سُكَانِهِ كَلَامٌ وَلَا الْجِيرَانِ

فَهُوَ الزَّنِيمُ دَعِيٌّ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ      مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ بِمَكَانِ

قوله: (لكنه منه) أي: من الكلام الذي هو الكتاب والسنة وهو الدليل، ولكنه غريب ليس من سكان هذا المحل، ولا من جيرانه حتى يفهم.

وقوله: (فهو الزنيم) والزنيم: هو الذي ينتسب إلى قوم، وليس منهم كما قال تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣]؛ فهو يدعي العلم، ولكنه ليس من العلماء.

فَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ      وَبِمَعْرَلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ

قوله: (كلامهم) الضمير «هم» يعود على كلام القوم الذي هو الكتاب والسنة.

وقوله: (لديه مجمل) أي: لدى هذا الرجل مجمل لا بين المراد به؛ ولهذا يقول: بمعزل عن إمرة الإيقان، ولهذا يقولون: النصوص دلالتها ظنية والعقل دلالته قطعية ولا معارضة بين الظني والقطعي؛ لأننا نقدم القطعي على الظني؛ ولهذا قدموا العقول وأنكروا المنقول، - نسأل الله العافية - فبعضهم مثلاً يقول في القرآن: دلالته على المعنى ظنية؛ لأنه لا يستطيع أن يطعن في سنده، والأحاديث إن كانت من قسم المتواتر الذي لا يمكن رده يقول دلالتها ظنية كالقرآن، وإن كانت مما يمكن رده وهو عندهم خبر الآحاد، ولو صح يقول ثبوته ظني فلا يعارض القطعي؛ ولهذا ضلوا - والعياذ بالله - ضلالاً بعيداً.

فيقول رَحِمَهُ اللهُ: هذه هي القاعدة عندهم: أن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين؛ لأنها إما ظنية الثبوت وإما ظنية الدلالة، أما الذي يفيد اليقين عندهم فهو العقل الذي اضطربوا فيه أعظم اضطراب، ولم يختلفوا في شيء كما اختلفوا في مدلولات العقول؛ حتى أن شيخ الإسلام يقول: (بعضهم يقول: هذا واجبٌ عقلاً، ويأتي آخر يقول: هذا مستحيلٌ عقلاً) - سبحان الله - طرفاً نقيض، بل إن بعضهم في كتبه ومؤلفاته القديمة والحديثة يرى امتناع ما رأى وجوبه من قبل، إذن

فأين اليقين في دلالة العقل بين قوم يرى بعضهم أن هذا واجب عقلاً والثاني يرى أنه مستحيل عقلاً؟ أو أن الرجل نفسه يقول في موضع: هذا مستحيل، ويقول في موضع آخر: هذا واجب؟ فأين الدلالة القطعية في الأمور العقلية؟! لكن كلام الله وكلام رسوله ﷺ كما ذكرنا حسب ما أَلِفَ الإنسان من كتاب الله، وكلام رسوله ﷺ فيعرف أن هذا نصٌّ قاطعٌ في دلالاته والآخر الذي دونه يرى أنه ظاهر، أما المتسلق الذي يدعي المعرفة وليس بعارف فهذا يرى أنه مجمل وليس فيه شيء يقيني.

شَدَّ التِّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَخَالُهَا      نَقَدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانٍ

مثال ذلك: إنسان صنعوا له قطعاً من الحديد قطعة من الحديد عموهة بفضة ومصورة صورة للدرهم، وقالوا: هذه دراهم وهو لا يعرف فإذا سيكون قبوله لها؟ لا شك سيقبلها على أنها نقد صحيح.

حَتَّى إِذَا رُدَّتْ عَلَيْهِ نَالَهُ      مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسَوْءٌ هَوَانٍ

قوله: (حتى إذا ردت عليه) أي: إذا ردت إليه هذه الزيوف، وقيل له: أنت أعطيتنا دراهم مزيفة حينئذ يوء بالخزي والهوان.

فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ      نَقَدُ الزُّيُوفِ يَرْوِجُ فِي الْأَثْمَانِ

وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي      بَاقِي التَّقْوَدِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ

قوله: (فأراد تصحيحاً لها) أي: فلما أراد أن يصحح نقوده الزائفة، وقيل له أنها زائفة، قال: لماذا تقول أنها زائفة؟ قيل: لأن النقود التي بين أيدي الناس تخالف نقودك، فقال: لا، بل كل النقود التي في أيدي الناس كلها زيف ما هي صحيحة والصحيح إنما هو ما عندي، كذلك مذهب أهل التعطيل مع أهل السنة.

وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي      بَاقِي التَّقْوَدِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ

وَاسْتَعْرَضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ      وَبَطْلَمَهُ يَبْغِيهِ بِالْبَهْتَانِ

عَوِجًا لَيْسَلَمَ نَقْدَهُ بَيْنَ الْوَرَى      وَيَرْوِجُ فِيهِمْ كَامِلَ الْأَوْزَانِ

قوله: (يبغيه) أي: أنه يبغى النقود الصحيحة السليمة.

وقوله: (ويروج فيهم) ولا شك أن هذا يروج على الناس.

قوله: (إلا الفرد في الأزمان) ويموز أن تقرأ «الفرد» بالفتح (إلا الفرد) فيجوز الوجهان، أي:

أن الناس يقل فيهم من يعرف الصحيح من الزيف فلا يوجد إلا الفرد في الأزمان.

وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي      قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدَ فِي الْأَزْمَانِ  
وَالزَّرِيفُ بَيْنَهُمْ هُوَ التَّقْدُ الَّذِي      قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ

قوله: (والناس ليسوا أهل نقد) أي: أن أكثر الناس وعامة الناس ليسوا أهلاً للنقد؛ فلا يفرقون بين الزريف وهو المعيب وبين الخالص النقي إلا الفرد يعني: أن الواحد بالمائة والواحد بالألف.

وقوله: (راج في الأسفار والبلدان) وهؤلاء هم أكثر الناس والذي يروج بينهم هو الشيء المزيف.

إِذْ هُمْ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضُوا      بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِأَلَا كِتْمَانِ

قوله: (إذ هم) أي: الناس الذين اغتروا بالزريف وأخذوا به، أنهم قد اصطلحوا عليه (وارتضوا بجوازه جهراً بلا كتمان)، وكتبهم مملوءة بهذا فتجدهم يقررون التعطيل ونفي صفات الله عز وجل بهذه التعليلات الذين يرونها معقولات، وهي مجهولات في الحقيقة.

فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ      ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ الْعِيقَانِ

رَدُّوهُ وَاعْتَذَرُوا بِأَنَّ نُقُودَهُمْ      مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَاسِمِ السُّلْطَانِ

يردون النقد الصحيح الخالص بحجة أن نقودهم من غير هذا النقد، حتى ولو كان النقد الذي ردوه من الذهب الخالص؛ لأن مراسم السلطان قررت أن هذا النقد المزيف، والمؤلف رَجَّاهُ إِنَّمَا ضَرَبَ مَثَلًا بِالنَّقْدِ، وَإِلَّا فَهُوَ يَرِيدُ كَلَامَ أَهْلِ الْكَلَامِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عُلَمَاءَهُمْ، وَأَثْمَتَهُمْ، وَيَقُولُونَ: لَا نَخْرُجُ عَمَّا قَالَهُ أَمْتَنَا مَعَهَا كَانَ، فَهُوَ الْمَقْبُولُ عِنْدَهُمْ، وَسِوَاهُ مَرْدُودٌ.

فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدٍ غَيْرِهِ      قَطَعْتَ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيَوَانِ

أي: لو أننا تعاملنا بنقد غير الذي ضربه السلطان قطعت الجوامك، والجوامك: هي عبارة عما يسمى عندنا بالعوايد التي يهديها السلطان للناس، فهناك من يطلق عليها عوائد، وهناك من يسميها شرخات، وتختلف الأسماء، لكن المعنى واحد؛ فمعناها: كل ما يجعل في بيت المال للناس إما سنوياً، أو شهرياً، أو كل ستة أشهر، أو ما أشبه ذلك؛ فالجامكية: هي عبارة عما يأخذه الإنسان من بيت المال.

فهم يقولون: نحن لو قبلنا هذا النقد الصحيح السليم وتركنا نقد السلطان ستقطع الجوامك، ولا يأتينا رصد من السلطان.

وَاللَّهُ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ      نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيَحِ ذِي الْبُهْتَانِ

قوله: (والله منهم قد سمعنا ذا): فهو رَجَّاهُ يُقْسِمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَقْسِمَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ تَجِبُ

العناية به، والقسم عند الحاجة إليه جائز، وإن لم يطلب من الإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِي وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، وإذا كان كذلك فلا حرج على الإنسان أن يقسم بالله - عز وجل - على شيء من الأشياء، وإن لم يستقسم، وذلك إذا كان المقام ذا أهمية.

يَا مَنْ يُرِيدُ تَجَارَةً تُنَجِّيه مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيْرَانِ  
وَتُفَيْدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْحُورِ الْجِسَانِ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ  
فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ  
هَيْئَةٍ لَهَا ثَمَنًا تُبَاعُ بِمِثْلِهِ لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ  
نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبْوِيَّةٌ ضَرَبَ الْمَدِينَةَ أَشْرَفِ الْبُلْدَانِ

هذا من باب ضرب المثل: أي: الذي يريد النجاة من النيران، ودخول الجنات فليأخذ أو فليشتر هذه الجنة بالثمن المهيئ لها، والنقد الذي يكون ثمنًا لها هو: النقد الذي عليه سكة نبوية وضرب المدينة، ويراد بهذا النقد الذي عليه السكة: الكتاب والسنة؛ فالذي يريد النجاة فعليه بالكتاب، والسنة، وليدع علم الكلام، وهذيان أهله.

أَطْنَنْتَ يَا مَغْرُورٌ بِأَبْعَاقِ الْبُذِيِّ يَرْضَى بِنَقْدِ ضَرْبِ جِنَكْسَخَانِ؟

قوله: (جنكيز خان) هو أحد ملوك التتار، وكانت له سكة مضروب عليها اسمه.

وقوله: (يرضى بنقد ضرب جنكيز خان)، وترك النقد السليم الصحيح، والمراد بذلك أيضًا: ما عند أهل الكلام من الكلام الباطل الذي رضيه هذا لنفسه، وترك النقد الصحيح السليم.

مَتَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ أَنْ طَمِعَتْ بِذَا وَخُدَعَتْ بِالشَّيْطَانِ

قوله: (إن طمعت بذا وخدعت بالشیطان) صدقًا بحمد الله، فالعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، فالإنسان الذي يغتر بظاهر الحال، ولا يلتفت إلى الكتاب والسنة ويزعم أنه هو الموحد قد غرته نفسه، وغره الشيطان.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٢٠٢٥- فَاسْمَعْ إِذَا سَبَبَ الضَّلَالِ وَمَنْشَأَ التَّ

خَلِيطِ إِذِ يَتَنَاطَرُ الْخَصْمَانِ

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ الْمَرْكَبِ عَارِفٌ

مَضْمُونُهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَّانٍ

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالْتَرَكِيبِ مَح-

فُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّيَّانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يَنَادِي بِالتَّيَّانِ عَلَيْهِ مِث-

لَ نَدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

٢٠٢٩- كَيْ يَحْضُلَ الإِعْلَامُ بِالمَقْصُودِ مِنْ

إِيرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الأَذْهَانِ

٢٠٣٠- فَيُنْفِكُ تَرَكِيبَ الكَلَامِ مُعَانِدٌ

حَتَّى يُتَقَلَّبَ مِنْ الأَرْكَانِ

٢٠٣١- وَيَزُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِلَتْ

مَعْنَى سِوَى فِي كَلَامٍ ثَانٍ

٢٠٣٢- فَتَكُونُ ذُبُوسَ الشَّلَاقِ وَعُدَّةً

لِلدَّفْعِ فِعْلَ الجَاهِلِ الفُتَّانِ

٢٠٣٣- فَيَقُولُ هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُح-

تَمَلٌ وَذَا مِنْ أعْظَمِ البُهْتَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [٢٠٢٥: ٢٠٣٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

إذا عرفت أن اللفظ ينقسم إلى مفرد ومركب، وأن اللفظ في التركيب غيره حال الأفراد سهل عليك أن تعرف سبب الضلال ومصدر ما يقع من خلط وتخطب عند الحجاج والمناظرة، فقد يحتاج باللفظ المركب فاهم لمضمونه وما يدل عليه سياق التركيب، حيث إن اللفظ في هذه الحالة تحف به قرائن تعين المراد منه وتنفي عنه كل شائبة احتمال، وتكون له جنداً ينادي عليه بحقيقة مدلوله نداء واضحاً قوياً كندائنا بالإقامة والأذان للصلاة، وبذلك يحصل العلم بالمقصود من إيراده ويثبت في الأذهان بلا مرية ولا نكران فيجيء خصمه المعاند للحق ويفك تركيب الكلام حتى يجعله أنقاضاً لا يرتبط فيه لفظ بآخر ثم ينظر إلى الألفاظ هكذا مجردة فربما قصد إلى لفظة من المركب تحتمل معنى آخر سوى معناه الثابت لها في التركيب في كلام آخر فيكون هذا

٢٠٣٤- وَيَذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى

وَالْفَهْمُ مِنْ خَبْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

٢٠٣٥- إِذْ أَكْثَرُ الْأَلْفَاظِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْـ

إِفْرَادٍ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالْتَبْيَانِ

٢٠٣٦- لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي

قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي

٢٠٣٧- فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِغَيْرِ

رٍ مُرَادِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانٍ

٢٠٣٨- لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ

يُفْرَضُ يَكُنْ لَأَشَكُّ فِي الْأَذْهَانِ

٢٠٣٩- وَالْمُفْرَدَاتُ بَعِيرٌ تَرْكِيْبٍ كَمِثْ

لِ الصَّوْتِ تَنْعَقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ

٢٠٤٠- وَهُنَالِكَ الْإِجْمَالُ وَالْتَشْكِيْكَ وَالْتَّ

جْهِيلُ وَالْإِتْيَانُ بِالْبُطْلَانِ

٢٠٤١- فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ

لِمُرْكَبٍ قَدْ حُفِّ بِالتَّبْيَانِ

٢٠٤٢- وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي

دبوس الشقاق فيجعل استعمال اللفظة في هذا المعنى الآخر في هذا الكلام الثاني عدة له في الدفع والمعارضة وإسقاط الاستدلال بالمركب على ما فهم منه وما يقتضيه سياقه. وهذا فعل جاهل يبتغي الفتنة والمهارة بالباطل، ويدعي حينئذ أن اللفظ مجمل وأنه محتمل لغير هذا المعنى، واللفظ متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وهذا منه كذب وافتراء، فإن اللفظ إذا كان يحتمل غير معناه حال التجرد والإفراد فإنه في التركيب كما قلنا نص في معناه لما يحف به من قرائن تبين المراد منه وتنادي عليه والله أعلم. وقوله: (محضوف): أي محيط خبر للفظ، وجند فاعل لمحضوف، وجملة ينادى صفة للجند.

حَكُّهُوَ بِإِيهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِ

٢٠٤٣ - جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْ-

-بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَي الْعُمَيَّانِ<sup>(١)</sup>

### الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه القطعة مهمة جداً، خلاصتها: أن اللفظ وإن كان محتملاً من حيث هو لفظاً لمعاني متعددة، فإنه عند التركيب لا يحتمل إلا المعنى الذي دل عليه السياق؛ فالعرش - كما سبق - يحتمل معاني كثيرة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً، وكذا الاستواء يحتمل معاني متعددة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً؛ ولهذا يقول.

فَاسْمِعْ إِذَا سَبَبَ الضَّلَالِ وَمَنْشَأُ التَّ

يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ الْمَرْكَبِ عَارِفٌ مَضْمُونُهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَّانِ

(١) [٢٠٣٤: ٢٠٤٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهذا الذي يعمد إليه هؤلاء الجهلة من التشكيك في دلالات الألفاظ المركبة والحكم عليها بالإجمال والاشتباه يفسد كل علم في الوجود، فإن أي قضية علمية ترد لا يمكن هم معناها ما دامت ألفاظها محتملة وموهمة خلاف المقصود منها وكذلك ينسد باب الفهم للكتاب والسنة فلا يعلم أحد مراد الله جل وعلا من كلامه ولا مراد رسوله ﷺ، وبذلك تبطل التكاليف جملة وتبقى نصوص الكتاب والسنة مجرد ألفاظ تتلى دون أن يكون وراءها معنى، فأى فساد للدين أعظم من هذا، ولا سبب لهذا الفساد إلا ما يعمد إليه هؤلاء الجاهلون من التسوية بين الألفاظ في حالي أفرادها وتركيبها، فإن أكثر الألفاظ حال الأفراد تكون مجتمعة وقابلة للاحتيال لكن إذا ما ركبت مع غيرها زال كل احتمال وصارت نصاً في معناها الذي يدل عليه سياق التركيب ويفهمه فحوى الخطاب، فإذا تجرد اللفظ عن ذلك الوجود التركيبي أمكن حينئذ أن يكون محتملاً لغير المراد منه في التركيب وكذلك إذا استعمل في كلام ثانٍ جاز أن يستعمل فيه بمعنى آخر بحسب ما تدل عليه القرائن التي تحف به، لكن تجريد الألفاظ أمر فرضي محض لا وجود له إلا في الأذهان، فإن الألفاظ يمتنع استعمالها مفردة إذ هي حينئذ بمثابة الأصوات التي تنادي بها الحيوانات، وهنالك - أي عند التجريد والإفراد - يكون ادعاء الإجمال ويكون التشكيك والتجهيل والتحريف لها عن مواضعها والإتيان بالباطل، ولكن هؤلاء الجهلة يدعون هذا في المركب أيضاً مع ما يحف به من بيان يني عنه كل اشتباه، ويحكمون على الألفاظ في حال التركيب بمثل ما يحكمون به عليها التجرد والإفراد جهلاً منهم بالفرق بينهما وتجهيلاً لغيرهم، وتدليساً أي خدعاً بصرف اللفظ عن معناه، وتليساً أي سترًا للحق وإظهار للأمر على خلاف ما هو عليه، وترويضاً لباطلهم عند السذج الذين لا بصر لهم بالأمر.

والبيت الثاني: سبب للبيت الأول؛ فالإنسان الذي يعرف مضمون الكلام، إنما يحتاج به حين يكون مركبًا، وأما إذا وُزِعَ، ومزَّقَ وأُتِيَ بكل كلمة وحدها فإنه لا يكون كلامًا، فمثلًا: لو قلنا: جاء زيدٌ ركبًا، ثم فصلنا هذه الكلمات الثلاث، وقلنا: «قام»، وجعلنا: «زيدٌ» وحدها و«راكبًا» وحدها فهل يفيد؟ لا، لا شك أنه لا يفيد، فالكلمات بحد ذاتها لا تفيد إلا بالتركيب، والتركيب يعيّن المعنى بحيث لا يجوز معنى آخر سوى هذا الذي دل عليه التركيب.

وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالْتَرَكِيبِ مَحْدٌ      فَوْقَ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبَيَّانِ

أي: أن اللفظ إذا سيق بالتركيب مركبًا فإنه يحتف به.

جُنْدٌ يُنَادِي بِالتَّبَيَّانِ عَلَيْهِ مَثٌ      لِنَدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

قوله: (جند ينادي) وهي: الكلمات التي حوله تحتف به، وتنادي على هذا اللفظ بالبيان؛ أي: بأن المراد به كذا، فكلمة العرش في قوله الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] تصلح لكل عرش، لكن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ هذا التركيب أو هذه الكلمات التي احتفت بالعرش تعين أن يكون معناه عرش الرب لا غيره، فالقرائن - أي: الكلمات - التي تحتف باللفظ تنادي عليه تقول: هنا ما تريد، ولا تتعداه إلي غيره.

كَيْ يَحْضَلَ الإِعْلَامُ بِالمَقْصُودِ مِنْ      إِيرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الأَذْهَانِ

قوله: (كي يحصل الإعلام بالمقصود) أي: حتى يصير معلومًا ولا يتعداه إلى معنى آخر.

فَيْفُكُ تَرَكِيبِ الكَلَامِ مُعَانِدٌ      حَتَّى يَقْلِقَلَهُ مِنَ الأَرْكَانِ

قوله: (فيفك تركيب الكلام معاند): وهذا مثلها يفعل أهل التعطيل فيفككون التركيب فيقولون: «استوى» لها عدة معاني، وكذلك «العرش» له عدة معاني فأبي المعاني تريدون؟ فيشككون، فنقول: هذا الكلام إنما يكون لو أفردت كل كلمة، أما مع ضم بعضها إلى بعض فإن المعنى يتعين، ولكنكم تفككون الكلام وتجزؤنه، وتمزقونه تضليلًا للخلق.

وَيَزُومُ مِنْهُ لَفْظَةٌ قَدْ حُمِلَتْ      مَعْنَى سِوَاهِ فِي كَلَامِ ثَانٍ

قوله: (يروم) أي: يقصد أن (لفظة قد حملت معنى) يصح لها في كلام ثانٍ، يعني: أن هذه اللفظة التي يشككنا فيها تحتمل هذا المعنى نعم، لكن في كلام آخر، أما في هذا الكلام، فلا تحتمل المعنى الذي رامه.

فَتَكُونُ دُبُوسَ الشِّقَاقِ وَغَدَّةً      لِلدَّفْعِ فِعْلَ الجَاهِلِ الفُثَّانِ



قوله: (دُبُّوس) والدبوس: هو: ما ينقر به مثل المسهار أو شبهه.

وقوله: (يكون دبوس الشقاق) أي: هو الذي يضرب المجتمع حتى يشققه، وفي نسخة ثانية: (دبوس السلاق) يعني: العظام؛ لأنها إذا دقت بالدبوس تفرقت فيكون هذا القول الذي أراد أن يمزق الأدلة به مثل دبوس السلاق، أو الشقاق؛ بأن يقول: هذا مجمل، واللفظ محتمل.

وقوله: (وذا من أعظم البهتان)؛ لأنه بسياقه ليس مجملًا، ولا محتملًا.

وَبِذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى وَالْفَهْمُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

وقوله: (وبذاك يفسد كل علم في الورى) أي: بهذا الطريق الذي سلكها هذا المبتدع يفسد كل لفظ في الورى؛ لأن كل لفظ إذا أردنا أن نمزقه، ونمزق كلماته كلمةً كلمةً، ونقول هذه الكلمة: تحتل كذا وكذا، فستبقى كل الألفاظ لا يمكن أن يستدل بها لشيء؛ قالوا: لأن كل واحد يقدر أن يجزئ الكلام، ويقول هذه الكلمة تحتل كذا وكذا، فنقول: نعم هي تحتل هذا المعنى؛ ولكن في غير هذا السياق، أما في هذا السياق فإنه جملة واحدة لا يمكن أن يفكك، ولو أننا سلكنا ما تذهبون إليه لكان كل إنسان يتكلم يفسد كلامه، حتى لو قال الرجل لزوجته: أنت طالق، فيمكن أن نفكك «أنت» مبتدأ، و«طالق» خبر؛ إذن فهي ليست بطالق بل معناه شيء آخر كـ «أنت جميلة» مثلاً، فطالق: يحتمل طالق من قيد، أو طالق من نكاح، أو طالق من الغم. فهل يكون لمثل هذه الجملة «أنت طالق» فائدة الآن؟ لا، لا يكون؛ لذا فلو أردنا أن نجزئ كلام الناس جزءً جزءً لفسد الكلام كله، وفسد الفهم، ولم يبق للناس فهم صادق.

إِذَا أَكْثَرُ الْأَلْفَاظِ تَقَبَّلَ ذَلِكَ فِي الْإِفْرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالْتِيَانِ

قوله: (أكثر الألفاظ تقبل ذلك) أي: التعدد والاحتمال، (قبل العقد) أي: قبل أن يعقد بينها وبين، فكل الكلمات قالها يحتمل معينين لكن السياق هو الذي يعين.

لَكِنْ إِذَا مَا رُكِبَتْ زَالَ الَّذِي قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي

أي: إذا ركبت الكلمات بعضها مع بعض فإن الاحتمال الذي يكون فيها لو أفردت يزول.

فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِعَيْنِ رِ مُرَادِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانِ

قوله: (فإذا تجرد كان محتملاً لغير مراده أو في كلام ثان) أي: إذا فصل بعضه عن بعض، كان محتملاً لغير المراد منه، أو محتملاً لكلام ثانٍ يعين، لكن ذا التجريد ممتنع؛ والتجريد: هو أن تجرد الكلمات بعضها من بعض، وهذا ممتنع في كلام العرب، فإنه لا بد أن يكون مركباً حقيقةً أو حكماً، فلا تجرد في كلام العرب كلمة «زيد» فقط أبداً لا تجرد فيها «قام» فقط أبداً، بل لا بد في كلام العرب

من أن يكون مركباً؛ ولهذا علماء النحو يقولون: الكلام: هو اللفظ المركب؛ لذا فما في كلام العرب شيء غير مركب، بل إذا وجد كلام غير مركب قيل: هذا ليس بكلام ولا عبرة به.

لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ

قوله: (فإن يفرض يكن لا شك في الأذهان) أي: إن فُرِضَ أن هناك كلام مفرد فهو فرض ذهني؛ ولهذا قال: «لا شك في الأذهان»، لكن ذا التجريد ممتنع فإن يُفْرَضُ: أي: فإن يفرض التجريد فإنه لا شك يكون في الأذهان.

وقوله: (لا شك) جملة معترضة أي: إن فرض تجريد الكلام بعضه من بعض فهذا في الأذهان، فالذهن قد يُقَدَّرُ أن يُقَدَّرَ الكلام المتمزق والمتفرق لكن في الواقع لا يمكن.

وَالْمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيبٍ كَثِيرٌ لِي الصَّوْتِ تَنْعَقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ

قوله: (والمفردات بغير تركيب كمثل الصوت تنعقه بتلك الضان) والذي ينطق بالضأن يقول: خلو خلو، والضأن تفهم هذا وتحيء أو حسب تعليمه لها، لكن مثل هذه الكلمات هل تفيد؟ لا، هي تفيد الضأن، لكنها لا تفيد بني آدم بأي شيء أبداً؛ فإذا قدرنا كلمة موجودة بلا تركيب فهي كصوت الناعق بالبهيمة لا فائدة منها على الإطلاق.

وَهُنَالِكَ الْإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتَّجْهِيلُ وَالِاتِّبَانُ بِالْبَطْلَانِ

أي: أننا لو فرضنا أفراد الكلمات بعضها من بعض وتمزيق الكلام حينئذ يأتي التشكيك.

فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ لِمُرْكَبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّيْبَانِ

قوله: (فإذا هم) الضمير يعود على أهل التعطيل؛ أي: أنهم إذا فعلوا ذلك، وجرودوا الكلمات من معناها عند تنسيقها، وتفنيدها نقلوا ذلك إلى المركب؛ ولهذا قال: (نقلوه لمركب قد حف بالتيبان).

وقوله: (نقلوه لمركب قد حف بالتيبان) فجعلوا المعنى الذي يُحْتَمَلُ عند الأفراد: هو المعنى الذي يُحْتَمَلُ عند التركيب فضلوا الناس بهذه الطريقة.

وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَّمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي

جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْسِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمِيَانِ

قوله: (جهلاً وتجهيلاً وتدليساً وتلسيساً وترويجاً على العميان)؛ لأنهم إذا جاءوا بهذا الطريق لبسوا على الأعمى فمثلاً قولهم: أليس العرش اسماً لعرش الملك؟ فنقول: بلى، وأليس هو اسماً لعرش الكروم والعناب؟ فنقول: بلى، وأليس هو اسماً لعرش بلقيس؟ فنقول: بلى، وأليس هو اسماً



للسقف على الأعمدة؟ فنقول: بلى، فيقولون: إذن فما المراد بالعرش الذي استوى عليه الله؟ فنقول: الاحتمالات التي ذكرتم إنها هي في العرش عند الأفراد، أما إذا قُرِنَ بسياقٍ أو إذا جاء في سياقٍ مركب، فإن هذا السياق يعيّن فالمراد في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فهذا العرش لا يحتمل هذه المعاني التي ذكرتم، وإنما يدل على عرشٍ خاصٍّ بالله - عز وجل - فقط؛ لا هو عرش بلقيس، ولا هو عرش الكروم، ولا هو سقف البيت، بل هو عرش الله - عز وجل - والذي عيّنَه السياق.

لكن هم يأتون للعامّة، وأشباههم فيقولون: العرش له عدة معاني فأَيُّ معنى تريدون؟ تلييساً وتضليلاً، فنقول: هذه الاحتمالات إنما هي عند الأفراد، أما عند الضم فإن الكلمات إذا ضم بعضها إلى بعض تعين المراد منها.



## فصل

بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغطاء  
الفلاسفة في تجريد المعاني

٢٠٤٤- هَذَا هَذَاكَ اللهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ

وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ

٢٠٤٥- كَمَجْرَدَاتٍ فِي الْخَيَالِ وَقَدْ بَنَى

قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْهَانَ الْبُتَيَانَ

٢٠٤٦- ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وَجُودًا خَارِجًا

وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ

٢٠٤٧- أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ

فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بَعِيَانِ

٢٠٤٨- لَكِنَّهَا كَلِيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ

أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي الْمِيزَانِ

٢٠٤٩- يَدْعُونَهُ الْكَلْبِيَّ وَهُوَ مَعِينٌ

فَرَدَّ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيِّانِ

٢٠٥٠- تَجْرِيدُ ذَا فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجِ

عَنْ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٠٥١- لَا الذَّهْنُ يَعْقِلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ

هُوَ كَالْخَيَالِ لِيُطِيفَهُ سُكْرَانِ<sup>(١)</sup>

٢٠٥٢- لَكِن تَجَرُّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ

وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِإِلَّا إِمْكَانٍ

٢٠٥٣- فَتَجَرُّدُ الْأَعْيَانِ عَنِ وَصْفٍ وَعَنِ

وَضْعٍ وَعَنِ وَقْتٍ لَهَا وَمَكَانٍ

٢٠٥٤- فَرَضٌ مِنَ الْأَذْهَانِ يَفْرُضُهُ كَفَرٌ

ضِ الْمُسْتَجِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ

٢٠٥٥- اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنَ فَاضِلٍ

هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ

٢٠٥٦- تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَازِ عَنِ تَرْكِيبِهَا

وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

٢٠٥٧- وَالْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفٌ

رُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْأَذْهَانِ

٢٠٥٨- فَيَقْوَدُكَ الْخَصْمُ الْمَعَانِدُ بِالذِّي

سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ

٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا

أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّيْيَانِ<sup>(١)</sup>

والضلال بالنسبة للألفاظ حيث حكموا عليها بجواز التجرد في الخارج هو شبيه بضلال بعض الفلاسفة في المجرادات الخيالية حيث ظنوا بأن لها وجوداً في الأعيان وبنوا على ذلك الظن أوهن البنيان مع أن وجودها لو لا يكون إلا في الأذهان، فإن الموجود في الخارج لا يكون إلا مشخصاً حافلاً في صورة جريئة معينة غير مشتركة أما إذا كانت الصورة صادقة على أفراد كثيرة ومطابقة لهم، فهي كلية ولا وجود لها إلا في الذهن، وهؤلاء يقيسون الألفاظ على تلك المجرادات قياس فاسد على فاسد، فيسمون اللفظ كلياً وهو معين فرد، وكذلك يسمون معناه الجزئي كلياً مع أن تجريد اللفظ عن كل قيد يجعله من قبيل المتنوع الذي لا وجود له لا في العقل ولا في الخارج، بل يكون كخيال السكران، خرافة وهذيان.

(١) [٢٠٥٢: ٢٠٥٩] قال العلامة محمد خليل هراس: يعني أن التجريد إذا كان مقيداً ببعض القيود فهو ثابت،

## الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني) أي: أن هؤلاء الذين جردوا الألفاظ عن معانيها، ولم يعينوا المعنى بالسياق يشبهون من جردوا الألفاظ، بل من جرد الأعيان عن أوصافها، ومعلوم: أن من جرد الأعيان عن أوصافها هم الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة قالوا: إن الله تعالى لا يوصف بصفات ثبوتية ولا صفات سلبية؛ أي: لا يوصف بوجود ولا بعدم، وعلّة ذلك عندهم أنك إن وصفته بالوجود بالإثبات شبهته بالموجودات، وإن وصفته بالنفي شبهته بالمعدومات، إذًا فلا تصفه بنفي، ولا بإثبات فيقال لهم: لا يمكن أن توجد عينٌ لا توصف بإثبات، ولا نفي إلا ما يتخيله الذهن فرضًا، أما في الخارج - أي: في خارج الذهن - فإنه لا يمكن أن توجد عين إلا موصوفة إما بنفي، وإما بإثبات، أما الفروض الذهنية فلا تدل على حقيقة، فالإنسان قد يفرض الجمع بين الضدين، ولكن الجمع بين الضدين غير ممكن بأي حال؛ ولهذا يقول رَحِمَهُ اللهُ: إن غلط هؤلاء في تجريد الكلمات عن المعنى كغلط هؤلاء في تجريد الأعيان عن الأوصاف.

هَذَا هَذَاكَ اللهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ الْيُونَانِي

أي: في النطق؛ لأن المعروف أن الإنسان إذا تكلم فإنما يريد المعنى بما يتكلم به بحسب السياق، ولا يعني غيره، فيكون السياق معيّنًا للمعنى المراد من المتكلم، وهناك في نسخة ثانية: (منطق اليونان) فهو يشير هنا - في النسخة الثانية - إلى مذهب الفلاسفة الذين قالوا بتجريد الأعيان عن

وأما سواه وهو التجرد المطلق عن كل وصف وقيد فممتنع غير ممكن، فتجرد الأعيان الخارجية عن الوصف والكيفية وعن الوضع الذي تكون عليه، وعن الوقت والزمان الذي هو ظرف لوجودها، وعن المكان والحيز الذي تشغله، كل هذا أمر يفرضه الذهن كما يفرض المستحيل.

ومن العجيب المؤسف أن كثيرًا من الفضلاء قد دهاهم هذا التجرد منذ القدم فأمنوا بهذه الخرافة، وأثبتوا في عالم الأعيان أشياء يسمونها المجردات يتفون عنها كل وصف وقيد، فيقولون لا حيز لها ولا مكان ولا جهة ولا توصف بقرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال، وليست بذات صورة ولا كم، ولا مقدار ولا ثقل، ولا لون، ولا تقبل الإشارة إليها بأنها هنا أو هنا إلخ ما نعتوها به من ألقاب النفي التي تجعلها من قبيل المعدوم المنتع، ويجعلون الله جل شأنه من قبيل هذه المجردات، فعتلوه عن وجوده وصفاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فتجريد الألفاظ عن تركيبها، وكذلك تجريد المعاني كلاهما من قبيل الفرض الذهني فلا يجوز الحكم عليه في تلك الحالة بحكم، فيقودك الخصم للتسليم بثبوت ذلك الحكم له في الأعيان، بل عليك بالتفصيل إذا هم عمدوا إلى الإطلاق، فتقول إن أردتم أن هذا حكم له في الذهن على فرض تجرده فسلم وإن أردتم أن هذا حكم حال التركيب في الأعيان فممتنع، وكذلك إن أجملوا فعليك بالبيان والإيضاح.

أوصافها، فهؤلاء جردوا الكلمات عن معانيها وأولئك جردوا الأعيان عن أوصافها.

كَمَجْرَدَاتٍ فِي الْخَيَالِ وَقَدْ بَنَى قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْهَنَ الْبَنِيَانِ

ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وَجُودًا خَارِجًا وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ

أي: الفلاسفة الذين أنكروا أن يكون الله موصوفاً بالإثبات، أو موصوفاً بالنفي، ظنوا - أي: هؤلاء الفلاسفة - بأن لها - أي: ذات الله - وجوداً خارجاً فلا توصف بإثبات، ولا بنفي؛ فلذا يقول رَحْمَةُ اللَّهِ: (ووجودها لو صح في الأذهان)؛ أي: أن الذهن هو الذي يفرض ذاتاً ليس لها أوصاف، أما في الخارج فإنه لا يمكن أن توجد ذات بلا صفات إذ لو لم يكن من صفاتها إلا الوجود لكان كافياً، مثال ذلك: أماننا عصا قائمة، هل يمكن أن نقول: أن هذه العصا ليست موجودة، أو أنها معدومة؟ لا، لا شك أنه لا يمكن، لكن الذهن قد يفرض أشياءً مستحيلة؛ فلهذا يقول: (وجودها لو صحَّ في الأذهان).

أَتَى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُضِلَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بِعِيَانِ

أي: كيف يمكن أن ننفي وجود صفة في الأعيان أو وجود معنى في الكلمات، وهي قد شُخِّصَتْ في صورة جزئية، والمشخص في صورة جزئية لا بد وأن يكون له صفة المشخص في سياق معين، ولا بد أن يكون معنى لا يحتمل غيره فهذا مثل هذا.

لَكِنَّهَا كَلِيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفِظِ فِي الْمِيزَانِ

قوله: (لكنها كلية إن طابقت أفرادها) الضمير يعود على: المعاني؛ أي أنها كلية إذا طابقت أفرادها، لكن الفرد منها المعين هذا جزئي، ولا بد أن يكون موصوفاً بصفة؛ مثال ذلك: كلمة «الإنسان» فنحن نرى، أو نعلم أن جميع البشر يشتركون في معنى كلي وهو الإنسانية، ولكن هل الإنسانية شيء مشخص يراد ويشاهد؟ لا، لكنه معنى كلي عام تتساوى فيه الأفراد، وكذا «الحيوان» فالحيوان: اسم لكل ذي روح من الإنسان، وغير الإنسان، ولكن هل الحيوانية هذه معنى كلي؟ أي: هل هي شيء مشخص يرى بالعين؟ لا، لكن أفرادها مشخصة ترى بالعين وكذلك المعاني الكلية التي قالوها؛ مثل: العرش فإنه له معنى كذا وكذا وكذا، فهذا مثل هذا معنى كلي، ولا يتعين المعنى إلا بالسياق.

يَدْعُونَهُ الْكَلْبِيَّ وَهُوَ مَعِينٌ فَرَدَّ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيِّئَانِ

قوله: (يدعونه الكلبى وهو معين فرد كذا المعنى) أي: أن المعاني الكلية كلية في الأذهان لا في

الخارج، فعندما تكون في الخارج تكون معينة مشخصة فردية، وكذلك المعنى يكون اللفظ له معنى كلي عام، لكن عندما تضعه في مكانه يكون له معنى خاص يعينه السياق.

تَجْرِيدُ ذَا فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنِ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

قوله: (ليس في الإمكان) أي: أنه مستحيل أن يتجرد اللفظ عن المعنى في حال السياق، ومستحيل كذلك أن تتجرد الأعيان عن المعنى الكلي إذا كانت في الخارج.

فخلاصة كلامه رَحِمَهُ اللهُ: أن هؤلاء غلطوا في اللفظ كما غلط الفلاسفة في الأعيان فجعلوا اللفظ لا معنى له وجعلوه محتملاً لكل معنى، وإن قيد بالسياق، كما أن هؤلاء جعلوا المعنى الكلي ثابتاً في كل جزء، وفي كل فرد، فقالوا: يمكن أن يكون الخالق غير موصوف لا بإثبات، ولا بالنفي. ونحن نقول: هذا الشيء غير ممكن ومستحيل.

لَا الذَّهْنَ يَعْقِلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كَالْخَيَالِ لَطِيفِهِ سَكْرَانٍ

قوله: (لَطِيفِهِ سَكْرَانٍ)، ولا شك أن الطيف هو ما يمر بخيال الإنسان، وهو لا حقيقة له، إذ قد يمر بتفكير الإنسان أشياء ما لها حقيقة، فهؤلاء الذين فرضوا كلمات ليس لها معنى، أو لها معانٍ متعددة لا تتعين فهُم كَالَّذِينَ فَرضُوا أعياناً ليس لها صفات، وهذا إنها يقدره الذهن، ولا حقيقة له في الخارج.

لَكِنْ تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِلَا إِمْكَانٍ

قوله: (تجردها المقيد)، والتجريد المقيد يكون بالمعنى بالنسبة للكلام، وبالصفة بالنسبة للأعيان.

قوله: (ثابتٌ وسواه ممتنع) أي: سوى التجرد المقيد ممتنع، ولا يوجد أبداً إلا في الذهن.

فَتَجَرَّدُ الأَعْيَانِ عَنِ وَصْفِهِ وَعَنِ وَضْعِهِ وَعَنِ وَقْتِ لَهَا وَمَكَانِ

فَرَضَ مِنَ الأَذْهَانِ يَفْرُضُهُ كَفَرَضِ المُسْتَجِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ

وهذا صحيح؛ أي: أن يوجد عين مجردة عن الوصف، وعن الوضع لا يشغلها مكان ولا زمان فهذا شيء مفروض فرضاً؛ إذ ما من عين إلا ولها وصف، وما من عين إلا وهي مشغولة بزمان أو مكان، وأما ما يفرضه الذهن أنه يوجد عين لا وصف لها، ولا مكان، ولا زمان فهذا لا حقيقة له.

الله أكبرُ كَمَ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ

وهذا أيضاً صحيح؛ فهم يحكمون بالمفروضات الذهنية على الموجودات العينية، ويقولون: إن

الإنسان يمكن أن يتصور ذاتًا ليس لها صفات، أو أن يتصور كلمة ليس لها معنى محدد، ولكن كل هذا من الفروض التي كما قال ابن القيم عنها: أنها أصابت الفضلاء بالدواهي.

تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنِ تَرْكِيبِهَا وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

قوله: (تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها) أي: تجريد الكلمات عن تركيبها هذا أمر مستحيل؛ حيث لا يوجد كلمة مجردة عن تركيب إلا فيمن ينطق للحيوان أو الشاة أو البعران، وكذلك لا يوجد عين مجردة من المعاني والأوصاف، إذ لا بد لكل عين من معنى ووصف؛ لذا فوجود عين بلا معنى ولا وصف أمر مستحيل.

وَالْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْرُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْأَذْهَانِ

قوله: (الحق أن كليهما في الذهن) الإشارة هنا إلى: الألفاظ المجردة عن التركيب، وإلى الأعيان المجردة عن الأوصاف، فكلاهما في الذهن مفروض.

وقوله: (في الأذهان) هذه يجب أن تكون متعلقة بقوله: (تحكم)، وليس بقوله: (مفروض). وأما النسخة التي بها: (و الحق أن كليهما في الذهن مفروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان) لاشك أنها في المعنى أوضح، ولكن يكون فيها تكرار إلا أن يقال: أنه يريد بذلك التوكيد. على كل حال: فالمعنى مفهوم، وهو: أن تجريد الكلمات من التركيب مستحيل، وكذا تجريد الأعيان من الصفات مستحيل، وأن دعوى تجريد الكلمات من التركيب كدعوى تجريد الأعيان من الأوصاف؛ لذا فهو يقول: (فلا تحكم عليه وهو في الأذهان).

فَيَقُودُكَ الْخَصْمُ الْمُعَانِدُ بِالذِّي سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ

قوله: (فيقودك الخصم المعاند) أي: أن الخصم المخاصم كالفلاسفة مثلاً يقولون لهؤلاء: كما أنتم تصورتم وجود كلمات مجردة عن التركيب، فلتصوروا أعيانًا مجردة عن الأوصاف؛ ولهذا قال: (للحكم في الأعيان).

فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبَيُّانِ

ولهذا ما أكثر الغلط في الإطلاقات، وما أكثر الغلط في الإجمال، ولاشك أن التفصيل دائماً يبين به الحق، ويأتي بالتبيان؛ ولهذا يقال: بالتفصيل التحقيق.





## تَهْدِيَةٌ بَيْنَ يَدَيْ الْفَصْلِ



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

في بيان تناقضهم، وعجزهم عن  
الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وذلك أن المتكلمين بالكلام الباطل من جهمية ومعتزلة وقدرية وكلاية وأشعرية قد اشتركوا في نفي صفات الباري، وقد تفاوتوا في كثرة ما ينفونه منها، وكل فريق منهم فيما ينفيه من الصفات إذا وردت عليه النصوص من الكتاب والسنة في إثباتها تأويلها وتأويلات تنفي ما تدل عليه من المعاني الصريحة الظاهرة الحقة، وصرّفها لمعان باطلة لا تدل عليها لأجل موافقة نحلته ومذهبه. وجراهم على هذا التأويل أنهم سمو المعاني الفلسفية والأصول اليونانية قواطع عقلية وبراهين يقينية وأدلة الكتاب والسنة ظواهر لفظية قابلة للتأويل، فسطوا عليها بالتأويلات الباطلة التي يجزم كل ذي بصيرة أنها خلاف مراد الله ورسوله منها.

ثم إنهم لا بد أن يثبتوا أشياء من الصفات أو من الأسماء ويمنعوا من تأويلها، ومن تأويلها أنكروا عليه غاية الإنكار، فصاروا بهذه الحال مذبحين لا من النافين للرب المعطلين له بالكلية كالفلاسفة الزنادقة ونحوهم من كل مارق خارج عن الأديان ولا من أهل السنة والجماعة المثبتين لله ما أثبتته الله ورسوله على الوجه الذي يفهمه كل أحد لم تفسد عقيدته القواعد الباطلة والمقالات الفاسدة، فصاروا أعداء للطائفتين بما خالفوهم فيه وانقطعوا عند مناظرتهم لكل من الفريقين، وكانت الفلاسفة تعترض عليهم بما وافقهم فيه من الأصول الباطلة؛ يقولون لهم: كيف لا تلتزمونها ولا تطردونها فتوافقونا على قولنا؟ وصار أهل السنة والجماعة يلزمونهم ويقولون لهم: إن تأويلاتكم هذه من جنس تأويلات الفلاسفة الزنادقة - الذين لا يؤمنون بالله ورسوله - لنصوص الكتاب والسنة في جميع الشريعة، فلا شيء ساغ تأويل أهل الكلام من الجهمية ونحوهم ولم يسغ تأويل الفلاسفة، وبذلك سلطوا على أنفسهم أعداء الإسلام ويلزمونهم بالتحيز إليهم، وكفى شرًا بمقالة تصل بأصحابها إلى هذا الحد.



وكان أهل السنة والجماعة ينكرون عليهم النفي والتعطيل ويقولون لهم: هذا خلاف ما أتت به الأدلة النقلية والعقلية، وقالوا لهم: جميع الصفات من العلو والاستواء والكلام وغيرها صريحة في الوحيد لا ريب في دلالتها عليها، فبأي شيء فرقتم بينها فأثبتتم أشياء ونفيتم أشياء وجميعها وردت وروداً واحداً، فعجزوا عن الفرق الصحيح وتشبثوا بفروق لفظية لا حقائق معنوية، فادعى بعضهم ما أشار إليه في هذا الفصل:



## فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن  
الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمَقُولِ عَنِ

أَشْيَاخِهِمْ كَتَمْتُمْ كِ الْغَمِيَانِ

٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّ

صَّيْنِ وَاعْتَجَبَا مِنْ الْخُذْلَانِ

٢٠٦٢- قَوْلِ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ

إِذْ قَصَدْتُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ

٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِب

طَالًا لِمَا رَأَوْا بِأَبْرَهَانَ

٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمَرٌ نُضُوضُهُمْ

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلَهَا لِيبَانِ

٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجَرُوا نُضُوضَ الْوَحْيِ ذَا ال

مُجْزَى مِنَ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّضُوضُ ظَوَاهِرٌ

لَفْظِيَّةٌ عَزَلْتْ عَنِ الْإِيقَانِ

٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي

يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبَرْهَانِ<sup>(١)</sup>

٢٠٦٨- وَسَطُوا عَلَى الْوَحِيِّينَ بِالتَّحْرِيفِ إِذْ

سَمَوْهُ تَأْوِيلًا بَوَاضِعَ نَّانٍ

٢٠٦٩- فَانظُرْ إِلَى «الْأَعْرَافِ» ثُمَّ لِـ«يُوسُفِ»

وَ«الْكَهْفِ» وَافْتَهُم مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِـ«أَلِ عِمْرَانَ» فَهَمَّ

بِتِ الْقَصْدِ فَهَمَّ مُوَفِّقِ رَبِّي

٢٠٧١- وَعِلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبِ

بَيْنَ الْحَقِيقَةِ لِأَلِ الْمَجَازِ الثَّانِي

٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ الثُّقَاةِ مُخَالَفًا

لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنْشَوْا لَهُ مَعْنَى بِذَا

كَ الْإِصْبَاحِ طَلَّاحٍ وَذَلِكَ أَمْرٌ دَانَ

٢٠٧٤- وَأَتَوْا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالذِّ

أهل الجمود والتقليد أنهم يتمسكون بالأقوال المأثورة عن أسيانهم ويجعلونها نصوصاً لا تقبل التأويل، ويحملونها على ظواهرها المتبادرة منها دون صرف لها عنها بدعوى مجاز أو غيره، بل يرون ذلك ممنوعاً لأنه يناقض ما قصد إليه الشيوخ من الشرح والبيان، فإذا صرفت تلك الأقوال عن ظواهرها كان ذلك إبطالاً لما قصدوا إليه بدون دليل ولا قرينة توجب ذلك التأويل، ولكنهم بالنسبة لنصوص الوحي من الآيات والأحاديث لا يسلكون هذا المنهج، بل يرونها ظواهر لفظية معزولة عن إفادة اليقين، يقولون أن دلالتها ظنية لا تفيد إلا احتمالاً راجحاً، فهي لا تغني عن طالب الحق شيئاً، بل يجب أن يسلك طريق البرهان العقلي إذا أراد تحصيل اليقين.

فهؤلاء الحيارى المتهوكون بلغت بهم الجرأة والقحة أن يقدموا أقوال شيوخهم على نصوص الوحي، فهي عندهم محكمة لا تقبل التأويل ولا تحتمل أكثر من معنى، وأما نصوص الوحيين فهي في نظرهم متشابهة لا تفهم معنى واحد ولا يجوز حملها على ظواهرها، وهي أيضاً ظنية الدلالة لا تفيد علماً ولا تورث يقيناً، ولكن عقولهم المريضة هي الطريق الوحيد لإفادة العلم واليقين، فما أسوأ ظن هؤلاء بربهم، وما أجزأهم على كتابه الذي ساء بياناً وهدى وشفاء ورحمة، وما أشد استخفافهم بسنة رسول الله ﷺ الذي هو أفصح الناس وأظهرهم بياناً وأصدقهم قیلاً وأحسنهم حديثاً.

حريف للألفاظ بالبهتان

٢٠٧٥- فكسوه هذا اللفظ تلييساً وتد

ليساً على العميان والعوران<sup>(١)</sup>

(١) [٢٠٦٩: ٢٠٧٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهؤلاء إذا لم يرضوا لنصوص الوحيين حتى مثل ما جعلوه لكلام شيوخهم من الاحترام والوقوف بها عند ظواهرها، أخذوا يتلاعبون بها واجترأوا عليها بالتحريف الذي سموه تأويلاً كذباً منهم وتضليلاً، فإن لفظ التأويل لم يستعمل في القرآن بهذا المعنى الذي ادعوه، وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر الراجح إلى معنى آخر لا يمتلئه اللفظ إلا على وجه مرجوح، وإنما هو اصطلاح اصطلاحوا عليه وسموه بهذا الاسم تلييساً منهم على الجهلة وأنصاف العلماء، ونحن إذا تبعنا لفظ التأويل في مواضعه من القرآن لم نجد له استعمالاً إلا بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الخبر والتي هي لنفس المخبر عنه، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته هو نفس الأسماء والصفات المخبر بها أي حقائقها، وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد هو وقوع ما أخبر الله به من ذلك وهكذا.

فقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] معناه ما ينتظر هؤلاء في عنادهم وإصرارهم على كفرهم إلا وقوع ما توعدهم القرآن به من العذاب الذي هو تأويل، أي ما يؤول ويصير إليه. وقوله في سورة يوسف: ﴿ وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠] معناه أن هذا الذي حصل من دخول أبويه وإخوته عليه وسجودهم له تأويل رؤياه التي رآها من قبل، والتي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيُّوبَ يَأْتِيَنَّ إِيَّيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] ومعنى تأويلها أي وقوع ما تضمنته تلك الرؤيا في عالم اليقظة ومطابقة ذلك لما رآه الصديق في منامه.

وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨] معناه سأخبرك بحقيقة ما رأيت من الأمور التي أنكرت ظواهرها ولم تطق صبراً عليها، وعلى هذا يمكن أن نفهم المراد بلفظ التأويل في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] أي لا يفهم حقيقة المشابهة وكيفيته، وهو ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته ووعده ووعيده وغير ذلك من أمور الغيب إلا الله عز وجل، فحقيقة هذه الأمور وكيفياتها على التفصيل مما استأثر الله عز وجل بعلمه، ولهذا لا يخوض فيها الراسخون في العلم بتأويل ولا تفسير، ولكنهم يقابلونها بالفويض والتسليم قائلين ما حكاها الله عنهم: ﴿ ءَأَمَّا يَدُ كُلِّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧].

هذه هي حقيقة التأويل كما تدل عليها جميع استعمالاته في القرآن الكريم، لا يراد منه إلا بيان حقيقة الشيء المطابقة للخبر عنه، فأين هي إذاً من تأويل أولئك النفاة الذين يستعملون لفظ التأويل بمعنى المجاز الذي هو صرف اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر بعيد لا يمتلئه إلا بكثير من التكلف، فهؤلاء ينشئون للفظ معنى غير معناه المتبادر منه، ويصطلحون على استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى الذي اخترعوه، ويلبسونه إياه ثوب زور ليلبسوا به على الجهلة الضعفاء العقول، وبذلك يلحدون في الأسماء، ويجرفون الألفاظ عن معانيها زوراً

٢٠٧٦- فَاسْتَنْ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُكَذِّبٍ

مِنْ بَاطِنِي قِرْمُطِيَّيَ جَانِ

٢٠٧٧- فِي ذَا بَسُتَّتِهِمْ وَسَمَى جَحْدَهُ

لِللَّحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ

٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلِ كِتَابِ بِلَاتِهِمْ

شَيْبَرًا بِشَبْرٍ صَارِحًا بِأَذَانِ

٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ

فَأَتُوا نَحَاكِمَكُمْ إِلَى الْوِزَانِ

٢٠٨٠- فِي الْكِفَّتَيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا

وَكَذَلِكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ

٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيْ

دِينِنَا صَرِيحَ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

٢٠٨٢- وَغَدَوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا

أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ

٢٠٨٣- مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ شُيُوخُكُمْ

لَا تَجْحَدُونَا مِنْ أَمَّةِ الْإِحْسَانِ

٢٠٨٤- فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَقَهُمِ

وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رِبَّةَ الْأَرْكَانِ

٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ وَأَيْنَ أَصُولُهَا

وَعَلَى يَدَيَّ مَنْ يَا أَوْلِيَ النُّكْرَانِ

٢٠٨٦- فَلَا بِيَّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْ

٢٠٨٧- إِنَّ التُّصَوِّصَ أَدِلَّةٌ لَفِظِيَّةٌ  
ثُمَّ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكْمَنَا الْعُقُولُ وَأَنْتُمْ  
لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيْقَانِ

٢٠٨٩- فَلَأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا  
أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

٢٠٩٠- الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعُ  
حَرْبِ الْخُزُوبِ وَنَحْنُ كَالِإِخْوَانِ

٢٠٩١- لَا بِالتُّصَوِّصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ  
زُورٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانِ

أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَحِبَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [٢٠٧٦:٢٠٨٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني أن هؤلاء المتأخرين من الأشعرية لما فتحوا باب التأويل للنصوص وحرفوها عن مواضعها حتى توافق ما رأته عقولهم، هيأوا بذلك فرصة عظيمة لأهل النفاق والكذب من القرامطة الباطنية أن يستنوا بستمهم في ذلك، فيجحدوا الحق المين، ويسموا ذلك تأويلاً بلا فارق أصلاً بين تأويل هؤلاء وتأويل أولئك، فالكل صرف للألفاظ عن ظواهرها وحمل لها معانٍ أخرى بمحض الهوى، فلو قدر أن أولئك المتأولين من الأشعرية لاموا هؤلاء الجناة من الباطنية على ما أوغلوا فيه من التأويل، لاستطاعوا إفحامهم بأننا تأولنا كما تأولتم، فنحن وأنتم في هذا الباب سواء، وإلا فدلونا على فارق يجعل التأويل حلالاً لكم وحرماً علينا، ونحن مستعدون أن نتحاكم نحن وأنتم إلى وزان يضع تأويلاتنا في كفة ويضع تأويلاتكم في الكفة الأخرى، وسترون حينئذ أن تأويلاتنا أرجح من تأويلاتكم، وأنا أولى بهذا الأمر منكم، لأننا أهل المنطق وأسأذنته، وأما أنتم فتلاميذ لنا فيه، وهذا أمر تقرون به ولا تنكرونه فنحن شيوخكم في المعقول، ومنا تعلمتم تركيب الأقيسة وفنون الحجاج، فمننا المعلم الثاني الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا اللذان مهذا لكم سبيل هذا العلم وإحكام قواعده، وأنتم عالة عليها في كل ما تقررونه، وإن أبيتم إلا الإنكار فارجعوا إلى مباحثكم وأسألوها وإلى قواعدكم فاستفتوها، وهي تنبئكم نبأ صدق من أين جاءتكم وأين وجدتم أصولها، وعلى يدي من وصلتمكم، حتى تقرروا لنا بالسبق في هذا المضمار والتفوق عليكم فيه.

وإذا تبين لكم هذا وتحققتموه، فنحن نسألكم لماذا أنتم مؤمنون ونحن كفار وطريقتنا واحدة والاتفاق بيننا قائم على: إن النصوص من الكتاب والسنة لا تكفي في إفادة اليقين الذي لا بد منه في باب الاعتقاد، لأن دلالتها لفظية لا تنفيذ إلا الظن بسبب احتمالها للحقيقة والمجاز، ولهذا رأينا نحن وأنتم أن نجعل العقل أصلاً

- ٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فَإِنْ وَرَاءَنَا  
 ذَاكَ الْعَدُوُّ الثَّقَلُ ذُو الْأَضْغَانِ
- ٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا  
 فَجَمِيعُنَا فِي حَرِّهِمْ سَيَّانِ
- ٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأَلَى قَالُوا بَانَ  
 نَ اللَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا  
 وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ
- ٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدِ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً  
 وَكَذَا ابْنُ مَرِيَمَ مُصْعَدَ الْأَبْدَانِ
- ٢٠٩٧- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَو  
 قَ الْعَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ
- ٢٠٩٨- وَكَذَاكَ يَنْزِلُ كُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ  
 نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَاهُنَا جِهَتَانِ
- ٢٠٩٩- لِلْإِتْدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَذَانِ لِيَلِ  
 أَجْسَامِ أَيُّنَ اللَّهِ مِنْ هَذَانِ
- ٢١٠٠- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ  
 قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِ
- ٢١٠١- أَيْكُونُ ذَاكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا

صَوْتٍ فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ<sup>(١)</sup>

٢١٠٢- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكِينَا عَنْهُمْ

مِنْ قَبْلِ قَوْلٍ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ

٢١٠٣- فَذَرُوا الْجِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُنُفَنَا

جَمْعًا عَلَيهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانِ

٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى

وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

٢١٠٥- فَلَقَدْ كَوَّنَا بِالنُّصُوصِ وَمَا لَنَا

بِلِقَائِهِمَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

الشَّح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب) يريد رَحِمَهُ اللهُ بذلك: تناقض هؤلاء الذين ينكرون صفات الله حيث يثبتون بعضاً منها وينكرون بعضاً، وكذلك

(١) [٢٠٩٦: ٢١٠١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وإذا كان الأمر كذلك من الاتفاق بيننا وبينكم على خطة سواء تقوم على عزل النصوص والاستمساك بحجج العقل، فيجب أن لا يكون بيننا عداوة أصلاً، وأن نكون إلباً واحداً في حرب هذا العدو المشترك الذي يحمل لنا كل ضغينة ويجاهرنا بالعداوة، وهم هؤلاء الذين اصطللحنا نحن وأنتم على تسميتهم بالمجسمة؛ لأنه يثبتون الجهة لله فيقولون: إنه بذاته فوق خلقه استمساكاً بظاهر قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وأن إليه تصعد الملائكة بأقوال العباد وأفعالهم كما قال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وأنها ترقى إليه بأرواح المؤمنين كما ورد بذلك الحديث الصحيح - وأن الرسول ﷺ قد عرج إليه ليلة الإسراء عروجاً حقيقياً حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وأن عيسى عليه السلام قدره الله إليه ببذنه كما نطقت بذلك الآيات من سورتي النساء وآل عمران، وأنه سبحانه مع كونه فوق العرش بذاته فهو في كل مكان بقدرته وعلمه، ويقولون كذلك أنه ينزل آخر كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً لورود الحديث الصحيح به مع ما يقتضيه ذلك من إثبات جهتين جهة ابتداء يتدعى منها النزول، وجهة انتهاء ينتهي إليها وذلك من خواص الأجسام، ويقولون أنه متكلم بكلام قام بذاته، وأن كلامه حروف وأصوات مسموعة إذ لا يعقل من الكلام إلا ذلك - والثقل بكسر الهمزة أي الثقل - والأضغان جمع ضغن وهو الحقد وقوله فهم عدوكم أي: أعداؤكم، ولفظ عدو يستعمل كثيراً في الجمع.

تناقض من يثبتون الأسماء دون الصفات فهم أيضًا متناقضون لا شك.

وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَّسِكَ الْعُمَيَّانِ

قوله: (وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم) أي: يتمسكون به تمسكًا قويًا جدًّا، (كتمسك الأعمى) الذي لا يبصر، والأعمى الذي لا يبصر يتمسك بالشيء وإن كان لا يراه ولا يعرفه أما ظواهر النصوص فلم يتمسكوا بها؛ ولهذا قال:

وَأَبَوَا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّصِّ نَصِّينَ وَاعْجَبَا مِنْ الْخُذْلَانِ

قوله: (واعجبًا من الخذلان) بأن يتمسكوا بظواهر أقوال شيوخهم ولا يخرجونها عن ظاهرها، ويرون أنها دالة دلالة يقينية على المراد بها، وأما القرآن والسنة وهما النصان فإنهم لا يتمسكون بظواهرهما بل ويجرفونها.

قَوْلَ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ إِذْ قَصَدُوهُمُ لِلشَّرْحِ وَالتَّيْيَانِ

فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ طَالًا لَمَّا رَأَمُوا بِرَاهَانَ

قوله: (قول الشيوخ محرم تأويله) سبحانه الله، قول الشيوخ عندهم محرم تأويله؛ لأنهم يأتون بالكلام يريدون به البيان؛ وإذا أتى الإنسان بالكلام وهو يريد خلاف ظاهره كان ذلك خلاف البيان، فشيوخنا يريدون البيان فإذا كانوا يريدون البيان، فالواجب أن نحمل كلامهم على ظاهره؛ لأن من أراد البيان لا يمكن أن يريد خلاف الظاهر، ولكن القرآن والسنة عندهم يُراد بها خلاف الظاهر إذن فهي ليست بيانًا فالبيان - عندهم - هو قول شيوخهم، أما الكتاب والسنة فليسا ببيان؛ ولهذا قال: (واعجبًا من الخذلان).

قوله: (فإذا تأولنا عليهم كان إبطالًا لما راموا بلا برهان) فهم يقولون - والعياذ بالله -: لو تأولنا كلام الشيوخ كان تأويلنا إبطالًا لما قصدوه بلا برهان، أما الكتاب والسنة فواجب أن نأولهما بلا برهان أيضًا.

فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمَرُّ نُصُوصُهُمْ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلُهَا لِيَبَيَّنَ

قوله: (فعلى ظواهرها تمر نصوصهم) أي: أن الواجب في كلام شيوخنا إمراره على ظاهره وألا نتعرض له بالتأويل ونحملها على الحقيقة لتتام البيان، والعياذ بالله.

يَأْتِيهِمْ أَجْرُوا نُصُوصِ الْوَحْيِ ذَا الْـ مُجْرَى مِنَ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

قوله: (يا ليتهم أجروا نصوص الوحي ذا المجرى) (نصوص الوحي) أي: القرآن والسنة، (ذا

المجرى) أي: أجروها هذا المجرى على ظاهرها، والسلف كانوا يجرون نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها ومن عباراتهم الشهيرة قولهم: (أمروها كما جاءت بلا كيف).

بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ التُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ غَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ

(تلك) أي: نصوص الكتاب والسنة؛ يعني: أنها - أي: نصوص الكتاب والسنة - لا تدل على اليقين بوجه من الوجوه بل دلالتها لفظية قابلة للتأويل.

لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

وهذا - والعياذ بالله - كلامهم ولا يبعد أن يكون الله سبحانه وتعالى قد طبع على قلوبهم؛ لأنهم لم يريدوا الحق وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] فالإنسان الذي لا يريد الحق لا يمكن أن يهتدي بنصوص الكتاب والسنة، إذ كيف يصطلي بالنار من يرى أنها ليست بنار، فإنه لا يمكن أن ينتفع الإنسان بالكتاب والسنة إلا مع علمه بأنهما حقٌّ وأنها يدلان على ما يقتضيه ظاهرهما.

وَسَطُوا عَلَى الْوَحْيِينَ بِالْتَّحْرِيفِ إِذْ سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا بَوَاضِعِ ثَانٍ

التحريف: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر، ولكنهم سموه تأويلًا.

قوله: (بوضع ثان) فليس هو بالوضع اللغوي ولا بالوضع الشرعي، بل بوضع آخر من عندهم فالتحريف الذي سموه تأويلًا هو في الحقيقة التحريف، لكنهم لبسوا على العامة وعلى صغار العلم، وقالوا: إنه تأويل، ولكنه في الحقيقة تحريف؛ لأن التأويل في القرآن والسنة لا يتعدى معنيين إما التفسير وإما الحقيقة التي يتوَلَّ إليها الأمر، فالتأويل في القرآن والسنة لا يعدو هذين المعنيين؛ ولهذا قال:

فَانظُرْ إِلَى «الْأَعْرَافِ» ثُمَّ «لِيُوسِفِ» وَ«الْكَهْفِ» وَافْهَمِ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قوله: (فانظر إلى الأعراف) أي: إلى قوله الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] فالمراد بالتأويل هنا الحقيقة التي أخبروا عنها وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون، ف«هل» هنا: استفهام بمعنى النفي، و«ينظرون» بمعنى ينتظرون؛ أي: ما ينتظر هؤلاء إلا وقوع ما أخبروا به من البأس والجزاء، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي: عاقبته ومآله، يقول تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: تركوا العمل له، يقولون: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ فهذا ما ورد في سورة الأعراف. وقوله: (ثم ليوسف) أي: ثم انظر لسورة يوسف؛ ففيها أيضًا ذكر التأويل، في قول يوسف

لأبيه: ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَاقِي حَقًّا﴾ ومعنى التأويل هنا: وقوع الرؤيا؛ لأنه قالها بعد أن سجدوا له، فهو كان قد رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين له في المنام، وأبوه وأمه وإخوته لما قَدِمُوا مصر رفع أبويه على العرش وخرُوا له جميعًا سجدًا فقال: ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: هذا وقوع ما رأيته في المنام.

وقوله: (والكهف) ففيها أيضًا: ذكر التأويل حين قال الخضر لموسى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: بوقوعه إذا وقع؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: وقوعه حين رأيته بعينك.

إذن التأويل في المواضع الثلاثة بمعنى: وقوع الشيء ومآل الشيء، وهذا المعنى كثير في القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] أي: عاقبة.

فَإِذَا مَرَرْتَ بِالِ عِمْرَانَ فِيمَا سَتَ الْقَصْدَ فَهَمَّ مَوْفِقِ رَبِّي

قوله: (فإذا مررت بآل عمران) و«آل عمران» هي معترك الأقوال والخلاف، والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ و«أم الكتاب» أي: أصله الذي يرجع إليه الكتاب، وقوله تعالى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ أي: تشبهه على الناس فليست بالمحكمة الواضحة التي يعرفها كل الناس، والمتشابه ينقسم الناس فيه إلى قسمين: قسم: زائغ القلب، وقسم: راسخ العلم، فيقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾، فلا يأخذون بالمحكم ويحملون المتشابه عليه، بل يأتون بالمتشابه من القرآن من أجل الفتنة أي: من أجل أن يفتنوا الناس؛ فيأتون بالآيات التي ظاهرها التعارض فيقولون: انظر هذا القرآن متناقض؛ لذا قال الله تعالى: ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: تحريفه عمًا أراد الله به.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: تأويل المتشابه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ والمراد بتأويله هنا، فيه قولان مبنيان على الوقف في الآية؛ فمن وقف على قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ مثل أكثر السلف قال: المراد بالتأويل العاقبة والمآل أي: لا يعلم مآل هذا المتشابه وعاقبته إلا الله، وأما الراسخون في العلم فلا يعلمونه لكنهم: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: فنؤمن بالمستقبل كما نؤمن بالحاضر كله من عند الله كله يجب الإيثار به.

وأما من وصل فقرأ: ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾ فعلى هذا الوجه يكون المراد بالتأويل: التفسير؛ أي: لا يعلم تفسير هذا المتشابه إلا الله، والراسخون في العلم يعلمونه، وهذا أحد القولين في المسألة، حيث قال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم

الذين يعلمون تأويله، يقول هذا عن نفسه؛ أي: يعلم تفسيره، فصار التأويل في آية «آل عمران» محتملاً للمأل والعاقبة التي لا يعلمها إلا الله وكذا للتفسير الذي يعلمه الله والراسخون في العلم. فابن القيم رحمته الله ذكر أن التأويل في المواضع الثلاثة: في الأعراف ويوسف والكهف بمعنى العاقبة والمأل، التأويل في «آل عمران» يقول فيه: امرر عليه وسيين لك الأمر، فإن وقفنا على «إلا الله»، فالتأويل فيها كالتأويل في الأعراف ويوسف والكهف، وإن وصلنا فالتأويل بمعنى التفسير. وَعِلِمَتْ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبِيحُ الْحَقِيقَةِ لِأَلِ الْمَجَازِ الثَّانِي

قوله: (المجاز) أي: عند أهل التحريف؛ فهم يقولون: إن التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، وبهذا نعرف أن أقسام التأويل ثلاثة: تأويل بمعنى التفسير، والثاني: تأويل بمعنى الحقيقة والمأل، والثالث، بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، وهذا الأخير هو المجاز الثاني الذي ذكره ابن القيم رحمته الله، لكنه اصطلاح المتأخرين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: لم يُعرَف هذا المعنى للتأويل إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة وإلا فالتأويل في القرآن والسنة، وكلام الصحابة بمعنى التفسير أو العاقبة أو المأل، وليس بمعنى: صرف اللفظ عن ظاهره أبداً.

وما قاله رحمته الله صحيح فإن معنى التأويل المشهور عند كثير من المتأخرين معنى حادث لم يكن معروفاً من قبل.

وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النَّفَاةِ مُخَالَفًا لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

وذلك لأن تأويل النفاة معناه: تحريف في الحقيقة؛ أي: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر لدليل، والدليل عندهم هو العقل.

الَلْفَظُ هُمُ أَنْشَأُوهُ مَعْنَى بَدَأَ كَالِاصْطِلَاحِ وَذَلِكَ أَمْرٌ دَانَ

قوله: (وذاك أمر دان) أي: أمر متأخر، و(اللفظ) أي: التأويل؛ وهم الذين أنشأوا معناه بهذا الاصطلاح الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، ولكنه كما قال رحمته الله: (أمر دان) أي: متأخر لم يعرف في عهد الصحابة والتابعين.

وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالتَّحْرِيفِ لِلْأَلْفَاظِ بِالْبَيْهَتَانِ

قوله: (الإلحاد في الأسماء) وذلك بأن قالوا: إنها لا تدل على المعنى، فـ «الرحمن» مثلاً لا تدل على الرحمة، فهي قد تدل على الإحسان أو إرادة الإحسان، أما على رحمة يكون بها الإحسان وإرادة الإحسان فلا تدل، وهكذا بقية الأسماء التي لا يثبتون معها الصفات أتوا إليها بالإلحاد.

وقوله: (والتحريف للألفاظ) أي: حرفوا معناها إلى معنى يخالف ظاهرها؛ تلييسًا هذا اللفظ.

فَكَسَّوهُ هَذَا اللَّفْظَ تَلْيِيسًا وَتَدَ لَيْسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانَ

فَاسْتَنَّ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِي قِرْمُطِي جَانِ

قوله: (فكسوه هذا اللفظ تلييسًا وتدليسًا) أي: أنهم سموا هذا التحريف تأويلًا، والإحاد سموه تأويلًا.

الخلاصة: أنه رَجَّلَهُ يرد على الأشاعرة الذين أنكروا ظواهر النصوص وحرفوها إلى معنى يخالف الظاهر، وأحدثوا للتأويل معنى جديدًا لم يكن معروفًا من قبل، وإنما هو في الحقيقة عندنا - أهل السنة - يعتبر تحريفًا وليس تأويلًا؛ لأن التأويل بهذا المعنى لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف.

وقوله: (فاستن كل منافق) «استن»: أي: اتبع هذا الطريق وهو طريق التحريف.

وقوله: (كل منافق ومكذب من باطني قِرمطي جان) «الباطنية» مذهبهم: أنهم يقولون: كل ما جاءت به الرسل فهو على الظاهر، أما باطن الأمر فليس كذلك أي: فليس كما جاءت به الرسل؛ ولهذا عندهم دينهم باطني لا يعرفه أحد، فهم يقولون: لا توجد جنة ولا نار ولا رب ولا يوم آخر فما يوجد شيء من هذا إطلاقًا، - نسأل الله العافية - حتى إن بعضهم قالوا: ولا عبادات ولا صلاة ولا صيام ولا حج، وإذا قيل لهم: الرسل جاءوا بهذا، قالوا: الرسل جاءوا يخاطبون العامة ويذكرون هذه الأشياء من أجل أن يستقيم العامة على ما جاءت به الرسل، كما أن الرسل ليس لهم مرسل وإنما هم قوم عباقرة أذكيا رأوا أن الناس لا يصلحهم إلا هذه الطريق فسنوا هذه الطريق وأهالوها بهالة من الترغيب والترهيب من أجل أن يستقيم الناس.

ومثال ذلك: الصبي إذا أراد يذهب إلى السوق نقول له: يا ولد تعال فإن هناك ذئب، لا شك أنه سيرجع، وكذا إذا أراد أن ينكص على عقبيه من طريق وأنت تحب أن يذهب معك فإنك تقل له: يا ولد ترى، هناك شخص يقسم تفاح، فلا شك أنه يذهب؛ لذا فهم يقولون: لا توجد جنة ولا نار لكن الرسل عباقرة أذكيا قالوا للناس: إنه توجد جنة ونار فالذي يطيعنا يدخل الجنة والذي يعصينا يدخل النار، فهذا هو مذهب القرامطة والباطنية.

حتى إنهم لا يقرؤون الصلاة ويقولون: هذه الصلاة عبارة عن رياضة بدنية يؤمر بها العامة دون الخاصة، وكذا الحج إلى مكة يؤمر بها العوام دون الخواص، وأيضا الصوم الذي هو الإمساك عن الأكل والشرب والشهوات يؤمر بها العوام دون الخواص، وقالوا: حج الخواص السفر إلى زيارة

أوليائهم الذين هم في الأصل أولياء الطاغوت، والصلاة - عندهم - هي: معرفة الأسرار؛ لأن الصلاة من الصلة حيث يتصل الإنسان بالأولياء ويعرف أسرارهم، وأما الصيام فهو كتمان الأسرار؛ لأن الصوم بمعنى الإمساك أي: أن الإنسان يمسك ما يعلم عن مذهبه؛ ولهذا فهم باطنية لا يسمحون لأحد أن يدخل في هذا المذهب إلا بعد أن يمرنوه.

وقد ذكر السفاريني في «شرح العقيد السفارينية»: (أن لهم عشر مراتب يصعد بها الإنسان)، ولكنه في الحقيقة ما يصعد بها بل ينزلها؛ ينزل بها مرتبة مرتبة حتى يصل إلى الحضيض في الوقت الذي يصل فيه هو - عندهم - إلى القمة فحيث يدخلوه في مذهبهم، فهؤلاء القرامطة الباطنية الملحدون توصلوا إلى هذا عن طريق التأويل، فقالوا: كل ما جاءت به الرسل فهو مجاز أما الحقيقة فكذا وكذا، وهؤلاء الأشاعرة وغيرهم من الذين أنكروا الصفات قالوا: ما جاءت به الرسل من الصفات فهو مجاز، والحقيقة كذا وكذا، خلاف ما جاءت به الرسل؛ فلهذا يقول: (استن كل منافق ومكذب من باطني قرمطي جان).

فِي ذَا بَسْتِيهِمْ وَسَمَى جَحْدَهُ      لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ  
وَأَتَى بِتَأْوِيلٍ كَتَأْوِيلَاتِهِمْ      شَبْرًا بِشَبْرِ صَارِحًا بِأَذَانِ  
إِنَّا تَأْوَلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ      فَآتُوا نُحَاكِمْكُمْ إِلَى الْوَرَانِ  
فِي الْكِفَّيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا      وَكَذَلِكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوَرَانِ

قوله: (إنا تأولنا كما تأولتم) المتكلم: الباطنية يخاطبون الأشاعرة ومن على شاكلتهم فيقولون: (فأتوا نحاكمكم) وطلب المحاكمة على هذا الوجه حق؛ لأن هؤلاء أولوا في الصفات، وهؤلاء أولوا فيما جاءت به الرسل، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: (إن تأويل هؤلاء في الصفات أعظم بكثير من تأويل أولئك في المعاد في الجنة والنار؛ لأن إقرار النفوس بما لله تعالى من صفات كمال أقوى بإقرارها من المعاد، وأيضا نصوص الكتاب والسنة في إثبات الصفات وتقريرها أكثر من نصوص الكتاب والسنة في تقرير المعاد؛ فلهذا كان هؤلاء أشد من أولئك المؤولين وإن كان أولئك أعظم من وجه).

هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَّا بِأَيِّ      دِينِنَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

قوله: (هذا وقد أقررتكم) الكلام موجه إلى الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة بنوا عقيدتهم على علم الكلام، وأصل علم الكلام: علم المنطق، وعلم المنطق متلقى من الفلاسفة الذين منهم هؤلاء الباطنية؛

ولذلك فالأشاعرة والمعتزلة ومن على شاكلتهم يعتبرون تلامذة الفلاسفة.

وَعَدَوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ

قوله: (وعدوتم فيه تلاميذًا لنا) المتكلم: القرامطة والباطنية الذين بنوا مذهبهم على الفلسفة، فيقولون: منا تعلمتم هذا.

مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ شُيُوخُكُمْ لَا تَجْحَدُونَا مِثْلَ الْإِحْسَانِ

قوله: (لا تجحدونا مئة الإحسان) أي: لا تجحدوا ما قد مننا به عليكم وأحسنًا به إليكم وتعادوننا، وابن القيم قد قال هذا؛ لأن الظاهر الآن أن الأشاعرة والمعتزلة يكفرون هؤلاء الباطنية وينكرون عليهم إنكارًا عظيمًا، لكن في الحقيقة أصولهم متشابهة أو متقاربة كما سيبين.

فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَقَهُمِ وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ

أي: سلوها من أين جاءت، لا شك أنها جاءت من عند الفلاسفة؛ لأن علم الكلام مبني على علم المنطق فهي قد جاءت منهم فسلوها.

مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ وَأَيْنَ أَصُولُهَا وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِي النَّكْرَانِ

أي: أتأخذون منا الأصول والقواعد وتبنون عليها عقيدتكم في الله ثم بعد ذلك تكفروننا وتقولون أنتم كفار.

فَلَأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

فهذا تناقض ولا شك، وأن هذه حجة لأهل الباطل ومن على شاكلتهم على الأشاعرة، لكن الحقيقة أن الأشاعرة أجابوهم بجواب حق فقالوا: نحن نؤمن بأن الرسل جاءت بإثبات الإله وإثبات المعاد وإثبات الجنة والنار، وقد علمنا أن الشبهة المانعة منه باطلة فثبت ذلك بالدليل السالم عن المعارض، وإذا ثبت بالدليل السالم عن المعارض يكون وجب القول به، وهذه هي حجة يدفع بها الأشاعرة والمعتزلة ومن شابههم مذهب القرامطة والباطنية وأشباههم.

وقد قال أهل السنة والجماعة في جواب الأشاعرة: هذا دليل جيد ونحن نوافقكم على هذا الدليل ونرد به قول الفلاسفة، لكننا نحتج به عليكم؛ لأن صفات الله عز وجل قد ثبتت بالدليل السالم عن المعارض الصحيح؛ لأنه لا معارض لأدلة الصفات إلا ما زعمتم أنها أدلة عقلية وهي في الأصل وهمية فوجب القول بشبوتها. فاحتج بذلك أهل السنة على الأشاعرة والمعتزلة بما احتج به الأشاعرة والمعتزلة على الفلاسفة والقرامطة وهذا هو الحق.

إِنَّ النَّصُوصَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ      لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيْقَانٍ  
فَلِذَلِكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ      أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

قوله: (أن النصوص أدلة لفظية لم تفض قط بنا إلى إيقان) وهذه مرتبطة بما ذكره في البيت السابق: (متفقان) أي: على: أن النصوص أدلة لفظية ولا نصل بها إلى اليقين، والاتفاق سببه أن القرامطة والباطنية يقولون: نحن نحكم العقل، والمعتزلة والأشاعرة يقولون: نحن أيضًا نحكم العقل، فلذا قالت الباطنية والقرامطة: ما دمتنا نحن وأنتم نرجع إلى العقل ونقول: إن القرآن والسنة أدلة لفظية غير قابلة للإيقان فلماذا تعادونا فنحن إخوانٌ ومصطلحان.

فَلَا يَشِيءُ قَد رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا      حَرَبَ الْبَسُوسِ وَنَحْنُ كَالْإِخْوَانِ  
الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعْد      زُورٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانِ

قوله: (حرب البسوس) أو الحروب وهي حروب معروفة في الجاهلية.

وقوله: (الأصل معقول) فالأصل المشترك بيننا وبينكم هو العقل.

وقوله: (ولفظ الوحي معزول) أي: أن لفظ الوحي معزول عن اليقين؛ لأن نصوص القرآن والسنة - عندهم - ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، والعقل هو الذي يفيد اليقين.

وقوله: (ونحن وأنتم صنوان) الصنوان: هما الغصنان في أصل واحد.

لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ      أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ  
فَذُرُّوا عَدَاوَتَنَا فَإِنَّ وِرَاءَنَا      ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقُلُ ذُو الْأَضْغَانِ

قوله: (فإن وراءنا ذاك العدو الثقل ذو الأضغان) أي: لنا عدو ثالث خلونا يقوي بعضنا بعضًا عليه، وذلك كما يقول الصبيان: خلونا جميعًا نتكاثر عليه من أجل أن نقضي عليه.

فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا      فَجَمِيعُنَا فِي حَرْبِهِمْ سَيِّانِ  
يقصدون بالأعداء هنا: أهل السنة.

تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأَلَى قَالُوا بَأَنَّ      نَ اللَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

قوله: (تلك المجسمة) أي: الذين يعطلون صفات الله عز وجل أو عبارة أصح يعطلون الله من صفاته، ويسمون كل من أثبت صفة لله مجسمًا؛ من أجل أن يشوهوا طريقهم عند العامة حتى لا يسلكوا طريقهم؛ لأنهم إذا قالوا: مجسمة قالوا: إذن هم يعبدون جسمًا والذي يعبد جسمًا يعبد صنمًا إذ لا فرق بين معبوده وبين اللات والعزى، فيشوهون سمعتهم بهذه الألقاب السيئة،

وسموهم حشوية من حاشية المتاع يعني: ليسوا بشيء، وسموهم نوابت وهي: التي تكون في الزرع سرورة لا تنفع بل تفسد الزرع فلذا سموهم نوابت، وهذه الألقاب السيئة قد ورثوها من أئمتهم أعداء الرسل الذين قالوا للرسل إنهم سحرة مجانين: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنِبٌ﴾ [الذاريات ٥٢] فهو لاء يسمون أهل السنة الذين يثبتون الصفات لله المجسمة. وقوله: (الألى) أي: الذين قالوا كما قال ابن مالك: (جمع الذي الألى)، فالألى بمعنى: الذين، ومنه قول الشاعر:

وتبلى الألى يستلثمون على الألى تراهن يوم الروع كالحداً القبل

ومعنى «يستلثمون»: أي: يلبسون لأمة الحرب، (على الألى تراهن) الألى الثانية بمعنى: اللائي؛ أي: على الخيل اللائي تراهن يوم الحرب كالحداً القبل، والحداً: جمع حداة، والقبل: أي: التي تنظر من جانب واحد فتنقض على الفريسة.

وإليه يصعد قولنا وفعالنا وَإِلَيْهِ تَرَقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ

قوله: (إليه تصعد) (ترقى) كل هذه الألفاظ لا تكون إلا فيما هو فوق.

وإليه قد عرج الرسول حقيقتةً وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مَصْعَدَ الْأَبْدَانِ

قوله: (وإليه قد عرج الرسول حقيقة) فقد عرج الرسول حقيقة إلى الله ببدنه؛ ولهذا قال: (مصعد الأبدان)؛ فالنبي ﷺ قد عرج به إلى ما فوق سبع سماوات حتى وصل إلى مكان سمع فيه صريف الأقلام - أي: صريف أقلام القضاء - كما وصل إلى سدرة المنتهى فهو قد صعد هذه السماوات العظيمة الواسعة البعيدة في ليلة واحدة، صعداها ورجع إليها وحصل منه صلواته بالأنبياء، كما سلم على الأنبياء، وكذلك أيضًا حصل مراجعة بينه وبين ربه عز وجل في فرض الصلوات الخمس، كل هذا في ليلة واحدة وجاء إلى مكة من بيت المقدس في ليلته واستيقظ من يومه وصار يحدث الناس بما رأى فكذبه المكذبون وأنكروا وقالوا: نحن نذهب إلى الشام مسيرة شهر ونرجع إلى الشام مسيرة شهر ومحمد يدعي أنه وصل الشام ووصل إلى العرش في ليلة واحدة فلا شك أن هذا كذب، فاجتمعوا عنده وكذبوه وذهبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه وقالوا: إن صاحبك يقول كذا وكذا فانظر ماذا ترى؟ قال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق رضي الله عنه (١) فمن ذلك اليوم سُمِّي الصديق.

فالحاصل: أن الرسول ﷺ عرج به ببدنه، وأما قول من قال: أنه عرج بروحه، فهو قولٌ

باطل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] فقال ﴿بِعَبْدِهِ﴾ ولم يقل: «بروح عبده»، وقال في المعراج كما ذكر في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٧-١٨] أي: أنه رأى بنفسه ولو كان قد عرج بروحه لم تكن قريش لتكذبه؛ لأن قريشًا لا تكذب بالرؤيا، حيث أن كل إنسان يرى ما لا يمكن في ليلة ولا في شهر ويراه في منامه في ساعة، فلو كان منامًا ما كذبت قريش.

وقوله: (وكذا ابن مريم) فابن مريم عُرج به إلى الله حقيقة بيدنه وليس بروحه كما ادّعه بعض المتأخرين وقالوا: إن عيسى لم يرفع بيدنه وإنه لا ينزل إلى الدنيا في آخر الزمان، ولكن هذا قول باطل مخالف للقرآن والسنة وإجماع السلف، فالصحيح: أن ابن مريم رفعه الله إليه بيدنه لا بروحه فقط؛ لأن الأرواح لا يختص بها ابن مريم، حيث إن كل مؤمن فإن روحه ترفع إلا الله. المهم: أن هؤلاء المعطلة الذين عطلوا الله عن صفاته والذين عطلوا نصوص المعاد عن معانيها شنوا هجومًا على أهل السنة المجسمة على حدّ تعبيرهم.

وَكَذٰلِكَ قَالُوۡا اِنَّهٗ بِالذَّٰتِ فَوَّ قِ الْعَرْشِ قُدْرَتُهٗ بِكُلِّ مَكَانٍ

قوله: (كذلك قالوا) الضمير هنا يعود على أهل السنة الذين ساهم هؤلاء بالمجسمة، وقالوا إن الله بالذات فوق العرش بذاته سبحانه وتعالى وإنما قالوا فوق العرش بذاته ردًا لمن قالوا: إنه لم يكن فوق العرش بذاته ولكنه فوق العرش بنوعه كما يُقال الذهب فوق الفضة لكن قالوا بذاته ردًا عليه وإلا فلا حاجة أن يقال بذاته؛ لأن كل فعل أضافه الله إلى نفسه فهو إلى ذاته، مثلًا خلق السماوات والأرض فلا نحتاج نقول: بذاته فهو خلقها نفسه وهكذا جميع ما أُضيف إلى الله فهو يضاف إليه نفسه، قدرته بكل ما كان: هم قالوا (استوى على العرش) أي: ملك العرش وقهره فقال لابن القيم: فقدرته لا تختص بالعرش لأن قدرته في كل مكان ما هي على العرش فقط.

وَكَذٰلِكَ يَنْزِلُ كُلُّ اَحْرٍ لَيْلَةً نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَاهُنَا جِهَتَانِ

لِلْاِبْتِدَاءِ وَالْاِنْتِهَاءِ وَذٰنِ لِلْاَجْسَامِ اَيِّنَ اللّٰهِ وَاَيِّنَ هٰذَانِ

فالمعطلة قالوا: إن هؤلاء المجسمة يقولون: إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء حين يبقى ثلث الليل الآخر حتى يطلع الفجر فيها هنا جهتان جهة للابتداء من نصف الليل وجهة للانتهاء إلى طلوع الفجر، (وذان للأجسام) يعني: ما يمكن أن يكون نزول وطلوع مؤقت بوقت إلا للأجسام:

وهؤلاء المعطلة يقولون: أين الله أيكون جسمًا وله ابتداء بنزوله وابتداء بانتهاه النزول.

وَكَذٰلِكَ قَالُوۡا: اِنَّهٗ مُتَكَلِّمٌ قَامَ الْكَلَامُ بِهٖ فَيَا اِخْوَانِي

أَيَكُونُ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا صَوْتٍ فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

هذا أيضًا مما شنعوا به على أهل السنة قالوا: إن الله يتكلم بكلام قام بذاته فهل يمكن أن كلام بلا حرف ولا صوت؟ لا؛ إذًا تقوم به الحروف والأصوات فيكون حادثًا: لأن الحوادث لا تقوم إلا بحدوث، نسأل الله العافية.

وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكِينًا عَنْهُمْ مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ

يعني: قالوا أيضًا سوى هذا من كل ما يدل على التشبيه، وهذا لا شك أنه رمي بالبهتان لأهل السنة والجماعة.

فَذَرُوا الْحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كَلْنَا جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانِ

وهم يقولون يجب أن نشن عليهم الغارة جميعًا من أجل أن نقضي عليهم، ولكننا نقول: والله لن يقضوا على الحق بباطلهم؛ لأن الله يقول ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]

حَتَّى نُسَوِّقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى وَسْطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

(نسوقهم): يعنون أهل السنة، (إلى وسط العرين) هو مقر الأسود، (ممزقي اللحمان) يعني: أن الأسود تأكلهم وتمزقهم ولكن هل يحصل لهم هذا؟ ما يحصل ولهذا هم أقروا بضعفهم وقلة حيلتهم أمام أهل السنة إذ يقولون:

فَلَقَدْ كَوُونَا بِالنُّصُوصِ وَمَا لَنَا بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

قوله: (كورونا) يعني: أذاقونا حرَّ النصوص فلم نستطع أن نتخلص؛ ولهذا قال: (وما لنا بليقائها أبد الزمان يدان).

وذلك لأننا ما لنا فيها قوة؛ لأن النصوص كلُّ يقبلها حتى العامة يقبلونها إذا قيل لهم قال الله وقال رسوله توقفوا وأخذوا بها.

كَمْ ذَا بَقَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِ لَنَا وَبَنَانِ

يعني: معناه ما أكثر ما يقال: وقال الله قال رسوله من فوق أعناقنا وبناننا وإنما قال من فوق الأعناق والبنان تشبيها بقوله تعالى ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] يعني: أن هذا القول منا بمنزلة ما فعلت الملائكة بالكفار يوم بدر.



\* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٢١٠٧- إِنْ نَحْنُ قُلْنَا قَالَ أَرَسَطُوا الْمُعَدَّ

لِمُمْ أَوْلاً أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي

٢١٠٨- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا ابْنُ سَيْنَا قَالَ ذَا

أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبِيَّانِ

٢١٠٩- قَالُوا لَنَا قَالَ الرُّسُولُ وَقَالَ فِيهِ الـ

قُرْآنَ كَيْفَ الدَّفْعِ لِلْقُرْآنِ؟

٢١١٠- وَكَذَاكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضاً بِهِـ

ذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَيَانِ<sup>(١)</sup>

٢١١١- إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوْكُمْ

بِالنُّصِ مِنْ أُنْثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

٢١١٢- فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا

حَزْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانِ

(١) [٢١٠٧: ٢١١٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكذلك قالوا ما روينا عنهم قبلاً من إثبات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق والأصبع مما هو فينا أبعاض، ومن إثبات الرضى والمحبة والكرهية والمقت والغضب والضحك والعجب وغير ذلك مما هو فينا أعراض، فشبها الله بخقله، ونحن وأنتم متفقون على استحالة ثبوت هذه الصفات لله. فاتركوا إذن محاربتنا ولنحمل جميعاً عليهم حملة واحدة حتى ندعهم في الميدان أشلاء متناثرة ونشفي منهم غيظ قلوبنا، ونستريح من تطاولهم علينا بالنصوص التي طالما كوونا بها وجرعوننا غصصها، وما لنا قدرة على مناجزتها وهم دائماً يجمعون في هذه النصوص ويعتصمون بها عند المصاولة ويشهرونها في وجوهنا سيوفاً مسلولة، فكلما قلنا لهم: قال أرسطوا المقلب عندنا بالمعلم الأول، أو قال الفارابي الذي هو المعلم الثاني، أو قال ابن سينا الذي لقبناه بالشيخ الرئيس، أو قال أبو عبد الله فخر الدين الرازي صاحب كتاب التبيين في تفسير القرآن، قابلونا بقولهم: قال الرسول كذا وقال الله في القرآن كذا، وهل نملك للقرآن دفعا أن نستطيع له رداً، وكذلك حالكم معهم أيها المتأخرون من الأشاعرة، فأنتم منهم كما نحن بأضيق المنازل وأهونها، كلما جئتموهم بما تزعمون أنه مقررات العقول أتوكم بالنص الصريح من الكتاب والسنة، فلتتأزر نحن وأنتم في القضاء عليهم وتشتيت جموعهم حتى تسلم لنا مناهجنا القائمة على العقل وحده الذي وثقنا نحن وأنتم فيه وارتضينا حكمه دون هذه النصوص التي لا تخلو من إجمال واشتباه.

٢١١٣- فَإِذَا فَرَعْنَا مِنْهُمْ فَاخْلَفْنَا

سَهْلٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَخْوَانِ

٢١١٤- فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ

مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِإِلَّا كِتْمَانِ

٢١١٥- مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي

لِأَشْيَاءِ فِي الْأَذْهَانِ وَالْأَعْيَانِ

٢١١٦- مَا اللَّهُ مُوجُودٌ هُنَاكَ وَإِنَّمَا الـ

عَدَمُ الْمُحَقَّقِ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١١٧- وَاللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً

بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِي

٢١١٨- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا

وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ

٢١١٩- وَكَذَلِكَ جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي الثَّ

تَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ

٢١٢٠- لَيْسَتْ كَلَامَ اللَّهِ بَلْ فَيْضٌ مِنَ الـ

فِعَالِ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

٢١٢١- فَالْأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا

فَوْقَ السَّمَاءِ لِلخَلْقِ مِنْ دِيَّانِ

٢١٢٢- بَشَّرَ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ

فِي ذَلِكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [٢١٢١، ٢١٢٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

فالاتفاق بيننا وبينكم قائم على نفي أن يكون لله كلام في الأرض، أو أن يكون بذاته على العرش، بل الذي

٢١٢٣- وَكَذَلِكَ قُلْنَا إِنْ رُؤِيتَنَا لَهُ

عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢١٢٤- وَزَعَمْتُمْ أَنَا نَرَاهُ رُؤِيَةً الـ

مَعْدُومِ لَأَلْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ

٢١٢٥- إِذْ كُلُّ مَرِيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ

أَوْ غَيْرِهِ لَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ

٢١٢٦- مِنْ أَنْ يَقَابِلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً

مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانِ

٢١٢٧- وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا

أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ

٢١٢٨- أَمَا الْبَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمِ

قَالَ الْقُرْآنُ بَدَا مِنْ الرَّحْمَنِ

٢١٢٩- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَا

لَفْظاً وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٢١٣٠- سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى

دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٢١٣١- فَلَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ

وَالْقَوْلُ قَوْلُ مَنْزِلِ الْفَرْقَانِ

٢١٣٢- هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ إِنَّهُ

عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بُطْلَانِ

٢١٣٣- فَلِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعاً أَنَّهُ

- مَا بَيَّنَّا لِلَّهِ مِنْ قُرْآنٍ  
 ٢١٣٤- إِلَّا كَبَّيْتُ اللَّهُ تِلْكَ إِضَافَةٌ إِلَى  
 —مَخْلُوقٍ لَا الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ  
 ٢١٣٥- فَعَلَّامٌ هَذَا الْحَرْبُ فِيمَا بَيَّنَّا  
 مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ  
 ٢١٣٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ سِلْمَنَا فَتَحَيَّرُوا  
 لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِإِذْعَانِ  
 ٢١٣٧- عُودُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُوا دِينَنَا إِلَى  
 إِثْبَاتِ دِينِ مُشَبِّهِهِ الدِّيَانِ  
 ٢١٣٨- أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا  
 شَأْنُ الْمَنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ  
 ٢١٣٩- هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ  
 تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ  
 ٢١٤٠- هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَاوِدٌ  
 هُوَ مُثَبِّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ  
 ٢١٤١- يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُولُ وَتَارَةً  
 يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالتُّكْرَانِ<sup>(١)</sup>

(١) [٢١٤١] قال العلامة محمد خليل هراس:

والحق أن هذه الفرقة التي تسمى بالأشعرية، لا سيما المتأخرين منها، أشد الفرق حيرة واضطراباً وتذبذباً، بسبب أنهم أرادوا الجمع بين العقل والنص، فلا للنص نصروا، ولا لخصومهم من الفلاسفة والمعتزلة كسروا؛ لأنهم لما جاروا هؤلاء الخصوم في كثير مما ذهبوا إليه من النفي والتعطيل أعانواهم على أنفسهم. وأعطوهم سلاحاً يقابلونهم به كلما أرادوا التعرض لهم، ومن يقرأ كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد في الرد على كتاب «تهافت الفلاسفة» للغزالي، يظهر له جلياً كيف أعان هؤلاء الأشاعرة خصومهم على ضربهم في الصميم.

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

إِنْ نَحْنُ قُلْنَا قَالَ أَرِسْطُو الْمُعَدُّ لِمِ أَوْلَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي

يعني: إننا نحتج عليهم بأن هذا قول أرسطو ويسمونه المعلم الأول لكنه معلم الشر والفساد - والعياذ بالله - ومن دعى إلى ضلالة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ويسمى المعلم الأول أما المعلم الثاني فهو الفارابي وهو أيضاً من أساطين الفلاسفة قوله: (ذاك الثاني) إشارة إلى الفارابي.

(وكذلك إن قلنا ابن سينا قال ذا:) ابن سينا هو الرئيس عندهم وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم بأن الرجل كافر وهو عند قوم من المتأخرين القوميين مؤمن لكنه عند ابن تيمية وابن القيم مؤمن بالطاغوت كافر بالله؛ ولهذا لا يجوز أن يبجل أو يعظم أو تنسب المدارس إليه أو ما أشبه ذلك ولا يفعل هذا إلا رجل جاهل لا يعلم.

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا ابْنَ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِي ذُو التَّبِيَانِ

(ذو التبيان) هو الرازي كان من أساطينهم وهو رجل طيب ولا أظنه الرازي الذي له التفسير المشهور الذي يُلقَّبُ «فخر الدين» قالوا: إذا قلنا هذا قال أرسطو أو الفارابي وابن سينا والرازي، قالوا لنا: قال الرسول وقال في القرآن، فما الفرق بين القولين؟ فرق عظيم؛ ولهذا قال (كيف الدفع للقرآن؟) إذا قالوا قال الله قال رسوله كيف ندفع هذا؟

وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضاً بِهِ ذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكَ الَّذِي تَرِيَانِ

قوله: (أنتم) يخاطبون الأشاعرة وأشباههم ممن نفوا الصفات يقولون: إنكم إذا قلتُم دَلَّ العقل على كذا قالوا دل القرآن والسنة على كذا فهذا معترك ضنك.

إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوَكُّمُ بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

و نحن أيضا إذا جئناهم بكلام أرسطو والفارابي وابن سينا أتونا بها في القرآن؛ إذا أنتم تستدلون بالعقل فيدمغونكم بالقرآن والسنة فصاروا عدواً لنا جميعاً فانظر كيف صاروا عدواً لهؤلاء ولهؤلاء!؟

فَتَحَاكَلُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ

معناه لنجر حلقاً بيننا وبينكم أننا حرب عليهم وأنا فيما بيننا سلمان.

فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْهُمْ فَخِلَافُنَا سَهْلٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَخْوَانِ

يعني: دعونا نقضي عليهم جميعاً وإذا انتهينا فالخلاف بيننا وبينكم سهل.

فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلاَ كِتْمَانِ

لأن المعتزلة والأشاعرة وأشباههم ينكرون استواء الله على العرش ويقولون: أبداً ليس الله فوق العرش ما فوق العرش أحد والفلاسفة كذلك؛ لأن الفلاسفة ينكرون الله رأساً.

مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي لَأَشْيَاءٍ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَذْهَانِ

مَا اللَّهُ مَوْجُودٌ هُنَاكَ وَإِنَّمَا الـ عَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

وَاللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً بِالذَّاتِ عَكْسُ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِي

قوله: (عكس مقالة الديصاني) الديصاني أمة ضالة شبهوا بهم أهل السنة، فأهل السنة

يقولون: إن الله عز وجل موجودٌ فوق العرش وهم يقولون: لا ليس موجوداً فوق العرش فما

فوقه أحد؛ لأن الأشاعرة والمعتزلة ينكرون استواء الله على العرش والفلاسفة ينكرون وجود الله

أصلاً؛ إذاً ليس فوق العرش أحد على رأى هؤلاء وعلى رأى هؤلاء:

هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ

فإذا نحن وأنتم سواء.

وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي الثَّ

لَيْسَتْ كَلَامَ اللَّهِ بَلْ فَيُضُّ مِنَ الـ سَتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ

أي أننا أيضاً متفقون معكم على أن التوراة التي أنزلها الله على موسى والإنجيل على عيسى

والفرقان على محمد ﷺ ليست كلام الله - وهذا من باب الإجماع - والمعتزلة يقولون: القرآن ليس

كلام الله بالمعنى الذي يريده أهل السنة والأشاعرة يقولون: هذا القرآن ليس كلام الله والفلاسفة

أيضاً يقولون: ليس كلام الله؛ لأنه ما يوجد إله لكن هناك عقل فعال يدبر الكون وليس هو الله

وهذا الكلام كلامهم؛ ولهذا يقول: (ليست كلام الله بل فيض من الفعال) هذا مذهب الفلاسفة،

(أو خلق من الأكوان:) هذا مذهب المعتزلة والأشاعرة.

فالفلاسفة يقولون: هذا الكلام فيض من العقل الفعال يفيضه هذا العقل على بشر قابل له

فيتكيف بكيفية هذا النور الذي ألقاه عليه العقل الفعال ثم ينطق بالكلام، والأشاعرة والمعتزلة

يقولون: هذا الكلام المسموع المكتوب ليس كلام الله، المعتزلة يقولون: هو خلق خلقه الله مثلما

خلق السماء والأرض لكن أضافه إلى نفسه من باب التشريف، والأشعرية يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بنفسه وخلق أصواتاً تدل عليه وتعبّر عنه؛ فإذا هذا القرآن على كلا القولين مخلوق ولهذا يقول: (أو خلق من الأكوان).

فَالأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِلْخَلْقِ مِنْ دِيَانٍ

الأرض ما فيها له قول؛ لأن ما فيها إلا شيء مخلوق (ولا فوق السماء للخلق من ديان).

بَشَرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ

وَكَذَلِكَ قُلْنَا إِنْ رُؤَيْتَنَا لَهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

قال الفلاسفة وأهل التعطيل أيضاً من أشاعرة وغيرهم: إن رؤيتنا لله عين المحال يعني: استحيل أن نرى الله عز وجل، وقد سبق لنا أن رؤية الله قد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع السلف وأنها رؤية حقيقية بالعين.

وَرَزَعَمْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ رُؤْيَا رُؤْيَا الـ مَعْدُومٌ لَا الْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أن الرؤية التي جاءت في الكتاب والسنة يراد بها رؤية المعدوم ورؤية المعدوم الذي لا يرى بالعين يعني: العلم به؛ ولهذا يفسرون الرؤية بأنها تمام اليقين فيقولون: إنهم يرون الله أي: يتيقنونه حقاً كما يتيقن الرائي من رآه حقاً لماذا لا يرونه رأى الموجود؟ قال:

إِذْ كُلُّ مَرِيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ لَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ

يعني: كل مرئي فلا بد أن يكون قائماً بنفسه أو قائماً بغيره فالجسم مثلاً إذا رأيناه رأيناه قائماً بنفسه واللون في الجسم إذا رأيناه رأيناه قائماً بغيره فلا بد من أن يقابل، لا بد في البرهان.

مَنْ أَنْ يَقَابِلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانٍ

يعني: لا بد أيضاً من نسبة بين الرائي والمرئي وهي المقابلة فلا بد من ذلك، وبغير المقابلة لا تمكن الرؤية.

وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ

إذا الأشاعرة ينكرون أن الله يرى - نسأل الله العافية - مع أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إن هذه البدعة بدعة مكفرة حتى إنه نقل في بعض المواضع من كلامه اتفاق السلف على تكفير من أنكروا رؤية الله قال: لأنها جاءت في الكتاب والسنة وأجمع عليها السلف، والنبى ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَرَرُونَ

رَبِّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ وَكَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرِ<sup>(١)</sup> وهل أبلغ من هذا الكلام في أن الرؤية رؤية عين؟! أبدًا، لا أبلغ من هذا الكلام ولا أوضح من هذا الكلام فمن أنكره فقد أنكر ما مدلوله أمرٌ قطعي لا شك فيه.

أَمَّا الْبَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلٌ مُجَسِّمٌ قَالَ الْقُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ

ومن المجسم في نظر هؤلاء؟ المثبت لصفات الله فكل من أثبت صفات الله فهو عندهم مجسم. هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

وهذا معناه: أن أهل السنة والجماعة يرون أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه وأنه منه بدأ وإليه يعود. قوله: (سمع الأمين كلامه منه) الأمين: هو جبريل عليه الصلاة والسلام ائتمنه الله على وحيه وجعله سفيرًا بينه وبين رسوله.

سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَدَّاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

و هو محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فَلَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَاءُ لِرَسُولِهِ وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ

قوله: (له) أي: لجبريل الأمين الأداء حيث يؤديه إلى محمد ﷺ، كما أن الأداء لرسوله يؤديه إلى الأمة، (والقول قول الله ذي السلطان) فهذا هنا ثلاثة: الله عز وجل فالقرآن قوله منه بدأ، وجبريل مبلغ إلى الرسول محمد ﷺ، ومحمد ﷺ مبلغ إلى الأمة؛ ولهذا أضاف الله القرآن إلى جبريل وإلى محمد فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١] من المراد برسول هنا؟ محمد؛ لأنه قال ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] وهذا جبريل، ومحال أن يكون القول من قائلين؛ إذا فنسبة القول إليهما نسبة أداء وتبليغ، أما الأصل فالذي قاله أصلاً وابتدأه فهو الله عز وجل ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بُطْلَانٍ

هم يقولون: مستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يتكلم بكلام يُسمع يُسمعه جبريل فيؤديه إلى محمد، كيف ذلك؟ لأن الفلاسفة يقولون: إن القرآن فيض من العقل الفعّال وليس كلام ذي

الجلال والإكرام، والأشاعة يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بنفس الله وأما هذه الحروف والأصوات التي سمعها جبريل فهي مخلوقة؛ ولهذا اتفقوا على أنه من المستحيل أن يكون القرآن كلام الله.

فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعاً أَنَّهُ مَا بَيْنَنَا لِلَّهِ مِنْ قُرْآنٍ  
إِلَّا كَبَيْتَ اللَّهُ تِلْكَ إِضَافَةً إِلَى مَخْلُوقٍ لَا الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

وبيت الله مخلوق وليس صفة من صفاته، أضافه الله إليه على سبيل التشريف والتعظيم.

فَعَلَامٌ هَذَا الْحَرْبُ فِيمَا بَيْنَنَا مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ  
فَإِذَا أَيُّتُمْ سَلَمْنَا فَتَحَيَّزُوا لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِإِذْعَانِ

يعني: إن أبيتم سلمنا وقتلتم أتمت حرب لنا ولا نكون معكم ولا في صفكم فتحيزوا لمقالة التجسيم بالإذعان: وهي مقالة السلف وأهل السنة والجماعة.

عُودُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُوا دِينَنَا إِلَى إِثْبَاتِ دِينِ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ

فقوله: (عودوا مجسمة وقولوا ديننا الإثبات) يبين فيه أن من كان مثبتاً فهو عندهم مجسم مشبه؛ ولهذا قال: (دين مشبه الديان) أو لا يعني: أو لا تحيزون إلى أهل التجسيم، أو مقالة التجسيم.

(أو لا فلا منا ولا منهم) يعني: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣] وذا شأن المنافق إذ له وجهان.

المنافق له وجهان يلقي المؤمن بوجه ويقول: نحن معكم آمنة بالله ويلقى الكافرين بوجه فيقول: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فله وجهان - والعياذ بالله - نسأل الله أن يحمينا وإياكم من ذلك.

هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُضُومُهُ تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

فهو تارة يقول هكذا وتارة يقول هكذا، هو قائم هو قاعد: قائم مع القائمين وقاعد مع القاعدين.

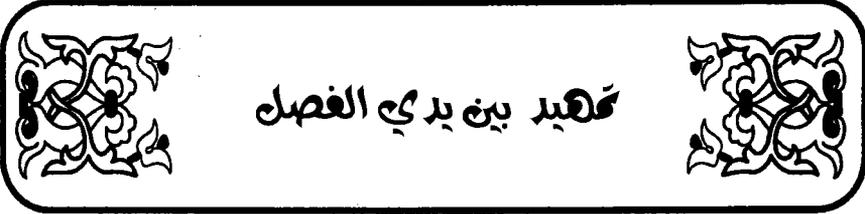
قوله: (هو جاحد هو مثبت) أي: أنه جاحد مع الجاحدين مثبت مع المثبتين، ليس له قاعدة يستقيم عليها وهو مثبت تلقاه ذا ألوان.



يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُولُ وَتَارَةً يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالنُّكْرَانِ

أحياناً يؤول ويحرّف، وأحياناً لا يؤول ولا يحرف، بل ينكر التأويل وهكذا هؤلاء مذبذبون؛ ولذلك لا تكاد تجد أحداً من أهل الكلام يثبت على قدم راسخة، بل إنه ينقض نفسه بنفسه، فتجده في موضع من كلامه يقول هذا واجب لله وفي موضع آخر يقول: هذا ممتنع على الله في موضع ثالث يقول: هذا جائز، هذا وهو واحد منهم بقطع النظر عن مجموعهم فلو نظرنا إلى مجموعهم لوجدنا بعضهم يكذب بعضاً.





## عهد بين يدى الفصل

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

### فصل

#### في المطالبة في الصُرق بين ما يتأول، وما لا يتأول

وهذه المطالبة موجهة إلى الكلابية والأشعرية والماتريدية الذين يشبتون الصفات السبع، وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، وينفون ما عداها من الرحمة والرضى والغضب والعلو والاستواء على العرش وغيرها فإذا قيل لهم: فرقوا بين ما أثبتتم وما نفيتم إذ الجميع وردت في الكتاب والسنة ورودًا واحدًا مثبتة لله كسائر ما يثبت له من الأسماء والأوصاف، فكيف تأولتم ما نفيتم وتركتم ما أثبتتم؟ فقالوا: ما يقتضي التجسيم تأولناه لأن الجسم من خصائص المحدثات المخلوقة فهذا الذي تأولناه ما نعقل منه إلا التجسيم فتعين فيه التأويل، بخلاف الصفات السبع فإنها لا تدل على التجسيم بل تثبت لله على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

فقال لهم أهل الإثبات: هلا سلكتم هذا المسلك في الصفات الأخر وأثبتتموها لله على وجه لا يائله فيه أحد من الخلق بوجه من الوجوه كما هو الحق الواجب. فتفريقكم بين الأمرين تفريق بين متماثلين، فإذا قالوا: ما نفهم من هذا الذي تأولناه إلا التجسيم فتعين نفيه؛ قال لهم النفاة من الجهمية ونحوهم: ما نفهم من الصفات السبع إلا التجسيم، فتعين نفيها، فما أجابوا به الجهمية من أنهم يشبتونها وينفون عنها خصائص المخلوقين يقول لهم أهل السنة فافعلوا هذا في بقية الصفات فالباب الواحد، فرقًا صحيحًا ومن المعلوم اليقيني أنهم لا يهتدون إلى فرق بين الصفات بإثبات بعضها ونفي بعضها، ولو نشرت شيوخهم لعلمنا أن الجميع طريقه واحد، والتماثل بين الصفات أمر يقيني قطعي لا تؤثر فيه الشبهات والفروق الخيالية.

فلذلك فرَّ بعضهم إلى فرق آخر خياليٍّ وهمي فقال: ما دل عليه العقل وهي الصفات السبع أثبتناها، فإن وجود المخلوقات دل على القدرة، وما فيها من التخصيصات دال على الإرادة، وذلك دليل العلم، والعلم والقدرة والإرادة تدل على الحياة، والحياة الكاملة تدل على السمع



والبصر والكلام. وما لا يدل عليه العقل نفينا وهو ما سوى المذكورات. فقال لهم أهل السنة: هذا عجب منكم، كيف أنكرتم التجسيم غاية الإنكار وقامت لذلك قيامتكم وزعمتم أن كل موصوف فهم جسم، ثم أثبتتم هذه الصفات السبع ولم تتحاشوا من كونها دالة على التجسيم. فإن كان في العقل ما يدل على التجسيم وأنتم تنفوناه غاية النفي فيلزمكم نفي الصفات السبع وموافقة الجهمية في النفي التام، وإن كان فيه ما يدل على ثبوته فلا شيء تفرون من إثبات ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له أعلم خلقه وأتقاهم وأورعهم، وإذا قلت إنه منفي في شيء دون شيء فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

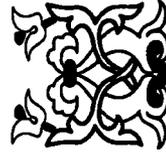
ويقال أيضًا نفي الدليل المعين لا يدل على نفي المدلول، فقدروا أن بقية الأوصاف لم يدل عليها العقل، فالسمع قد دل عليها دلالة واضحة جلية قاطعة، ودلالة السمع دلالة شرعية يقينية متفق عليها بين حملة الشريعة فيجب اتباع الدليل السالم عن المعارض والمقاوم. ثم يقال أيضًا قد ثبت كثير من الصفات الخبرية بأمور عقلية عيانية، فما في المخلوقات من أنواع المنافع والمصالح والنعم يدل على رحمة الخالق، وما يشاهد من إكرام أوليائه وإهانة أعدائه أكبر دليل على رضاه على هؤلاء وغضبه على الأعداء، وما يشاهد من إحكام المخلوقات وإتقانها وحكم الشرائع وأسرارها دال على كمال حكمة الله.

فهذه الصفات ثابتة شرعًا وعقلًا وفطرة فعلم أن المفرقين في ضلال بعيد.



## فصل

في المطالبتة بالفرق بين  
ما يتأول وما لا يتأول



٢١٤٢- فَتَقُولُ فَرَّقَ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ

وَمَنْعَتْهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانَ

٢١٤٣- فَيَقُولُ مَا يَفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ

وَلِنَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

٢١٤٤- كَالِاسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا

لَفْظُ النُّزُولِ كَذَلِكَ لَفْظُ يَدَانِ

٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ

لَا يَتَّبِعِي لِلْوَاحِدِ الْمَثَانِ

٢١٤٦- فَتَقُولُ أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضاً بِمَا

يَفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْجِدْثَانِ

٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ

نَفْسِ الْحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ

وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ وَهُوَ مَعَانِ

٢١٤٩- أَوْ وَاحِدٍ وَالْجِسْمِ حَامِلٍ هَذِهِ الـ

أَوْصَافِ حَقًّا فَاتِ بِالْفُرْقَانِ

٢١٥٠- بَيْنَ الَّذِي يَفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ

لَا يَقْتَضِيهِ بِوَأَضِحِ الْبُرْهَانِ

٢١٥١- وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوحُكَ كُلُّهُمْ

لَمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى فُرْقَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هذا الفصل يتحدى فيه هؤلاء الذين يحرفون أو يؤولون بعض النصوص ويتركون بعضاً فيقول لهم: فرقوا لنا بين ما يؤول وبين ما لا يؤول، أما أن تتحكموا فتقولوا هذا يؤول وهذا لا يؤول فهذا غير مسلم لكم:

فَتَقُولُ فَرَقَ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ وَمَنْعَتْهُ تَفْرِيقٌ ذِي بُرْهَانٍ

ما يفضي إلى التجسيم أولناه: يعني وما لا يفضي لا نؤوله، (من خبر ومن قرآن): من خبر عن الرسول ﷺ، ومن قرآن أي: كلام الله سبحانه وتعالى كالاستواء.

كَالِاسْتِوَاءِ مَعَ التَّكْلِمِ هَكَذَا لَفْظُ النَّزُولِ كَذَلِكَ لَفْظُ يَدَانِ

هذه أربعة أمثلة الاستواء يقول لو أثبتناه لكان مفضياً إلى التجسيم إذا أثبتنا الاستواء بمعناه الحقيقي كان ذلك مفضياً إلى التجسيم؛ لأنك إذا قلت استوى كذا على كذا لزم أن يكون الأول جسماً كما أن الثاني جسماً وهذا يفضي إلى التجسيم، كذلك الكلام لو أثبتنا الكلام بحرف وصوت لزم من ذلك التجسيم؛ لأن الكلام بحرف وصوت يحتاج إلى آلة من لسان وشفتين يعني: مخارج حروف، وما أشبه ذلك وهذا يقتضي أن يكون الله جسماً كذلك أيضاً الصفات الخبرية مثل اليدان النزول، النزول يقولون لا يكون النزول من شيء إلى شيء إلا إذا كان هذا النازل جسماً، فإذا أثبت نزول الله إلى السماء الدنيا مثلاً لزم أن تكون جسماً، وكذلك اليدان فقد أثبت الله لنفسه يدين فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِئُونًا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال يخاطب إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] فيقولون: محال أن تثبت لله يدين حقيقتين؛ لأن ذلك يقتضى التجسيم، ما المراد به عندهم؟ كل هذه مؤولة عندهم، الاستواء يعني: الاستيلاء، والكلام يعني: الكلام النفسي أو هو كلام مخلوق على رأى المعتزلة، والنزول نزول الأمر أي: ينزل أمره إلى السماء الدنيا أو تنزل رحمته أو ينزل ملك من ملائكته وسبحان الله العظيم كيف يتجرأون أن يقولوا هذا الكلام مع أن الذي نطق به محمد

رسول الله ﷺ: «يُنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ»<sup>(١)</sup> هل يمكن للأمر أن يقول من يدعوني فأستجيب له؟ والله الذي يتصور يرى أن الأمر لا يقول هذا الكلام وهو أمر لا شك فيه وإن عقله ليس معه، هل يمكن أن يقول ملك من ملائكة الله «من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له؟» لو أن ملكًا من الملائكة قال هذا لأدعى لنفسه أنه إله وهذا مستحيل أن تقول الملائكة وهم عباد الله المكرمون ما يقتضى أن يكونوا آلهة، لكن - والعياذ بالله - إذا صار للإنسان هوى ضلَّ عن الهدى.

كذلك اليدان يقولون: المراد باليد: القوة تقول العرب ما لي بذلك يدان أي: ما لي به من قوة ولكن كيف تقول هكذا والله يقول ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾؟ ولو كانت اليد هي القوة لم يكن هناك فرق بين آدم وإبليس فإن إبليس خلق بقوة الله وهي لا يمكن أن تُنتَى فهي وصف عظيم يقدر بالكيف لا بالكم واليدان مقدر بالكم هل الله عز وجل له قوتان له قوة مقدره بالكيفية لا يقهرها شيء قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وإبطال كلامهم مر علينا كثيرًا.

إذ هذه أوصاف جسم مُحدَثٍ لا يَتَّبِعِي لِلوَاحِدِ الْمَنَانِ

قوله: (هذه أوصاف جسم محدث) يشير إلى الاستواء وإلى الكلام وإلى النزول وإلى اليد مع أنه لا ينبغي الجسم للواحد المنان يعني استحيل ذلك على الله.

فَنَقُولُ أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا يَنْفُضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحَدَثَانِ

فقول له أي: مناقضين لكلامه.

فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ نَفْسِ الْحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الْأَكْوَانِ

أنت وصفته بالسمع والبصر والحياة والعلم والمشية والقدرة وتلك سبع صفات؛ وهذه هي الصفات التي يشبها الأشاعرة مدعين أن العقل دلٌّ عليها كيف دل عليها؟ يقولون: إن التخصيص دل على الإرادة، كيف التخصيص دل على الإرادة؟ يقول تخصيص المطلقات بحقائقها وذواتها وأعيانها وأوصافها ودل على الإرادة السماء والأرض لماذا كانت سماءً وكانت الأرض أرضًا؟ الذي اقتضت ذلك هي الإرادة أراد الله أن تكون السماء سماءً فكانت، وأراد أن تكون الأرض أرضًا فكانت وهلم جرًّا، والإحكام يعني: كون هذه المخلوقات محكمة مُتَقَنَّةٌ يدل على العلم؛ لأن الجاهل لا يأتي بشيء محكمًا، فلو أراد إنسان أن يصلح راديو مثلاً وهو ما يعرف

الصنعة، هل يمكن أن ينتج لنا راديو محكماً؟ لا يمكن إذا الإحكام دل على العلم، وكذلك في إيجاد المخلوقات دليل على القدرة؛ لأن العاجز لا يُوجد، وهذه هي الصفات الثلاث يقولون: محال أن تقوم إلا بحيي، فحياة الله عز وجل استدلووا عليها بالملزمة أي: أنه من لازم اتصافه بهذه الصفات الثلاث أن يكون حياً، أثبتنا الآن أربع صفات: الحي إما أن يكون سمياً بصيراً متكلماً أو أصم أعمى أخرس والأوصاف الثلاثة الأخيرة نقص والله منزّه عن النقص فوجب له ثبوت السمع والبصر والكلام، ومع ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (كلامه النفسي وهو معان أو واحد).

يعني: الأشاعرة ليتهم يثبتون الكلام على ما يثبت أهل السنة بل يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس وهو أزلي وهو واحد أو متعدد فبعضهم يقول: واحد فيجعلون عبد الله هي لا تشرك بالله، و﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ هي ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ شيء واحد، والإنجيل والتوراة والقرآن شيء واحد وبعضهم يقول: ليس شيئاً واحداً بل هو متعدد إلى خبر واستخبار وأمر ونهي أربعة أشياء، هؤلاء أهون من الأولين أقرب للمعقول، وكلهم مخالفون للمعقول، فكلام الله ليس هو المعنى النفسي بل هو ما سمعه جبريل عليه الصلاة والسلام وأداه إلى محمد ﷺ وما يتكلم الله به في الأمور الكونية التي لا تنتهي لها يقول: وكلامه النفسي وهو معان.

أَوْ وَاحِدٌ وَالْجِسْمُ حَامِلٌ هَذِهِ الـ أَوْصَافٌ حَقًّا فَاتٌ بِالْفُرْقَانِ

المقصود: أن السمع ما نعقله إلا في الأجسام والبصر لا نعقله إلا في الأجسام والإرادة القدرة كلها تكون في الأجسام فأنت الآن أثبتت أوصافاً لا تتم إلا بأجسام، وقلت: إن هذه الأوصاف حقيقية وأما الاستواء والنزول والكلام واليد فهي غير حقيقة؛ لأن هذه الأربع لا تقوم إلا بجسم، وأثبت سبعة صفات لا تقوم إلا بجسم فهذا لا شك أنه تناقض؛ ولهذا قال: فأت بالفرقان

بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ

ثم أقسم رَحِمَهُ اللهُ فقال:

وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ سُيُوحُكَ كُلُّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى الْفُرْقَانِ

و حينئذ يكونوا متناقضين متحكمين فيقولون: هذه صفة لا تقتضي التجسيم فثبتها وهذه صفة تقتضي التجسيم فلا نثبتها، ثم يجب أن نعلم أن كلمة الجسم لها في اللغة العربية معانٍ متعددة ولم يرد وصف الله بها لا نفيًا ولا إثباتًا، ليس في القرآن ولا في السنة أن الله قال عن نفسه إنه جسم ولا أنه نفى عن نفسه أنه جسم، فما الذي يلزمننا؟ يلزمننا أن نتوقف بالنسبة للفظ، فلا نقول: إن الله جسم ولا إن الله ليس بجسم فنحن في عافية من هذا، لكن من حيث المعنى نحن نؤمن بأن الله



سبحانه وتعالى له ذات متصفة بالصفات التالية: موصوفة بالوجه وبالعين وباليد وبالقدم وبالساق وبالتزول وبالاستواء وبالمجيء والإتيان، نؤمن بهذا كله، لكن لا نطلق جسمًا من باب التأدب مع الكتاب والسنة؛ لأنه لم يأت في الكتاب والسنة أن الله جسم فمن باب التأدب مع الله ألا نقول جسمًا لكننا نثبت صفات ثابتة لله حقيقة قائمة به، ونثبت بأن الله سبحانه وتعالى شيء متحد بنفسه مستقل بنفسه بائن من خلقه كما قال السلف رحمهم الله والله أعلم.



## الفهرس

### الصفحة

### الموضوع

- ٣٨ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصله في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الربّ وكلامه
- ٤١ ..... والاتفصال عنه.....
- ٥٨ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- ٦٠ ..... فصله.....
- ٧١ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصله في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله
- يُعبَد ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد، وبيان فساد
- ٧٣ ..... قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة.....
- ٩٧ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- ٩٩ ..... فصله في سياق هذا الدليل على وجهٍ آخر.....
- ١٠٦ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصله في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله تعالى فوق



١١٥	..... سمواته على عرشه
١١٩	..... فصل
١٢٥	..... فصل
١٣٢	..... فصل
١٤٤	..... فصل
١٥٣	..... فصل
١٥٨	..... فصل
١٦٢	..... فصل
١٦٤	..... فصل
١٦٨	..... فصل
١٧٠	..... فصل
١٧٣	..... فصل
١٨٠	..... فصل
١٨٥	..... فصل
١٩٩	..... فصل
٢٥٥	..... فصل
٢٦٦	..... فصل
٢٧٩	..... فصل
٢٨٢	..... فصل

- ٢٨٩ ..... فصل
- ٢٩٢ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- ٢٩٣ ..... فصل في الإشارة إلى ذلك من السنة.....
- ٣٢٠ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود منه  
والمقبول.....
- ٣٢٢ ..... والمقبول.....
- ٣٥٢ ..... فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه.....
- ٣٦٠ ..... فصل في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل.....
- ٣٨٠ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم  
وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذه الشبه.....
- ٣٨١ ..... وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذه الشبه.....
- ٣٩٠ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصل في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات  
بفرعون، وقولهم: إن مقالة العلو عنه أخذوها، وأنهم أولى  
بفرعون وهم أشباهه.....
- ٣٩١ ..... بفرعون وهم أشباهه.....
- ٣٩٩ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- ٤٠١ ..... فصل في بيان تدليسهم وتلييسهم الحق بالباطل.....
- ٤١٢ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصل في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة



- ٤١٤ ..... معانٍ حتى أسقطوا الاستدلال بها
- فصل** بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني
- ٤٣٤ .....
- ٤٤٠ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- فصل** في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب
- ٤٤٢ .....
- ٤٧٠ ..... تمهيد بين يدي الفصل (شرح السعدي رحمه الله)
- ٤٧٢ ..... **فصل** في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول
- ٤٧٧ ..... الفهرس